

الحديث النبوي بين الرواية والدراية

دراسة موضوعية منهجية لأحاديث

أربعين صحابياً

على ضوء

الكتاب، السنّة، العقل، اتفاق

الأمة، والتاريخ

العلامة المحقق

جعفر السبحاني

هذا الكتاب

نشر إلكترونياً وأخرج فنياً برعاية وإشراف

شبكة الإمامين الحسنين عليهما السلام للتراث والفكر الإسلامي

بانتظار أن يوفقنا الله تعالى لتصحيح نصه وتقديمه بصورة أفضل في فرصة أخرى

قريبة إنشاء الله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تواترت نعماءه، واستفاضت آلاؤه، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، وخاتم النبيّين محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، صلاة موصولة، لا مقطوعة، إلى يوم الدين.
إنّ السنّة النبويّة هي المصدر الثاني للعقيدة والشريعة، ولذلك عكف المسلمون على جمع ما روي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من قول أو فعل أو تقرير بنحو لا مثيل له في الأمم السابقة، وقد استأثرت السنّة بأهمية بالغة عند المسلمين، حدت بهم إلى تأسيس علوم بُغية فهم كتاب الله وسنة نبيّه. هذا من جانب.

ومن جانب آخر قد دسّ فيها أحاديث كثيرة مكذوبة وموضوعة من قبل أصحاب الأهواء ورجال العيث والفساد.

وقد صار ما ذكرنا سبباً لوضع ضوابط لتمييز الصحيح منها عن السقيم، وألّف الباحثون في ذلك المضمار مصنفات عديدة أثرت المكتبة الإسلامية. شكر الله مساعيهم الجميلة.
وقد نهجوا سبيل النقاش في مسانيد الحديث ورجاله، وخرجوا بنتائج باهرة، وفرزوا الموضوعات والمندسات عن غيرهما، وصار التوفيق حليفاً لهم إلى حدّ.

ولكن ثمة طريق آخر فاتهم سلوكه، وهو عرض مفاد الحديث ومضمونه على ضوابط رصينة حتى يتميز بها الحق من الباطل والصحيح عن الزائف، وهذه الضوابط عبارة عن الأمور التالية:

١. الكتاب العزيز.

٢. السنّة المتواترة أو المستفيضة.

٣. العقل الحصيف.

٤. ما اتفق عليه المسلمون.

٥. التاريخ الصحيح.

فيعرض الحديث على هذه الضوابط التي لا يستريب فيها أي مسلم واع، فإذا لم يخالفها تأخذ به إذا كان جامعاً لسائر الشرائط^(١) وإذا خالفها نظرته وإن كان سنده نقيماً.

هذا هو المقياس لتمييز الصحيح عن السقيم، وإن كان الإمعان في الأسانيد أيضاً طريقاً آخر

لنيل تلك الغاية.

ولكن المحدثين سلكوا النهج الأول دون الثاني.

ونحن بفضل الله سبحانه و تعالى نسلك الطريق الثاني، ونتناول بالبحث روايات أربعين صحابياً على ضوء الضوابط السابقة، ليكون نموذجاً لما اخترناه بغية فتح الباب على مصراعيه في وجه الآخرين.

نعم نختار من كلّ صحابي قسماً من رواياته لا كلّها، كما نذكر قسماً من روائع رواياته التي

رويت عنه.

١ . نعم يكفي في حجية الحديث كونه غير مخالف للأمور القطعية ، كما سيوافيك بيانه.

وثمة نكتة جديدة بالإشارة، وهي انه لانشيئ سقم الروايات على عاتق الصحابي الذي رويت عنه أو التابعي الذي روى عنه، بل نركز على أئالرواية سقيمة، وأما من تولى كبره فهو أمر غير مطروح في هذا المقام إلا في موارد خاصة.

وفي خاتمة المطاف أود أن أشير إلى أننا راعينا - في دراسة سيرة الصحابة والأحاديث التي نقلت عنهم - ترتيب أسمائهم حسب وفياتهم.

وحيث إن طائفة كبيرة من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية رويت عن غير واحد منهم، فقد أوجب ذلك تكراراً في دراسة بعض الروايات، نظير:

نزوله سبحانه إلى السماء الدنيا، الشوم في المرأة، بول النبي قائماً، سلطان إبليس على النبي في حال صلاته، طواف النبي على نسائه في ليلة و احدة، وضع الربّ رجله في نار جهنم، أو انه سبحانه ليس بأعور، إلى غير ذلك من الأحاديث. ولذلك بسطنا الكلام في كلٍ منها عند ترجمة واحد منهم، وأوجزنا الكلام عند ترجمة الآخرين.

ولا ندعي أننا استوفينا البحث في أكثر الروايات الموضوعية، فضلاً عن جميعها، وإنما قدّمنا للقارئ الكريم أمودجاً من تلك الروايات التي عزيت إلى أربعين صحابياً، عسى أن تكون فاتحة خير لمساهمات لاحقة من قبل الباحثين في هذا المضمار.

ولندكر قبل الدخول في المقصود عدة أمور تمهد السبيل لفهم ما نصبو إليه. والله من وراء القصد.

جعفر السبحاني

١ - مكانة السنّة النبوية

السنّة في اللّغة الطريقة، وفي الاصطلاح ما صدر عن النبي ﷺ من: قول أو فعل أو تقرير. وهي الحجّة الثانية بعد الكتاب العزيز، سواء أكان منقولاً باللفظ أم منقولاً بالمعنى، وقد خصّ الله بها المسلمين دون سائر الأمم، واهتمّ المسلمون بنقل ما أثار عن النبي ﷺ وتحروا في نقله الدقة، وكفى في كونها من مصادر العقيدة والتشريع قوله سبحانه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم/ ٣ - ٤) والآية وإن كانت ناظرة إلى الوحي القرآني لكن قوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ غير قابل للتخصيص، فهي قاعدة كلية في كلّ ما يصدر منه ويصدق عليه أنّه مما نطق به النبي ﷺ، قال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء/ ١١٣) والمراد من الفضل العظيم، الذي أشير إليه في ذيل الآية هو علم النبي ﷺ بشهادة قوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾. إلى غير ذلك من الآيات التي تبعث المسلمين إلى اقتفاء أثر النبي ﷺ

، مثل قوله سبحانه: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر/٧) بناء على أنّ المراد من قوله (آتاكم) - بقرينة (ما نهاكم عنه) - خلاف «ما نهاكم»، لا ما آتاكم من الغنائم.

إنّ السنّة هي المبيّنة للقرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل/٤٤).

اتفقت الأمة الإسلامية على أنّ السنّة الشريفة هي المصدر الثاني بعد الكتاب، بل ذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى أنّ جميع ما يحتاج إليه الناس موجود في الكتاب والسنّة. قال الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ الله تبارك و تعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلاّ أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله وجعل لكلّ شيء حدّاً، وجعل عليه دليلاً، وجعل على من تعدّى ذلك الحدّ حدّاً»^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما من شيء إلاّ فيه كتاب أو سنّة»^(٢).

إنّ السنّة النبوية تكون تارة ناظرة إلى القرآن الكريم فتبيّن مجملاته كالزكاة والصلاة والصوم، أو تخصص عموماته، أو تقيّد مطلقاته، وأخرى تكون ناظرة إلى بيان العقيدة والشريعة فحسب، وفي كلا القسمين تكون الصياغة والتعبير للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكن المحتوى والمضمون وحي من الله سبحانه ولذلك تُعدّ السنّة عدلاً للقرآن الكريم، فالصلاة والزكاة والصوم والحجّ أمور توقيفية لا تُعلم إلاّ من قبل الرسول، فهو المبين لحقائقها، وشروطها وموانعها، وقد صلّى -صلى الله عليه وآله وسلّم- وقال: «صلّوا كما رأيتموني أصلّي» وبذلك رفع الإجمال عن ماهية الصلاة المأمور بها، ومثلها باب الزكاة والحجّ وغيرها من أبواب الفقه.

١ . الكليني: الكافي: ٩٥/١، باب الرد إلى الكتاب والسنّة، الحديث ٤٥٢.

٢ . الكليني: الكافي: ٩٥/١، باب الرد إلى الكتاب والسنّة، الحديث ٤٥٢.

فالسنة النبوية هي المصدر الأصيل - كالقرآن - للتشريع ولا غنى لفقهاء أو محدث عنها، و من قال «حسبنا كتاب الله» فإتما قاله بلسانه وأنكره بجنانه، إذ هو يعلم أنّ كتاب الله وحده غير وافٍ بالتشريع، وقد أكد النبي ﷺ على تنفيذ هذه المزعمة بقوله في حديث الأريكة الذي رواها أصحاب الصحاح والمسانيد بصور مختلفة.

أخرج ابن ماجة بسنده عن المقدم أنّ رسول الله ﷺ قال: يوشك الرجل متكثراً على أريكته، يحدّث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عزّوجلّ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه.

ألا، وإنّ ما حرّم رسول الله ﷺ مثل ما حرّم الله. (١)

وقال ابن حزم: لو أنّ امرأً قال: لا نأخذ إلاّ ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة ...

وقائل هذا: كافر مشرك حلال الدم والمال. (٢)

إلى غير ذلك من الكلمات التي أغنانا عن نقلها وضوح الموضوع واتفاق المسلمين عليه و إنّما اللازم طرح سائر ما يمتُّ إلى السنة النبوية بصلة.

١ . سنن ابن ماجة: ١/٦ برقم ١٢، باب تعظيم رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه؛ مسند أحمد: ٤/١٣١؛ و سنن أبي داود: ٤/٢٠٠ برقم ٤٦٠٤، باب في لزوم السنة، وفيه مكان «الرجل»: «رجل شبعان»؛ و سنن الترمذي: ٥/٣٧ برقم ٢٦٦٣، الباب ١٠؛ إلى غير ذلك.

٢ . الاحكام في أصول الاحكام: ١/٢٠٨.

٢- اهتمام النبي ﷺ بتدوين الحديث

قد اشتهر بين المحدثين أنّ النبي ﷺ نهي عن تدوين الحديث وكتابه لعل سيوافيك شرحها وتحليلها. ولكن الشهرة في غير محلها، وقد قيل: كم شهرة لا أصل لها، بل الصحيح هو أنّه ﷺ أمر في غير مرّة بتدوين حديثه وكتابه، وإليك نماذج منها:

١. ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة أنخراة قتلوا رجلاً من بني ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه، فأخبر بذلك النبي ﷺ فركب راحلته فنخطب، فقال: إنّ الله حبس عن مكة القتل أو الفيل (شك أبو عبد الله) وسلط عليهم رسول اللّهُ المومنين، ألا وانّها لم تحلّ لأحد قبلي ولم تحلّ لأحد بعدي - إلى أن قال - : فجاء رجل من أهل اليمن.

فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال: اكتبوا لأبي فلان - إلى أن قال: - كتب له هذه الخطبة. (١)

٢. أخرج البخاري بإسناده عن وهب بن منبه عن أخيه قال: سمعت أبا هريرة، يقول: ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فاتّه كان يكتب ولا أكتب. (٢)

١ . صحيح البخاري: ٢٩/١-٣٠، باب كتابة العلم، الحديث ١١٢.

٢ . المصدر نفسه: ٣٠/١، باب كتابة العلم، الحديث ١١٣.

٣. ما أخرجه البخاري عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: لما اشتدّ بالنبي ﷺ وجعه، قال: «أئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده». قال عمر: إنّ النبي ﷺ غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع.

فخرج ابن عباس، يقول: إنّ الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه. (١)
٤. أخرج أبو داود في سننه عن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كلّ شيء أسمع من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: أكتب كلّ شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب و الرضا؟ فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأوماً باصبعه إلى فيه، وقال: «أكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلّا حقّ». (٢)

٥. أخرج الترمذي في سننه عن أبي هريرة، قال: كان رجل من الأنصار يجلس إلى النبي ﷺ فيسمع من النبي ﷺ الحديث فيعجبه ولا يحفظه، فشكا ذلك إلى النبي، فقال: يا رسول الله إني أسمع منك الحديث فيعجبني و لا أحفظه، فقال رسول الله ﷺ: «استعن بيمينك» وأوماً بيده للخط. (٣)

٦. أخرج الخطيب البغدادي عن رافع بن خديج، قال: مرّ علينا رسول الله ﷺ يوماً، ونحن نتحدث، فقال: «ما تحدّثون؟».

١ . صحيح البخاري: ٣٠/١، باب كتابة العلم.

٢ . سنن أبي داود: ٣١٨/٣ برقم ٣٦٤٦، باب في كتاب العلم؛ ومسند أحمد: ١٦٢/٢؛ سنن الدارمي: ١٢٥/١، باب من رخص في كتابة العلم.

٣ . سنن الترمذي: ٣٩/٥ برقم ٢٦٦٦.

فقلنا: نتحدث عنك يا رسول الله.

قال: «تحدثوا، وليتبوأ من كذب عليّ مقعداً من جهنم».

ومضى ﷺ لحاجته، ونكس القوم رؤوسهم...، فقال: «ما شأنكم؟ ألا تحدثون؟».

قالوا: الذي سمعنا منك، يا رسول الله.

قال: «إيّ لم أرد ذلك، إنّما أردت من تعمد ذلك»، قال: فتحدثنا.

قال: قلت: يا رسول الله، إنّنا نسمع منك أشياء، فنكتبها.

قال: «اكتبوا ولا حرج».^(١)

ثمّ إنّه ﷺ أعرب عن موقفه حيال كتابة الحديث بفعله حيث كتب إلى عمّاله وغيرهم كُتباً

تتعلق بالأمر الدينية، وقد حفظها التاريخ في طياته وإليك الإشارة إلى بعضها:

١. كتابه إلى عمرو بن حزم الانصاري عامله على اليمن.^(٢)

٢. كتابه إلى وائل بن حجر الحضرمي وقومه في حضرموت.^(٣)

٣. كتاب في الزكاة والديات وكان عند أبي بكر.^(٤)

إلى غير ذلك من الكتب المتعلقة بالأمر الدينية، مضافاً إلى كتاباته وموثيقه وعهوده مع شيوخ

القبائل كما سيوافيك بيانها.

ولعلّ هذا المقدار يفي بإثبات الأهمية التي أولاها الرسول ﷺ بكتابة حديثه.

١ . تقييد العلم: ٧٢ و ٧٣.

٢ . دلائل النبوة للبيهقي: ٤١٣/٥.

٣ . طبقات ابن سعد: ٢٨٧/١.

٤ . صحيح البخاري كما في فتح الباري: ٣١٧/٣ وفيه: أنّ أبا بكر كتب له (لأنس) هذا الكتاب لما وجهه إلى البحرين: «بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله على المسلمين...» والظاهر أنّ الكتاب كان للنبي ﷺ وقد احتفظ به أبو بكر، فكتب عنه عندما بعث أنس بن مالك إلى البحرين.

وقد قام ليفيف من الصحابة بكتابة الحديث في عهده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعده، نشير إلى طائفة منهم:
١. أنس بن مالك.

روى يزيد الرقاشي، قال: كُنَّا إِذَا أَكْثَرْنَا عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ الْقَيْ إِيْنَا بِمَخْلَاةٍ أَوْ أَتَانَا بِمَخَالٍ، فَأَلْقَاهَا إِيْنَا، وَقَالَ: هَذِهِ أَحَادِيثُ كَتَبْتَهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ سَمِعْتَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَتَبْتُهَا وَعَرَضْتُهَا. ^(١)

٢. جابر بن عبد الله الأنصاري، له صحيفة مشهورة ذكرها ابن سعد. ^(٢)

وقد أورد مسلم شيئاً من تلك الصحيفة في كتاب الحج من صحيحه. ^(٣)

٣. معاذ بن جبل كان لديه كتاب يحتوى على أحاديث. ^(٤)

٤. حنظلة بن ربيع الكاتب.

قال الشيخ الطوسي: روى كتاباً للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ^(٥)

٥. أبو رافع المدني، كان يملئ على ابن عباس الحديث فيكتبه ^(٦) وهو مصنف كتاب السنن

والأحكام والقضايا. ^(٧)

إلى غير هؤلاء من الشخصيات الإسلامية المعدودة من الصحابة، فقد كتبوا كتباً ودونوا صحفاً واحتفظوا بها في عهد الرسول وبعده، وإن كانت تلك الصحف صحفاً غير مرتبة ولا منظمة، بل كانت أشبه بالمسانيد.

هذا كله من طرق أهل السنة.

١. محاسن الاصطلاح: ٢٩٧، كما في تدوين السنة الشريفة: ٢١٠.

٢. الطبقات الكبرى: ٤٦٧/٥.

٣. صحيح مسلم: ٣٨/٤-٣٣ باب حجّة النبي من كتاب الحج.

٤. حلية الأولياء: ١/٢٤٠.

٥. الفهرست: ٩١.

٦. تقييد العلم: ٩١-٩٢.

٧. رجال النجاشي: ٢.

وأما ما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ، فحدث عنه ولا حرج، فقد دلت الأخبار على أنّ عليّاً كان من السبّاقين في تدوين السنّة النبوية في عصره صلى الله عليه وآله ، وقد كتب ما أملاه عليه النبي صلى الله عليه وآله في صحيفة عرفت بكتاب علي عليه السلام تارة، وبالجامعة أُخرى، وقد ورث هذه الصحيفة أبناؤه واحد تلو الآخر وكانوا يعتمدون عليها ويُفتون على ضوء ما يجدون فيها، وإليك بعض ما أثر عنهم عليهم السلام :

١. قال الإمام الباقر عليه السلام لأحد أصحابه - أعني حُمران بن أعين - وهو يشير إلى بيت كبير: «يا حمران إنّ في هذا البيت صحيفة طولها سبعون ذراعاً بخطّ علي عليه السلام وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله ، لو وُئينا الناس لحكمتنا بما أنزل الله لن نعدو ما فيها».
٢. قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام لبعض أصحابه: «يا جابر إنّنا لو كنّا نحدّثكم برأينا لكنّا من المهالكين، ولكنّا نحدّثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله صلى الله عليه وآله ».
٣. قال الإمام الصادق عليه السلام عند ما سئل عن الجامعة: «فيها كلّما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلاّ فيها حتى أرش الخدش».
٤. وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً، وهو يعرف كتاب عليّ: «طوله سبعون ذراعاً، إملاء رسول الله من فلق فيه، وخطّ علي بن أبي طالب «عليه السلام» بيده، فيه والله جميع ما يحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة، حتى أنّ فيه أرش الخدش والجلدة ونصف الجلدة».
٥. ويقول سليمان بن خالد: سمعت أبا عبد الله عليه السلام ، يقول: «إنّ عندنا لصحيفة طولها سبعون ذراعاً إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّ عليّ عليه السلام بيده، ما من حلال ولا حرام إلاّ وهو فيها حتى أرش الخدش»^(١).

١ . وقد جمع العلامة المجلسي ما ورد من الأثر حول صحيفة الإمام عليّ عليه السلام في موسوعته بحار الأنوار: ١٨/٢٦-٦٦، تحت عنوان باب «جهات علومهم وما عندهم من الكتب»، فلاحظ الحديث ١٢، ١، ١٠، ٣٠.

٣- المنع الشرعي عن كتابة الحديث!؟

قد تجلّت الحقيقة بأجلى مظاهرها وظهر مما تقدم أنّ الرسول أولى عناية فائقة بكتابة الحديث وقام بكتابته عن طريق كُتّابه، وتبعه لفيث من أصحابه فألّفوا صحائف ورسائل في حديثه ﷺ وإن كانت مختصرة وغير منظمة، لكنّها شكلت اللبنة الأولى لتدوين الحديث في القرن الثاني. وربما يُتخيل أنّه كان هناك منع شرعي عن كتابة الحديث استناداً إلى الأحاديث التالية:

حديث أبي سعيد الخدري

١. أخرج أحمد، عن همام بن يحيى، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، ومن كتب شيئاً سوى القرآن فليمحه»^(١).

٢. وأخرج أيضاً بهذا السند عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكتبوا عني شيئاً، فمن كتب عني شيئاً فليمحه»^(٢).

وقد رواه الخطيب بصور مختلفة^(٣) كلّها تنتهي إلى زيد بن أسلم، عن

١ . مسند أحمد: ١٢/٣ ولاحظ تقييد العلم: ٢٩ و ٣٠.

٢ . مسند أحمد: ١٢/٣ ولاحظ تقييد العلم: ٢٩ و ٣٠.

٣ . تقييد العلم: ٢٩.

عطاء ابن يسار، عن أبي سعيد الخدري. وهو يكشف عن أنّ الحديث مضطرب المتن لوجود الاختلاف في مضامينه وصوره.

وقد اقتصرنا على الصورتين الماضيتين اللتين رواهما أحمد في مسنده.

ولا يُحتج بمثل هذا الحديث في مقابل الأحاديث السابقة الدالة على رجحان الكتابة، مضافاً إلى ما رواه الذهبي في حقّ «زيد بن أسلم» قال: روي عن حماد بن زيد، قال: قدمت المدينة وهم يتكلمون في زيد بن أسلم، فقال لي عبيد الله بن عمر: ما نعلم به بأساً إلاّ أنّه يفسّر القرآن برأيه.^(١)

٣. وهناك حديث آخر لأبي سعيد، أخرجه الخطيب عن سفيان بن عيينة، عن عبد الرحمان بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد، قال: استأذنت النبي ﷺ أن أكتب الحديث، فأبى أن يأذن لي.^(٢)

والحديث ضعيف بعبد الرحمان.

قال يحيى بن معين: بنو زيد بن أسلم ليسوا بشيء.

وروى عثمان الدارمي عن يحيى: ضعيف.

وقال البخاري: عبد الرحمان ضعّفه عليّ جداً.

وقال النسائي: ضعيف. إلى آخر ما ذكر.^(٣)

ورواه الدارمي عن نفس زيد بن أسلم.^(٤)

وقد ورد سفيان بن عيينة في جميع أسانيد الحديث الأخير ، وهو معروف

١ . ميزان الاعتدال: ٩٨/٢ برقم ٢٩٨٩.

٢ . تقييد العلم: ٣٢.

٣ . ميزان الاعتدال: ٥٦٤/٢ برقم ٤٨٦٨.

٤ . سنن الدارمي: ١/١١٩، باب من لم يركب كتابه الحديث.

بالتدليس . وأمانة التدليس في المقام واضحة، لأنه رواه تارة عن زيد بن أسلم وأخرى عن ابنه عبد الرحمان .

حديث أبي هريرة

١ . أخرج أحمد في مسنده، عن عبد الرحمان بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، قال: كنا قعوداً نكتب ما نسمع من النبي ﷺ فخرج علينا، فقال: «ما هذا تكتبون؟» .

فقلنا: ما نسمع منك، فقال: «أكتب مع كتاب الله؟» فقلنا ما نسمع، فقال: «اكتبوا كتاب الله، امحضوا كتاب الله، أكتب غير كتاب الله؟ امحضوا كتاب الله أو خالصوه»، قال: فجمعنا ما كتبنا في صعيد واحد ثم أحرقناه بالنار .

قلنا: أي رسول الله، أنتحدث عنك؟ قال: «نعم، تحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، قال: فقلنا: يا رسول الله أنتحدث عن بني إسرائيل؟ قال: «نعم، تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، فأنكم لا تحدثون عنهم بشيء إلا وقد كان فيهم أعجب منه» .^(١)

٢ . وأخرج الخطيب، عن عبد الرحمان بن زيد بنفس السند السابق، عن أبي هريرة، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نكتب الأحاديث، فقال: «ما هذا الذي تكتبون؟» . قلنا: أحاديث سمعناها منك .

قال: «أكتاباً غير كتاب الله تريدون، ما أضلّ الأمم من قبلكم إلا ما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله» .

١ . مسند أحمد: ٣/١٢ .

قال أبو هريرة فقلت: أنتحدث عنك يا رسول الله؟

قال: «نعم تحدثوا عني ولا حرج، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». (١)

٣. أخرج الخطيب بنفس السند عن أبي هريرة قال: بلغ رسول الله ﷺ «أن ناساً قد كتبوا حديثه، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما هذه الكتب التي بلغني أنكم قد كتبتم إياها أنا بشر، من كان عنده منها شيء فليأت به، فجمعناها «فأخرجت» [كذاج، فقلنا: يا رسول الله نتحدث عنك؟ قال: تحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار. (٢)

وهذه الأحاديث المنتهية إلى أبي هريرة لا يحتج بها.

أولاً: لوقوع «عبد الرحمان بن زيد بن أسلم» في جميع الأسانيد وقد عرفت حاله.

ثانياً: وجود الاختلاف في المضامين كما هو واضح عند المقارنة.

ثالثاً: تعارضها بما سبق من الروايات المتضاربة الدالة على خلافها.

حديث زيد بن ثابت

أخرج الخطيب البغدادي بإسناده إلى كثير ابن زيد عن المطلب بن عبد الله ابن حنطب، قال: دخل زيد بن ثابت على معاوية، فسأله عن حديث، فأمر إنساناً يكتبه، فقال له زيد: إن رسول الله ﷺ أمرنا أن لا نكتب شيئاً من حديثه، فمجاه. (٣)

وقد رواه الخطيب بسندين ينتهيان إلى كثير بن زيد.

قال الذهبي: قال أبو زرعة: صدوق، فيه لين.

وقال النسائي: ضعيف.

١ . تقييد العلم: ٣٣، ٣٤، ٣٥.

٢ . تقييد العلم: ٣٣، ٣٤، ٣٥.

٣ . تقييد العلم: ٣٣، ٣٤، ٣٥.

وقال ابن المديني: صالح، وليس بقوي. (١)

وقد أخرج الخطيب روايات أخرى لا تنتهي إلى الرسول وإنما تحكي عمل بعض الصحابة والتابعين من محو الكتابة.

هذه هي المناقشات في سند الرواية ومضامينها، وهناك أمر آخر وهو أنّ هذه الروايات لا يساعدها الذكر الحكيم أولاً، وتخالف السنة القولية و الفعلية ثانياً، والتاريخ الصحيح ثالثاً.

أما عدم مساعدة الكتاب فلاّته سبحانه اهتم بكتابة الدين اهتماماً بالغاً، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ ثم عاد وأكد على المؤمنين أن لا يسأموا من الكتابة، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾.

فإذا كان الدين بهذه المنزلة من الأهمية، فكيف بأقوال النبي وأفعاله وتقاريره التي تعتبر تالي القرآن الكريم حجية وبرهاناً؟

وثمة كلمة قيمة للخطيب البغدادي تأتي بنصّها، قال: «وقد أدب الله سبحانه عباده بمثل ذلك في الدين فقال عزوجل: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾» (٢)

فلما أمر الله تعالى بكتابة الدين حفظاً له واحتياطاً عليه وإشفاقاً من دخول الريب فيه، كان العلم الذي حفظه أصعب من حفظ الدين أخرى أن تباح كتابته خوفاً من دخول الريب والشك فيه (٣)

١ . ميزان الاعتدال: ٣/٤٠٤ برقم ٦٩٣٨.

٢ . البقرة: ٢٨٢.

٣ . تقييد العلم: ٧٠ - ٧١ ولكلامه صلة: فراجع.

وأما مخالفتها للسنة القولية والفعلية، فكما عرفت مما مضى من الروايات.
وأما مخالفتها للتاريخ الصحيح فلما ثبت من أن الخليفة لما حاول كتابة الحديث استشار أصحاب رسول الله ﷺ، فلو كان هناك حضر من رسول الله ﷺ على ما في هذه الروايات لم يبق موضوع للاستشارة، ولما صح للأصحاب أن يسيروا إلى الخليفة بالكتابة.
أخرج الخطيب البغدادي بإسناده عن عروة بن الزبير: أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن، فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله ﷺ، فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: إني كنت أردت أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً، فأكتبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً.^(١)

وأخرج أيضاً بالاسناد عن القاسم بن محمد: أن عمر بن الخطاب بلغه أنه قد ظهر في أيدي الناس كتب، فاستنكرها وكرهها، وقال: أيها الناس انه قد بلغني انه قد ظهرت في أيديكم كتب، فأحبها إلى الله أعدلها وأقومها، فلا ييقن أحد عنده كتاب إلا أتاني به فأرى فيه رأيي.
قال: فظنوا انه يريد ينظر فيها ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف، فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار، ثم قال: أمنية كأمنية أهل الكتاب.^(٢)

كل ذلك يدل على أن الحظر الشرعي أسطورة تاريخية صنعتها يد الجعل تبريراً لأعمال الخلفاء حيث قاموا بوجه تدوين الحديث ونشره والتحدث به كما سيوافيك بيانه، ومرت الإشارة إليه آنفاً.

١ . تقييد العلم: ٤٩ و ٥٢ .

٢ . تقييد العلم: ٤٩ و ٥٢ .

٤- العلل المزعومة لقلة الاهتمام بالتدوين

قد عرفت أنّ النبي ﷺ اهتمّ بكتابة حديثه ورغب إليها، وأنّ لفيماً من الصحابة قاموا بتدوين صحف وكتب ورسائل حول حديثه وحفظوا بها سنة الرسول في عصره وبعده، فصارت كالنواة لعصر التدوين.

كما أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم لم يعيروا أهمية لمنع كتابة الحديث، وقد دونوا كتباً ورسائل في عصر الرسول وبعده.

ولكن هنا نقطة جديدة بالإشارة، وهي أنّ المسلمين لم يبذلوا عناية كافية بتدوين الحديث، وكان المترقب منهم - بعد رحيل الرسول ﷺ - هو بذل المزيد من العناية بذلك في كل عصر، وتشكيل حلقات الدراسة والمذاكرة في مسجد النبي ﷺ وخارجه كما شكّلوه في القرن الثاني. وبذلك تعرّض تدوين الحديث لنكسة عرقلت خطاه.

فيقع الكلام في بيان ما هو السبب من وراء هذه النكسة؟ فقد ذكروا لها مبررات، وسنقوم بدراستها على وجه الإيجاز.

الأول: الاحتراز عن المضاهاة بكتاب الله تعالى

إنّ عدم الاهتمام بتدوين الحديث كان لغاية مقدسة وهي عدم اختلاط الحديث بالقرآن الكريم، فلذلك انصبّ اهتمام المسلمين على تدوين القرآن، دون تدوين الحديث وذلك لئلا يختلطاً.

قال الخطيب: قد ثبت اتكراهة من كره الكتاب من الصدر الأوّل إنّما هي لئلا يضاهاى بكتاب الله تعالى غيره... ونُهي عن كتب العلم في صدر الإسلام وجدّته، لقلّة الفقهاء في ذلك الوقت والمميزين بين الوحي وغيره، لأنّ أكثر الأعراب لم يكونوا فقهوا في الدين ولا جالسوا العلماء العارفين، فلم يؤمن أن يُلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن ويعتقدوا أنّما اشتملت عليه كلام الرحمن. (١)

أقول: هذا الوجه مخدوش جداً وأشبهه بدفع الفاسد بالآفسد، وبالاعتذار الأقبح، من الذنب القبيح، وذلك لأنّ القرآن الكريم أسلوبه وبلاغته يغيّر أسلوب الحديث وبلاغته فلا يخاف عليه من الاختلاط بالقرآن مهما بلغ غيره من الفصاحة بمكان، فقبول هذا التبرير يلازم إبطال إعجاز القرآن الكريم وهدم أصوله من القواعد، قال سبحانه: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء/٨٨).

ومعنى هذا الاعتذار أنّ كلام الرسول كان بنحو ربما لا يميّز عن كلام ربّ العزة، فيتصوره العرب الأقحاح - الذين يخاطبهم القرآن بالآية الكريمة - أنّه من القرآن الكريم.

وبعبارة أخرى: أنّ المراد من المضاهاة - كما عبر بها الخطيب، أو الاختلاط بالقرآن كما عبّر به غيره (٢) - إمّا هي المضاهاة الصورية، أو المضاهاة الواقعية الجوهرية.

أمّا الأولى فيكفي في دفعها أن يكتب كلٌّ على حدة، فيكون لكلّ موضع خاص وهو أمر سهل.

١ . تقييد العلم: ٥٧.

٢ . وهو الظاهر من حديث أبي هريرة حيث روى: امحضوا كتاب الله. ومعناه المنع عن تدوين الحديث مع القرآن.

وأما الثانية فهي غير ممكنة وذلك لأنّ للقرآن بلاغة تختص به ويتميز بها عن غيره مهما بلغ الغير من البلاغة والفصاحة بمكان، فلا تحصل المضاهاة مهما اختلطا.
على أنّ النبي ﷺ كان يتكلم بأسلوب متعارف بين الناس في مقام التحديث، فلم يكن أيّ تشابه بين الحديث والقرآن حتى يحصل الاختلاط.

الثاني: عدم الاشتغال عن القرآن

وهذا هو العذر الثاني، وحاصله أنّه لم يُدون الحديث النبوي لئلاّ يشتغل المسلمون عن القرآن بسواه أو «مخافة أن ينصرف الناس عن القرآن إلى سنته وسيرته وينظروا إليهما كما ينظرون إلى القرآن، وعلى مرور الزمن تحلّ محله كما حلّت أقوال المسيح وسيرته محلّ الإنجيل الذي أنزله الله عليه». (١)

ولعلّه إلى ذلك الوجه يشير قول عمر على ما أخرجه الخطيب بقوله: أراد عمر أن يكتب السنن، فاستخار الله شهراً، ثمّ أصبح وقد عزم له، فقال: ذكرت يوماً كتبوا كتاباً، فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله. (٢)

أقول: إذا كان الاشتغال بالحديث سبباً للإعراض عن القرآن فالاشتغال بسائر العلوم الطبيعية والرياضية والأدبية أولى بأن تكون موجبة للإعراض عنه، وذلك لأنّ الصلة الموجودة بين القرآن والحديث ليست موجودة بينه وبين سائر العلوم، أفصح لعالم واع أن يفتي بتحريم الاشتغال بمطلق العلوم بذريعة أنّ الاشتغال بها موجب للإعراض عن القرآن!؟

١ . انظر تقييد العلم: ٥٧ ولاحظ علوم الحديث للدكتور صبحي الصالح: ٢٠.

٢ . هاشم معروف الحسني، الموضوعات في الآثار والخبار: ١٩. ويظهر من كلامه أنّه رضي بذلك العذر.

وأما قياس الاشتغال بالحديث باشتغال أهل الكتاب بغير كتاب الله تعالى فهو قياس مع الفارق، لأنّ الاشتغال بحديث يُقيّد مطلقاته، ويبيّن مفاهيمه، ويوضح أسباب نزوله، إلى غير ذلك من الحقائق الكامنة في الحديث، اشتغال - في الواقع - بالقرآن، وهذا بخلاف اشتغال أهل الكتاب بغير التوراة والإنجيل، فقد اشتغلوا بما كان على طرف النقيض ممّا نزل على أنبيائهم. على أنّ التجربة أثبتت خلاف ذلك، لأنّ المسلمين اشتغلوا منذ أوائل القرن الثاني بتدوين الحديث بجد ومثابرة، ولم يُشغلهم عن القرآن وحفظه أيّ شاغل.

الثالث: قلة من يجيد القراءة والكتابة

وهذا الوجه يهدف إلى القول بأنّ الأُمّية السائدة في الجزيرة العربية عاقتهم عن كتابة الحديث، وأعاقتهم على ذلك سعة حفظهم وسيلان أذهانهم، وقد أشار إليه الخطيب. ^(١) قال ابن قتيبة: كان الصحابة أميين لا يكتب منهم إلا الواحد والاثنان وإذا كتب لم يُتقن ولم يُصب التهجي. ^(٢)

أقول: إنّ ما ذكر من الفرض باطل جداً فإنّ الأُمّية لم تمنع من كتابة القرآن الكريم وتدوينه، فكيف تمنع عن كتابة الحديث؟ فهؤلاء الكُتّاب الذين بلغ عددهم نحواً من سبعة عشر كاتباً كان في وسعهم القيام بكتابة الحديث النبوي، وقد ثبت في التاريخ أنّ النبي ﷺ كان حريصاً على مكافحة الأمية التي كانت متفشية بين العرب في مطلع فجر الإسلام، وقد فرض

١ . تقييد العلم: ٥٧؛ وعبر عنه بقلة الفقهاء، ولعلّ مراده ما ذكرناه.

٢ . تأويل مختلف الحديث: ٢٨٧.

على كالأسير كان يحسن القراءة والكتابة تعليم عشرة من الأُميين كفدية له في مقابل الفدية النقدية التي فرضها يوم بدر على الأسرى في حين أنه كان أحوج ما يكون إلى المال في تلك الفترة من تاريخ الإسلام. (١)

ثم إنَّ النهي عن كتابة الحديث دال على إمكانها وكثرة من يمارسها، وإلّا لعاد النهي لغواً والتأكيد على المنع عبثاً.

وبالجمله هذه فروض ذهنية لا تنطبق على الواقع، وهناك فرض رابع ربما يكون هو السبب الحقيقي من وراء عدم بذل العناية بكتابة الحديث، وقد أوضحناه في موسوعتنا «بحوث في الملل والنحل» (٢) ولنأت في المقام بصورة واضحة مقرونة بالشواهد.

الرابع: حظر التدوين لدافع سياسي

الظاهر أنّ السبب الواقعي لعدم الاهتمام بالكتابة، هو نهي الخلفاء عنها لدافع سياسي، وقد حظي هذا الدافع من الأهمية بمكان حتى أنّ عمر ابن الخطاب، قال لقرظة بن كعب: جرّدوا القرآن، وأقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ. (٣)

ولما نهض عمر بأعباء الخلافة نهى عن كتابة الحديث، وكتب إلى الأفاق: إنّ من كتب حديثاً

فليمحه (٤) ثمّ نهى عن التحدّث فتركت عدة من الصحابة الحديث عن رسول الله ﷺ. (٥)

١ . السيرة الحلبية: ٢/١٩٣، دار احياء التراث العربي.

٢ . بحوث في الملل والنحل: ١/٦٨-٧٢.

٣ . الحاكم النيسابوري: المستدرك: ١/١٠٢.

٤ . تقييد العلم: ٥٣؛ و كنز العمال: ١٠/٢٩٢ برقم ٢٩٤٧٦.

٥ . راجع مستدرك الحاكم: ١/١٠٢.

وأغلب الظن أنّ الوجه في منع تدوين الحديث ونشره ومدارسته ومذاكرته وكتابته بعد رسول الله ﷺ هو نفس الوجه الذي منع من كتابة الصحيفة يوم الخميس عند احتضار النبي ﷺ ، فالغاية بداية ونهاية وقبل رحلته وبعدها لم تتغير، وقد مضى حديث ابن عباس في ذلك ^(١) وثمة سؤال يطرح نفسه وهو ماذا كان يريد رسول الله ﷺ من كتابة وصيته؟ فلو علم ذلك، لعلم وجه المنع عن كتابة وصيته، كما علم أيضاً وجه المنع عن تدوين سنته بعد رحيله. فنقول: لم يكن هدف النبي ﷺ إلاّ دعم موقفه من الوصية وتعيين الخليفة بعده، ويعلم هذا من مقارنة هذا الحديث الذي نقله ابن عباس مع حديث الثقلين المتفق عليه بين محدّثي السنة والشيعه.

وذلك أنّ النبي ﷺ قال في شأن الكتاب الذي مُنع عن كتابته: إئتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده.

وقد جاءت هذه العبارة بعينها في حديث الثقلين، إذ يقول فيهص: إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتهم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي.

فالتشابه الموجود بين الحديثين يعرب عمّا كان يهدفه النبيمن وراء طلب الدواة والصحيفة، وكان الهدف دعم مفاد حديث الثقلين وتعزيز ولاية الإمام علي عليه السلام وتعيين الخليفة، فقد وقف بعض الحاضرين في المجلس على أنّوصية النبيستشكّل خطراً على مصالحهم، فمنعوا عن كتابة الحديث لئلا يرد نصمكتوب من النبي ﷺ على خليفة واحد بعينه.

يقول: سفيان بن عيينة: أراد أن ينصّ على أسامي الخلفاء بعده حتى لا يقع

١ . لاحظ ص ١٣ .

بينهم الاختلاف (١)

وهذا الوجه نفسه صار سبباً لمنع تدوين الحديث بعد رحيله لما في أحاديث الرسول من التركيز على ولاية علي عليه السلام ، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ ان صدّع بالدعوة وأجهر بها، نص على فضائل علي ومناقبه في مناسبات شتى، فقد عرّفه في يوم الدار الذي ضم فيه أكابر بني هاشم وشيوخهم، بقوله: «إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا». وفي يوم الأحزاب بقوله: «ضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين». وفي اليوم الذي غادر فيه المدينة متوجّهاً إلى تبوك، وقد ترك عليّاً خليفته على المدينة، عرّفه بقوله: «أما ترضى أن تكون مّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي». إلى أن عرّفه في حجّة الوداع في غدير خم، بقوله صلى الله عليه وسلم : «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه».

إلى غير ذلك من المناقب والفضائل المتواترة، وقد سمعها كثير من الصحابة فوعوها. فكتابة حديث رسول الله بمعناها الحقيقي، لا تنفك عن ضبط ما أثر عنه صلى الله عليه وسلم في حقّ أوّل المؤمنين به، وأخلص المناصرين له في المواقف الحاسمة، وليس ضبط ما أثر ، أمراً يلائم ذوق الذين منعوا عن الكتابة. إنّ هذا الوجه هو الذي اخترناه في سالف الزمان، وقد ذكر المحقّق السيد مُجّد رضا الجلاّلي (حفظه الله) شواهد تاريخية تدعم الموضوع، وتثبت أنّ هذا الوجه هو القول الفصل.

١ . ابن حجر العسقلاني: فتح الباري: ١/١٦٩.

ومن جملة تلك الشواهد التاريخية:

١. جاء علقمة بكتاب من مكة - أو اليمن - صحيفة فيها أحاديث في أهل البيت، بيت النبي ﷺ فاستأذنا على عبد الله [بن مسعود]، فدخلنا عليه، قال: فدفعنا إليه الصحيفة. قال: فدعا الجارية، ثم دعا بطست فيها ماء. فقلنا له: يا أبا عبد الرحمان، أنظر فيها، فإنّ فيها أحاديث حسناً، قال: فجعل يميثها فيها، ويقول: (نَحْنُ نَقْصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) . القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها ما سواه^(١)

إنّ الصحيفة المعرضة للابادة ترتبط بأهل البيت ﷺ ، وكأنّ الراوي اعتنى بهذه النقطة، فاستعمل عطف البيان للتأكيد على المراد بأهل البيت، وليفت نظر عبد الله بن مسعود إلى أنّهم أهل بيت النبي ﷺ .

ولكن عبد الله لم يعر اهتماماً وأباد الصحيفة.

والتبريرات المذكورة لمنع التدوين لا يجري شيء منها هنا، فلا اختلاط لما في الصحيفة بالقرآن ولا الاشتغال بأحاديث في صحيفة، تلهي عن القرآن، و مع ذلك فإنّ عبد الله بن مسعود أباد الصحيفة لما فيها ما يرجع إلى أهل البيت، بيت النبي ﷺ ، وان برّر عمله بأنّ الاشتغال بالحديث هو اشتغال بما سوى القرآن، ولكن هذا التبرير كان واجهة لما ارتكب، وفي الواقع كان المحتوى يسلب الشرعية عن السلطة الحاكمة وينافي سياستها القائمة، لأنّ الأحاديث النبوية الواردة في أهل البيت ﷺ إنّما تدل على فضلهم وتؤكد على خلافتهم عن النبي ﷺ وتجعلهم قرناء للقرآن ليكونوا هم وهو خليفته له من بعده. وكان عبد الله بن مسعود من حماة

١ . تقييد العلم: ٥٤ وقد رواه بأسانيد وصور مختلفة تشترك الجميع في غسل الصحيفة التي فيها أحاديث الرسول

ﷺ .

السلطة الحاكمة إلى عصر الخلفتين الأولين^(١) وإن تراجع عن موقفه في عصر الخليفة الثالث كما سيوافيك عند ترجمته وسيرته.

٢. أخرج ابن كثير عن عمر أنه قال: أقلّوا الرواية عن رسول الله إلاّ فيما يعمل به.^(٢)
فإذا كان التحديث بحديث رسول الله موجباً للاشتغال به عن القرآن أو غير ذلك، فلماذا جوز التحديث في الفرائض والأحكام دون غيره؟ أو ليس ذلك قرينة على أنّ الحديث في الأحكام لا يمس كيان السلطة، بخلاف التحديث في غيرها خصوصاً فيما يرجع إلى الفضائل والمناقب.

٣. ما روى من أنّ خالد القسري - أحد ولاة بني أمية - طلب من أحدهم أن يكتب له السيرة، فقال الكاتب: فأنه يمرّ بي الشيء من سير علي بن أبي طالب، فأذكره؟
فقال خالد: لا، إلاّ أن تراه في قعر الجحيم.^(٣)

فالحديث يكشف عن أنّ هذا هو السبب الرئيسي لمنع تدوين الحديث، فلم يكن تدوين الحديث منفكاً عما ورد في عليّ وأهل بيته من الفضائل.

٤. روى الزبير بن بكار بسنده عن عبد الرحمان بن يزيد، قال: قدم علينا سليمان بن عبد الملك حاجاً، سنة ٨٢ هـ - وهو ولي عهد، فمرّ بالمدينة فدخل عليه الناس، فسلموا عليه وركب إلى مشاهد النبي ﷺ التي صلّى فيها، وحيث أصيب أصحابه بأحد، ومعه أبان بن عثمان، وعمرو بن عثمان، وأبوبكر بن عبد الله، فأتوا به قُبَاء، ومسجد الفضيخ ومشربة أمّ إبراهيم،

١ . انظر تدوين السنة: ٤١٢ - ٤١٣ .

٢ . البداية والنهاية: ١١٠/٨ .

٣ . الاغانى: ١٥/٢٢ .

وأحد، وكل ذلك يسألهم؟ ويخبرونه عما كان.
ثم أمر أبان بن عثمان أن يكتب له سير النبي ﷺ ومغازيه.
فقال أبان: هي عندي قد أخذتها مصححة ممن أثق به.
فأمر بنسخها والقي فيها إلى عشرة من الكتاب، فكتبوها في رقي فلما صارت إليه، نظر فإذا
فيها ذكر الأنصار في العقبين، وذكر الأنصار في بدر.
فقال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل، فأما أن يكون أهل بيتي غمصوا عليهم، وأما أن
يكونوا ليس هكذا.
فقال أبان بن عثمان: أيها الأمير لا يمنعنا ما صنعوا... أن نقول بالحق، هم على ما وصفنا لك
في كتابنا هذا.
قال سليمان: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذلك حتى أذكره لأمير المؤمنين لعله يخالفه، فأمر بذلك
الكتاب فحرق، وقال: أسأل أمير المؤمنين إذا رجعت، فإن يوافقني فما أيسر نسخه.
فرجع سليمان بن عبد الملك فأخبر أباه بالذي كان من قول أبان.
فقال عبد الملك: وما حاجتك أن تُقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل؟ تُعرّف أهل الشام أموراً لا
نريد أن يعرفوها.
قال سليمان: فلذلك - يا أمير المؤمنين - أمرت بتخريق ما كنت نسخته حتى استطلع رأي
أمير المؤمنين، فصوب رأيه. (١)

١ . الموفقيات للزبير بن بكار : ٢٢٢ - ٢٢٣ .

قال المحقق السيد الجلاي: فإذا كانوا لا يتحملون ذكر فضل الأنصار، فكيف يتحملون ذكر فضل أهل البيت، وسيدهم أمير المؤمنين «عليه السلام»؟! (١)

* * *

عدم التدوين ومضاعفاته

وعلى أية حال فسواء كانت العلة ما ذكرنا أو غيره، فقد استمر الحظر إلى عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) فأحسن بضرورة تدوين الحديث، فكتب إلى أبي بكر بن حزم في المدينة «انظر ما كان من حديث رسول الله فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل إلا حديث النبي، ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرًا». (٢)

ومع هذا الإصرار الأكيد من قبل الخليفة، ألا أن روايب الحظر السابق حالت دون القيام بما أمر به، فلم يكتب شيء من أحاديث النبي ﷺ، إلا صحائف غير منظمة ولا مرتبة، إلى أن دالت دولة الأمويين وقامت دولة العباسيين، وأخذ أبو جعفر المنصور بمقاليد الحكم، فقام المحدثون في سنة ١٤٣هـ بتدوين الحديث وفي ذلك، قال الذهبي:

«وفي سنة مائة وثلاث وأربعين شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقهاء والتفسير، فصنف ابن جريج بمكة، ومالك الموطأ

١ . مُجد رضا الجلاي، تدوين السنة الشريفة: ٤٢٠.

٢ . صحيح البخاري: ٢٧/١ باب كيف يقبض العلم من كتاب العلم.

بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبي عروبة، وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، ومعمر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنف ابن إسحاق المغازي، وصنف أبو حنيفة الفقه والرأي إلى أن قال: وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة. ^(١)

إلى هنا اتضح أنّ السّنة النبوية لم تستأثر بالاهتمام في عصر الخلفاء والأمويين وأوائل العصر العباسي إلى خلافة المنصور حيث أمر بتدوين السنة وتبويبها، نعم قام المحدثون بالتدوين في منتصف القرن الثاني بعد ما بلغ السيل الزبى واندرس العلم وأبيد الصحابة ومعظم التابعين، فلم يبق منهم إلاّ أصابة كصباة الإناء، فعند ذلك وقفوا على الرزية العظمى التي منوا بها، فعادوا يتداركونه ببذل جهود حثيثة في تقييد شوارد الحديث. يقول ابن الأثير: لما انتشر الإسلام، واتسعت البلاد وتفرقت الصحابة في الأقطار، وكثرت الفتوح، ومات معظم الصحابة، وتفرقت أصحابهم وأتباعهم، وقلّ الضبط، احتاج العلماء إلى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة، ولعمري أنّها الأصل، فإنّ الخاطر يغفل والذهن يغيب، والذكر يهمل، والقلم يحفظ ولا ينسى. ^(٢)

١ . تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٦١ .

٢ . جامع الأصول: ٤٠/١ .

٥- تمحيص السنّة النبوية

قد تبيّنت منزلة السنّة النبويّة ومكانتها، فلا بدّ من إلفات نظر القارئ الكريم إلى أنّ تمتعها بهذه الدرجة من الأهمية، مردّها إلى السنة الواقعية من قول النبي وفعله وتقريره لا كل ما نسب إليه وأثر عنه من دون العلم بصحّة تلك النسبة.

وربما يقال: إنّ السنة النبوية وحي إلهي، فما معنى تمحيص الوحي أو يصح لبشر خاطئ أن يمحص الحقّ المحض؟!

ونحن نوافق هذا القائل في أنّ السنة النبوية الواقعية فوق التمحيص، ولكن النقطة الجديرة بالذكر هي أنّ السنّة الواردة، المتبلورة في الصحاح والمسانيد، هي بحاجة إلى التمحيص لفرز صحيحها عن سقيمها، وواقعها عن زائفها، فليس كلّ من ينقل عن لسان النبي ﷺ بثقة، وعلى فرض كونه ثقة فليس بمصون عن الخطأ والنسيان.

فتمحيص السنة ليس لغاية التشكيك فيها، وإنما يُطلب من وراء ذلك، إحقاق الحقّ وإبطال الباطل ولا ينبغي إضفاء طابع القداسة والصحة على كتاب غير كتاب الله سبحانه، وغيره - وإن بلغ من الإتقان بمكان - خاضع للتمحيص والإمعان والبحث في السند و المتن.

وثمة كلام قيم للإمام أبي حنيفة بيّن فيه أنّ تكذيب الحديث لا يلازم تكذيب النبي ﷺ وإنما يراد به تكذيب الراوي، قال:

أُكذِّب هَوْلَاء ولا يكون تكذبي هَوْلَاء ورَدِّي عليهم تكذيباً للنبي ﷺ ، إنما يكون التَّكذِيب لقول النبي ﷺ أن يقول الرجل: أنا مكذب لقول نبي الله ﷺ . فأما إذا قال الرجل: أنا مؤمن بكلِّ شيء تكلم به النبي ، غير أنّ النبي لا يتكلم بالجور ولا يخالف القرآن، فأنَّ هذا القول منه هو التصديق بالنبي وبالقرآن وتنزيهه له من الخلاف على القرآن، ولو خالف النبي القرآن وتقوّل على الله بغير الحقّ، لم يدعه الله حتى يأخذه باليمين ويقطع منه الوتين. ^(١)

وبعبارة أخرى: اتَّفَق المسلمون في الكبرى، وهي أنّ السنّة النبوية حجّة بلا كلام، ولو كان ثمة نقاش فإنّما هو في الصغرى، أي أنّ هذا الحديث المنقول إلينا هل هو من كلام الرسول أو لا، فالتمحيص ناظر إلى السنّة الحاكية التي تتداولها الأكسن خلف عن سلف.

وأما السنّة الواقعية المحكية القائمة بنفس النبي ﷺ فلا يتردد أيّ ذي مسكة في حجيتها، فالتشكيك فيها إلحاد وكفر بالرسالة بلا ريب، وموجب للخروج عن الدين وليس التمحيص بالمعنى الذي ذكرناه بأمر غريب فأنّ النبي ﷺ هو الذي أخبر عن وجود الكذّابة في عصره كما سيوافيك.

التمحيص ، لماذا؟

إنّ هناك أسباباً كثيرة تبعث الباحث إلى التمحيص ونقد الحديث النبوي بالمعنى الذي مرّ، نشير إلى بعضها.

السبب الأوّل: رواج الكذب على رسول الله ﷺ

قد راج الكذب على لسان رسول الله في حياته وبعد رحيله، وقد تنبأ به

١ . الإمام أبو حنيفة، العالم والمتعلم: ١٠٠ .

في حديث متضافر أو متواتر وقال: «من تعمد عليّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار». وهذا ليس أمراً مستغرباً، فإذا استقرأ الباحث تاريخ الحديث وتدوينه وانتشاره يتضح له بسهولة وجود أرضية خصبة لجعل الحديث على لسان رسول الإسلام، وذلك لأنّ حديثاً لم يهتمّ بكتابته طوال قرن ونصف، كيف يكون حاله مع أعدائه الذين كانوا له بالمرصاد، وكانوا يكذبون عليه بما يقدرون، وينشرون كلّ غث وسمين باسم الدين وباسم الرسول؟! نحن لا ننكر أنّ العلماء والمحدثين قاموا بواجبهم الديني تجاه السنة النبوية وكابدوا وتحملوا المشاق في تمحيص السنة الواقعية عما ألصق بها، لكن التمحيص الحقيقي من أشق الأمور بعد هذه الحيلولة الطويلة.

وكلما بعد الناس من عصر الرسول ازداد عدد الأحاديث حتى أنّ الإمام البخاري أخرج صحيحه عن ستمائة ألف حديث. (١)

وإنّ أبا داود قد أورد في سننه أربعة آلاف وثمانمائة حديث وقال: انتخبته من ٥٠٠ ألف حديث. (٢)

كما أنّ مسلم أورد في صحيحه أربعة آلاف حديث مع حذف المكررات انتخبها من ٣٠٠ ألف حديث. (٣) ذكر الإمام أحمد بن حنبل في مسنده قرابة ثلاثين ألف حديث، وقد انتخبها من أكثر من سبعمائة ألف حديث وكان يحفظ ألف ألف حديث. (٤) ولاجل ذلك نرى أنّ قمة هرم الأحاديث تتصل بزمان النبي ﷺ، وقاعدة ذلك الهرم تنتهي إلى القرون المتأخرة، فكلما قربنا من عصر النبي ﷺ نجد قلة

١ . إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: ٢٩/١ .

٢ . سنن أبي داود، قسم المقدمة: ١٠ .

٣ . تذكرة الحفاظ للذهبي: ٥٨٩/٢ .

٤ . تذكرة الحفاظ: ٢/٤٣١ برقم ٤٣٨ .

الحديث عنه والعكس بالعكس، وهذا يعرب عن أننا لأحاديث عاليت حسب وضع الوضعين وكذب الكذابين.

إنّ ظاهرة التمحيص لم تكن أمراً متأخراً عن عصر الصحابة بل نجد جذورها في عصرهم، مثلاً. لقد شاع بعد رحيل رسول الله ﷺ مسألة إمكان رؤية الله، وآته ﷺ رآه في معرجه حتى أنّ مسروقاً، سأل عائشة عن هذه المسألة عند ما سمع قولها: ثلاث من تكلم بواحدة منهنّ، فقد أعظم على الله الفرية.

قال مسروق: وكنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أمّ المؤمنين: انظري ولا تعجليني، ألم يقل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (التكوير/٢٣)، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (النجم/١٣). فقالت: أنا أوّل هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: إنّما هو جبرئيل لم أره على صورته التي خلّق عليها غير هاتين المرتين، رأيتُه منهبطاً من السماء ساداً عظماً خلقه ما بين السماء إلى الأرض.

فقالت: أو لم تسمع أنّ الله يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام/١٠٣) أو لم تسمع أنّ الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الشورى/٥١)، قالت: و من زعم ان رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة/٦٧) قالت: ومن زعم أنّه يخبر بما يكون في غدٍ فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (النمل/٦٥).^(١)

١ . صحيح مسلم: ١/١١٠، باب معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾. وفي استنتاج نفي علم الغيب عن النبي ﷺ بالآية تأمل واضح.

فالكذب على رسول الله ﷺ أحد الأسباب للزوم إعمال التمحيص في السنّة الحاكية من دون أي نقاش وجدل في السنّة المحكية، فإنّ النقاش فيها كفر وإلحاد.

السبب الثاني: فسح المجال للأخبار والرهبان

لقد مني الإسلام والمسلمون من جرّاء حظر تدوين الحديث و نشره بخسائر فادحة، حيث أوجد الحظر أرضية مناسبة لظهور بدع يهودية وسخافات مسيحية وأساطير مجوسية من جانب علمائهم، فقد افتعلوا أحاديث كثيرة وبثّوها بين المسلمين كحقائق راهنة وتلقاها السُدج من المحدثين بالقبول.

يقول الشهرستاني: زادت المشبهة في الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي

ﷺ وأكثرها مقتبسة من اليهود، فإنّ التشبيه فيهم طباع. ^(١)

يقول ابن خلدون عند البحث في التفسير النقلي وانه يشتمل على الغث والسمين والمردود: إنّ السبب في ذلك أنّ العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإتّما غلبت عليهم البداوة والأُمّية، وإذا تشوّقوا إلى معرفة شيء ممّا تشوّق إليه النفوس البشرية في أسباب المكوّنات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإنّما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم وهم أهل التوراة من اليهود و من تبع دينهم من النصارى ... مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم فامتلات التفاسير من المنقولات عندهم ... وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملاؤا كتب التفسير بهذه المنقولات وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة ... ^(٢)

١ . الملل والنحل، للشهرستاني: ١/١٠٦.

٢ . مقدمة ابن خلدون: ٤٣٩.

يقول ابن الجوزي: إنّ عبد الكريم كان ربيباً لحماة بن سلمة، وقد دسّ في كتب حماد بن سلمة. (١)

ولا عجب بعد ذلك إذا رأينا أنّ المحدثين يروون باسنادهم عن حماد، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً: «رأيت ربّي جعداً أمرد عليه حلّة خضراء» و في رواية أخرى: «أمّحمّداً رأى ربّه في صورة شاب أمرد دون ستر، من لؤلؤ قدميه أو رجله في خضرة». (٢)

وهذه الأساطير المزخرفة من مفتعلات الزنادقة أمثال ابن أبي العوجاء، فقد دسّوها في كتب المحدثين.

قال ابن الجوزي: ولما لم يُمكن أحدٌ منهم أن يُدخل في القرآن ما ليس منه أخذ أقوام يزيدون في حديث رسول الله ﷺ وينقصون ويبدلون ويضعون عليه ما لم يقل. (٣)

السبب الثالث: التجارة بالحديث

إنّ في تاريخ الحديث الإسلامي أناساً عُرفوا بالوضع والكذب، وكانت الغاية من بث هذه الأحاديث، هو الطمع بالدنيا والازدلاف إلى أهلها و الانتصار للأهواء والعقائد المدخولة، وقد جمع العلامة الأميني سبعمائة رجل من هذه الزمرة كانوا يكذبون على رسول الله لهذه الغاية أو لغايات أخرى. (٤) وإليك بعض النماذج:

١ . ابن الجوزي: الموضوعات: ٣٧/١، طبع بيروت.

٢ . ميزان الاعتدال: ٥٩٣/١.

٣ . ابن الجوزي: الموضوعات: ٣١/١.

٤ . الغدير: ٢٧٥/٥.

١. أخرج الحافظ عبد الرحمان بن الجوزي عن أحمد بن زهير: سمعت أبي يقول: قُدم على المهدي بعشرة محدثين فيهم «غياث بن إبراهيم» وكان المهدي يحب الحمام، فقال لغيات: حدّث أمير المؤمنين، فحدّثه بحديث أبي هريرة: «لا سبق إلاّ في خفّ أو حافر أو نصل، وزاد فيه: أو جناح، فأمر له المهدي بعشرة آلاف درهم. فلما قام، قال المهدي: أشهد أنّ قفاك قفا كذاب على رسول الله ﷺ»، وإنما استجلبت ذلك أنا، وأمر بالحمام فذبحت. (١)

٢. نقل ابن أبي الحديد عن شيخه أبي جعفر: روي أمّعاوية بذل لسمرّة ابن جندب مائة ألف درهم حتّى يروي أنّ هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ* وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾، وانا الآية الثانية نزلت في ابن ملجم، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف، فقبل وروى ذلك. (٢)

أخرج ابن الجوزي عن إسحاق بن إبراهيم الحنظليّ أنّه قال: لا يصح عن النبيّ ﷺ في فضل معاوية بن أبي سفيان شيء.

وأخرج أيضاً عن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنّه قال: سألت أبي فقلت: ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق ثمّ قال: «إيش» أقول فيهما؟ إنّ عليّاً «عَلِيّاً» كان كثير الأعداء، ففتش أعداؤه له عيباً، فلم يجدوا فجاءوا إلى رجل قد

١ . الموضوعات: ٣/٧٨، باب السبق بالحمام.

٢ . ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٤/٧٣.

حاربه وقاتله فأطروه كياتاً منهم له. (١)

أخرج مسلم في صحيحه، عن مُجَّد بن يحيى بن سعيد القطان، عن أبيه، قال: لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث.

قال ابن أبي عتَّاب: فلقيت أنا محمَّد بن يحيى بن سعيد القطان فسألته عنه، فقال عن أبيه: لم نر أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث.

قال مسلم: يقول يجري الكذب على لسانهم ولا يتعمدون الكذب. (٢)

وكم في ثنايا التاريخ والسير شواهد على المقام وقد اقتصرنا على ما ذكر، لأنَّ الغرض هو الإيعاز، لا التبسُّط، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى مظانه. (٣)

السبب الرابع: وضع الحديث لنصرة المذهب

انتشرت ظاهرة الجعل بين طائفة عرفوا بالزهد و الورع، وصاروا يتقربون به إلى الله سبحانه إذا كان في الكذب نصرة للمذهب، وقد مرَّ قول يحيى بن سعيد القطان: ما رأيت الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث. (٤)

وقال القرطبي: لا التفات لما وضعه الواضعون واختلقه المختلقون من الأحاديث الكاذبة والأخبار الباطلة في فضل سور القرآن وغير ذلك من فضائل الأعمال وقد ارتكبتها جماعة كثيرة فوضعوا الحديث حسبة كما زعموا، يدعون الناس إلى فضائل الأعمال، كما روي عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي، ومُجَّد بن عكاشة الكرمانى، وأحمد بن عبد الله الجويبارى وغيرهم، قيل لأبي عصمة: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل

١ . الموضوعات: ٢/٢٤ .

٢ . صحيح مسلم: ١/١٣-١٤، المقدمة.

٣ . انظر الغدير: ٥/٢٠٨ - ٣٧٨ تجد في طياته شواهد.

٤ . مرَّ مصدره ولاحظ أيضاً تاريخ بغداد: ٢/٩٨ .

سور القرآن سورة سورة؟ فقال: إني رأيت الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهِه أبي حنيفة ومغازي مُجّد بن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة. (١)

وثمة أناس افتعلوا أكاذيب على لسان رسول الله في مناقب أئمتهم، فهناك مناقب حيكّت في حق أبي حنيفة. (٢)

كما أنّ هناك جماعة حاكوا مناقب لأئمة آخرين، فذكروا في حق الإمام الشافعي أنّ رسول الله، قال: عالم قريش يملئ طباق الأرض علماً. وحملوه على مُجّد بن إدريس امام الشافعية. (٣)

وأنت المالكية بروايات موضوعة على لسان رسول الله، قالوا: أنّه «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» قال: يكاد الناس يضربون أكباد الإبل، فلا يجدون أعلم من عالم المدينة، وطبقوه على مالك بن أنس. (٤)

وللحنابلة هناك روايات حول إمامهم أخرجها ابن الجوزي في مناقب أحمد فلاحظ. (٥)
وكأنّ النبي تنبأ بأنّ الأئمة الإسلامية ستفترق إلى مذاهب أربعة فقهية في ثالث القرون وبعدها، فأخذ بتعريفهم وتبجيلهم، مع أنّ في الأئمة الإسلامية من هم، أعلم منهم وأبصر بالكتاب و السنّة.

وربما تدفع العصبية أصحابها إلى وضع حديث في حقّ إمام مذهبهم وإطرائه والخط من شأن إمام مذهب آخر، فروي عن أبي هريرة أنّه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يكون في أمّتي رجل يقال له مُجّد بن إدريس (الإمام الشافعي) أضرّ على أمّتي من إبليس، ويكون في أمّتي رجل يقال

١ . القرطي، التذكار: ١٥٥ .

٢ . انظر تاريخ بغداد: ٢٨٩/٢ .

٣ . ابن الحوت، أسنى المطالب: ١٤ .

٤ . ابن الحوت، أسنى المطالب: ١٤ .

٥ . مناقب أحمد: ٤٥٥ .

له أبو حنيفة هو سراج أمتي، هو سراج أمتي. (١)

فلنختم المقال بنقل ما ذكره القاضي عياض حول أسباب الوضع :
أسباب أخرى للوضع

أما أسباب الوضع فكثيرة، وقد ذكر قسماً منها النووي في شرح صحيح مسلم نقله عن القاضي عياض، وإليك نصه:

الكذابون ضربان: أحدهما ضرب عرفوا بالكذب في حديث رسول الله ﷺ وهم أنواع: منهم: من يضع عليه ما لم يقله أصلاً إتماً ترفعاً واستخفافاً كالزنادقة وأشباههم ممن لم يرج للدين وقاراً، وإتماً حسبة بزعمهم وتديناً كجهلة المتعبدين الذين وضعوا الأحاديث في الفضائل والرغائب، وإتماً إغراباً وسمعة كفسقة المحدثين، وإتماً تعصباً واحتجاجاً كدعاة المبتدعة ومتعصي المذاهب، وإتماً اتباعاً لهوى أهل الدنيا فيما أرادوه وطلب العذر لهم فيما أتوه. وقد تعيّن جماعة من كل طبقة من هذه الطبقات عند أهل الصنعة وعلم الرجال.

ومنهم: من لا يضع متن الحديث، ولكن ربما وضع للمتن الضعيف إسناداً صحيحاً مشهوراً. ومنهم: من يقلب الأسانيد أو يزيد فيها ويعتمد ذلك إتماً للإعراب على غيره، وإتماً لرفع الجهالة عن نفسه.

ومنهم: من يكذب فيدعي سماع ما لم يسمع، ولقاء من لم يلق، ويحدّث بأحاديثهم الصحيحة عنهم.

ومنهم: من يعمد إلى كلام الصحابة وغيرهم وجمّ العرب والحكماء

١ . الموضوعات: ٢/٤٨.

فينسبها إلى النبي ﷺ . (١)

هذه الأسباب الأربعة وغيرها تبعث الباحث إلى إعمال التمحيص والنظر في كل ما روي عن رسول الله ﷺ وعزي إليه، وعدم الاقتناع بتسمية كتاب صحيحاً والتقول بأنه أصح الكتب بعد القرآن.

فلنقتصر على هذه الأسباب ونترك سائر الأسباب إلى مجال آخر.

٦- طرق التمحيص

إذا وقفت على ضرورة إعمال التمحيص في السنّة المنسوبة إلى رسول الله ﷺ ، فلندرس طرقه.

إنّ الطريق الواضح الدارج بين الباحثين في السنّة النبوية هي دراستها على ضوء أسانيد الحديث، فإذا صحّ السند وكان جامعاً للضوابط المقررة في علم الدراية استقبلوه برحابة صدر ويصفونه بالصحيح.

وقد اتفق المحدثون على أنّ الإمام البخاري و مسلم ألفا صحيحيهما على ذلك الغرار، فلم يخرجوا إلاّ الحديث الصحيح على اختلاف طفيف بين البخاري ومسلم في الشروط التي قرّرها للصحة، حكى ابن الجوزي عن الحاكم النيسابوري: أنّ الأحاديث على ستة أقسام: القسم الأوّل: ما اتفق على صحته وكان أبو عبد الله البخاري أوّل من [خرّج من الصحاح] ثمّ تبعه مسلم، وكان

١ . شرح صحيح مسلم للنووي، نقله عن القاضي عياض كما في تاريخ التشريع الإسلامي للشيخ محمد الخضري: ١٠٠،

مرادهما، الحديث الذي يرويهِ الصحابي المشهور بالرواية عن رسول الله ولذلك الصحابي راويان ثقتان عنه، ثم يرويهِ عنه التابعي المشهور بالرواية عن الصحابة وله راويان ثقتان عنه، ثم يرويهِ عنه من أتباع التابعين، الحافظ المتقن المشهور، وله رواية ثقة، ثم يكون شيخ البخاري حافظاً متقناً، فهذه الدرجة العليا.^(١)

ولكن الاقتصار في وصف الحديث بالصحة على وثاقة الراوي وتعاصره مع المروي عنه وثبوت نقله عنه، لا يكفي في الركون إليه بل يُشترط فيه وراء عدالة الراوي واتصال السند وضبط الراوي أمر آخر وهو عدم الشذوذ، وإن شئت قلت عدم الاشتغال على العلة القادحة والأفلا يسمن ولا يغني من جوع.

والعجب أنّ أكثر محدّثين التزموا بالشروط الثلاثة الأولى ولم يلتزموا بالشرط الرابع مع أنّ الشذوذ والعلة في المضمون يؤدي إلى عدم الوثوق بالحديث وإن صحّ السند. وسيوافيك أنّ المنهج الذي نهجناه في مجال التمحيص من شعب هذا الشرط، فتربّص حتى حين.

يقول الإمام أحمد: إنّ النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم الحديث عني، تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنّه منكم قريب، فأنا أولاكم به؛ وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم، وترون أنّه منكم بعيد، فأنا أبعدهم منه.»^(٢)

فعلى الباحث رعاية جميع الشروط المقررة للصحة في الحديث، إذ الاقتصار على عدالة الراوي وتعاصره وضبطه لا يورث الاطمئنان والوثوق بالحديث إذا كان المضمون شاذاً ومشتتاً على العلة.

يقول الحافظ الحاكم النيسابوري: وإمّا يُعلّل الحديث من أوجه ليس للجرح فيها مدخل، فإنّ حديث المجروح ساقط واه، وعلة الحديث، يكثر في

١ . الموضوعات: ٣٢/١، وقد علّق محقق الكتاب على المنقول بشيء، فلاحظ.

٢ . مسند أحمد: ٤٢٥/٥.

أحاديث الثقات ان يحدّثوا بحديث له علة فيخفى عليهم علمه فيصير الحديث معلولاً، والحجّة فيه عندنا الحفظ والفهم والمعرفة لا غير...»^(١).

وقال الحافظ ابن الجوزي في «دفع شبه التشبيه»: اعلم أنّ للأحاديث دقائق وآفات لا يعرفها إلاّ العلماء الفقهاء، تارة في نظمها وتارة في كشف معناها.^(٢) وعلى كلّ تقدير فقد دعت هذه الأسباب ونظائرها كثيراً من المحقّقين إلى تمحيص السنة النبوية بطرق خاصة يجمعها دراسة السند إرسالاً واسناداً، صحة وضعفاً، وهناك ألوان للتأليف في هذا المضمار:

أ . جمع الأخبار الضعاف والموضوعات

قد قام غير واحد من الباحثين بالتأليف على هذا النمط نذكر منهم ما يلي:

١ . «الموضوعات» لمؤلفه أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن مُحمّد الجوزي (٥١٠-٥٩٧هـ-)

طبع مرتين في ثلاثة أجزاء.

قال ابن الجوزي: لما لم يتمكّن أحد أن يدخل في القرآن ما ليس منه، أخذ أقوام يزيدون في حديث رسول الله، ويضعون عليه ما لم يقل، فأنشأ الله علماء يذبّون عن النقل، ويوضّحون الصحيح، ويفضحون القبيح، وما يخلي الله منهم عصراً من الأعصار، غير أنّ هذا الضرب قد قلّ في هذا الزمان فصار أعز من عنقاء مغرب.

وقد كانوا إذا عُذُّوا قليلاً فقد صاروا أعزّ من القليل^(٣)

٢ . المقاصد الحسنة في كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: للشيخ

١ . الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث: ١١٢ .

٢ . ابن الجوزي: دفع شبه التشبيه: ١٤٣ .

٣ . لاحظ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ١/٦ .

أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان السخاوي (المتوفى سنة ٩٠٢هـ-) رتبته على حروف أوائل الأحاديث.

٣. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية: للإمام جلال الدين عبد الرحمان السيوطي (٨٤٨ - ٩١١هـ-) وقد طبع في جزئين.

يقول في مقدمته: إن من مهمات الدين التنبيه على ما وضع من الحديث واختلق على سيد المرسلين وصحابه أجمعين، إلى أن قال: ثم بدا لي في هذه السنة وهي سنة ٩٠٥ استئناف التعقبات على وجه مبسوط، وإلحاق موضوعات كثيرة فاتت أبا الفرج فلم يذكرها. (١)

٤. تمييز الطيب من الخبيث مما يدور على ألسنة الناس من الحديث: لعبد الرحمان بن علي الشيباني الشافعي (٨٦٦ - ٩٤٤هـ-) المعروف بالدِّييع (بكسر الدال وسكون الياء وفتح الباء) ذكر أنه رأى المقاصد كتاباً حسناً لكنّه بالغ في تطويله فجرّده و تتبع في جميع ما ذكره من التصحيح والتمريض وترك من وراءه وجعله على الحروف أيضاً وزاد فيه زيادات مميزة، بقلت.

٥. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعية: تأليف محمد ناصر الدين الالباني المعاصر في خمسة أجزاء، كل جزء يشتمل على خمسمائة حديث تكلم على أسانيدھا ويحكم عليها بالضعف أو النكارة أو الوضع أو البطلان، وأحاديث تلك الأجزاء هي أحاديث الجامع الصغير للإمام السيوطي قام بتغيير ترتيبها والكلام على أسانيدھا ونقل كلام العلماء في ذلك، والعجب أنه قد تناقض في كلامه عليها.

ومّا يوسف له أنّ الالباني ليس منصفاً في قضائه حيث يميل إلى القول بالتجسيم وإنكار فضائل أئمة أهل البيت عليهم السلام ويظهر ذلك بوضوح من خلال كتابه هذا.

١. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية: ١/٢-٣، طبع دار المعرفة، بيروت.

- ب. ضعاف السنن الأربعة وصحاحها:
وهي عبارة عن ثمانية كتب بالنحو التالي:
١. صحيح سنن الترمذي ^(٣) مجلدات.
 ٢. ضعيف سنن الترمذي مجلد واحد.
 ٣. صحيح سنن النسائي ^(٣) مجلدات.
 ٤. ضعيف سنن النسائي مجلد واحد.
 ٥. صحيح سنن أبي داود ^(٣) مجلدات.
 ٦. ضعيف سنن أبي داود مجلد واحد.
 ٧. صحيح سنن ابن ماجة مجلدان.
 ٨. ضعيف سنن ابن ماجة مجلد واحد.

وعمل الالباني في هذه الكتب أنّه جاء إلى كل كتاب من كتب السنن الأربعة المشهورة وحصر الأحاديث الصحيحة فيها فأخرجها في كتاب، كما حصر الأحاديث الضعيفة بنظره وأخرجها في كتاب مستقل آخر. ونحن نوافقه أنّ في تلك الكتب أحاديث صحيحة وأخرى ضعيفة، لكن لا نوافقه على تصحيح بعض الأحاديث وتضعيف بعضها الآخر.

ج. تخريج أحاديث كتاب خاص

وثمة نمط آخر في التأليف في هذا المضمون، وهو تبين حال الأحاديث الواردة في كتاب فقهي أو كلامي أو أخلاقي نظير:

١. نص الراية لأحاديث الهداية: للحافظ الذيلعي.
٢. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار: للحافظ العراقي.

٣. تلخيص الخير في تحريم أحاديث الرافعي الكبير: للحافظ ابن حجر العسقلاني.

٤. تخريج أحاديث الكشاف: للعسقلاني أيضاً.

لا شك أنّ كل من وقف على ما بذله هؤلاء الأقطاب من الجهود في تمحيص السنة النبوية من الموضوعات والمندسات والمحرمات يُثمن جهودهم ويقدر عملهم، ومع ذلك فلم يحققوا الغاية المنشودة من وراء تلك التصانيف، وقد اشتملت الصحاح والمسانيد على روايات تخالف الكتاب العزيز، والسنة النبوية، والتاريخ الصحيح، والعقل الحصيف، وجعلوها في عداد الصحاح يُحتج بها في مجالي العقيدة و الشريعة.

والذي عاقهم عن الوصول إلى تلك الغاية المنشودة أمران:

الأول: أنّهم اقتصروا في مقام التمحيص على دراسة الأسانيد، فصحّحوا الأسانيد أو ضعّفوها، وخرجوا بنتائج باهرة ووصفوا كثيراً من الروايات بالضعف والوضع. أنّهم اقتصروا على مناقشة الأسانيد ولم يهتموا بمناقشة المضامين وتطبيقها على الضوابط القطعية التي لا مناص لمسلم عن الأخذ بها، فلو أنّهم سلكوا ذلك الطريق منضماً إلى الطريق الآخر لنالوا الغاية المنشودة.

وهذا هو الطريق الذي سلكناه في هذا الكتاب كما سيوافيك شرحه.

الثاني: أنّهم ناقشوا الأسانيد إلى التابعين بجد وحماس، ولكنهم جعلوا عدالة الصحابي هي الأصل، سواء أكان معلوم الحال أم مجهولها، فأضفوا على جميع الصحابة هالة من القداسة وجعلوهم في منأى عن النقد بحيث لا يصحّ التعرض لهم وإن صدر عنهم ما صدر، ولا يتسرب الشكّ إليهم، ولا يتسع المجال لتجريحهم.

والعجب أنّهم مع ادّعاء الإجماع على قداسة الصحابة، وأنهم فوق مستوى الجرح والتعديل، رَووا عشرات الأحاديث التي اختارها أصحاب الصحاح حول ارتداد الصحابة عن الدين والتمرد على أصوله ومبادئه على نحو لا يدع مجالاً للريب في أنّهم كانوا كسائر الناس فيهم الصالح والطالح، والمنافق والمؤمن، إلى غير ذلك من الأصناف التي يقف عليها المتتبع لآيات الذكر الحكيم والسنة النبوية، وهذا أمر عجيب جداً.

وهذان الأمران (الاقتصار على مناقشة الأسانيد دون المضامين، وتحديدتها إلى التابعين دون الصحابة) صاراً سبباً لإضفاء الصحة على كثير من الإسرائيليات التي تسرّبت إلى الصحاح عن طريق بعض الصحابة الذين كانوا عيالاً على مائدة كعب الأخبار ومن كان على مشربه، بحجة اتكّصحابي عادل، وأنهم لا يخضعون للجرح والتعديل، ولو أنّهم سلكوا ذينك الطريقين مع ما بذلوا من الجهود في تصحيح الأسانيد وتضعيفها والوقوف على ثقافات الرجال وضعافهم، لأصبحت السنة النبوية بين المسلمين خالصة من كلّ شائبة ونقيّة عن كل شين.

ومن المغالاة في القول ما ذكره ابن الأثير حيث قال: الصحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلا في الجرح والتعديل، فإنهم كلهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح، لأنّ الله عزّوجلّ ورسوله زكّياهم وعدّلاهم، وذلك مشهور لا يحتاج لذكره. ^(١)

أقول: إنّ سبحانه مدح لفيماً من الصحابة في قسم من آياته وفي الوقت نفسه تحامل على قسم منهم، فقال سبحانه: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات/٦) وليس الفاسق إلا أحد الصحابة، وهو الوليد بن عقبة أو صحابي آخر مثله، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ (الجمعة/١١).

١ . أسد الغابة: ٣/١.

وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى التَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ (التوبة/١٠١). وهؤلاء المنافقون كانوا مندسين بين الصحابة لا يعرف المنافق من المؤمن، ومع ذلك فكيف يمكن الحكم بعدالة الجميع بحجة أنه سبحانه مدح لفيماً منهم في بيعة الرضوان قال سبحانه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (الفتح/١٨) مع أنه لم يكن يتجاوز عدد الحاضرين في بيعة الرضوان عن ألف وثمانمائة (١)؟! فكيف يمكن الحكم على عدالة جميع من رأى النبي ﷺ وآمن به من أول البعثة إلى أن لقي ربه، بحجة أن الله سبحانه قد رضي عن جمع منهم مع أن نسبتهم إلى جميع الصحابة نسبة الاثنين إلى المائة؟!

وأغرب ممّا ذكره ابن حجر، ما أسنده الخطيب إلى أبي زرعة الرازي، قال: إذا رأيت الرجل ينقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول حقّ، والقرآن حقّ، وما جاء به حقّ، وإمّا أدّى إلينا ذلك كلّ الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبتلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة. (٢) أقول: يلاحظ عليه بأمرين:

الأول: أنّ الصحابة والتابعين فيما ذكره سواء والتابعون كالصحابة في أنالكتاب والسنة قد وصلا إلينا عن طريقهما، فكيف يخضع التابعون للجرح والتعديل دون الصحابة؟! الثاني: أنّ الغاية من وراء الفحص عن عدالة الصحابة هي التعرف على الصالحين والطالحين والمؤمنين والمنافقين والمتشكّكين في طريق الدين والمشرّفين على الارتداد (٣) حتى يتسنى لنا أخذ الدين عن الصلحاء والمؤمنين

١ . السيرة النبوية: ٣٠٩/٢؛ مجمع البيان: ٢٨٨/٢.

٢ . الاصابة: ١٠/١.

٣ . لاحظ آل عمران: ١٥٤.

والمثبتين والتجنب عن غيرهم، فلو قام الرجل بعبء التحقيق لما كان عليه لوم فلو قال أبو زرعة مكان قوله الأنف الذكر: «إذا رأيت الرجل يتفحص عن أحد من أصحاب الرسول لغاية العلم بصدقه وتقواه حتى يأخذ دينه من الخيرة الصادقين، ويحترز عن الآخرين، فاعلم أنه من جملة المحققين في الدين» لكان أحسن وأولى.

ومن غير الصحيح أن يتهم العالم أحداً، يريد التثبت في أمور الدين والتحقيق في مطالب الشريعة، بالزندقة، وأنه يريد جرح شهود المسلمين لإبطال الكتاب والسنة، وما شهود المسلمين إلا الآلاف المؤلفة من أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم فلا يضر بالكتاب والسنة جرح لفييف منهم وتعديل قسم منهم، وليس الدين قائماً بهذا الصنف من المجروحين «ما هكذا تورد يا سعد الإبل».

٧- منهجنا في تمحيص السنة

قد عرفت أن منهج تلك الثلة من المحققين في الحكم على الأحاديث بالصحة أو السقم هو الأصول المسلمة في علم أصول الحديث، ومصطلحه، يعتمدون غالباً على الأسانيد دون المضامين وعلى تنصيب علماء الرجال كوثاقة الراوي وضعفه، وربما يتعرضون لنكارة المتن وغرابته ولا يخرجون عن تلك الضوابط والقواعد الرائجة في مختلف العصور.

لكنّ هناك منهجاً علمياً آخر قلالاتفتات إليه من قبل نقاد الحديث، وهو عبارة عن عرض الحديث على الكتاب أولاً، والسنة المتواترة أو المستفيضة التي تلقاها الاعلام وجهابذة الحديث بالقبول ثانياً، والعقل الحصيف الذي به عرفنا الله سبحانه وأنبياءه وخلفاءه ثالثاً، والتاريخ الصحيح رابعاً، واتفاق الأمة خامساً.

فلو وجدنا الحديث مخالفاً لواحد من تلك الحجج القطعية، لحكمنا عليه بالوضع أو الدس أو الضعف حسب اختلاف مراتب المخالفة.

ومما يجب إلفات الأنظار إليه هو أنه لا يشترط في ثبوت الحديث كونه موافقاً لهذه الضوابط بل يشترط عدم مخالفته لها، فبالمخالفة يسقط الحديث عن الحجية، ولا يوضح الحال نذكر لكل من هذه الضوابط مثلاً أو مثالين:

الأول: عرض الحديث على الكتاب

القرآن الكريم هو المرجع الأول للمسلمين في الشريعة والعقيدة، وقد عرّف نفسه بأنّ فيه تبياناً لكلّ شيء، قال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل/٨٩).

والمراد من الشيء في الآية إمّا المعنى العام، أو المعنى الخاص، أي العقيدة والشريعة، والمعنى الثاني هو القدر المتيقن، فيجب أن يكون ميزاناً للحقّ والباطل فيما ينسب إلى العقيدة والشريعة من طرق الروايات.

كما أنّه سبحانه عزّوه في مكان آخر بأنّه المهيمن على جميع الكتب السماوية ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ (المائدة/٤٨).

فإذا كان القرآن مهيمناً على جميع الكتب السماوية وميزاناً للحقّ والباطل الواردين فيها، فأولى أن يكون مهيمناً على ما ينسب إلى صاحب الشريعة المحمّدية من صحيح وسقيم.

وعلى ضوء ذلك فالمعيار الأول لتمييز الباطل عن الصحيح هو مخالفة الكتاب وعدمها، فإذا كان الخبر المروري بسند صحيح مخالفاً لنص القرآن يُضرب به عرض الجدار إلا إذا كان ناسخاً للحكم الشرعي الوارد في القرآن، ومن المعلوم أنّ النسخ محدد بموارد خاصة ولا يقبل فيه إلا إذا كان الخبر متواتراً

حتى يُصبح ناسخاً للقرآن وإلا فلا يترك الوحي القطعي بالخبر الواحد.
أخرج الرازي في تفسيره عن النبي ﷺ أنه قال: إذا زوي لكم عني حديث فاعرضوه على
كتاب الله، فإن وافقه فأقبلوه، وإلا فردوه.^(١)
وقد تضافر عن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت لزوم عرض الحديث على الكتاب عند الشكِّ
في الصحّة أو عند تعارض الخبرين.
روى الحرّ العاملي في وسائله بإسناده عن السكوني قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ على
كلّ حق حقيقة وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه».
وروى أيوب بن الحرّ، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كلّ شيء مردود إلى الكتاب
والسنّة، وكلّ شيء لا يوافق كتاب الله فهو زخرف».^(٢)

والمراد من عرض الحديث على الكتاب هو إحراز عدم المخالفة لا الموافقة، إذ ليست الثانية
شروطاً في حجّية الحديث وإتّما المخالفة مسقطه له عن الحجّية، وعلى ذلك يكون الشرط عدم
المخالفة للكتاب وليس المراد منها، هي المخالفة بنحو العموم والخصوص أو الإطلاق والتقييد فإنّ
مثل هذه المخالفة أمر رائج في التشريع بل المراد المخالفة المطلقة كما يتضح ممّا نذكره من
النموذجين:

١. تعذيب الميت ببكاء أهله

أخرج مسلم عن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: الميت يُعذّب في قبره بما نوح
عليه.

١. التفسير الكبير: ٢٥٩/٣، طبع سنة ١٣٠٨ هـ.

٢. وسائل الشيعة: ٧٨/١٨، كتاب القضاء، الباب التاسع من أبواب صفات القاضي، الحديث ١٠، و ١٤.

وأخرج أيضاً عن ابن عمر أنه لما طعن عمر أغمي عليه فصيح عليه، فلم -أفاق، قال: أما علمتم أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الميت يعذب ببكاء الحي. (١)

هذه الرواية وإن رواها مسلم بطرق مختلفة لكنّها مرفوضة جداً لأنّ -ها تخالف صريح القرآن.

قال سبحانه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام/١٦٤).

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (فاطر/١٨).

فكيف يمكن أن نقبل أنّ الميت البريء، يُعذب بفعل الغير وهو شيء يرفضه العقل والفطرة وقيل:

غيري جنى وأنا المعاقب فيكم فكأنّ ---ي سب-ابة المتن--دم
ولأجل ذلك ردّت السيدة عائشة هذه الرواية.

أخرج مسلم أيضاً: أنّها قالت: لا والله ما قاله رسول الله ﷺ قط، إنّ الميت يعذب ببكاء أحد، ولكنّه قال: إنّ الكافر يزيد الله بكاء أهله عذاباً وإنّ الله هو أضحك و أبكى (ولا تزر وازرة وزر أخرى...) إلى أن قال: لما بلغ عائشة قول عمر وابن عمر قالت: إنّكم لتحدثوني عن غير كاذبين ولا مكذابين ولكن السمع يخطئ. (٢)

وهذه الرواية وإن دفعت بعض الإشكال ولكنّها لم تقلعه، لأنّ مقتضى الآية هو العموم وهو أنّ الإنسان لا يعذب بفعل غيره سواء أكان مسلماً أو كافراً لعمومية العلة ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ مع سعة حكم العقل بقبح عقاب البريء بذنب الآخر.

والصحيح في ذلك ما رواه حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن أبيه

١ . صحيح مسلم: ٣/٤١، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

٢ . صحيح مسلم: ٣/٤٣، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

قال: ذكر عند عائشة قول ابن عمر : الميت يعذب ببكاء أهله عليه، فقالت: رحم الله أبا عبد الرحمان سمع شيئاً فلم يحفظه إنما مرّت على رسول الله ﷺ جنازة يهودي وهم يبكون عليه، فقال: أنتم تبكون وآته ليعذب. (١) أي يعذب بأعماله التي اقترفها في حال حياته.

٢. الاحتجاج بالقدر

أخرج البخاري في أبواب التهجد بالليل عن الزهري قال: أخبرني علي بن الحسين أنّ الحسين بن علي أخبره أنّ علي بن أبي طالب قال: إن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ، فقال لهم: ألا تصلون.

فقال علي: فقلت يا رسول الله: «أنفسنا بيد الله» فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله ﷺ حين قال له ذلك ولم يرجع إليه شيئاً، ثمّ سمعه وهو مدبر يضرب فخذه، وهو يقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾. (٢)

والحديث موضوع على لسان أئمة أهل البيت وقد تولّى كبره أحد من ورد في الاسناد وذلك: أولاً: إنّ الاحتجاج بالقدر وتبرير العقائد الفاسدة والأعمال السيئة به من سيرة المشركين، وقد نقل القرآن الكريم عنهم ذلك وقال:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا خُرُصُونَ﴾ (الأنعام/١٤٨).

١ . صحيح مسلم: ٣/٤٤، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

٢ . صحيح البخاري: ٩/١٠٦، باب قوله تعالى ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. والآية ٥٤ من سورة الكهف.

وأشار إليها في آية أخرى أيضاً قال سبحانه: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ لَآ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف/٢٨).
وليس مرادهم من قولهم: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ سوى أنه سبحانه قدّر ذلك ولازمه الأمر به فليس لنا المحيص عن السير وراء التقدير.

وقد كان عرب الجاهلية على تلك العقيدة وبقيت رواسبه إلى عهد الرسالة وبعده، روى عبد الله بن عمر أنه جاء رجل إلى أبي بكر، فقال: أرايت النبي بقدر؟ قال: نعم، قال: فإن الله قدّر عليّ ثم يعذبني، قال: نعم يا بن اللخناء، أما والله لو كان عندي إنسان أمرته أن يجأ أنفك. ^(١)
لقد كان استغراب الرجل في محله إذا كان التقدير ملازماً لسلب الاختيار عن الإنسان، لذلك قال: «فإن الله قدر عليّ ثم يعذبني» و لما عجز الخليفة عن الإجابة بمنطق الاستدلال توسل بمنطق القوة وأنه لو كان هنا رجل لأمره أن يجأ أنفه.

لا شك أنّ القضاء والقدر من تعاليم القرآن ومن العقائد الإسلامية، لكن لا على وجه يسلب الاختيار عن الإنسان ويجعله مكتوف الأيدي على صعيد الحياة.

وما جاء في الرواية من الإجابة، إنّما يحتج به المشرك لا إمام المسلمين والذي تربي في احضان النبي ﷺ منذ نعومة أظفاره.

ثانياً: لو افترضنا أنّ الإمام وزوجه فاتت عنهما صلاة الليل لغلبة النعاس عليهما، فعندما يطرق النبي ﷺ باهما تحنناً وتلطفاً، فمقتضى أدب أهل البيت ﷺ أن يواجهها أباهما بالشكر والامتنان لا بمجادلة وكلمة لاذعة، ولا بإلقاء المسؤولية على عاتق مقدر الأقدار.

١ . تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٩٥.

ثالثاً: كيف ينقل الراوي حديث ترك التهجد والتنفل بنافلة الليل مع أنّ عليّاً كان أحد عبّاد زمانه، فمنه تعلّم الآخرون التهجد والتجاني عن المضاجع آناء الليل؟! قال ابن أبي الحديد: وأمّا العبادة فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلّم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد وقيام النافلة، وما ظنّك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصّفين ليلة الهرير، فيصلّي عليه ورده، والسهم تقع بين يديه وتمر على صماخيه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته! وما ظنّك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده.

وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمّنه من الخضوع لهيبته، و الخشوع لعزته والاستخاء له، عرفت ما ينطوي عليه من الاخلاص، وفهمت من أيقلب خرجت، وعلى أيّ لسان جرت!

وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام وكان أعبد أهل زمانه: أين عبادتك من عبادة جدّك؟ قال: عبادتي عند عبادة جدّي، كعبادة جدّي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.^(١)

والحق ما رواه أنس «انّ النبيّ كان يمرّ ببيت فاطمة ستة أشهر كلّما خرج إلى الصلاة فيقول: الصلاة أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»^(٢)

١ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٧/١ .

٢ . لاحظ في الوقوف على مصادر الرواية : تفسير الطبري: ٥/٢٢ - ٧ ، والدر المنثور: ٥/١٩٨ - ١٩٩ .

الثاني: عرض الحديث على السنة المتواترة

إنَّالسنة المتواترة كالكتاب العزيز كلاهما قطعان بيد أن الكتاب وحي بلفظه ومعناه، والسنة وحي بمعناها لا بلفظها. فتكون معياراً لتمييز الحق عن الباطل، وقد مرّ في حديث أيوب بن الحر عن الصادق عليه السلام أنه قال: كلّ شيء مردود إلى الكتاب والسنة.

وفي رواية عمر بن حنظلة عن الإمام الصادق عليه السلام في الخبرين المتعارضين أنّه ينظر إلى ما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة فيؤخذ به.

وروى ابن أبي يعفور عن الإمام الصادق عليه السلام : قال: سألته عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به، قال: إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله وإلاّ فالذي جاءكم به أولى به. ^(١)

والمراد من عرض الحديث على السنة المتواترة ليس هو إحراز موافقته لها، بل إحراز عدم مخالفته لها لكون المخالفة مسقطة للحجية.

فالسنة المتواترة أو المستفيضة كالقرآن الكريم فلو ورد حديث يخالفها لا يؤخذ به بالملاك الذي ذكرناه في الكتاب.

نعم لا تشترط الموافقة، وإليك المثال:

أخرج أحمد في مسنده عن وهب بن كيسان مولى ابن الزبير، قال: سمعت عبد الله بن الزبير في يوم العيد يقول، حين صلّى قبل الخطبة ثمّ قام يخطب الناس:

[فيجيب على اعتراض الناس بتقديم الصلاة على الخطبتينج بقوله: كلاًّ

١ . وسائل الشيعة: ١٨، الباب التاسع من أبواب صفات القاضي، الحديث ١١٠١.

سنة الله وسنة رسول الله ﷺ . (١)

فإن السنة المتواترة عند الفريقين هو تقديمها عليها، ولم يرو عن أحد من أن الرسول قدّم صلاة الجمعة عليهما.

الثالث: عرض الحديث على العقل الحصيف

لقد احتلّ العقل مكانة رفيعة في الإسلام وليس المراد من العقل، الأساليب والاستدلالات العقلية التي يختص فهمها بأصحاب الفكر والحكمة، وإنما المراد ما اتفق عليه جميع العقلاء إذا تجرّدوا عن كل النزعات والرواسب والخلفيات نظير حكم العقل بحاجة كل ظاهرة إلى علة، وامتناع الدور والتسلسل وحسن العدل وقبح الظلم، وعلى تلك الأحكام العقلية يدور رحى العقيدة والشريعة فلو لم يعترف أحد بها لانسدّ باب اثبات الصانع على وجهه كما ينسد عليه إثبات الشرائع السماوية وأنها من جانب الله سبحانه.

قال سبحانه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر/١٧ - ١٨).

فالمراد من القول الأحسن، الواجب الاتباع هو ما يدركه الإنسان من صميم ذاته ونداء ضميره ووجدانه، ولاجل ذلك نرى أنه سبحانه يذكر في فواصل الآيات ويقول: ﴿لَا يَأْتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة/١٦٤) ويقول: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة/٢٤ و٧٦) ويقول: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت/٤٣) ويقول أيضاً: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق/٣٧).

١ . مسند أحمد بن حنبل: ٤/٤.

إنّ المتكلمين من الإمامية والمعتزلة وإن اختلفوا مع الأشاعرة في مسألة تحسين العقل وتقييحه، لكن مع غض النظر عن هذا الجدل العقيم، نرى أنّ القرآن العظيم يحتج بالعقل الصريح و يقول: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ * أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ مَا تَخْتَارُونَ﴾ (القلم/ ٣٤ - ٣٨).

وفي آية أخرى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (ص/ ٢٨).

قال سبحانه: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ (الأعراف/ ٢٨).

وقال سبحانه حاكياً عن إبراهيم: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنبياء/ ٦٣ - ٦٤).

فهذه الآيات كلّها تدلّ على أنّ منطق العقل حجّة قطعية بين الله سبحانه وعباده، وهو سبحانه يحتج به عليهم حتّى أنّ عبدة الأوثان لما أفحموا أمام منطق إبراهيم المتين، أذعنوا بفشل رأيهم، ورجعوا إلى وجدانهم، ووصفوا أنفسهم بالظلم والتعدي.

فمنطق العقل القطعي يعد مقياساً لتمييز الحقّ عن الباطل، ولتصحيح ما يعزى إلى منطق الوحي وما لا يعزى إليه.

وعلى ضوء ذلك فالروايات الصريحة في إثبات الجهة لله تبارك وتعالى، وفي إثبات الجبر و سلب الحرية والاختيار عن الإنسان فيما يناط به الإيمان والكفر كلّها تخالف العقل الحصيف الذي به عُرف الله سبحانه وأنبياءه ورسله.

فالإنسان المسيّر غير مسؤول عن عمله وتصرفاته في قضاء العقل، مع أنّه مسؤول في كتاب الله تبارك وتعالى فلا يجتمعان.

كما أنّ الموجود في جهة، موجود محدود، والمحدود من آثار الإمكان وهو سبحانه منزّه عنه وعن آثاره.

وأظهر من ذلك ما رواه غير واحد من أصحاب الصحاح من أنّه سبحانه يُرى في الآخرة بنفس العين الحاسة مع أنّ هذه الرواية مستحيلة عقلاً، لأنّ المرئي لا يرى إلّا في جهة، وقد قلنا بامتناع الجهة له، كما المرئي منه سبحانه يوم القيامة لا يخلو إمّا أن يكون بعضه أو كله. فالأوّل يثبت له جزءاً والثاني يلازم كونه سبحانه محاطاً مع أنّه محيط.

والعجب أنّ بعض المقتصرين على الضوابط المقررة في علم الحديث بغية تمييز الصحيح عن السقيم يتبجح عند نقد روايات العقل، و يقول:

ومما يحسن التنبيه عليه أنّ كلّ ما ورد في فضل العقل من الأحاديث لا يصحّ منها شيء، وهي تدور بين الضعف والوضع وقد تتبعت ما أورده منها أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه «العقل وفضله» فوجدتها كما ذكرت لا يصحّ منها شيء، ثمّ نقل عن ابن قيم الجوزيّة قوله أحاديث العقل كلّها كذب.

وأوّل حديث نقده ذلك البعض هو حديث «الدين هو العقل، ومن لا دين له لا عقل له».

وذكر في موضع آخر بأنّ رواية: «قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له» موضوعة. ^(١)

أقول: إنّ الغاية من وراء تضعيف أحاديث العقل (وإن كانت حجته مستغنية عن هذه الأحاديث، ويكفي فيها أنّ الذكر الحكيم ذكره خمسين مرّة بصيغ مختلفة) هي التساهل أمام الروايات الدالة على أنّ الإنسان مسير، والقضاء

١ . الالباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ص ١٣ و ص ٣٧٠.

والقدر حاكم على مصيره وتصرفاته، وليس له أي اختيار في انتخاب ما ينوط به الإيمان والكفر. أو التساهل أمام الروايات الهائلة المدسوسة في الأحاديث الإسلامية من قبل مستسلمة أهل الكتاب، الدالة على التشبيه والتجسيم وإثبات الجهة.

إنّ المتبجحين برفض العقل كابن تيمية والذهبي وابن قيم الجوزية ومن حدا حدوهم كمحمد بن عبد الوهاب وأخيراً الشيخ الالباني، قد اتخذوا لأنفسهم موقفاً مسبقاً في مجال أخذ الحديث ورفضه، فالمعيار عندهم هو أتباع السلف ومخالفة الخلف أخذاً بقول الشاعر:

وكلّ خير في أتباع من سلف وكلّ شرّ في ابتداع من خلف^(١)
وكلامهم هذا نظير ما حكاه سبحانه عن المشركين قال: ﴿... قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة/١٧٠).

فإذا كان هذا هو المعيار فأكثر المحدثين - المغترّين بروايات مستسلمة أهل الكتاب ككعب الأحبار وتميم الداري ووهب بن منبه وغيرهم ممّن بثوا في الأوساط الإسلامية الاسرائيليات والمسيحيات - كانوا هم القائلين بالجبر والتجسيم والتشبيه، ومن كان هؤلاء أئمتته فأولى أن يتبجح برفض العقل.

١ . المصدر السابق: ١١٧.

الرابع: عرض الحديث على التاريخ الصحيح
إنّ التاريخ الصحيح الذي اتفق عليه أعلام المسلمين وأهل السير والتاريخ أحد المعايير لتمييز
الصحيح عن السقيم، ولنعرض نموذجين.

١. أخرج البخاري في باب تزويج الصغار من الكبار من كتاب النكاح عن عروة أنّ النبي
ﷺ خطب عائشة إلى أبي بكر، فقال له أبو بكر: إنّما أنا أخوك. فقال: أنت أخي في دين الله
وكتابه، وهي لي حلال. (١)

وأخرج أيضاً في باب الفضائل عن أبي سعيد الخدري (رض) قال: ... ولو كنت متخذاً خليلاً
غير ربي لا اتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سدّ إلاّ باب
أبي بكر. (٢)

وأخرج أيضاً عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لا اتخذت أبا
بكر ولكن أخي و صاحبي. (٣)

إنّ التاريخ الصحيح يدل على سقم الرواية الأولى، لأنّه ماذا أراد أبو بكر من كلامه - عند ما
خطب رسول الله ﷺ عائشة - وقال: «إنّما أنا أخوك» ؟
فإن أراد الأخوة التّسبية فهي واضحة البطلان.

وإن أراد الأخوة الإسلامية المتجلية في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات/١٠)
فهذه غير مانعة من النكاح، لأنّ الاخوة الدينية العامة لا تمنع من التزويج، وإلاّ يلزم عدم صحّة
نكاح المسلمين قاطبة كما هو واضح.

فانحصر المراد منها، بالاخوة الخاصة الواردة في الرواية الثالثة: «ولكن

١ . صحيح البخاري: ٥/٧، باب تزويج الصغار والكبار، من كتاب النكاح.

٢ . صحيح البخاري: ٤/٥، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً.

٣ . صحيح البخاري: ٤/٥، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً.

أخي وصاحبي»، ومن الواضح أنّها لم تتحقق إلا في المدينة المنورة بشهادة ذيل الحديث بأنه «لا يبقين في المسجد باب إلا سدّ، إلا باب أبي بكر».

فإذا كيف يخطب النبي ﷺ عائشة في مكة المكرمة قبل الهجرة ويعتذر هو بالاخوة الخاصة المتحققة في المدينة، فالتاريخ يشهد على وضع الرواية الأولى وكذبها، وليست هذه الرواية فريدة من نوعها، بل حيكت على منوالها رواية أخرى أيضاً أخرجها ابن الجوزي في كتابه عن أبي صالح عن أبي هريرة، قال:

لما دخل رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً من مكة أشعث أغبر أكثر عليه اليهود المسائل والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يجيبهم جواباً متداركاً بإذن الله عزّ وجلّ، وكانت خديجة قد ماتت بمكة، فلما ان دخل النبي ﷺ المدينة واستوطنها طلب التزويج، فقال لهم:

أنكحوني، فأتاه جبريل عليه السلام بخرقه من الجنة طولها ذراعين في عرض شبر، فيها صورة لم ير الراوون أحسن منها، فنشرها جبريل، وقال: يا مُحمّد إنّ الله تعالى يقول لك: أن تزوج على هذه الصورة، فقال له النبي ﷺ « : أنا من أين لي مثل هذه الصورة يا جبريل؟ فقال له جبريل: إنّ الله يقول لك تزوج ابنة أبي بكر الصديق.

فمضى رسول الله ﷺ إلى منزل أبي بكر ففرع الباب، ثمّ قال: يا أبا بكر إنّ الله أمرني أن أصاهرک، وكان له ثلاث بنات فعرضهن على رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : إنّ الله أمرني أن أتزوج بهذه الجارية، وهي عائشة، فتزوجها رسول الله ﷺ .

قال الخطيب: رجاله كلّهم ثقات غير مُحمّد بن الحسن ونراه مما صنعت يدها. وأعقبه ابن الجوزي بقوله: ما أبعث الذي وضعه عن العلم، فإنّ رسول الله ﷺ تزوج عائشة وهو بمكة ولم يكن لأبي بكر حينئذٍ

ثلاث بنات، ما كان له غير أسماء وعائشة وإنما جاءت بنت بعد وفاته يقال لها أم كلثوم. (١)

٢. أخرج مسلم في صحيحه، في فضائل الصحابة، عن ابن عباس: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي: يا نبي الله ثلاث اعطينيهن؟

قال: نعم.

قال: عندي أحسن العرب وأجمله أمحبية بنت أبي سفيان، أزوجكها؟

قال: نعم.

قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك؟

قال: نعم.

قال: وتؤمّري حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين؟ قال: نعم.

قال أبو زميل: ولولا أنه طلب ذلك من النبي ﷺ ما أعطاه ذلك، لأنه لم يكن يسأل شيئاً إلا قال: نعم. (٢)

أقول: لا يشك أي باحث متضلع في التاريخ الإسلامي أنّ الحديث موضوع من قبل سماسة الأهواء وأذئاب البيت الأموي الذين كانوا يحملون نزعات أموية، وذلك لاتّفاق المسلمين على أنّ النبيّ تزوج بأُمّ حبيبة قبل فتح مكة، وأنّ أبا سفيان دخل المدينة بغية لقاء النبي ﷺ قبل إسلامه وكانت أمحبية زوجته، وإنما استسلم أبو سفيان بعد ما اجتثت جذور الشرك في جزيرة العرب وفتحت معاقله.

حكى ابن هشام في ذكر الأسباب التي دعت النبي ﷺ إلى المسير نحو مكة في شهر رمضان سنة ٨ هـ - وقال: ثمّ خرج أبو سفيان

١ . ابن الجوزي، كتاب الموضوعات: ٨/٢.

٢ . صحيح مسلم: ١٧١/٧، باب فضائل أبي سفيان بن حرب.

حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله طوته عنه ، فقال: يا بُنَيَّةُ ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟

قالت: بل هو فراش رسول الله وأنت رجل مشرك نجس ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله. (١)

وقد اتفق كُتَّاب السير على أنّ أم حبيبة أسلمت في مكة المكرمة قبل الهجرة، وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة، وذكرها ابن هشام من المهاجرات إلى الحبشة.

قال ابن هشام: ومن بني أمية عبيد الله بن جحش بن رثاب الأسدي حليف بني أمية ابن عبد شمس معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فلما قدم عبيد الله أرض الحبشة تنصّر بها وفارق الإسلام ومات هناك نصرانياً، فخلف رسول الله على امرأته من بعده أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب. (٢)

ثم إن ابن حزم ممن تنبه إلى الاشكال في الرواية وقال: والآفة فيه من عكرمة بن عمار الراوي عن أبي زميل.

وأنكر الشيخ أبو عمرو بن صلاح على ابن حزم، فقال: لا نعلم أحداً من أئمة الحديث نسب عكرمة بن عمار إلى وضع الحديث، وقد وثقه وكيع ويحيى بن معين وغيرهما، ثم حاول أن يصحح مضمون الحديث بأنّ أبا سفيان سأل تجديد عقد النكاح تطيباً لقلبه، لأنّه كان ربما يرى عليها غضاضة من رياسته ونسبه أن تزوج بنته بغير رضاه، أو أنّه ظن ان إسلام الأب في مثل هذا يقتضي تجديد العقد. (٣)

١ . سيرة ابن هشام: ٢/٣٩٦، وغيرها من المصادر المتوقّرة.

٢ . سيرة ابن هشام: ٢/٣٦٢.

٣ . شرح صحيح مسلم للنووي: ١٦/٢٩٦.

يلاحظ عليه : أنّ عكرمة بن عمار مختلف فيه، وقد ذكر الذهبي أقوال العلماء في حقّه. ^(١)
ولكن الكلام في التأويل الذي ارتكبه ابن الصلاح بغية تصحيح الرواية، ولو ارتكبه غيره لُرْمي بالجهمية، وأين أبو سفيان من هذه الدرجة من التقوى التي يصوّرها لنا ابن الصلاح؟! وما نحن نذكر نبذة مختصرة عن سيرته في أخريات حياته ليتضح مدى تمسكه بالإسلام وإيمانه به.
قال أحمد بن عبد العزيز : وحدّثني المغيرة بن مُجَدِّ المهلبيّ، أنّ أبا سفيان قال لعثمان: بأبي أنت! أنفق ولا تكن كأبي حجر، وتداولوها يا بني أمية تداول الولدان الكرة، فوالله ما من جنة ولا نار و كان الزبير حاضراً، فقال عثمان لأبي سفيان: اعزب فقال: يا بنيّ أهاهنا أحد؟! قال الزبير: نعم والله لا كتمتها عليك. ^(٢) فمن كان منكراً للبعث بعد ما أسلم سنين، فهل يصحّ وصفه بما ذكره ابن الصلاح!؟

الخامس: عرض الحديث على اتفاق الأمة

إنّ اتفاق الأمة على حكم من الأحكام دليل قطعي عليه دون فرق بين المنهج الشيعي أو السنيّ.

وعلى ضوء ذلك فلو ورد حديث يخالف المتفق عليه بين الأمة فيحكم عليه بالدس والوضع، ولنضرب مثلاً:

أخرج الطحاوي في مشكل الآثار عن طريق علي بن زيد بن جدعان، عن أنس، قال: مطرت السماء برداً، فقال لنا أبو طلحة: ناولوني من هذا البرد، فجعل

١ . سير أعلام النبلاء: ١٣٤/٧ برقم ٤٩ .

٢ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/٤٥ .

يأكل وهو صائم وذلك في رمضان! فقلت: أأأكل وأنت صائم؟ فقال: إنما هو برد نزل من السماء نظهر به بطوننا وأنه ليس بطعام ولا بشراب! فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك. فقال: خذها عن عمك. (١)

إنّ اتفاق الأمة على أنّ مطلق الأكل والشرب مبطل للصوم يكفي في الحكم على هذا الحديث بالوضع والدس.

ولأجل ذلك نرى أنّ السيوطي أورده في ذيل الأحاديث الموضوعة، ص ١١٦. وضعفه الطحاوي في مشكل الآثار بوجود علي بن زيد في سنده وأنه ليس من أهل الثبيت (٢)

٨- لا كتاب صحيح سوى القرآن الكريم

ثمّ إنّ المشكلة تكمن في أنّ المحدثين والباحثين وصفوا جامع البخاري ومسلم بالصحيحين وحكموا بصحة كلّ ما جاء فيهما من الأحاديث، فعاق ذلك كثيراً من المحقّقين عن الفحص والتنقيب بما جاء فيهما من الروايات المخالفة للكتاب والسنة والعقل، ولأجل ذلك بقي الكتابان في منأى عن التحقيق بخلاف السنن الأربعة الباقية من الأصول الستة، فقد تطرق إليها التحقيق منذ زمن بعيد.

كيف يحكم بأنّ كلّ ما في البخاري صحيح مع أنّه أورد فيه الأحاديث

١ . مشكل الآثار: ٢/٢٣٨ برقم ١٩٨٣.

٢ . المصدر نفسه.

المعلقة، مرفوعة وموقوفة، وإن اعتذر عنه ابن حجر في مقدمة فتح الباري. (١)
 وقد زُمي ثمانون رجلاً ممن أخرج عنهم البخاري بالضعف، كما زُمي مائة وستون رجلاً ممن
 أخرج منهم مسلم به أيضاً. (٢)
 نعم حاول ابن حجر عقد فصلاً خاصاً (٣) في الذبِّ عن ضعفهم، إلا أن محاولته باءت
 بالفشل.

والعجب أن الإمام البخاري، احتجَّ بمثل مروان بن الحكم، وعمران بن حطّان وحريز بن عثمان
 الرحي وغيرهم ولم يرو عن الإمام الصادق «عليه السلام».

أمّا الأوّل فهو الوزغ ابن الوزغ، اللعين ابن اللعين على لسان رسول رب العالمين، وأمّا الثاني
 فهو الخارجي المعروف الذي أثنى على ابن ملجم بشعره لا بشعوره، وأمّا الثالث فكان ينتقص عليّاً
 وينال منه، و مع ذلك لم نجد في صحيح البخاري رواية عن الإمام الصادق ونعم ما قال القائل:

قضية أشبه بالمرئونة	هذا البخاري إمام الفئنة
بالصادق الصديق ما احتجَّ في	صحيحه واحتجَّ بالمرجئنة
ومثل عمران بن حطّان أو	مروان وابن المرأة المخطئة
مشكلة ذات عوار إلى	حيرة أرباب النهى ملجئة
أنّ الإمام الصادق المجتبي	بفضله الآي أتت منبئة
أجلّ من في عصره رتبة	لم يقترف في عمره سيئة (٤)

١ . هدية الساري مقدمة فتح الباري، ص ١٧، ط . دار المعرفة.

٢ . المصدر نفسه، ص ١١.

٣ . المصدر نفسه، ص ٤٥٦ - ٤٦٤.

٤ . السيد مُحمَّد بن عقيل: النصائح الكافية: ١١٩. ط بيروت.

وسيتضح مدى صحة قولهم: «كل ما في الصحيحين، صحيح».

نعم أول من تجرأ من السنّة على التحقيق في الصحيحين هو الحافظ ابن الجوزي حيث ألف كتاباً باسم مشكل الصحيحين أو مشكل الصحاح، و لم يزل مخطوطاً في أربعة أجزاء، فلو قام باحث موضوعي بنشر هذا السفر الجليل لخدم السنّة النبوية.

وحكى العلامة المحقق الشيخ حسن السقاف أنّ شيخه السيد الإمام أبا الفضل الغماري صنف كتاباً في هذه المسألة وسماه «الفوائد المقصودة في الأحاديث الشاذة المردودة».

وقد قام شيخ مشايخنا الشيخ فتح الله النمازي الاصفهاني - المشهور بشيخ الشريعة (١٢٦٦-١٣٣٩هـ-) بنقد الصحاح، فألف كتاباً باسم «القول الصراح في نقد الصحاح»^(١)، غير أنّه لم يُوفّق لإتمامه.

كما ألف سيد الطائفة، شرف الدين العاملي (١٢٩٠-١٣٧٧هـ-) كتاباً باسم «أبو هريرة» بحث فيه عن سيرته ورواياته في الصحيحين وغيرهما بحثاً أضاء الطريق لمن بعده.

وأخيراً ألف الشيخ المجاهد مُحمَّد الغزالي كتابه «الحديث النبوي بين أهل النقل والفهم» وقد سلك في نقل الأحاديث قريباً مما سلكناه في هذا الكتاب، وقد أثار ضجة المتحجرين لما اعتادوه من العكوف على كلّ حديث عكف عليه السلف.

كما قام غير واحد من علمائنا بتمحيص ما روي عن أئمة أهل البيت من الأحاديث نذكر منهم على سبيل المثال:

١ . تحتفظ منه بنسخة مخطوطة في مكتبة مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام عسى أن يقوم الباحثون بنشرها.

١. الأخبار الدخيلة: تأليف المحقق مُجَدُّ تقي التستري (١٣٢٠ - ١٤١٥ هـ-) وقد طبع وانتشر.

٢. الموضوعات في الآثار والأخبار : تأليف المحقق هاشم معروف الحسني.

ولسنا في هذا المقام بصدد دراسة أحد الصحاح والمسانيد، أو دراسة جميع روايات راو واحد فقط، بل بصدد دراسة أحاديث ثلة من الصحابة تربو على أربعين صحابياً، بعد ذكر نبذة مختصرة من سيرته، ونماذج من روائع حديثه.

ولا نعني بروائع الأحاديث، كونها صحيحة سنداً بل ربما يكون سندها غير نقّي لكن مضمون الحديث يدعمه الكتاب أو السنة والقرائن والمفاهيم العامة الإسلامية.

كما لا تعني هذه الدراسة القدح بذلك الصحابي، بل تعني وجود الإشكال والعلّة في الرواية سواء أكان منشؤها هو ذلك الصحابي أو الذين رووا عنه وعزوه إليه، والمطلوب هو نقد المضمون والمحتوى دون أن نحمل المسؤولية على عاتق أحد إلا في موارد شاذة.

وهذه الدراسة هي خدمة متواضعة للحديث النبوي، نرجو أن تنال القبول وأن ينتفع بها المعنيون وأن تكون فاتحة خير لمساهمات لاحقة، وندعو الله تعالى أن يهبنا السداد في القول، والتوفيق في العمل، ويهيئ لنا من أمرنا رشداً إنّه نعم المولى و نعم النصير.

ونحن على ثقة بأنّ كلّ قارئ واع ينبض قلبه حباً للإسلام، سيثمن الجهود التي بذلناها في سبيل تأليف هذا الكتاب، والعناء الذي تحمّلناه في هذا المضمار.

وما توفيقى إلاّ بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب

١ - معاذ بن جبل الصحابي

(٢٠ قبل الهجرة - ١٨ هجرية)

سيرته وأحاديثه الرائعة.

أحاديثه السقيمة:

١. التجسيم في حديثه.

٢. افشاء سرِّ النبي بلا إذنه.

٣. السذاجة في فهم الشريعة.

٤. عدم استجابة دعاء النبي ﷺ.

٥. دراسة تحليلية حول حديث اجتهاده في القضاء.

معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس، أبو عبد الرحمان الأنصاري الخزرجي المدني البصري، ولد عام

٢٠ قبل الهجرة، شهد العقبة وهو شاب، كما شهد بدرًا والمشاهد، و روى عن النبي ﷺ

أحاديث ناهزت ١٠٨، بعثه النبي للقضاء إلى اليمن بعد ما علّمه آداب القضاء، وتوفي في الشام

عام ١٨ بعد الهجرة على أحد الأقوال.

والسابر في طبقات كتب الرجال يجد في حقّه كلمات تدل على مكانته

الرفيعة في القراءة ومعرفة الحلال و الحرام:

١ . عن عبد الله بن عمر، قال: أربعة رهط لا أزال أحبهم بعدما سمعت رسول الله، قال: «خذوا القرآن من أربعة، من: ابن مسعود، و سالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، و معاذ بن جبل». (١)

٢ . عن أبي قلابة، عن أنس مرفوعاً: وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، و يروى عن النبي ﷺ رسلاً ومتصلاً: «يأتي معاذ يوم القيامة أمام العلماء برتوة».

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله: «معاذ بن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه. (٢) إلى غير ما ذكر من كلمات الإطراء والثناء في حقه المروية عن النبي ﷺ وعن الصحابة. وقد نقل عنه أصحاب الصحاح والمسانيد أنه قال: لما بعثني النبي إلى اليمن، قال لي كيف تقضي إن عرض لك قضاء؟ قال: قلت: أقضي بما في كتاب الله فإن لم يكن فيما قضى به رسول الله، قال: فإن لم يكن فيما قضى به الرسول؟ قال: اجتهد رأيي ولا آلو، فضرب صدري، وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله». (٣)

١ . تهذيب التهذيب: ١٨٧/١٠ برقم ٣٤٧ ؛ سير أعلام النبلاء: ١/٤٤٥ برقم ٨٦ يقول المعلق على الكتاب الأخير: أخرجه البخاري (٤٩٩٩) في فضائل القرآن باب القرءاء من أصحاب النبي، ومسلم (٢٤٦٤) في الفضائل، والترمذي (٣٨١٢) في المناقب، وأبو نعيم في الحلية: ١/٢٢٩.

٢ . تهذيب التهذيب: ١٨٧/١٠ برقم ٣٤٧ ؛ سير أعلام النبلاء: ١/٤٤٦ برقم ٨٦ . ونقل المعلق على كتاب سير اعلام النبلاء أنه أخرجه أحمد: ٣/١٨٤ و ٢٨١، والترمذي (٣٧٩٣) في المناقب، وابن ماجه (١٥٤) في المقدمة باب فضائل خباب، و أبو نعيم في الحلية: ١/٢٢٨.

٣ . أخرجه من أصحاب المسانيد: أحمد في مسنده: ٥/٢٣٦، ٢٤٢؛ و من أصحاب السنن: أبو داود برقم ٣٥٩٢ و ٣٥٩٣ في الأفضية، والترمذي (١٣٢٧) مثله (١٣٢٨) في الأحكام باب ما جاء في القاضي كيف يقضي؟ و سيوافيك نقل أسناده مفصلاً.

هذه نبذة إجمالية عن سيرة معاذ بن جبل، والكلمة التي ذكرها النبي عند بعثه إلى اليمن للقضاء.

إنّ الوقوف على مكانة ذلك الصحابي رهن دراسة أمرين:

أ. دراسة الأحاديث التي رواها عن النبي ﷺ.

ب. دراسة حديث الاجتهاد الذي بلغ من الشهرة بمكان حتى اتخذه أصحاب القياس سنداً لإعماله في استنباط الأحكام الشرعية. وقد فسر الإمام الشافعي الاجتهاد الوارد فيه بالقياس، كما سيوافيك تفصيله.

أحاديثه الرائعة

روى أصحاب الصحاح والسنن و المسانيد روايات عنه في شتى الموضوعات، كالإيمان و الطهارة والجنائز والصلاة و الزكاة والصيام والنكاح والعتق و الفرائض والحدود والديات والقضاء والطب والمرض والأدب والذكر والدعاء و القرآن والعلم والجهاد والأمانة و المناقب والزهد والفتن وأشراف الساعة والجنة، ويناهز مجموع ما نقل عنه من الأحاديث قرابة ١٠٨، فهو تارة ينقل نص قول النبي ﷺ وأخرى فعله ﷺ، وفي الوقت نفسه فإنّ قسماً من تلك الروايات هي في الواقع رواية واحدة نقلت بصور مختلفة فعُدّوها روايات متعددة كأكثر ما رواه في باب الإيمان مثلاً حديثه المعروف «ما حقّ الله على العباد» رويت بصور تسع مع أنّها في الحقيقة رواية واحدة، وعلى هذا الغرار يقلُّ عدد أحاديثه عن العدد المذكور بكثير، فلندكر شيئاً من روائع أحاديثه:

١. عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قال: إنّك تأتي قوماً أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله و أنّي رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فاعلمهم أنّ الله افترض عليهم

خمس صلوات في كلِّ يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أنّ الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتردّ في فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، و اتق دعوة المظلوم فأنّها ليس بينها وبين الله عزّ وجلّ حجاب. (١)

٢. قال: إنّ النبي قال سأنبئك بأبواب من الخير: الصوم جُنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وقيام العبد من الليل ثمّ قرأ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾. (٢)

٣. كان معاذ باليمن فارتفعوا إليه في يهودي مات، و ترك أخاً مسلماً، فقال معاذ: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إنّ الإسلام يزيد و لا ينقص» فورثه. (٣)

٤. وقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: «الجهاد عمود الإسلام و ذروة سنامه». (٤)
إلى غير ذلك من روائع الأحاديث التي يعلو هامتها نور النبوة و يشهد علو مضامينها على صدورها في بيت الوحي.

أحاديثه السقيمة

وقد روي عنه روايات شاذة لا تصح نسبتها إلى النبي ﷺ ، وإليك دراسة قسم منها:

١. روية الله في أحسن صورة

أخرج الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن طريق مالك بن يحامر

١ . أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٢٣٣/١ .

٢ . أخرجه الإمام أحمد: ٢٤٨/٥ والآية ١٦ من سورة السجدة.

٣ . مسند الإمام أحمد: ٢٣٠/٥ و ٢٣٦ .

٤ . مسند الإمام أحمد: ٢٣٤/٥ .

السكسكي، عن معاذ بن جبل (رض) قال: احتبس عنّا رسول الله ص ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نترأى عين^(١) الشمس، فخرج سريعاً فتثوّب بالصلاة، فصلّى رسول اللّهوتجوز في صلاته، فلمّا سلّم دعا بصوته، قال لنا: على مصافقكم كما أنتم، ثمّ انفتل^(٢) إلينا، ثمّ قال: أما إنّي سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إنّي قمت من الليل فتوضأت واصليت ما قُدّر لي، فنعست في صلاتي حتى استثقلت^(٣) فإذا أنا بربي تبارك و تعالی في أحسن صورة. فقال: يا محمّد، قلت: لبيك ربي، قال: فيم يختصم المלא الأعلى؟ قلت: لا أدري، قالها ثلاثاً.

قال: فرأيتَه وضع كفه بين كتفيّ حتى وجدت برد أنامله بين ثديي^(٤) فتجلّى لي كل شيء و عرفت، فقال: يا مُحمّد قلت: لبيك ربّ قال: فيم يختصم المלא الأعلى قلت: في الكفارات، قال: ما هنّ، قلت: مشي الأقدام إلى الحسنات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء حين الكريهات^(٥).. الخ.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. سألت مُحمّد بن إسماعيل (يريد البخاري) عن هذا الحديث، قال: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه الإمام أحمد في مسنده في حديث معاذ.^(٦)

وللنظر في هذه الرواية ساحة رحبة.

أولاً: إنّ المتبادر من الحديث هو أنّ الصحابة كانوا على انتظار بُغية مجي النبي ﷺ ليصلّوا معه، وما صلّوا حتى خرج إليهم رسول

١ . في مسند أحمد: قرن الشمس.

٢ . انفتل: أقبل.

٣ . وفي مسند أحمد: استيقظت. والأول هو الصحيح.

٤ . وفي مسند أحمد: بين كتفيّ.

٥ . سنن الترمذي: ٣٦٨/٥، كتاب تفسير القرآن برقم ٣٢٣٥.

٦ . مسند الإمام أحمد: ٢٤٣/٥ و بين المتين اختلاف طفيف.

الله وقد تراءى عين الشمس، ومعنى ذلك أنّ الصحابة تركوا الصلاة عمداً والنبي فاتت عنه الصلاة لغلبة النعاس عليه، ولو أنّ الصحابة أدّوا الصلاة قبل خروج النبي ﷺ إليهم لجاء ذكره في الحديث فهذا ما لا نحتمله في حق الصحابة فضلاً عن النبي ﷺ .

ثانياً: إنّ «التثوّب بالصلاة» المشار إليه في الحديث عبارة عن قول المؤذن في أذان صلاة الصبح «الصلاة خير من النوم» و إنّما يذكر هذا الفصل من الأذان عند إقامة الصلاة أداءً لا قضاءً، و المفروض أنّ النبي أدّى صلاته قضاءً.

مضافاً إلى أنّه لم يثبت وجود التثوّب بالأذان في عهد رسول الله ﷺ ، و إنّما أضيف إليه بعد رحيله، روى الإمام مالك في موطّئه: أنّ المؤذن جاء إلى عمر بن الخطاب يأذنه لصلاة الصبح، فوجده نائماً، فقال: الصلاة خير من النوم، فأمر عمر أن يجعلها في نداء الصبح. (١)

والكلام في التثوّب ذو شجون، وقد استوفينا البحث عنه في كتابنا «الاعتصام بالكتاب والسنة». (٢)

وثالثاً: أنّه سبحانه أجلّ من أن يتجلّى لنبيه في النوم بأحسن صورة، و أن يكون له كف و أنامل لها برد، و أن يضعها بين كتفي النبي ﷺ ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

هب أنّ النبي ﷺ إنّما ينقل ما رآه في المنام دون أن يحكي عن الواقع، و لكن هل من الصحيح أن يذكر ما رآه دون أن يعقبه بكلمة وهي: إنّ ربّه أجلّ من أن يوصف بتلك الأوصاف، لئلاّ يقع السُدّج من الناس في ورطة التجسيم والتشبيه؟!

وأغلب الظن أنّ الرواية من مجموعلات مستسلمة أهل الكتاب الذين

١ . الإمام مالك، الموطأ، ص ٧٨ برقم ٨.

٢ . الاعتصام بالكتاب والسنة، ص ٤٨ - ٦٠.

رَوَّجُوا مسألة التشبيه و التجسيم و دسَّوها في أحاديث المسلمين. و إن رآها الترمذي حديثاً حسناً صحيحاً، أو صحَّحه البخاري حسب ما نقله الترمذي.

ثمَّ إنِّي وقفت - بعد ما حرَّرت ذلك - على كلام للمحقِّق السيد حسن السقاف حول الحديث، فنأتي به موجزاً:

يقول: إنَّ متن الحديث يشتمل على ألفاظ منكِّرة تؤكد وضعه :

١. إثبات الصورة لله تعالى، وكذلك إثبات الكفِّ له - سبحانه وتعالى عن ذلك - وإثما بقدر

ما بين كتفي سيدنا رسول الله ﷺ .

«أجمع أهل السنة على استحالة الصورة على الله عزَّ وجلَّ، كما نقل ذلك الإجماع الشيخ

الإمام عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق (ص ٣٣٢).

وقال الشافعي : والإجماع أكبر من الحديث المنفرد»^(١).

أي إنَّ الإجماع إذا صادمه حديث آحاد أسقط الاحتجاج به، بل يدلُّ ذلك على وضعه و أنَّه

لا أصل له كما يقول الحافظ الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/١٣٢).

٢. إثبات الكفِّ هنا إثبات جارحة لله تعالى وبيعد تأويلها بالقدرة، لأنَّ قدرة الله عزَّ وجلَّ

شاملة لجسد رسول الله ﷺ الشريف، وإثبات أنَّه وجد برد كفِّ الله تعالى عن ذلك، بين ثدييه

ﷺ يبيعد التأويل بالقدرة، ويؤكد وضع الحديث، لا سيما أنَّ الحفاظ كالذهبي قالوا عنه منكر

لأجل هذه الألفاظ وأشباهاها.

كما أنَّ تأويل قوله: في أحسن صورة، أي أحسن صورة للنبي ﷺ ، فيه تكلف لا يخفى،

والحديث موضوع لا يثبت.^(٢)

١ . سير اعلام النبلاء: ١٠/٢٠ و ٢١، والحلية: ٩/١٠٥، وآداب الشافعي لابن أبي حاتم: ٢٣١.

٢ . ذيل دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه: ٢٨٥ - ٢٨٦.

هذا إذا نظرنا إلى الحديث من جانب المضمون والتطبيق على الأصول القطعية، وأما إذا أردنا دراسة الحديث من حيث السند، فهو إذن مثل المضمون مرفوض جداً وقد نصّ على ضعف السند أبطال الحديث، فقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات (١/١٢٥)، والحافظ السيوطي في كتابه «الآلآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (١/٣١) وذكر أنّ في سنده حماد بن سلمة، وقال الإمام الحافظ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» (ص ٣٠٠): «وقد روي من وجه آخر وكلّها ضعيف».

فإن قال قائل قد حسن الترمذي الحديث، بل قد صحّحه في بعض الروايات عنه. قلنا: هذا لا ينفع، لأنّ الترمذي متساهل في التصحيح والتحسين مضافاً إلى معارضته بتضعيف الحفاظ الذين تعرفت على أسمائهم، فقد صرّحوا بأنّ الحديث منكر و موضوع، فهو مقدّم على تحسين الترمذي أو تصحيحه. ولو أردنا نقل كلمات الحفاظ حول الحديث لطال بنا الكلام وهو خارج عن موضوع الكتاب.^(١)

٢. إفشاء سر النبي

أخرج الإمام أحمد، عن معمر، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن معاذ بن جبل، قال: كنت ردف النبي فقال: هل تدري ما حقّ الله عزّ وجلّ على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. قال: هل تدري ما حقّ العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ أن يغفر لهم و لا يعذبهم.

١ . لاحظ رسالة «أقوال الحفاظ المنشورة لبيان وضع حديث رأيت ربي في أحسن صورة» ، تأليف حسن السقاف المطبوع في ذيل دفع شبه التشبيه.

قال معمر في حديثه: قال: قلت يا رسول الله ألا أبشّر الناس قال: دعهم يعملوا. (١)
ورواه البخاري بنفس ذلك النص إلا أنه قال: قلت يا رسول الله: أفلا أبشّر به الناس، قال: لا تبشّروهم فيتكلوا. (٢)

ورواه مسلم بنفس المضمون في باب من لقي الله بالإيمان و هو غير شك فيه. (٣)
وللنظر في هذا الحديث كالحديث السابق مجال واسع، فإذا نهاه النبي ﷺ عن البشارة به بقوله: «دعهم يعملوا» أو بقوله: «لا تبشّروهم فيتكلوا» فلم أفشى سرّ النبي؟
أضف إلى ذلك أنّ ما جاء به النبي لم يكن أمراً مستوراً على المسلمين بل جاء في الذكر الحكيم في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء/٤٨).
نعم، إنّ أنس بن مالك برّر إفشاء سرّ النبي من قبيل معاذ، بقوله: «وأخبر بها معاذاً عند موته تأثماً». (٤)

وقال ابن حجر العسقلاني في تفسير قوله تأثماً: هو بفتح الهمزة و تشديد

١ . مسند أحمد: ٢٢٨/٥ .

٢ . صحيح البخاري: ٢٨/٤ باب اسم الفرس و الحمار من كتاب فضل الجهاد والسير، و من الطريف أنّ البخاري نقل الرواية في هذا الباب (باب اسم الفرس و الحمار) و كم للبخاري من هذه الطرائف و المتصفح في صحيحه يجد أنّ طائفة كبيرة من الروايات أوردها تحت عناوين لا تمت لها بصلة، و أنت إذا قارنت بين صحيح البخاري مع الكافي للكليني لوجدت أنّ الثاني قد بلغ الغاية في حسن التبويب.

٣ . صحيح مسلم: ٤٣/١ .

٤ . صحيح البخاري: ٤٤/١، كتاب العلم.

المثلثة المضمومة، أي خشية الوقوع في الإثم، والمراد بالإثم الحاصل من كتمان العلم ودلّ صنيغ معاذ على أنّه عرف أنّ النهي عن التبشير كان على التنزيه لا على التحريم وإلّا لما كان يخبر به أصلاً أو عرف أنّ النهي مقيد بالاتكال فأخبر به من لا يخشى عليه ذلك فإذا زال القيد زال المقيد، و الأول أوجه لكونه أحرّ ذلك إلى وقت موته. (١)

وما برّر به أنس فعل معاذ تبرير غير تام، لأنّ نهي النبي يدور أمره بين كونه تحريماً أو تنزيهاً، فعلى الأول يكون الإظهار موجباً للإثم دون الكتمان، وعلى الثاني يكون الإظهار والكتمان على حدّ سواء لكن الكتمان كان أولى من الإظهار فلم يكن هناك أي إثم حتى يبرّر عمله هذا بالتأثم و يفسر بالإثم الحاصل من كتمان العلم.

هذا ما يرجع إلى كلام أنس، وأمّا ما ذكره العسقلاني من أنّ النهي كان تنزيهياً لا تحريمياً لا يلائمه ظاهر الحديث حيث إنّ الاتكال على الايمان القلبي دون العمل أمر محظور، فلذلك يكون ما يستلزمه - أي الاظهار - منهيّاً عنه بالنهي التحريمي لا التنزيهي. وأضعف من ذلك تبريره الثاني حيث قال: إنّ النهي كان مقيداً بالاتكال، فأخبر به من لا يخشى عليه ذلك.

وجه الضعف أنّ معاذاً كان واقفاً على أنّ السامع سوف يبيّنه بين المسلمين وفيه من يُخشى عليه من الاتكال، فلم أخبره به و لم يأخذ منه عهداً أن لا يخبر به أحداً إلاّ مثله. فرفض الحديث وتنزيهه مقام معاذ أولى من قبوله و تبريره بهذه المبررات التي لا تُسمن ولا تغني من جوع.

١ . فتح الباري: ١/١٨٣، كتاب العلم.

٣. السذاجة في فهم الشريعة

أخرج الإمام أحمد، عن أبي ظبيان، عن معاذ بن جبل أنه لما رجع من اليمن، قال: يا رسول الله رأيت رجالاً باليمن يسجد بعضهم لبعض أفلا نسجد لك؟ قال: لو كنت آمراً بشراً يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها. ^(١)

ويظهر ممّا رواه كشف الأستار عن زوائد البزار، أنه بعد ما رجع من الشام سجد للنبي، و إليك نصّه:

عن أبي ليلى، عن معاذ بن جبل: أنه أتى الشام فرأى النصارى يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم ورهبانهم، ورأى اليهود يسجدون لأخبارهم وعلمائهم وفقهائهم، فقال: لأي شيء تفعلون هذا؟ قالوا: هذه تحية الأنبياء، قلنا: فنحن أحقّ أن نصنع بنينا ﷺ، فلما قدم على نبيّ الله سجد له، فقال: ما هذا يا معاذ؟! فقال: إني أتيت الشام فرأيت النصارى يسجدون لأساقفتهم ^(٢)... إلى آخر ما ذكر.

إنّ الوثوق بهذا الحديث أمر عسير، فلو صحّ لدلّ على سذاجة الرجل في فهم الشريعة، وذلك لأنّ السجود و إن لم يساوق العبادة، إذ ربّ سجود لا يعد عبادة كسجود الملائكة لآدم وسجود يعقوب وأولاده ليوسف، بيد أنّ السجود في عهد النبي كان رمزاً للعبادة ومجسّداً لها ومظهراً من مظاهرها، فكيف خفيت تلك الحقيقة على ذلك الصحابي و سجد للنبي، في حين أنّ الناس يرونه عبادة للنبي ﷺ؟

إنّ هذا العمل يناسب شأن الأعرابي البعيد عن الإسلام وتعاليمه لا لمثل

١ . مسند أحمد: ٢٢٧/٥ و ٢٢٨ و نقله أيضاً على وجه التفصيل في ٣٨١/٤.

٢ . المسند الجامع: ٢٣٥/١٥ برقم ١١٥٢٧، نقلاً عن كشف الأستار عن زوائد البزار: ١٧٥/٢ برقم ١٤٦١.

معاذ بن جبل الذي تربى في أحضان الرسالة.

أخرج الدارمي عن ابن بريدة عن أبيه، قال:

جاء أعرابي إلى النبي، فقال: يا رسول الله إئذن لي فلا أسجد لك، قال: لو كنت آمراً أحداً

يسجد لأحد لأمرت المرأة تسجد لزوجها. (١)

ومن العجب أنّ الدارمي نقل الحديث أيضاً عن قيس بن سعد أنّه قال: أتيت الحيرة فرأيتهم

يسجدون لمزبان لهم، فقلت: رسول الله أحقّ أن يُسجد له، فأتيت النبي ﷺ فقلت: أيّ أتيت

الحيرة... إلى آخر ما ذكر. (٢)

أضف إلى ذلك كيف أخذ معاذ مثل ذلك الأمر من النصارى حيث رأهم يسجدون للأساقفة

والرهبان والأحبار على الرغم من أنّه أعلم الأُمة بالحلال والحرام وقرأ الناس للقرآن؟!

٤. عدم استجابة دعاء النبي

أخرج الإمام أحمد في مسنده، عن عبد الله بن شداد، عن معاذ بن جبل، قال: وجدت رسول

الله قائماً يصلي، فقممت خلفه فأطال الصلاة، فلما قضى الصلاة، قال: قلت يا رسول الله لقد

صليت صلاة طويلة؟ فقال رسول الله ﷺ: إني صليت صلاة رغبة ورهبة: سألت الله عزّ

وجلّ ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألته أن لا يهلك أمتي غرقاً فأعطانيها، وسألته أن لا

يظهر عليهم عدواً ليس منهم فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فردّها عليّ. (٣)

١ . سنن الدارمي: ٣٤٢/١، باب النهي أن يسجد لأحد.

٢ . سنن الدارمي: ٣٤١/١، باب النهي أن يسجد لأحد؛ وأخرجه أيضاً أبو داود برقم ٢١٤٠ وقد أسهب الثاني في نقل الحديث.

٣ . مسند الإمام أحمد: ٢٤٠/٥.

إنَّ لاستجابة الدعاء شرائط خاصة ذكرت في كتب الأدعية و الأخلاق، ومن تلك الشرائط أن لا يكون الدعاء على خلاف السنن السائدة على الكون، مثلاً من دعا بالخلود لنفسه فلا تستجاب دعوته، وذلك لأنه سبحانه يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (الأنبياء/ ٣٤) وبما أنَّ الاختلاف في التفكير أمر ذاتي للبشر فلا يتسنى للنبي أن يطلب من الله سبحانه عدم اختلاف أُمَّته و وحدة كلمتهم قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود/١١٨ - ١١٩).

فقد تعلقت مشيئته سبحانه في الأزل باختلاف الناس في التفكير والعقيدة، وبما أنَّ الاختلاف أمر طبيعي لكافة البشر، فبعث الله النبيين للقضاء بينهم، قال سبحانه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة/٢١٣).

كيف يطلب النبي ﷺ من الله سبحانه أن لا يجعل بأسهم بينهم، و هو القائل «افتترقت اليهود على إحدى أو اثنتين و سبعين فرقة و افتترقت النصارى على إحدى أو اثنتين و سبعين فرقة و تفرقت أُمَّتي على ثلاث و سبعين فرقة»؟

رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. (١)

هذا ما يرجع إلى الفقرة الثالثة التي رُذِّ فيها دعاء النبي، وأما الفقرة الثانية

١ . المستدرک علی الصحیحین: ١/١٢٨.

أعني قوله ﷺ: «سألته أن لا يظهر عليهم عدواً ليس منهم فأعطانيها» فقرأها ثم تابع الحوادث والنـوازل التي ألـمَّت بالمسلمين عبر القرون، فقد تسلط عليهم الوثنيون المغول، و الصليبيون قرابة قرنين، وفعلوا ما فعلوا، و ليست الجرائم التي اقترفها الصهاينة ببعيدة عن القارى الكريم.

هذه دراسة إجمالية لبعض ما روي عن ذلك الصحابي الجليل، فإنّ منافاة تلك الأحاديث مع الأُصول المسلمة تغني الباحث عن دراسة أسانيدھا. ولا يصدنا عن النقد ورود الحديث في صحيح البخاري كما هو الحال في حديث إفشاء سر النبي، أو كونه مما صححه البخاري حسب نقل الترمذي كما هو الحال في حديث التجسيم.

فإذا كان معاذ يأتي أمام العلماء برتوة، أو كان أعلم الناس بحلال الله وحرامه، فهو أجلّ من أن يكون ناقلاً لتلك الروايات عن النبي ﷺ.

٥. دراسة تحليلية حول حديث اجتهاده

روي أصحاب السنن والمسانيد أنّ رسول الله بعثه إلى اليمن للقضاء فسأله عن أمور أجاب عنها معاذ، وقد احتج أصحاب القياس بهذا الحديث على حجّيته.

وهذا الحديث قابل للمناقشة من وجهين:

الأول: دراسة أسانيدھ، و أنّه هل ورد بسند قابل للاحتجاج به أو لا ؟

الثاني: على فرض صحّة سنده، فهل يمكن الاحتجاج به على حجّية القياس أو لا ؟

دراسة أسانيد حديث الاجتهاد

احتجّ غير واحد من أصحاب القياس بحديث معاذ بن جبل، والاحتجاج فرع إتقان الرواية
سنداً ومنتناً، وإليك بيانها:

عن الحارث بن عمرو بن أخي المغيرة بن شعبة، عن ناس من أصحاب معاذ من أهل حمص،
عن معاذ:

إنّ رسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن، فقال: كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟

قال: أقضي بما في كتاب الله.

قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟

قال: فبسنة رسول الله.

قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله؟

قال: أجتهد رأبي، لا آلو.

قال: فضرب رسول الله صدري، ثمّ قال: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضى رسول

الله . (١)

وقد استدللّ به الإمام الشافعي، فقال بعدما أفاد - أنّ القياس حجّة فيما لم يكن في المورد
نصّ كتاب أو سنة - : فما القياس؟ أهو الاجتهاد أم هما

١ . مسند أحمد: ٢٣٠/٥، وسنن الدارمي: ١٧٠، وسنن أبي داود: برقم ٣٥٩٣، وسنن الترمذي: برقم ١٣٢٨، ينتهي
سند الجميع إلى حارث بن عمرو عن ناس من أصحاب معاذ من أهل حمص.

مفترقان؟ ثمّ أجاب: هما اسمان لمعنى واحد. (١)

وقال في موضع آخر: أمّا الكتاب والسنة فيدلّان على ذلك، لأنّه إذا أمر النبي بالاجتهاد فالاجتهاد أبداً لا يكون إلاّ على طلب شيء، وطلب الشيء لا يكون إلاّ بدلائل، والدلائل هي القياس. (٢)

وقال أبو الحسين البصري: وجه الاستدلال به أنّ النبي ﷺ صوّبه في قوله: أجتهد رأيي عند الانتقال من الكتاب والسنة، فعلمنا أنّ قوله: أجتهد رأيي، لم ينصرف إلى الحكم بالكتاب والسنة. (٣)

وثمة كلمات مماثلة لما ذكرنا في تقريب الاستدلال به.

لكنّ الحديث ضعيف سنداً، وغير تام دلالة.

أمّا السند، ففيه الأمور التالية:

١. إنّ أبا عون محمد بن عبيد الله الثقفي الوارد في السند، مجهول لم يعرف.

٢. إنّ الحارث بن عمرو، مجهول مثله، ولم يعرف سوى أنّه ابن أخي المغيرة بن شعبة.

٣. إنّ الحارث بن عمرو، ينقل عن أناس من أهل حمص وهم مجهولون فتكون الرواية مرسلة.

وبعد هذه الأمور، أفيصح الاستدلال بحديث يرويه مجهول عن مجهول عن مجاهيل؟!!

قال ابن حزم: وأمّا خبر معاذ، فإنّه لا يحلّ الاحتجاج به لسقوطه، وذلك أنّه لم يرو قطّ إلاّ من

طريق الحارث بن عمرو وهو مجهول لا يدري أحد من هو، حدّثني أحمد بن محمد العذري، حدّثنا

أبو ذر الهروي، حدّثنا زاهر بن أحمد

١. الشافعي: الرسالة: ٤٧٧ و٥٠٥، طبع مصر، تحقيق أحمد محمد شاكر.

٢. الشافعي: الرسالة: ٤٧٧ و٥٠٥، طبع مصر، تحقيق أحمد محمد شاكر.

٣. أبو الحسين البصري: المعتمد: ٢/٢٢٢.

الفقيه، حدثنا زنجويه بن مُجَدِّ النيسابوري، حدثنا مُجَدِّ بن إسماعيل البخاري فذكر سند هذا الحديث، وقال: رفعه في اجتهاد الرأي.

قال البخاري: ولا يعرف الحارث إلا بهذا ولا يصحّ. هذا نصّ كلام البخاري في تاريخه الأوسط، ثمّ هو عن رجال من أهل حمص لا يُدرى من هم.^(١)
وقال الذهبي: الحارث بن عمرو، عن رجال، عن معاذ بحديث الاجتهاد، قال البخاري: لا يصحّ حديثه.

قلت: تفرّد به أبو عون (مُجَدِّ بن عبيد الله الثقفي) عن الحارث بن عمرو الثقفي ابن أخي المغيرة وما روى عن الحارث، غير أبي عون و هو مجهول.

وقال الترمذي: ليس إسناده عندي بمتّصل.^(٢)

وقال السيد المرتضى: إنّ حديث معاذ خبر واحد، ويمثله لا تثبت الأُصول المعلومة، ولو ثبتت بأخبار الأحاد لم يجز ثبوتها بمثل خبر معاذ، لأنّ زواته مجهولون. وقيل: رواه جماعة من أصحاب معاذ ولم يُذكروا.^(٣)

دراسة دلالة الحديث

وأما الدلالة، فهي مبنية على مساواة الاجتهاد مع القياس أو شموله له، وهو غير ثابت، قال المرتضى: ولا يُنكر أن يكون معنى قوله: «أجتهد رأبي» أي أجتهد حتى أجد حكم الله تعالى في الحادثة، من الكتاب والسنة، إذ كان في أحكام الله

١ . ابن حزم: الإحكام: ٢٠٧/٥.

٢ . الذهبي: ميزان الاعتدال: ٤٣٩/١ برقم ١٦٣٥.

٣ . المرتضى: الذريعة إلى أصول الشريعة: ٧٧٣/٢.

فيهما ما لا يتوصل إليه إلا بالاجتهاد، ولا يوجد في ظواهر النصوص، فادّعاؤهم أنّ إحقاق الفروع بالأصول في الحكم لعلّة يستخرجها القياس، هو الاجتهاد الذي عناه في الخبر، ممّا لا دليل عليه ولا سبيل إلى تصحيحه. (١)

على أنّ تجويز القياس في القضاء لا يكون دليلاً على تجويزه في الإفتاء، لأنّ القضاء أمر لا يمكن تأخيره، بخلاف الإفتاء، فالاستدلال بجواز القياس في القضاء على جوازه في الإفتاء، مبني على صحّة القياس وهو دور واضح.

ثمّ إنّ ثمة نقطة جديدة بالذكر، وهي أنّ القضاء منصب خطير لا يشغله إلاّ العارف بالكتاب والسنة والخبير في فصل الخصومات، فالنبي ﷺ الذي نصبه للقضاء لا بدّ أن يعلمه الكتاب والسنة أولاً، و يكون واقفاً على مدى إحاطته بما ثانياً، ثمّ يبعثه إلى القضاء وفصل الخصومات، ومع المعرفة التامة لحال القاضي يكون السؤال بقوله: «فكيف تصنع إن عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بما في كتاب الله» أمراً لغواً، وهذا يعرب عن أنّ الحديث لم ينقل على الوجه الصحيح، وستوافيك الصور الأخرى للرواية.

قال الفخر الرازي: إنّ الحديث يقتضي أنّه سأله عمّا به يقضي بعد أن نصبه للقضاء، وذلك لا يجوز لأنّ جواز نصبه للقضاء مشروط بصلاحيته للقضاء، وهذه الصلاحية إنّما تثبت لو ثبت كونه عالماً بالشيء الذي يجب أن يقضي به، والشيء الذي لا يجب أن يقضي به. (٢)

على أنّ الظاهر من سيرة «معاذ» أنّه لم يكن يجتهد برأيه في الأحكام و إنّما كان يتوقّف حتى يسأل النبي ﷺ.

١ . الذريعة: ٢/٧٧٦.

٢ . الرازي: المحصول: ٢/٢٥٥.

روى يحيى بن الحكم أَمْعَاذًا قال: بعثني رسول الله ﷺ أُصَدِّقَ أَهْلَ الْيَمَنِ، وأمرني أن آخذ من البقر من كلِّ ثلاثين تبيعاً، و من كلِّ أربعين مُسِنَّةً قال: فعرضوا عليّ أن آخذ من الأربعين فأبيت ذاك، وقلت لهم: حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك.

فقدمتُ، فأخبرت النبي ﷺ فأمرني أن آخذ من كلِّ ثلاثين تبيعاً، و من كلِّ أربعين مُسِنَّةً. (١)

فإذا كانت هذه سيرته فكيف يقضي بالظنون و الاعتبارات؟

ثمَّ إنّ المتمسكين بالحديث لما رأوا ضعف الحديث سنداً ودلالة، حاولوا تصحيح التمسك به بقولهم بأنَّ خبر معاذ خبر مشهور ولو كان مرسلًا، لكنَّ الأمة تَلَقَّتْه بالقبول. (٢)

ولنا هاهنا وقفة قصيرة، وهي أنّ اشتهار الحديث نتيجة الاستدلال به على القياس ولولا كونه مصدرًا لمقالة أهل القياس لما نال تلك الشهرة.

يقول السيد المرتضى: أمّا تَلَقِّي الأمة له بالقبول، فغير معلوم، فقد بيّنا أنّ قبول الأمة لامثال هذه الأخبار كقبولهم لمسّ الذكر، و ما جرى مجراه ممّا لا يُقْطَعُ به ولا يُعْلَمُ صحّته. (٣)

إلى هنا تمّت مناقشة الحديث سنداً ودلالة، وتبيّن أنّ الحديث غير صالح للاحتجاج به.

١ . مسند أحمد بن حنبل: ٥/٢٤٠؛ المسند الجامع: ١٥/٢٣٠ برقم (١١٥١٨ - ٤١).

٢ . الأرموي: التحصيل من المحصول: ١٦٣/٢.

٣ . الذريعة إلى أصول الشريعة: ٧٧٤/٢.

الصور الأخرى للحديث

إنّ الحديث قد ورد بصور مختلفة وبينها اختلاف كثير في المضمون، وإليك هذه الصور:
الصورة الأولى: ما رواه ابن حزم قال: حدثنا حمام وأبو عمر الطلمنكي، قال حمام: حدثنا أبو
مُحَمَّد الباجي، حدثنا عبد الله بن يونس، قال: حدثنا بقي حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة.
وقال الطلمنكي: حدثنا ابن مفرج، حدثنا إبراهيم بن أحمد بن فراس، قال: حدثنا مُحَمَّد بن علي
بن زيد، حدثنا سعيد بن منصور، ثم اتفق ابن أبي شيبة وسعيد كلاهما عن أبي معاوية الضرير.
حدثنا أبو إسحاق الشيباني عن مُحَمَّد بن عبيد الله الثقفي - أبو عون - قال: لما بعث رسول الله
معاذ إلى اليمن، قال: يا معاذ بم تقضي؟ قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن جاءك أمر ليس
في كتاب الله ولم يقض به نبيّه؟ قال: أقضي بما قضى به الصالحون. قال: فإن جاءك أمر ليس في
كتاب الله ولم يقض به نبيّه ولا قضى به الصالحون؟ قال: أومّ الحقّ جهدي.
فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي جعل رسول رسول الله يقضي بما يُرضي به رسول الله. (١)
تري أتمعاً يقدّم ما قضى به الصالحون على كلّ شيء، بعد الكتاب والسنة، ولعلّ مراده هي
الأعراف السائدة بين المجتمعات التي تكون مرجعاً للقضاء كما هو مقرّر في محله.
كما أنّ مراده أومّ الحقّ هو أعمال النظر والاستدلال في الأصول والقواعد الواردة في الكتاب
والسنة.

١ . ابن حزم: الإحكام: ٢٠٨/٥.

أضف إلى ذلك أنّ الرواية مرسلة، لأنّ أبا عون لا يروي عن «معاذ» مباشرة لتأخر طبقته في الحديث عن «معاذ» بطبقتين.

الصورة الثانية: عن عبد الرحمان بن غنم، قال: حدثنا معاذ بن جبل، قال: لما بعثني رسول الله إلى اليمن، قال: لا تقضيّولا تفصلنّ إلّابما تعلم، وإن أشكل عليك أمر فقف حتى تبينه أو تكتب إليّ فيه. ^(١)

وهي: متّصلة السند، ولكن المتن غير ما جاء في الحديث، بل يغيّره تماماً، وينفي مقالة أهل القياس.

الصورة الثالثة: وردت في الكتب الأُصولية صورة ثالثة للرواية، ولعلّها منقولة بالمعنى. قال أبو الحسين البصريّ: روي عن النبيّ ﷺ، أنّه قال لمعاذ وأبي موسى الأشعري، وقد أنفذهما إلى اليمن: بم تقضيان؟

قالا: إن لم نجد الحكم في السنّة، قسنا الأمر بالأمر، فما كان أقرب إلى الحقّ عملنا به. ^(٢) كما نقله الرازي في المحصول، وقال: روي أنّه أنفذ معاذاً وأبا موسى الأشعري إلى اليمن فقال ﷺ لهما: بم تقضيان؟ فقالا: إذا لم نجد الحكم في السنّة نقيس الأمر بالأمر فما كان أقرب إلى الحقّ عملنا به.

فقال ﷺ: أصبتما. ^(٣)

١ . أخرج ابن ماجة في سننه: ٢١/١ برقم ٥٥.

٢ . أبو الحسين البصري: المعتمد: ٢٢٢/٢.

٣ . الفخر الرازي: المحصول: ٢٥٤/٢.

وتبعه الأرموي في التحصيل من المحصول. ^(١)
والظاهر أنّ الحديث نقل بالمعنى حسب فهم الراوي، ولم نعثر على هذا النصّ في الصحاح
والمسانيد.

نعم أخرج أحمد، عن أبي بردة، عن أبي موسى أنّ رسول اللّٰه بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن
فأمرهما أن يعلّما الناس القرآن. ^(٢)

١ . التحصيل من المحصول: ١٦٣/٢ .

٢ . مسند أحمد بن حنبل: ٣٩٧/٤ .

٢- أبي بن كعب الأنصاري

(... - ٣٠ هـ -)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. طلوع الشمس بيضاء لا شعاع لها.

٢. جزاء من تعزى بالجاهلية.

٣. آيتان كانتا عند أبي بن كعب.

٤. نسيان ما نزل في أحد من الآية.

٥. أول من يصفحه الحقّ عمر.

أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن نجار، أبو منذر الأنصاري النجاريّ المدنيّ، المقرئ البدرى، يكتى أبا الطفيل.

شهد العقبة وبدراً، وجمع القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعرض عليه وحفظ عنه علماً.

روي عن أنس أنّ النبي ﷺ قال لأبي بن كعب: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، وفي لفظ: أمرني أن أقرئك القرآن.

قال: الله سماني لك؟ قال: نعم، قال: ودُكرت عند ربّ العالمين؟ قال: نعم، فذرفت عيناه.
 روى عنه: عبادة بن الصامت، و ابن عباس، وعبد الله بن خباب، و ابنه الطفيل ابن أبي.
 وكان أبي يكتب في الجاهلية قبل الإسلام، وكانت الكتابة في العرب نادرة، وكان يكتب في
 الإسلام الوحي لرسول الله ﷺ، وعهده إذا عاهد، وصلحه إذا صالح، ولا يُبي في الكتب
 الستة نيف و ستون حديثاً، وله في مسند «بقي بن م-حُد» مائة و أربعة وستون حديثاً منها في
 البخاري ومسلم ثلاثة أحاديث، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بسبعة.
 وقد اختلفوا في تاريخ وفاته، فمن قائل بأنه تُوفي في خلافة عمر بن الخطاب عام ٢٢ هـ-، ولما
 نُعي إلى عمر، قال: اليوم مات سيد المسلمين.

ومنهم من يقول: إنّه مات في خلافة عثمان سنة ٣٠ هـ-، ويرجح ابن حجر، ويقول: هو
 أثبت الأقاويل، ويؤيده ما دار بينه و بين عثمان من الحوار في قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ
 الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة/٣٤) وكان عثمان
 يقرأه بلا واو «الذين» خلافاً لأبي فكان يقرأه «والذين» فطال الحوار بينهما، فقال أبي غاضباً:
 لتلحقنّها أو لأضعنّ سيفي على عاتقي، وهو يريد بأنّه لا بدّ من أن تعود الواو عاطفة إلى مكانها
 أو ليتوصل إلى ذلك بالقوة (١). (٢)

و بلغت أحاديثه في المسند الجامع ٩٢ حديثاً. (٣)

ولنذكر من روائع رواياته شيئاً ثمّ نردفها بما لا يصحّ عزوه إليه.

١ . الدر المنثور، في تفسير الآية.

٢ . أسد الغابة: ٤٩/١؛ الطبقات الكبرى: ٤٩٨/٣؛ سير اعلام النبلاء: ٣٨٩/١ برقم ٨٢.

٣ . المسند الجامع: ١٧/١ برقم ٣.

روائع أحاديثه

١. أخرج عبد الله بن أحمد، عن ابن أبي الجوزاء، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: يا بلال اجعل بين أذنانك وإقامتك نفساً يفرغ الأكل من طعامه في مهل، ويقضي المتوضي حاجته في مهل. ^(١)
٢. أخرج ابن ماجه، عن أبي بصير، عن أبي بن كعب: قال: قال رسول الله ﷺ: صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاة الرجل وحده أربعاً وعشرين، أو خمساً وعشرين درجة. ^(٢)
٣. أخرج أحمد في مسنده، عن الحسن، أنّ عمر أراد أن ينهي عن متعة الحجّ، فقال له أبي: ليس ذلك لك، قد تمتعنا مع رسول الله ﷺ ولم ينهنا عن ذلك، فاضرب عن ذلك عمر، و أراد أن ينهي عن حلال الحيرة لآتمها تصبغ بالبول، فقال له أبي: ليس ذلك لك قد لبسهنّ النبي ولبسناهنّ في عهده. ^(٣)
٤. أخرج ابن ماجه، عن أبي رافع، عن أبي بن كعب، أنّ النبي كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فسافر عاماً، فلما كان من العام المقبل اعتكف عشرين يوماً. ^(٤)
٥. أخرج البخاري في صحيحه عن سويد بن غفلة، قال: لقيت أبي بن كعب... فقال: وجدت صرة على عهد النبي ﷺ فيها مائة دينار، فأتيت النبي ﷺ، فقال: عرفها حولاً. فعرفتها حولاً فلم أجد من يعرفها، ثم أتيتها، فقال: عرفها حولاً، فعرفتها فلم

١ . مسند أحمد: ١٤٣/٥ .

٢ . سنن ابن ماجه: ٢٥٩/١ برقم ٧٩٠ .

٣ . مسند أحمد: ١٤٣/٥ .

٤ . سنن ابن ماجه: ٥٦٢/١ برقم ١٧٧٠ .

أجد، ثم أتيت ثلاثاً، فقال: احفظ وعاءها وعددها ووكاءها، فإن جاء صاحبها وإلا فاستمتع بها، فاستمتعت.

قال شعبة: فلقيته يعني سلمة بن كهيل بعد بمكة، فقال: لا أدري ثلاثة أحوال أو حولاً واحداً.^(١)

وقد اتفق أئمة أهل البيت عليهم السلام على أنه يكفي تعريفها حولاً واحداً، ولعلّ أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتعريف ثلاثة أحوال للتأكد أو لكون اللقطة ذات قيمة مالية لا يستهان بها. وإليك بعض رواياته السقيمة التي عزيت إليه:

١. طلوع الشمس بيضاء لا شعاع لها

أخرج مسلم في صحيحه، عن زرّ بن حبيش، قال: سمعت أبي بن كعب، يقول: وقيل له: إنّ عبد الله بن مسعود، يقول: من قام السنة أصاب ليلة القدر، فقال أبي: والله الذي لا إله إلا هو أنّها لفي رمضان، والله أنّي لأعلم أي ليلة هي هي الليلة التي أمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقيامها، هي ليلة صبيحة ٢٧، وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها.^(٢)

أقول: ثمّة اشكالان على الحديث:

الأول: أنّ من جرّب طلوع الشمس في صبيحة يوم السابع والعشرين من رمضان يرى أنّها لا تختلف عن طلوعها في صبيحة اليوم السابق واللاحق، وما ذكره ليس له واقع ملموس.

١ . صحيح البخاري: ١٢٦/٣، كتاب اللقطة، الحديث الأول؛ صحيح مسلم: ١٣٦/٥، كتاب اللقطة.

٢ . صحيح مسلم: ١٧٨/٢، باب الترغيب في قيام رمضان.

الثاني: جرت سنة الله تبارك وتعالى على كون الشمس ذات أشعة مستتيرة تبثها في الكون و يصل إلى الأرض مقدار ضئيل جداً منها.

وأما رويتها بلا شعاع، فهي تابعة للأوضاع الجوية، فإذا كان الجو صحواً ثرى الشمس وهي ترسل بأشعتها، بخلاف ما إذا كان ملبداً لا سيما أوان الطلوع فتراها قرصاً محمراً.

٢. جزاء من تعزى بالجاهلية

أخرج أحمد في مسنده، عن أبي عثمان، عن أبي بن كعب: أنّ رجلاً اعتزى، فأعضه أبي بهن أبيه، فقالوا: ما كنت فحاشاً، قال: إنّنا أمرنا بذلك. ^(١)

وأخرج أيضاً عن عتي بن ضمرة، عن أبي بن كعب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه ولا تكتنوا. ^(٢)

أقول: إنّ غاية ما كان يجب على أبي بن كعب أن يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر على النحو الذي أمر الكتاب به ، قال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل/١٢٥) لا ما جاء في الرواية من مقابلة المنكر بمنكر أبشع منه.

ناهيك عم-١ روي من أنّ سباب المؤمن فسوق. ^(٣)

وما روى عن أسامة بن زيد حيث قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الله لا يحب كلّفاحش متفحش. ^(٤)

١ . مسند أحمد: ١٣٣/٥ .

٢ . مسند أحمد: ١٣٦/٥ .

٣ . صحيح مسلم: ٥٨/١، باب قول النبي ﷺ : سباب المسلم فسوق وقتاله كفر .

٤ . مسند أحمد: ٢٠٢/٥ .

٣. آيتان كانتا عند أبي بن كعب فقط

أخرج أحمد في مسنده ، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، أنّهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر، فكان رجال يكتبون و يملئ عليهم أبي بن كعب، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة ﴿ثُمَّ انص-رفوا ص-رف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ فظنوا أنّ هذا آخر ما أنزل من القرآن.

فقال لهم أبي بن كعب: إنّ رسول الله ﷺ أقراني بعدها آيتين ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ إلى ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

ثمّ قال: هذا آخر ما أنزل من القرآن. (١)

ونعلق على الحديث بالقول:

أولاً: قد ثبت فيما سبق أنّ القرآن جمع على عهد النبي ﷺ ، فكيف ينسب الجمع إلى عهد الخلافة، فهذه الرواية تعارض ما تضافر من أنّ القرآن جمع على عهد ﷺ .
ثانياً: أنّ معنى الرواية أنّ بعض آيات الذكر الحكيم وصلت إلينا عن طريق الأحاد وهو أبي بن كعب، فلولاها لم يكن لها أثر.

ثالثاً: ما ذكره يعارض ما روي عن زيد بن ثابت.

أخرج البخاري: أنّ أبا بكر قال لزيد: أنت رجل شاب عاقل لانتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن وأجمعه - إلى أن قال: قال زيد: فكنت أتتبع القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ حتى خاتمة براءة.... (٢)

١ . مسند أحمد: ١٣٤/٥ والآيات ١٢٧ - ١٢٩ من سورة التوبة.

٢ . صحيح البخاري: ١٨٣/٦، باب جمع القرآن.

٤ . نسيان ما نزل في أحد من الآيات

أخرج أحمد في «مسنده»، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب أنه أصيب يوم أحد من الأنصار أربعة وستون وأصيب من المهاجرين ستة، فمثلوا بقتلاهم.

فقلت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً من الدهر لنربين^(١) عليهم. فلما كان يوم فتح مكة نادى رجل من القوم لا يعرف: لا قريش بعد اليوم، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾.

فقال نبي الله: كفوا عن القوم^(٢)

وفي رواية السيوطي: فقال رسول الله: نصبر ولا نعاقب، كفوا عن القوم إلا أربعة^(٣).

نعلق على الحديث، و نقول:

إنّ المفسرين اتفقوا - تبعاً للروايات - على أنّ قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا...﴾ نزل في أحد. حيث إنّ المشركين مثلوا بحمزة وأراد المسلمون أن يمثلوا بسبعين من الكافرين إذا استولوا عليهم في قبال حمزة فنزلت الآية^(٤)

وقد تلاها النبي ﷺ وسمعها الصحابة و مع ذلك كيف يقول القائل يوم فتح مكة: لا

قريش بعد اليوم، أو ليس ذلك اجتهاداً في مقابل النص؟

ولو افترضنا أنّ القائل لم يسمع كلام الله سبحانه - وإن كان الاحتمال بعيداً جداً - فكيف

يصحّ لرسول الله ﷺ بعد نزول الآية

١ . لنربين: لنزيدن في التمثيل بقتلاهم.

٢ . مسند أحمد: ١٣٥/٥، سنن الترمذي: ٢٩٩/٥ برقم ٣١٢٩، والآية ١٢٦ من سورة النحل.

٣ . السيوطي: الدر المنثور: ١٧٩/٥.

٤ . الدر المنثور: ١٧٩/٥.

ثانياً في مكة المكرمة أن يقول: نصبر ولا نعاقب أو كقوا عن القوم؟ أو ليس معنى ذلك أنّ النبي ﷺ كان موافقاً لنداء المنادي ولكنّه عدل عن رأيه بعد نزول الآية؟ ومعنى ذلك أنّ النبي نسي مضمون الآية وصمم على استئصال شأفة قريش حتى عدل عن رأيه بعد نزول الآية مرة أخرى، وقال: نصبر ولا نعاقب وكأنّه لولا نزول الآية لما صبر و عاقب ولما كفّ عنهم.

والرواية على افتراض الصحة نقلت مضطربة خصوصاً بالنظر إلى سائر صورها.

٥. أوّل من يصفحه الحق عمر

أخرج ابن ماجة في سننه، عن سعيد بن المسيب، عن أبي بن كعب، قال:

قال رسول الله ﷺ: أوّل من يصفحه الحقّ عمر، وأوّل من يسلمّ عليه، وأوّل من يأخذ

بيده فيدخله الجنة. (١)

الحديث ظاهر أنّ الله سبحانه أوّل من يصفح عمر بن الخطاب وهو يلازم كونه سبحانه ذا يد

يصفح بما غيره، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

وإن كان الحديث كناية عن نزول الرحمة عليه قبل كلّ أحد ففي الأئمة من هو أفضل منه باتّفاق

الفريقين فكيف يقدّم المفضول على الفاضل؟!

١ . سنن ابن ماجة: ٣٩/٢ برقم ١٠٤، قال في الزوائد: اسناده ضعيف فيه داود بن عطاء المدني وقد اتفقوا على ضعفه وباقي رجاله ثقات، وقال السيوطي: قال الحافظ عماد الدين بن كثير في جامع المسانيد، هذا الحديث منكر جداً، وما هو أبعد من أن يكون موضوعاً.

٣- العباس بن عبد المطلب الهاشمي

(٥٤ق . هـ - - ٣٢هـ-)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١ . الله فوق العرش.

٢ . أبو طالب في النار.

هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم عمّ النبي ﷺ ، ولد قبل عام الفيل بثلاث سنين، وكان من أطول الرجال، وأحسنهم صورة، وأبهاهم، وأجهرهم صوتاً مع الحلم الوافر والسودد، وكان العباس في الجاهلية رئيساً في قريش، وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية في الجاهلية. أسلم قبل الهجرة وكنتم إسلامه.

وكان بمكة يكتب إلى رسول الله ﷺ أخبار المشركين وكان من بمكة من المسلمين يتقون به وكان لهم عوناً على إسلامهم، وأراد الهجرة إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : مقامك بمكة خير، فلذلك قال رسول الله ﷺ يوم بدر: من لقي العباس فلا يقتله، فإنه أخرج كرهاً، و مع ذلك أخذ منه حين الأسر عشرون أوقية ذهباً، وأطلق سراحه.

فقال العباس: يا رسول الله: إني كنت مسلماً، فنزل قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ (الأنفال/٧٠).

ثم إنَّ العباس لما كثرت ماله بعد إسلامه أخذ يتفاخر بهذه الآية، ويقول: أعطاني الله مكان العشرين أوقية في الإسلام، عشرين عبداً كلَّهم في يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله. ومما يدل على أنه أسلم قبل الهجرة هو أنه حضر بيعة العقبة في أسفلها، وقال لمن حضر فيها من أهل يثرب: يا معشر الخزرج، قد دعوتم مُحمَّداً إلى ما دعوتموه، وهو من أعزَّ الناس في عشيرته، يمنعه والله من كان منّا على قوله و من لم يكن، وقد أباي مُحمَّد الناس كلهم غيركم، فإن كنتم أهل قوة وجلد وبصر بالحرب، واستقلال بعداوة العرب قاطبة، فإنها ستزيمكم عن قوس واحدة، فارتووا رأيكم وائتمروا أمركم، فإن أحسن الحديث أصدق.

توفي سنة ٣٢ من الهجرة وله ٨٦ سنة.

يقول الذهبي: وله قبة عظيمة شاهقة على قبره بالبقيع. ^(١)

وهو من المقلين في الرواية.

جمعت أحاديثه في المسند الجامع، فبلغت ٢١ رواية. ^(٢)

١ . ومن عجيب ما وقفت عليه في سير أعلام النبلاء أنه يقول: وقد صار الملك في ذرية العباس، واستمر ذلك وتداوله تسعة وثلاثون خليفة إلى وقتنا هذا، وذلك ستمائة عام، أولهم السفاح وخليفة زماننا، المستكفي له الاسم المنبري والعقد والحل بيد السلطان الملك الناصر أيدهم الله (سير أعلام النبلاء: ٩٩/٢-١٠٠).

وجه التعجب هو أنّ الذهبي توفي عام ٧٤٨ هـ - فكيف يقول (إلى وقتنا هذا و ذلك ستمائة عام) وليس في العبارة ما يفيد أنه ينقل ذلك عن غيره، وقد قضى الوثنيون من المغول على الخلافة العباسية قبل أن يولد الذهبي وذلك عام ٦٥٦ من الهجرة فلاحظ.

٢ . المسند الجامع: ١٢٢/٨-١٣٧ برقم ٣٣٧، وقد راجعنا في ترجمة العباس سير أعلام النبلاء: ٧٨/٢ برقم ١١ ؛ أسد الغابة: ١٠٩/٣.

من روائع رواياته

١. أخرج مسلم في صحيحه، عن عامر بن سعد، عن العباس بن عبد المطلب، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً، وبالإسلام ديناً و بمحمد رسولاً». (١)

٢. أخرج الترمذي، عن عبد الله بن الحارث، عن العباس بن عبد المطلب، قال: قلت: يا رسول الله، علّمني شيئاً أسأله الله عزّ وجلّ؟ قال: سل الله العافية، فمكثت أياماً، ثمّ جئت، فقلت: يا رسول الله: علّمني شيئاً أسأله الله، فقال لي: يا عباس، يا عمّ رسول الله: سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة. (٢)

هذا بعض ما روي عنه من روائع أحاديثه، وعزيت إليه أحاديث أخرى لا تستقيم مع الضوابط السالفة الذكر.

١. الله فوق العرش

أخرج ابن ماجة في سننه، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب، قال: كنت بالبطحاء في عصابة، وفيهم رسول الله ﷺ فمرّت به سحابة فنظر إليها. فقال ما تسمون هذه؟

قالوا: السحاب، قال: والمزن، قالوا: «والمزن»: قال: «والعنان» قال أبو بكر: قالوا: والعنان، قال: كم ترون بينكم وبين السماء؟ قالوا: لا ندري.

قال: فإنّ بينكم وبينها إمّا واحداً أو اثنين أو ثلاثاً وسبعين سنة، والسماء

١. صحيح مسلم: ١/٤٦، باب من لقي الله بالإيمان.

٢. سنن الترمذي: ٥/٥٣٤ برقم ٣٥١٤، الباب ٨٥.

فوقها كذلك حتى عدّ سبع سماوات. ثمّ فوق السماء السابعة بحر، بين أعلاه وأسفله كما بين السماء إلى سماءٍ. ثمّ فوق ذلك ثمانية أوعال. بين أظلافهنّ ورُكْبِهِنَّ كما بين سماء إلى سماء، ثمّ على ظهورهنّ العرش. بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء. ثمّ الله فوق ذلك تبارك وتعالى. (١)

إنّ الحديث يخالف القرآن أوّلاً، والعقل الصريح ثانياً.

أمّا الأوّل، إنّ الذكر الحكيم يعرفه سبحانه موجوداً منزهاً من أن يحويه زمان أو مكان قال سبحانه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ إلى أن قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد/٣-٤).

وقال عزّ من قائل: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة/٧).

وما تلوناه عليك من الآيات وغيرها صريحة في أنّه سبحانه موجود فوق أن يحوطه زمان ومكان خاص بل الأزمنة والأمكنة إليه سواسية، فهو كائن في جميعها وهذه الكينونة لا تعني حلول ذاته في الأمكنة و الأزمنة تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، بل المراد حضوره في الكون لأجل قيام الأشياء به قيام المعلول بعلته والصورة الذهنية بالذات بل أدق و ألطف من ذلك، ومعه كيف يصحّ ما في الرواية أنّ الله فوق العرش؟!

ومّا لا ينقضي منه العجب أنّ إمام الحنابلة صار يؤول هذه الآيات بأنّ المراد إحاطة علمه بالأشياء لا إحاطة وجوده وإلّا يلزم أن يكون وجوده في

١ . سنن ابن ماجه: ٦٩/١ برقم ١٩٣. و «أوعال» جمع «وعيل» وهو تيس الجبل وكأها كناية عن الملائكة بصورته، و «إظلاف» جمع «الظلف» للبقر والغنم، كالمخفر للفرس.

الأمكنة غير النقية والنزيهة. (١)

يلاحظ عليه: أنّ ما ذكره تأويل بلا دليل، ولو قام أحد من المعتزلة أو غيرهم بتفسير الآيات على النحو الذي ذكره إمام الحنابلة، لزمي بالجهمية.
وأما الثاني فلاّته سبحانه هو الخالق للعرش، فأين كان قبل أن يخلق العرش؟ وإلاّ يلزم قدم العرش كقدمه سبحانه و يلزم منه تعدد القديم، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

٢. أبو طالب في النار

أخرج مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن العباس ابن عبد المطلب، أنّه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء فأنّه كان يحوطك ويغضب لك.

قال: نعم، هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار. (٢)

إنّ الحديث يخالف الكتاب والسنة الثابتة، وذلك لأنّه لو افترضنا أنّ أبا طالب مات مشركاً لما قبلت شفاعة النبي ﷺ في حقّه، والمفروض أنّه ﷺ شفع له فأخرجه من الدرك الأسفل إلى ضحضاح من نار، مع أنّه سبحانه يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا الْأَصْحَابَ الْيَمِينِ* فِي جَنّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ* عَنِ الْمُجْرِمِينَ* مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشّافِعِينَ﴾ (المدثر / ٣٨ - ٤٨).

١ . وعلى ذلك جرى الحنابلة و السطحيون من الأشاعرة. لاحظ كتاب السنة لأحمد ٤٧ ؛ و عون المعبود في سنن أبي داود: ٣٤/١٣.

٢ . صحيح مسلم: ١/١٣٤ - ١٣٥، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب.

فشفاة النبي ﷺ للمؤمنين من أمتة المذنبين منهم لا للمشركين، كيف وقال سبحانه: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْوَاً وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَائِي وَلَا شَفِيعَ﴾ (الأنعام/٧٠).

فالحديث موضوع على لسان أخي أبي طالب ليعرّ الناس به. ويكفيك في كون الحديث موضوعاً أنه سبحانه حكى أنّ آل فرعون يعرضون على النار صباحاً ومساءً قبل القيامة وبعدها يُدخلون أشدّ العذاب، قال سبحانه: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر/٤٦) و المفروض أنّ أبا طالب انتقل إلى عالم البرزخ ولم تقم قيامته بعد، فكيف يدخله سبحانه في الدرك الأسفل من النار ثم يخفف عنه بشفاة النبي ﷺ ويجعل في ضحضاح من نار؟! أو كان هو أكثر جرماً من فرعون وآله مع أنّه كان كفيلاً للنبي وناصره طيلة ٤٢ سنة وقد لاقى في سبيل المحافظة على النبي ﷺ ما لاقى من المصائب والمتاعب، التي حفظها التاريخ؟!

أضف إلى ذلك ما في السند حيث إنّ عبد الملك بن عمير اللخمي الكوفي الوارد في السند هو الذي طال عمره وساء حفظه. قال أبو حاتم: ليس بحافظ تغير حفظه. وقال أحمد: ضعيف يغلط. وقال ابن معين: مخلط. وقال ابن خراش: كان شعبة لا يرضاه. وذكر الكوسج عن أحمد أنّه ضعفه جداً. ^(١) ثمّ إنّ الدلائل القاطعة تثبت إيمان أبي طالب، فالرواية كما هي مخالفة

١ . ميزان الاعتدال: ١٥١/٢.

للكتاب والسنة، تخالف أيضاً التاريخ الصحيح. يقول العلامة الأميني في هذا الصدد: أمّا ما ناء به سيد الأباطح أبو طالب سلام الله عليه من عمل بارّ وسعي مشكور في نصرة النبي ﷺ وكلاءته والذب عنه والدعوة إليه وإلى دينه الحنيف منذ بدء البعثة إلى أن لفظ أبو طالب نفسه الأخير، فكلّها نصوص على إسلامه الصحيح وإيمانه الخالص وخضوعه للرسالة الإلهية. (١) كما أنّ الظاهر من الحديث أنّ النبي ﷺ قام بهذه الشفاعة وهو في الدنيا مع أنّ الظاهر من حديث آخر أنّه سيقوم بها في الآخرة. أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ ذكر عنده عمّه أبو طالب، فقال: لعلّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه. (٢)

١ . الغدير: ٣٧٠/٧ بتلخيص.

٢ . صحيح مسلم: ١٣٥/١، باب شفاعة النبي لأبي طالب.

٤- عبد الله بن مسعود

(حدود ٣٣ ق.هـ - - ٣٣ هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. كل سيوِّجَه لما خلق له ٢. سبق الكتاب على الاختيار

٣. أمرنا بالسب ٤. الجماع لا يبطل الصوم

٥. لا عبرة بأذان بلال ٦. لا عدوى ولا صفر

٧. النساء يخلين المجلس لكي... ٨. النساء أكثر أهل النار

عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، أبو عبد الرحمان الهذليّ المكيّ المهاجريّ البدريّ حليف بني زهرة، كان من السابقين الأوّلين شهد بدرًا وهاجر المهجرتين، حدّث عنه أبو موسى وأبو هريرة وابن عباس وجابر وأنس ولفيف من التابعين.

يذكر هو بدايات إسلامه، ويقول: قدمتُ مكة مع عمومة لي أو أناس من قومي، نبتاع منها متاعاً، وكان في بغيتنا شراء عطر، فأرشدونا على العباس فانتبهينا إليه، وهو جالس إلى زمزم، فجلسنا إليه، فبينما نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا، أبيض تعلوه حمرة، له وفرة جعدة إلى أنصاف اذنيه، أشمّ، أقي، أذلف

أدعج العينين، براق الثنايا، دقيق المسربة، شثن الكفين و القدمين، كث اللحية عليه ثوبان أبيضان، كأنه القمر ليلة البدر، يمشي على يمينه غلام حسن الوجه، مراهق أو محتلم، تفوهم امرأة قد سترت محاسنها، حتى قصد نحو الحجر، فاستلم ثم استلم الغلام واستلمت المرأة ثم طاف بالبيت سبعاً، وهما يطوفان معه، ثم استقبل الركن، فرفع يده وكتب -ر، وقام ثم ركع، ثم سجد ثم قام فرأينا شيئاً أنكرناه لم نكن نعرفه بمكة فأقبلنا على العباس، فقلنا: يا أبا الفضل! إن هذا الدين حدث فيكم أو أمر لم نكن نعرفه؟ قال: أجل والله ما تعرفون، هذا ابن أخي محمد ابن عبد الله والغلام علي بن أبي طالب، والمرأة خديجة بنت خويلد امرأته أما والله ما على وجه الأرض أحد نعلمه يعبد الله بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة. (١)

كان ابن مسعود أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ ، اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط فمَنْ رجل يُسمعه، فقال عبد الله بن مسعود: أنا، فقالوا: إننا نخشاهم عليك إنما نريد رجلاً له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه، فقال: دعوني فإن الله سيمنعني فغدا عبد الله حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام، فقال رافعاً صوته: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ فاستقبلها فقرأ بها، فتأملوا فجعلوا يقولون ما يقول ابن أم عبد، ثم قالوا: إنّه ليتلو بعض ما جاء به محمد فقاموا فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك، فقال: ما كان أعداء الله قط أهون عليّ منهم الآن ولن شئتم غاديتهم بمثلها غداً، قالوا: حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون. (٢)

وقد بعثه عمر إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم وبعث عماراً أميراً وكتب

١ . سير اعلام النبلاء: ١/٤٦٣ برقم ٨٧.

٢ . أسد الغابة: ٣/٢٥٧.

إليهم: أنّهما من النجباء من أصحاب محمد من أهل بدر، فاقتدوا بهما، واسمعوا من قولهما، وقد آثرتكم بعبد اللّٰهين مسعود على نفسي. ^(١)

وكان بينه وبين عثمان مشاحة لأنّ عثمان عزل سعد بن أبي وقاص ونصب مكانه الوليد بن عقبة، وكان مفاتيح بيت المال بيد عبد الله بن مسعود، وكان لا يأتمر بما يأمره الوليد بن عقبة في التصرف في أموال بيت المال إلى أن اضطر إلى التخلي عن هذا المنصب، وألقى مفاتيح بيت المال إلى الوليد بن عقبة، وقال: من غير غير الله ما به، ومن بدّل أسخط الله عليه، وما أرى صاحبكم إلا وقد غير وبدّل، أيعزل مثل سعد بن أبي وقاص ويؤلّى الوليد وكان يتكلم بكلام لا يدعه وهو: إنّ أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملّة إبراهيم، وأحسن السنن سنّة محمد ﷺ، وخير الهدى هدى الأنبياء، وأشرف الحديث ذكر الله وخير القصص القرآن، وخير الأمور عواقبها، وشر الأمور محدثاتها - إلى أن قال: - وشر الندامة ندامة القيامة، وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى. ^(٢)

أفكتب الوليد إلى عثمان بذلك، فكتب إليه عثمان يأمره بإشخاصه فاجتمع الناس، فقالوا: أقم، ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه، فقال: إنّها ستكون أمور وفتن لا أحب أن أكون أوّل من فتحها، فردّ الناس وخرج إلى عثمان. ^(٣)

وعلى آية حال لما مرض ابن مسعود أوصى أن لا يصلّي عليه عثمان فدفن بالبقيع، وعثمان لا يعلم فلما علم غضب، وقال: سبقتموني به، فقال له عمار بن ياسر: إنّّه أوصى أن لا تصلّي عليه، فتمثل الزبير:

١ . الاستيعاب: ٣١٥/٢؛ الإصابة: ٣٦٠-٣٦٢ برقم ٤٩٥٤.

٢ . حلية الأولياء: ١٣٤/١ - ١٣٩ برقم ٢١.

٣ . سير اعلام النبلاء: ٤٨٩/١؛ الإصابة: ٣٦٠/٢ - ٣٦١ برقم ٤٩٥٤.

لألفيتك بعد الموت تندبن--ي وفي حياتي ما زودتني زادا (١)
توفي سنة ثلاث وثلاثين وكان عمره يوم توفي بضعا وستين سنة.
وأخيراً أتفقنا له في الصحيحين على ٦٤ حديثاً، وانفرد له البخاري بإخراج ٢١ حديثاً، ومسلم
بإخراج ٣٥ حديثاً. وله عند بقيّ بالمكرر ٨٤٠ حديثاً.
وقد جُـمِعَت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ٤٨٦ حديثاً.
فلنذكر شيئاً من روائع أحاديثه:

١. أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي الأحوص عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ
: سباب المسلم أخاه فسوق، وقتاله كفر، وحرمة ماله كحرمة دمه. (٢)
٢. أخرج مسلم في صحيحه عن سعد بن أياس أبي عمرو الشيباني عن عبد الله بن مسعود،
قال: سألت رسول الله ﷺ : أيّ العمل أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها، قال: قلت: ثمّ أيّ؟
قال: برؤالدين، قال: قلت: ثمّ أيّ؟ قال: الجهاد في سبيل الله فما تركت استزيده إلاّ إرعاءً
عليه. (٣)

٣. أخرج الإمام أحمد، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ : الأيدي
ثلاثة فيد الله العليا، ويد المعطي التي تليها، ويد السائل السفلى. (٤) وفي مسند ابن خزيمة (هذه
الزيادة) إلى يوم القيامة، فاستعفّ عن السؤال ما استطعت. (٥)

-
- ١ . الغدير: ٥/٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد: ٢٣٦/١؛ المستدرک: ٣١٣/٣؛ الاستيعاب: ٣١٦/٢.
 - ٢ . مسند أحمد: ٤٤٦/١؛ ورواه النسائي أيضاً في ١٢١/٧، باب قتال المسلم مختصراً إلى قوله وقتاله كفر.
 - ٣ . صحيح مسلم: ٦٣/١، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال.
 - ٤ . مسند أحمد: ٤٤٦/١.
 - ٥ . لاحظ المسند الجامع: ٥٨٦/١١.

٤. أخرج ابن ماجة عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ وهو على ناقته المخضمة بعرفات، فقال: أتدرون أيّ يوم هذا، وأيّ شهر هذا، وأيّ بلد هذا؟ قالوا: هذا بلد حرام، وشهر حرام، ويوم حرام، قال: ألا وإنّ أموالكم ودماءكم عليكم حرام كحرمة شهركم هذا، في بلدكم هذا، في يومكم هذا. ألا وإني فرطكم على الحوض وأكاثركم بالأمم فلا تسودوا وجهي، ألا وإني مُسْتَنْقِذُ أناساً، ومُسْتَنْقِذُ مَنِّي أناس، فأقول: يا ربّ أضحائي؟ فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. (١)

في الزوائد: اسناده صحيح.

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أنّ صحبة الرسول لا تلازم العدالة، وأنّه ليس كلّ صحابي عادلاً بل إنّ بعضهم أحدثوا وابتدعوا على وجه مُنعوا من الدخول على الحوض مع الرسول ﷺ وليس هذا نسيج وحده في هذا الموضوع، بل روى البخاري في كتاب الفتن نفس ذلك المضمون.

عن أبي وائل، قال: قال عبد الله، قال النبي ﷺ: أنا فرطكم على الحوض ليرفعنّ إليّ رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أيّ ربي أضحائي، يقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وروى أيضاً عن عبد الرحمان بن أبي حازم، قال: سمعت سهل بن سعد، يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: أنا فرطكم على الحوض، من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثمّ يُحال بيني وبينهم.

قال أبو حازم فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا، فقال:

١ . سنن ابن ماجة: ١٠١٦/٢ برقم ٣٠٥٧.

هكذا سمعت سهلاً، فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد عن أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه، قال: إنهم متي، فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن بدل بعدي. (١)

٥. أخرج الإمام أحمد، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل جعل حسنة ابن آدم بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلا الصوم، والصوم لي، وأنا اجزي به، وللصائم فرحتان: فرحة عند إفطاره، وفرحة يوم القيامة، ولخلف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. (٢)

٦. أخرج أبو داود عن ابن لعبد الله بن مسعود، عن ابن مسعود، قال: لا رضاع إلا ما شد العظم وأنبت اللحم. (٣)

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: لا يحرم من الرضاع إلا ما أنبت اللحم وانشر العظم. (٤)

وهذا الحديث يشطب على كثير من الآراء التي تُصوّر الخمس رضعات أو عشر رضعات أو المص والمصتان ينشرن الحرمة، والتفصيل في محله.

٧. أخرج النسائي عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله، قال: الولد للفراش وللعاهر الحجر. (٥)

٨. أخرج الإمام مسلم عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود، قال: جاء

١ . صحيح البخاري: ٤٦/٩ ، كتاب الفتن.

٢ . مسند أحمد: ١/٤٤٦.

٣ . سنن أبي داود: ٢/٢٢٢ برقم ٢٠٥٩.

٤ . مسند أحمد: ١/٤٣٢.

٥ . سنن النسائي: ١٨١/٦ ، باب إلحاق الولد بالفراش إذا لم ينفه صاحب الفراش.

رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحبَّ قوماً ولما يلحق بهم، قال رسول الله ﷺ: المرء مع من أحب. (١)

إنَّ من أحبِّ شيئاً يتبعه ويجعله أسوة، قال سبحانه «نقلًا عن أصحاب الجحيم»: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الفرقان/ ٢٨) وقال سبحانه: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف/ ٦٧).

٩. أخرج أبو داود، عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الغناء ينبت النفاق في القلب». (٢)

١٠. أخرج ابن ماجه، عن أبي عبيدة بن عبد الله، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ وسلم: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له». (٣)

١١. أخرج الترمذي، عن ربعي بن خراش، عن عبد الله بن مسعود قال: ثلاثة يحبهم الله: رجل قام من الليل يتلو كتاب الله، ورجل تصدَّق صدقة يمينه يخفيها، أراه قال: من شماله، ورجل كان في سرية فانهزم أصحابه فاستقبل العدو. (٤)

١٢. أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ الصدق برٌّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّة، وإنَّ العبد ليتحرَّى الصدق حتى يكتب عند الله صدقاً؛ وإنَّ الكذب فجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار، وإنَّ العبد ليتحرَّى الكذب حتى يكتب كذاباً. (٥)

-
- ١ . صحيح مسلم : ٤٣/٨ ، باب المرء مع من أحب ، من كتاب البر والصلة والآداب .
 - ٢ . سنن أبي داود : ٢٨٢/٤ برقم ٤٩٢٧ .
 - ٣ . سنن ابن ماجه : ١٤٢٠/٢ برقم ٤٢٥٠ .
 - ٤ . سنن الترمذي : ٦٩٧/٤ برقم ٢٥٦٧ .
 - ٥ . صحيح مسلم : ٢٩/٨ ، باب قبح الكذب وحسن الصدق ، من كتاب البر والصلة والآداب .

وله - رضوان الله عليه - أحاديث أخرى يعرب شموخ مضمونها عن صحتها، نعم عُرِّي إليه أحاديث لا تخلو عن إشكال أو إشكالات ولا بد من دراستها على ضوء الضوابط التي ألمعنا إليها في مقدمة الكتاب. وإليك البيان:

١. كلُّ سيوجه لما خلق له

أخرج الإمام أحمد، عن أبي عبيدة بن عبد الله، قال: قال عبد الله، قال رسول الله ﷺ: إنَّ النطفة تكون في الرحم أربعين يوماً على حالها لا تغير، فإذا مضت الأربعون صارت علقة، ثم مضت كذلك، ثم عظماً كذلك، فإذا أراد الله أن يسوي خلقه بعث إليها ملكاً، فيقول الملك الذي يليه أي ربّ أذكر أم أنثى، أشقي أم سعيد، أقصير أم طويل، أناقص أم زائد، قوته وأجله، أصحح أم سقيم، قال: فيكتب ذلك كله فقال رجل من القوم: فقيم العمل إذاً وقد فرغ من هذا كله؟ قال: اعملوا فكلّسيوجه لما خلق له. (١)

إنّ مضمون الحديث لا يفترق عن الجبر قيد شعرة، ولأجل ذلك لما سمع الحاضر كلام النبي ﷺ، استغرب، وقال: «فقيم العمل إذاً وقد فرغ من هذا كله» أي إذا كان كلشيء مقدراً تقديراً قطعياً لا يتغير ولا يتبدل، شاء الإنسان أم لم يشأ، فما فائدة العمل والقيام بالفرائض والاجتناب عن المحرمات؟

وما أجيب به في الرواية عن السؤال، أعني قوله: «اعملوا فكلّسيوجه لما خلق له». جواب غير مفتح بل تقرير للإشكال، فإنّ محصل الجواب أنّ الله سبحانه قدّر مصير كل إنسان حيثما كان حينئذٍ، فكتب على جبين بعضهم السعادة، وعلى جبين الآخر الشقاء، وقد فرغ من التقدير فلا يبدل ولا يغيّر. وكل سيوجه لما خلق له.

١. مسند أحمد: ٣٧٤/١.

وأنت جد عليم بأنه إذا فرغ سبحانه من التقدير، وكلا إنسان سيوجه لما خلق له شاء أم لم يشأ، فيكون العمل والطاعة لغواً، لأنّ تقديره سبحانه لا يتغير ولا يبدل، فهو سينتهي إلى الجنة عمل أم لم يعمل، فما هو فائدة العمل كما سينتهي إلى النار، عصى أم لم يعص؟

٢. سبق الكتاب على الاختيار

أخرج مسلم في صحيحه، عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود، قال: حدّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: إنّ أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمّه أربعين يوماً ثمّ يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثمّ يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثمّ يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقيّ أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها. (١)

قال الإمام النووي عند شرحه لهذا الحديث: «إنّ المراد بالذراع التمثيل للقرب من موته ودخوله عقبه وانتلك الدار ما بقي بينه وبين أن يصلها إلاّ كمن بقي بينه وبين موضع من الأرض ذراع. ثمّ أضاف: والمراد بهذا الحديث أنّها قد يقع في نادر من الناس لا أنّه غالب فيهم. ثمّ إنّه من لطف الله تعالى وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلى الخير في كثرة، وأمّا انقلابهم من الخير إلى الشر ففي غاية الندور ونهاية القلة، وهو نحو قوله تعالى: «إنّ رحمتي سبقت غضبي وغلبت غضبي».

١. صحيح مسلم: ٤٤/٨ باب كيفية خلق آدمي في بطن أمّه من كتاب القدر.

ويدخل في هذا من انقلب إلى عمل النار بكفر أو معصية، لكن يختلفان في التخليد وعدمه، فالكافر يخلد في النار و العاصي الذي مات موحداً لا يخلد فيها، وفي هذا الحديث تصريح بإثبات القدر وأن التوبة تخدم الذنوب قبلها، وأتمن مات على شيء حكم له به من خير أو شر إلا أن أصحاب المعاصي غير الكفر في المشيئة. (١)

أقول: لما كان الحديث بظاهره دالاً على الجبر، وأن القدر حاكم على مصير الإنسان شاء أم أبى، حاول النووي دفع الإشكالات بالبيان السابق وإن لم يذكر شيئاً من الإشكال، وما ذكره جواب غير ناجع، وإليك ما فيه من الإشكالات:

١. إن الذراع كناية عن قرب الإنسان من الموت، ففي هذا المجال كيف تكون التوبة أو الإسلام ناجعاً وقد قال سبحانه: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء/١٨).

٢. ذكر: أن المراد بهذا الحديث قد يقع في نادر من الناس لا أنه غالب فيهم، وما ذكره اجتهاد من جانبه لم يقد عليه دليل في الرواية لو لم نقل أن المتبادر هو الغالب، حيث يقول: إن أحكم ليعمل بعمل أهل الجنة... الخ.

٣. أن ظاهر الحديث أن الإنسان يكون على نهج ويريد أن يستمر على ذلك النهج إلى آخر عمره ولكن الكتاب (القدر) بما أنه الحاكم الحاسم في حياة الإنسان يسبق على إرادته ومشيعته، وبالتالي يعمل عملاً إما يجره إلى الجنة أو النار، فالدور للتقدير، - فهو الذي يدفع الإنسان إلى عمل الخير أو الشر - لا للإنسان ولا لإرادته واختياره، وعلى ذلك فلا صلة لما ذكره النووي من تفسيره بالتوبة وغيره من انقلاب الناس من الشر إلى الخير أو من الخير إلى الشر في ظل التوبة.

١ . شرح صحيح مسلم للنووي: ٤٣٤/١٦ - ٤٣٥.

٤. إنَّ من الغريب قوله: وهو نحو قوله تعالى: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي وَغَلَبَتْ غَضَبِي» مع أنَّ الوارد في المصحف قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ (غافر/٧)، مع أنَّ التعليل يصح في أحد الشطرين دون الشطر الآخر، إذ فيه يكون الأمر على العكس ويغلب غضبه رحمته. إنَّ هذا الحديث كأكثر ما ورد حول القدر والجبر أحاديث استوردها مستسلمة أهل الكتاب وبنوها في الأوساط الإسلامية وتلقاها السُدَّج حقائق راهنة وشوَّهوا بها سمعة الإسلام لدى الأجانب والغرباء، ولأجل ذلك ترى أنكثيراً من المستشرقين يعتقدون أنَّ الإسلام من دعاة القول بالجبر.

٥. أنَّ نبي الإسلام ﷺ أفصح من نطق بالضاد، وهو مالك أزمة الكلام فلو كان مراده ما يذكره النووي، فله أن يقول: إنَّه سبحانه سيوفقه للتوبة وعمل الخير فيصير من أهل الجنة، أو إنَّه يرتكب المعاصي فيصير من أهل النار.

٣. أمرنا بالسبِّ

أخرج ابن خزيمة، عن أبي عثمان، قال: سمع ابن مسعود رجلاً ينشد ضالة في المسجد فغضب وسبَّه، وقال له رجل: ما كنت فحاشاً يا ابن مسعود، قال: كنَّا نؤمر بذلك. (١)
والحديث مكذوب على لسانه، وقد مضى أنَّه روى عن النبيَّ قال: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر (٢) فكيف يسبِّ مؤمناً ينشد ضالته في المسجد وأقصى ما يمكن أن يكون عمله مكروهاً.

١ . مسند ابن خزيمة: ١٣٠٣ كما في المسند الجامع: ٥١٥/١١ برقم ٩٠٠٩.

٢ . صحيح مسلم: ٥٨/١، باب قول النبي: سباب المسلم فسوق.

٤. الجماع لا يبطل الصوم

أخرج النسائي في الكبرى، عن علقمة، عن عبد الله، أنّ رسول الله « ﷺ » خرج يوماً في رمضان ورأسه يقطر من جماع، فمضى في صومه ذلك اليوم. (١)

والرواية تخالف اتفاق المسلمين على أنّ الجماع يبطل الصوم وتخالف بصراحة، القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَعَكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ (البقرة/١٨٧).

أخرج أبو داود والبيهقي في سننه عن ابن عباس، قال: كان الناس على عهد رسول الله إذا صلّوا العتمة حرم عليهم الطعام والشراب والنساء وصاموا إلى القابلة، فأختان رجل (٢) نفسه، فجامع امرأته وقد صلى العشاء ولم يفطر، فأراد الله أن يجعل ذلك تيسيراً لمن بقي ورخصة ومنفعة. فقال: (علم الله أنّكم كنتم تختانون أنفسكم...) [الآية ج فرخص لهم ويسر (٣)].

ومع ذلك كيف نقض النبي ﷺ الحكم وهو يندد بغيره. وتفسير الجماع في الرواية بالاحتلام في النوم، خلاف الظاهر جداً، وإلا فما معنى قوله «فمضى في صومه ذلك اليوم»؟

٥. لا عبرة بأذان بلال

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي عثمان، عن ابن مسعود، قال: قال

١ . المسند الجامع: ٥٩٨/١١ نقلاً عن النسائي في الكبرى عن الورقة (٤٠ - ب).

٢ . المراد هو عمر بن الخطاب بقرينة سائر الروايات.

٣ . الدر المنثور: ٤٧٧/١.

رسول الله ﷺ : لا يمنعاً أحداً منكم أذان بلال (أو قال: نداء بلال) من سحوره فإنه يؤذن (أو قال: ينادي) بليل ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم، وقال: ليس أن يقول: هكذا وهكذا (وصوب يده ورفعها) حتى يقول هكذا (وفرّج بين أصبعيه).^(١)

يلاحظ عليه: أنّ النبي ﷺ القائل بأنّ المرء إذا عمل شيئاً أتقنه كيف ينتخب إنساناً لإعلام الفجر وسائر الأوقات الشرعية، لكنّه يؤدّن قبل الوقت لغايات خاصّة، وليس كالأحد مطلعاً على نية بلال، وأنّه يأذن لغاية إرجاع القائم وإيقاظ النائم، بل ربما يتصور دخول الفجر فيصلّي قبل الوقت، ويصوم قبل الفجر، وربما يجرم من تناول السحور.

٦. لا عدوى ولا صفر

أخرج الترمذي في سننه، عن أبي زرعة، قال: حدّثنا صاحب لنا عن ابن مسعود، قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: لا يعدي شيء شيئاً، فقال أعرابي: يا رسول الله البعير الجرب الحشفة بذنبه، فتجرب الإبل كلّها، فقال رسول الله ﷺ : فمن أجرب الأول؟ لا عدوى، ولا صفر، خلق اللّه كلنفس، وكتب حياتها، ورزقها، ومصائبها.^(٢)

إنّ العدوى عبارة عن انتشار المرض من سقيم إلى سليم و«الصفير» داء يصفر منه الوجه وهو المعروف ب- «اليرقان».

إنّ انتشار المرض بواسطة الجراثيم سنة من سنن الله تبارك وتعالى وقد بنيت عليه حياة الكائنات الحية وليس القول به منافياً لكونه سبحانه هو الخالق المدبر ولا خالق ولا مدبر سواه، لأنّ الأسباب الكونية من جنوده سبحانه مسخرة

١ . صحيح مسلم: ١٢٩/٣، باب بيان أنّ الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، من كتاب الصيام.

٢ . سنن الترمذي: ٤٥٠/٤ برقم ٢١٤٣. والحشفة: القرحة.

بمشيئته، وعلى ذلك فالقول بالعدوى والصفير يرجع حقيقته إلى أنه سبحانه خلق العالم على تلك السنن، فلو انتشر الجرب من بعير مريض إلى سالم فقد انتشر بأمره سبحانه، ولو أخضرت الحقول المكتظة بالأشجار بالماء فقد أخضرت بأمره ومشئته، لأنه سبحانه جعل الماء سبباً لنمو الأشجار واخضرارها حتى أنه سبحانه ربما يستدل بالسنن الكونية على توحيده. ويقول: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَّضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد/٤).

فإنه سبحانه يستدل باختلاف الأشجار والأثمار وتنوعها على الرغم من وحدة التراب والماء على أن ثمة قدرة قاهرة مدبرة للكون، وليست العلة الطبيعية هي السبب التام لتفتح براعم الأزهار واخضرار الأشجار، وإلّا يجب أن لا يحتضن العالم إلا نوعاً واحداً من الشجر لوحدة التراب والماء، فهذه الروايات حيكت على منوال إنكار الأسباب الطبيعية بزعم أنّ القول بها ينافي التوحيد في الخالقية، أو الربوبية. ولعل المصدر لهذه الرواية هو أبو هريرة وقد نقلها كما نقل ضدها.

أخرج البخاري، من طريق أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: « لا عدوى ولا صَفَرٌ ^(١) ولا هامة ^(٢) فقال أعرابي: يا رسول الله ما بال الإبل تكون في الرَّمْلِ كأنّها الطَّبَاءُ فيخالطها البعير الأجرّب فيجرب-ها، فقال رسول الله ﷺ: فمن أعدى الأول. ^(٣)

١ . ما يتوهم منه حصول الدواهي في شهر صفر.

٢ . هامة (بتخفيف الميم) طائر كان أهل الجاهلية يزعمون أنّ روح الميت تنقلب هامة، فأبطل الإسلام هذه الخرافة ولعل المراد منه اليوم الذي يضرب به المثل في الشوم.

٣ . صحيح البخاري: ١٣٨/٧، باب لا هامة من كتاب الطب.

كما نقل ضد هذا الحديث فروى مسلم في صحيحه، عن أبي سلمة أنه سمع أبا هريرة فيما بعد يحدث فيقول: قال النبي ﷺ : لا يورد ممرض على مصحّ، قال أبو سلمة: يا أبا هريرة ألم تحدث أنه لا عدوى؟ قال: فأنكر حديثه الأوّل ورطن بالخبشية. (١)

وقد تصرف البخاري في الحديث الثاني: لا تورّدوا الممرض على المصحّ، وحذف ذيل الحديث الذي رواه مسلم.

٧. النساء يخلين المجلس لكي...

أخرج الدارمي، عن عبد الله بن حلام، عن عبد الله بن مسعود، قال: رأى رسول الله امرأة فأعجبته، فأتى سودة وهي تصنع طيباً وعندها نساء، فأخلىنه، فقضى حاجته ثمّ قال: أيّما رجل رأى امرأة تعجبه فليقم إلى أهله، فإتبعها مثل الذي معها. (٢)

إنّ الرواية مشتملة على حكمة عملية، وهي أنّه إذا ثارت شهوة الرجل، فعليه أن يعالجها بحلال، وإلّا فرمّا ينتهي إلى الوقوع في الحرام، وقد ورد نظير ذلك على لسان الإمام علي عليه السلام عندما كان واقفاً مع أصحابه فمرّت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم، فقال عليه السلام: إنّ أبصار هذه الفحول طوامح، وأنّ ذلك سبب هبّابها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلمس أهله، فإتّما هي امرأة كامرأته. (٣)

١ . صحيح مسلم: ٣١/٧، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة من كتاب السلام؛ صحيح البخاري: ١٣٨/٧، باب لا عدوى من كتاب الطب.

٢ . سنن الدارمي: ١٤٦/٢، باب الرجل يرى المرأة فيخاف على نفسه.

٣ . نهج البلاغة، من كلماته القصار، برقم ٤٢٠.

ولكن الحديث الذي يرويه الدارمي يشتمل على شيء لا يصدر عن سُدَّحِ الناس، فضلاً عن النبي الأعظم ﷺ الذي ملئَ بالحياء من الفرق إلى القدم، حيث قال: «فأخلى عنه فقضى حاجته»، وهذا رهن أن ييوح النبي ﷺ بما في قلبه من الملازمة مع سودة، ويفهمه حتى يخلد في المجلس له، وهذا شيء لا يليق بالمؤمن فضلاً عن النبي ﷺ، وسيوافيك روايات كثيرة حول حياء النبي ﷺ عند دراسة أحاديث أنس.

٨. النساء أكثر أهل النار

أخرج الإمام أحمد في مسنده، عن وائل بن مهانة، عن عبد الله بن مسعود: أنّ رسول الله ﷺ قال: تصدقن يا معشر النساء ولو من خُلَيْكُنَّ فأنكن أكثر أهل النار، فقامت امرأة ليست من عليّة النساء، فقالت: لم يا رسول الله؟ قال: لا تُكْرَنَ تكثرن اللعن وتكفرن العشير. (١)

يلاحظ على الحديث أنّ هذا لا يناسب ما نعلم من النبي ﷺ من خلق عظيم، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم/٤)، وقد ورد في الكتاب الكريم كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال عزّ من قائل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل/١٢٥) فهذا يقتضي أن يكلمهنّ النبي ﷺ بنعمة ملائمة لا بقوله: فأنكن أكثر أهل النار.

ثمّ لو صحّ الحديث، وثبت أنّ الرسول أخبر بأنّ أكثر أهل النار هم النساء، فهناك سؤال آخر وهو أنّه كيف يكون النساء أكثر أهل النار مع أنّ الرجال أكثر

١ . مسند أحمد: ٣٧٦/١. ورواه أحمد عن أبي هريرة أيضاً لاحظ ٢٩٧/٢.

اقتراضاً للذنوب من النساء، لهيمنة الغضب والشهوة عليهم؟
ثم إنَّ إكثار اللعن ليس إلاّ دعاء، إذا صدر في غير محلّه يكون أشبه بدعاء غير مستجاب، فكيف يكون سبباً لدخول النار و خلودها؟ كما أنّ أكفار العشير ليس إلاّ عدم الوقوف على حقّهم، وهو إن لم يكن مقروناً بأمر محرّم، لا يوجب الدخول في النار بل يكون أمراً قليلاً.
إنّ الخط من شأن النساء، وجعل أكثرهنّ من أهل النار لا يختص بهذا الحديث، بل ثمة مرويات حول هذا الموضوع تعكس فكرة الجاهلية في حقّ النساء، وإليك نموذجاً:
أخرج أحمد، عن عمارة بن خزيمة، قال: بينا نحن مع عمرو بن العاص في حجّ أو عمرة، فقال:
بينما نحن مع رسول الله ﷺ في هذا الشعب إذ، قال:
انظروا هل ترون شيئاً؟ فقلنا: نرى غريبان، فيها غراب أعصم، أحمر المنقار والرجلين. فقال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنّة من النّساء إلاّ من كان منهنّ مثل هذا الغراب في الغرياب. (١)
والحديث كناية عن قلة عدد النساء في الجنّة و أنّه لا يدخل منهنّ إلاّ اليسير النادر، فكأنّه سبحانه خلق النساء للنار والرجال للجنة، تبارك وتعالى عن ذلك.

١ . مسند أحمد: ٤/١٩٧.

٥- أبو الدرداء الأنصاري

(... - ٣٣ هـ -)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. عدم منازعة ولاة الأمر.

٢. إبليس يواجه النبي بشهاب من نار.

٣. الفراغ من التقدير.

٤. لا يدخل الجنة مؤمن بسحر.

عومر بن مالك بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، أمه محبة بنت واقد ابن عمرو، تأخر إسلامه قليلاً وكان آخر أهل داره إسلاماً وحسن إسلامه، وكان فقيهاً عاقلاً حكيماً، أخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي، شهد ما بعد أحد من المشاهد وأول مشاهدته الخندق. ولي أبو الدرداء قضاء دمشق، وتوفي قبل أن يقتل عثمان بسنتين^(١) أي سنة ٣٣.

١. أسد الغابة: ٥/١٨٥، وفي سير اعلام النبلاء أنه توفي قبل عثمان بثلاث سنين، ونقل ابن سعد أنه توفي في الشام سنة ٣١ هـ.

روى عنه أنس بن مالك، وفضالة بن عبيد، وأبو أمامة، وعبد الله بن عمر، وابن عباس، وأبو إدريس الخولاني، وجبير بن نفير، وابن المسيب وغيرهم. (١)

أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا معاوية بن صالح، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي الدرداء أنه كان إذا حدث الحديث عن النبي ﷺ، يقول: اللهم إن لم يكن هكذا فشيئُهُ فشكُّه. (٢)

روى عن النبي ﷺ عدّة أحاديث، وهو معدود ممن تلا على النبي ﷺ، ولم يبلغنا أبداً أنه قرأ على غيره، وتصدر الإقراء بدمشق في خلافة عثمان وقبل ذلك.

ويظهر ممّا ذكره أصحاب المعاجم في حقّه أنّه كان متقشفاً، غير متعمق في الدين. ويدلّ عليه أمران:

الأوّل: نقل ابن سعد عن عمر بن مرّة: قال: سمعت شيخنا يحدث عن أبي الدرداء، أنّه قال: أحبّ الفقر تواضعاً لربّي، وأحبّ الموت اشتياقاً إلى ربّي، وأحبّ المرض تكفيراً لخطيئتي. (٣)

وقد زعم ذلك الصحابي الجليل أنّ ما كان يحبه ويرجّحه، أمر تلقاه الشرع بالقبول، ولكنّ أئمة أهل البيت والعرفاء الشاخصين يرضون بما قضى لهم الله سبحانه من الفقر والغنى، أو الموت والحياة، والمرض والصحة، ويطلبون رضی الله في كلّ حال، ويتّهمون بقول العارف الحكيم السبزواري:

و بهجة بما قضى الله رضا و ذو الرضا بما قضى ما اعترضنا
قيل: للحسن بن علي عليه السلام : إنّ أباً ذر، يقول: الفقر أحبّ إليّ من

١ . أسد الغابة: ١٦٠/٤ .

٢ . الطبقات الكبرى: ٣٩٢/٧ .

٣ . طبقات ابن سعد: ٣٩٢/٧ .

الغنى، والسقم أحبُّ إليَّ من الصحَّة. فقال: رحم الله أبا ذر. أمّا أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله له، لم يتمنَّ أنّه في غير الحالة التي اختارها الله له. (١)

الثاني: دخل سلمان بيت أبي الدرداء فإذا أم الدرداء متبذّلة، فقال: ما شأنك؟ قالت: إنّ أخاك لا حاجة له في الدنيا، يقوم الليل ويصوم النهار، فجاء أبو الدرداء، فرحّب به وقرب إليه طعاماً، فقال له سلمان: كُئِل، فقال: إيّ صائم، قال: أقسمت عليك لتفطرنّ فأكل معه ثمّ بات عنده، فلما كان من الليل أراد أبو الدرداء أن يقوم فمنعه سلمان، فقال: إنّ لجسدك عليك حقّاً، ولرئيتك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً. صم وأفطر، وصلّ وائتِ أهلك وأعط كلّ ذي حقّ حقه. فلما كان وجه الصبح، قال: قم الآن إن شئت، فقاما، فتوضّأ، ثمّ ركعا، ثمّ خرجا إلى الصلاة، فدنا أبو الدرداء ليخبر رسول الله بالذي أمره سلمان، فقال له: يا أبا الدرداء، اتلجسّدك عليك حقّاً، مثل ما قال لك سلمان.

وكانت له مواقف مشرقة، وهذا هو الإمام أحمد يروي أنّ أبا الدرداء لما سمع تسيير أبي ذر إلى الريدة استرجع قريباً من عشر مرات، ثمّ قال: ارتقبه واصطبر كما قيل لأصحاب الناقة، اللهمّ إن كذبوا أبذر، فإني لا أكذب به، اللهمّ وإن اتهموه فإني لا أتهمه، اللهمّ وإن استغشوه، فإني لا استغشه.

فإنّ رسول الله كان يأتّمه حين لا يأتّم أحداً، ويسرّ إليه حين لا يسرّ إلى أحد. أما والذي نفس أبي الدرداء بيده، لو أنّ أبا ذر قطع بميني ما أبغضته بعد الذي سمعت رسول الله ﷺ يقول:

ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر. (٢)

١ . تهذيب ابن عساکر: ٢٢٠/٤؛ البداية والنهاية: ٣٩/٨.

٢ . مسند أحمد: ١٩٧/٥.

وعلى أية حال فيروى له مائة وتسعة وسبعون حديثاً واتفقا له على حديثين، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثمانية. (١)

وقد جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١١٣ رواية.
فلنذكر شيئاً من روائع أحاديثه، ثم نعرج إلى الأحاديث السقيمة التي عزيت إليه.
روائع أحاديثه:

١. أخرج أبو داود في سننه، عن خلود العصري، عن أمّ الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: خمس من جاء بهنّ مع إيمان دخل الجنة، من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهنّ وركوعهنّ وسجودهنّ ومواقبتهنّ، وصام رمضان، وحجّ البيت إن استطاع إليه سبيلاً، وأعطى الزكاة طيبة بما نفسه، وأدى الأمانة.

قالوا: يا أبا الدرداء، وما أداء الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة. (٢)

ولا غبار على مضمون الرواية، وقد ورد في غير واحد من الروايات وتدعمها المفاهيم العامة الواردة في الإسلام، بيد أنّ تفسير الأمانة بالغسل من الجنابة تفسير بالرأي، إلّا أن يكون الرسول فسرها بهذا النحو، وإلّا فأداء الأمانة بمفهومها الكلي العام من علائم الإيمان.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (النساء/٥٨).
وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون/٨).

١ . سير اعلام النبلاء: ٢/٣٤٢ برقم ٦٨.

٢ . سنن أبي داود: ١/١١٦ برقم ٢٢٩.

وقال سبحانه: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ أَمَانَتَهُ﴾ (البقرة/٢٨٣).

٢. أخرج الإمام أحمد، عن أبي إدريس، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ، قال: لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. (١)

إنّ ما يصيب الإنسان أو يخطئه على قسمين، تارة يعد من أفعاله التي يناط بها الإيمان والكفر والثواب والعقاب، وهذا القسم من الأفعال غير خارج عن إختياره فلو أصابه أو أخطأ فإتّما أصاب أو أخطأ باختياره فلا يصحّ أن يقال أنّما أصابه لم يمكن ليخطئه أو ما أخطأه لم يكن ليصيبه، إذ معنى ذلك أنّ الإيمان والكفر والطاعة والعصيان من الأمور التي لم يكن للعبد فيها دور، فالمؤمن لم يكن له بدّ من الإيمان، والكافر لم يكن له بدّ من الكفر، والمطيع لم يكن له إلاّ الطاعة، والعاصي لم يكن له إلاّ العصيان فلم يكن في وسع المطيع، العصيان كما أنّه لم يكن في وسع العاصي، الطاعة.

فالقول باللابدية في هذا النوع من الأفعال عين الجبر وهو ينافي القرآن الكريم المنادي للاختيار والذي يخاطب المجتمع الإنساني بقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف/٢٩).

نعم، ينطبق ما ورد في الحديث على الأمور الخارجة عن مجال الاختيار، فالحوادث والنوازل أمور يواجهها الإنسان بلا اختيار وقد قدر، ولم يكن محيص من التقدير، قال سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلُ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد/٢٢).

١ . مسند أحمد: ٤٢١/٦.

وقد ذكرنا غير مرّة أنّ تعظيم القدر وتفخيم شأنه وجعل زمام حياة الإنسان بيده من الأفكار المستوردة.

٣. أخرج النسائي، عن عطاء بن يسار: أنّ معاوية باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها، فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا الإمثالاً بمثل. (١)

وما رواه، من الأحكام الضرورية في الفقه الإسلامي، وقد روي عن رسول الله ﷺ، أنّه قال: لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل. (٢)

والعجب أنّ معاوية الذي ادّعى الخلافة عن رسول الله ﷺ جهل هذا الحكم الإسلامي أو تجاهله فباع السقاية بأكثر من وزنها.

٤. أخرج أحمد في مسنده عن حمزة بن حبيب، عن أبي الدرداء، عن رسول الله ﷺ، أنّه قال: «إنّ الله تصدّق عليكم بثلاث أموالكم عند وفاتكم». (٣)

٥. أخرج أبو داود، عن أمّ الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكلّ داء دواء، فتداؤوا ولا تداؤوا بحرام. (٤)

٦. أخرج الترمذي، عن أمّ الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: إصلاح ذات البين، فإنّ فساد ذات البين هي الحالقة. (٥)

١ . سنن النسائي: ٢٧٩/٧، باب بيع الذهب بالذهب.

٢ . أخرجه غير واحد من أصحاب الصحاح والسنن.

٣ . مسند أحمد: ٤٤١/٦.

٤ . سنن أبي داود: ٧/٤ برقم ٣٨٧٤.

٥ . سنن الترمذي: ٤ / ٦٦٣ برقم ٢٥٠٩، ورواه أبو داود في سننه: ٢٨٠/٤ برقم ٤٩١٩ مع تفاوت يسير.

وما رواه أبو الدرداء قد رواه الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وقد ذكر في وصية لولديه الحسن والحسين عليهما السلام : « وصلاح ذات بينكم، فإني قد سمعت جدكما صلى الله عليه وآله يقول إصلاح ذات البين أفضل من عمارة الصلاة والصيام». (١)

٧. أخرج أبو داود في سننه، عن عبد الله بن أبي زكريا، عن أبي الدرداء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنيكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فاحسنوا أسماءكم. (٢)

٨. أخرج أبو داود في سننه، عن بلال بن أبي الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وآله ، قال: «حبك الشيء يُعمي ويُصم». (٣)

ويؤيده قوله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا* الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف/١٠٣-١٠٤).
وقال سبحانه: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ (فاطر/٨).

٩. أخرج الترمذي في سننه، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وآله ، قال: من ردَّ عن عرض أخيه، ردَّ الله عن وجهه النَّار يوم القيامة. (٤)

١٠. أخرج أحمد في مسنده، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من سمع من رجل حديثاً لا يشتهي أن يذكر عنه، فهو أمانة وإن لم يستكتمه. (٥)
ما نقلناه شيء من روائع أحاديثه استعرضناها كنماذج لما لم نأت به، وفي الوقت نفسه عزيت إليه روايات لا تدعمها الضوابط السالفة الذكر، ونشير إلى

-
- ١ . نهج البلاغة، قسم الرسائل، برقم ٤٧ .
 - ٢ . سنن أبي داود: ٢٨٧/٤ برقم ٤٩٤٨ .
 - ٣ . سنن أبي داود: ٣٣٤/٤ برقم ٥١٣٠ .
 - ٤ . سنن الترمذي: ٣٢٧/٤ برقم ١٩٣١ .
 - ٥ . مسند أحمد: ٤٤٥/٦ .

بعضها:

١. عدم منازعة ولاية الأمر

أخرج البخاري في الأدب المفرد، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: أوصاني رسول الله ﷺ بتسع: لا تشرك بالله شيئاً وإن قُطعت أو حُرقت، ولا تتركَنَّ الصلاة المكتوبة متعمداً، ومن تركها متعمداً برئت منه الذمة، ولا تشربنَّ الخمر فأنَّها مفتاح كلِّ شر، وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج من دنياك فاخرج لهما، ولا تُنازعنَّ ولاية الأمر....^(١)

أقول: لا شكَّ أنَّ التوحيد هو الأصل الموحد في الشرائع السماوية ولكن يجوز الاظهار بالشرك عند التقية حفاظاً على النفس والنفس عند الاضطرار، قال سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (النحل/١٠٦) وقال سبحانه: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ (آل عمران/٢٨). وليست هذه الفقرات من الوصية شيئاً يختص بأبي الدرداء، بل هو المخاطب ولكن المضمون يرجع إلى قاطبة المسلمين، ومن الواضح جواز التظاهر بالشرك لغايات نبيلة، وقضية عمار في ذلك معروفة، فما معنى قوله: «لا تشرك بالله شيئاً وإن قُطعت أو حُرقت».

وتصور أنَّ المراد هو الإشراك القلبي (بأنه لا يجوز وإن قطع أو حرق)، فهو غير تام، لأنَّ الأمر القلبي لا يخضع للإكراه حتى يتعلق به النهي، بل يتعلق بالإكراه ثم النهي، بالأمر الظاهري وقد عرفت أنَّ التظاهر بالشرك جائز لغاية مهمة.

١ . البخاري: الأدب المفرد، ص ٢٣ برقم ١٨؛ ورواه ابن ماجة في سننه: ١١٩/٢ برقم ٣٣٧١، وقد اكتفى بالنهي عن شرب الخمر، كما رواه في موضع آخر: ١٣٣٩/٢ برقم ٤٠٣٤، وليس فيه قوله: «ولا تنازعنَّ ولاية الأمر» «ولا اطاعة الوالدين».

وفي الرواية فقرة أخرى وهي قوله: « لا تنازعنّ ولاية الأمر » فما هو المراد؟ فهل المراد هم ولاية الأمر العدول، فالنزاع معهم خروج عليهم وهو أمر محرم.

أو المراد ولاية الأمر الجائرون، فالخروج عليهم جائز أو واجب حسب درجات ما يترتب على ولايتهم من المفسد، فمناعتهم من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على المسلم إذا كان جامعاً للشرائط، وقد حكى السبط الشهيد الحسين بن علي عليه السلام عن جدّه رسول الله ﷺ قوله: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يعيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله. (١)

وحصيلة الكلام أنّ ما أوصى به النبي ﷺ : أبا الدرداء، وصية لعامة المسلمين وتوافق روح الإسلام و أصوله إلاّ الفقرتين الأخيرتين ، الآولى : « وإن قطعت وحرقت » ، والثانية : « لا تنازعنّ ولاية الأمر ».

٢ . إبليس يواجه النبي بشهاب من نار

أخرج مسلم عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي الدرداء، قال: قام رسول الله ﷺ فسمعناه، يقول: أعوذ بالله منك، ثمّ قال: ألعنك بلعنة الله ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة، قلنا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك؟ قال : إنّ عدوّ الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرّات، ثمّ قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر ثلاث مرّات، ثمّ أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة. (٢)

١ . تاريخ الطبري: ٣٠٤/٤ حوادث سنة ٦١ .

٢ . صحيح مسلم: ٧٣/٢، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة.

وثمة تساؤلات حول الرواية؟

الأولى: أنّ ما رواه أبو الدرداء هو نفس ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ وبين الروایتين اختلاف شاسع، وسنذكر الرواية عند دراسة ما عزيت إليه من الروايات تحت عنوان سلطان إبليس على النبي ﷺ.

روى أبو سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه، فقرأ فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته، قال: لو رأيتموني وإبليس، فأهويت بيدي، فما زلت أحنقه حتى وجدت برد لعابه بين اصبعي هاتين: الإبهام والتي تليها، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة، فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل. (١)

وأنت ترى أنّ الرواة تصرفوا في الرواية فقد نقلوها بصورتين مختلفتين جداً. بل بصور مختلفة، فقد رواها مسلم عن أبي هريرة بوجه يخالف كلتا الصورتين كما سيوافيك في ترجمته، كل ذلك يسلب الاعتماد على تلك المرويات، وتصوّر تعدّد الواقعة بعيد جداً.

الثانية: أنّ غاية ما يثبتته القرآن لإبليس هو سلطان الوسوسة وهو في حق غير عباده الصالحين، قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل/٩٩).
ثمّ ليس له سلطان على بني آدم بالضرب والإحراق فضلاً عن أن يكون له سلطان على النبي ﷺ بجعل شهاب من نار على وجهه.

الثالثة: أنّ قوله: «أردت أخذه» يعرب عن كون الشيطان موجوداً عنصرياً قابلاً للاخذ، ومثله لا يمكن أن يوسوس في صدور العالمين في زمان واحد.

١ . مسند أحمد: ٨٢/٣.

الرابعة: انه سبحانه يصرح بأن إبليس يرى الإنسان وهو لا يراه، قال: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف/٢٧) ، فما معنى قوله: «ولولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة» فإن اللعب فرع الروية.

الخامسة: يظهر من ذيل الرواية أنّ سليمان أكثر قدرة من نبينا محمد ﷺ فلم يكن لإبليس أي سلطان على سليمان «عليه السلام» بل كان مسخراً له، بخلاف النبي ﷺ حيث كان بصدد وضع شهاب من نار في وجهه.

٣. الفراغ من التقدير

أخرج أحمد عن أبي إدريس، عن أبي الدرداء، قالوا: يا رسول الله : رأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه، أم أمر نستأنفه قال، قال: بل أمر قد فرغ منه، قالوا: فكيف بالعمل يا رسول الله؟ قال: كل امرئ مهياً لما خلق له. (١)

وأخرج أيضاً عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ «: إنّ الله عزّ وجلّ فرغ إلى كلّ عبد، من خلقه، من خمس: من أجله، وعمله، ومضجعه، وأثره، ورزقه. (٢)

وفي رواية إسماعيل عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فرغ الله إلى كلّ عبد من خمس: من أجله، ورزقه، وأثره، وشقي أم سعيد. (٣)

أقول: الفراغ من الأمر يهدف إلى أنّ الإنسان مسير في حياته وليس بمخير-ر، وكلّ إنسان خلق لغاية خاصة أمّا النار أو الجنة فهو مهياً لما خلق له، فلما كانت تلك الفكرة على طرف النقيض من بعثة الأنبياء وإصلاح المصلحين عاد

١ . مسند أحمد: ٤٤١/٦ .

٢ . مسند أحمد: ١٩٧/٥ .

٣ . مسند أحمد: ١٩٧/٥ .

الحاضرون في مجلس النبي ﷺ ، فقالوا : إذا كان هناك فراغ من العمل فما معنى العمل ، فأجيبوا بقوله ﷺ : كَلَامَرَى مَهِيأَ مَا خَلَقَ لَهُ ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْجَوَابَ لَا يَقْلَعُ الْإِشْكَالَ ، فَإِنَّ تَهْيِئَةَ كَلِّإِنْسَانٍ مَا خَلَقَ عِبَارَةَ أُخْرَى عَنِ الْجَبْرِ لَا الْإِخْتِيَارَ ، فَالْكَافِرُ زُودَ بِأَسْبَابٍ تُوصلُهُ إِلَى النَّارِ فَقَطْ ، وَالْمُؤْمِنُ جَهَّزَ بِأَسْبَابٍ أُخْرَى تُوصلُهُ إِلَى الْجَنَّةِ .

إنَّ القولَ بالفراغِ يضادُ قوله سبحانه: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد/ ٣٩) كما ينافي قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف/ ٩٦).

إنَّ القولَ بالفراغِ يبعثُ الخيبةَ والحرمانَ لدى عامة الناسِ لأنَّه إذا كان الأمرُ قد فرغَ منه، فنحن على كَلِّحالٍ إمَّا إلى الجنةِ أو إلى النارِ، فما فائدة القيامِ بالطاعةِ والانتهاةِ عن المعصيةِ . وقد كافح أئمةُ أهل البيت  تلك الفكرة بطرح البداءِ وإنَّ الله سبحانه يححو ما يشاء و يثبت وليس للإنسانِ مصيرٌ واحدٌ قطعي لا يتبدل ولا يتغير وإن كان علمه سبحانه لا يتبدل ولا يتغير .

وقد ألمح إليه النبي ﷺ في غير واحد من الروايات التي رواها جلال الدين السيوطي في تفسير قوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ و من أراد التفصيل فليرجع إليه ^(١) . وبذلك يعلم أنَّ ما أخرجهُ أحمد عن أبي الدرداءِ أيضاً لا يقل في الوهنِ عمَّا نقلناه عنه . أخرج أحمد عن أبي إدريس ، عن أبي الدرداءِ عن النبي قال: خلق الله آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاء كأثم الدرّ، وضرب كتفه

١ . السيوطي: الدر المنثور: ٥/تفسير سورة الرعد: الآية ٣٩ .

اليسرى، فأخرج ذريرة سوداء، كأثم الحمم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال: للذي في كفه اليسرى إلى النار ولا أبالي. (١)

٤. لا يدخل الجنة مؤمن بسحر

أخرج أحمد عن أبي إدريس عائذ الله، عن النبي ﷺ قال: لا يدخل الجنة عاق، ولا مؤمن بسحر، ولا مدمن خمر، ولا مكذب بقدر. (٢)

والحديث قابل للنقاش من وجهين:

الأول: ما هو المقصود من الإيمان بالسحر في قوله: ولا مؤمن بسحر؟ فإن أريد أنّ السحر والساحر لا يضران بالمسحور إلا بإذن منه سبحانه، فهذا مما يجب الإيمان به، فإن تأثير كالمؤثر ومنه السحر بإذنه سبحانه، قال: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة/١٠٢).

وإن أريد أنّ السحر والساحر إنّما يقومان بالاضرار على وجه الاستقلال فلا ريب أنّ الإيمان به شرك في الخالقية و التدبير ولكن لا يختص بتأثير السحر . بل الإيمان باستقلال كل مؤثر في التأثير شرك.

الثاني: احتلت مسألة القدر في الأحاديث المروية في الصحاح والسنن منزلة رفيعة وصارت ملاكاً للإيمان والكفر، والمقدار اللازم هو الإيمان بالقضاء والقدر بنحو لا يجعل الإنسان مسيراً في حياته، ولا يسلب الاختيار عنه، ولا يجعله كالريشة في مهبّ الريح. وأظن أنّ اعطاء تلك المنزلة للقدر و غرض النظر عن الأصل الآخر وهو اختيار الإنسان في فعله وتركه كان لأجل تبرير عمل السلطات الجائرة من الأمويين والعباسيين.

١ . مسند أحمد: ٤٤١/٦ وقد سقطت جملة «لا مؤمن بسحر» من المطبوع من مسند أحمد في ستة أجزاء ونقله مؤلف المسند الجامع : ١٣٣ / ٢ ، وجامع المسانيد والسنن: ١٠٨/٥ .

٢ . مسند أحمد: ٤٤١/٦ وقد سقطت جملة «لا مؤمن بسحر» من المطبوع من مسند أحمد في ستة أجزاء ونقله مؤلف المسند الجامع : ١٣٣ / ٢ ، وجامع المسانيد والسنن: ١٠٨/٥ .

٦- عُبادة بن الصامت

(٣٨ق.هـ - - ٣٤هـ -)

راويّة أفضية النبي

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة

١. إفتاء النبي ﷺ ثم رجوعه عنه

٢. الله ليس بأعور

٣. إخراج الأمة جميعاً من النار يوم القيامة

عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، وأمّه: قرّة العين بنت عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان، شهد العقبة الأولى والثانية، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي، وشهد بدرًا وأحد والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ واستعمله النبي ﷺ على بعض الصدقات.

قال مُجّد بن كعب القرظي: جمع القرآن في زمن النبي ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو أيّوب، وأبو الدرداء. وكان «عبادة» يُعلّم أهل الصفة القرآن، ولما فتح المسلمون الشام أرسله

عمر ومعه معاذ بن جبل وأبو الدرداء ليعلموا الناس القرآن بالشام ويفقهوهم في الدين، وكان معاوية خالفه في شيء أنكره «عبادة» فأغلظ له معاوية في القول، فقال عبادة: لا أساكنك بأرض واحدة أبداً ورحل إلى المدينة. (١)

ويظهر ممّا رواه الذهبي عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة أنّ عثمان استرحله، بعد ما كتب معاوية إليه: «أتعبادة بن الصامت قد أفسد عليّ الشام وأهله، فاما أن تكفّه إليك، وإما أن أخلي بينه و بين الشام».

فكتب إليه: ان رحّل «عبادة» حتى ترجعه إلى داره بالمدينة.

قال: فدخل على عثمان فلم يفجأه إلاّ به وهو معه في الدار، فالتفت إليه، فقال: يا عبادة مالك ولنا؟ فقام «عبادة» بين ظهري الناس، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سيأتي أموركم بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى، ولا تضلّوا برؤسكم.

إنّ عبادة بن الصامت من الرجال الغياري الذين كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يرضخون أمام جور الجائرين.

روى الذهبي، عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة، عن أبيه أنّ عبادة بن الصامت مرّت عليه قطارة، وهو بالشام تحمل الخمر، فقال: ما هذه، أزيّت؟ قيل: لا، بل خمر يباع لفلان! فأخذ شفرة من السوق، فقام إليها، فلم يذر فيها راوية إلاّ بقرها - وأبو هريرة إذ ذاك في الشام - فأرسل فلان - يعني معاوية - إلى أبي هريرة، فقال: ألاّ تمسك عنّا أخاك عبادة، أمّا بالغدوات فيغدو إلى السوق يفسد على أهل الذمة متاجرهم، وأمّا بالعشيّ فيقعّد في المسجد ليس له عمل إلاّ شتم أعراضنا وعيينا!!

١ . أسد الغابة: ١٠٦/٣ .

قال: فأثاه أبو هريرة ، فقال: يا عبادة مالك ولعاوية، ذره وما حُمل، فقال: لم تكن معنا إذ بايعنا على السمع والطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وألا يأخذنا في الله لومة لائم، فسكت أبو هريرة وكتب فلان - معاوية - إلى عثمان: إنَّ عبادة قد أفسد عليَّ الشام. (١)

أقول: هذا هو الفرق بين صحابي مكبَّ على عتبة بلاط معاوية فيسكت امام منكراته، وحمل الخمر إلى قصوره، وبين صحابي جليل كعبادة بن الصامت بايع رسول الله على السمع والطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن لا يأخذه في الله لومة لائم.

والعجب أنَّ الراوي لا يذكر اسم من يُحمل إليه الخمر ويقول يباع لفلان ويعني به معاوية بن أبي سفيان والشاهد على ذلك أنَّ أبا هريرة، قال: «يا عبادة مالك ولعاوية، ذره وما حُمل» فلولا أنَّ الخمر يحمل إلى قصوره فما معنى هذا الكلام؟

نعم حاول معاوية أن يستتر فعله القبيح، وقال: يفسد على أهل الذمة متاجرهم ملِّحاً بذلك إلى أنَّ البائع والمشتري من أهل الذمة.

قال الذهبي: كان عبادة رجلاً طوالاً جسيماً جميلاً، مات بالرملة سنة ٣٤هـ - وهو ابن ٧٢ سنة، ونقل أنَّه قُبِرَ -ر ببيت المقدس.

ساق له «بقي» في مسنده ١٨١ حديثاً، وله في البخاري و مسلم ستة، وانفرد البخاري بحديثين، و مسلم بحديثين. (٢)

وله روايات رائعة نذكر منها شيئاً.

١ . سير اعلام النبلاء: ٩/٢-١٠ برقم ١ .

٢ . سير اعلام النبلاء: ١٠/٢-١١ برقم ١ .

روائع رواياته

١. أخرج الإمام أحمد في مسنده، عن جنادة بن أبي أمية، قال: سمعت عبادة بن الصامت، يقول:

إن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يا نبي الله أي العمل أفضل؟ قال: الإيمان بالله، والتصديق به، وجهاد في سبيله، قال: أريد أهون من ذلك يا رسول الله، قال: السماحة والصبر، قال: أريد أهون من ذلك يا رسول الله، قال: لا تتهم الله تبارك وتعالى في شيء قضى لك به. (١)

٢. أخرج ابن ماجه، عن الصنابحي، عن عبادة بن الصامت، أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: ما من عبد يسجد لله سجدة إلا كتب الله له بها حسنة، ومحاه عنه بها سيئة، ورفع له بها درجة، فاستكثروا من السجود. (٢)

٣. أخرج مسلم في صحيحه، عن محمود بن الربيع، عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ أنه قال: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب. (٣)

٤. أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي الأشعث، قال: غزونا غزاة وعلى الناس معاوية، فغنمنا غنائم كثيرة، فكان فيما غنمنا آنية من فضة، فأمر معاوية رجلاً أن يبيعها في اعطيات الناس فتسارع الناس في ذلك.

فبلغ عبادة بن الصامت، فقام، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة، والبر بالبر والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، و الملح بالملح، إلا سواء بسواء، عيناً بعين، فمن زاد أو

١ . مسند أحمد: ٣١٨/٥ - ٣١٩.

٢ . سنن ابن ماجه: ٤٥٧/١ برقم ١٤٢٤.

٣ . صحيح مسلم: ٩/٢، باب وجوب قراءة الفاتحة.

ازداد فقد أرى، فردّ الناس ما أخذوا.

فبلغ ذلك معاوية فقام خطيباً، فقال: ألا ما بال رجال يتحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث قد كتبا نشهده ونصحه فلم نسمعها منه.

فقام عبادة بن الصامت فأعاد القصة، ثم قال: لنحدثنّ بما سمعنا من رسول الله ﷺ وإن كره معاوية (أو قال وإن رغم) ما أبالي أن لا أصحبه في جنده ليلة سوداء. ^(١)

٥. أخرج أحمد عن عبادة بن نسي، عن عبادة بن الصامت، أنّ النبي ﷺ قال: ما تعدون الشهيد فيكم؟ قالوا: الذي يقاتل فيقتل في سبيل الله تعالى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ شهداء أمتي إذاً لقليل، القليل في سبيل الله تبارك و تعالى شهيد، والمطعون شهيد، والمبطون شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيد - يعني النفساء - . ^(٢)

٦. أخرج أحمد في مسنده، عن المطلب، عن عبادة بن الصامت، أنّ النبي ﷺ قال: اضمنوا لي ستاً من أنفسكم، أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدّوا إذا ائتمتم، واحفظوا فروجكم، وغضّوا أبصاركم، وكفّوا أيديكم. ^(٣)

٧. أخرج أحمد في مسنده عن أبي قبيل المعافري، عن عبادة بن الصامت، أنّ رسول الله ﷺ قال: ليس من أمتي من لم يجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقّه. ^(٤)

١ . صحيح مسلم: ٤٤/٥، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً.

٢ . مسند أحمد: ٣١٥/٥.

٣ . مسند أحمد: ٣٢٣/٥.

٤ . مسند أحمد: ٣٢٣/٥.

٨. أخرج أحمد في مسنده، عن أبي أمامة، عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: عليكم بالجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى، فإنه باب من أبواب الجنة، يذهب الله به الهمم والغم. (١)

٩. أخرج البخاري في صحيحه، عن عبادة بن الوليد، عن عبادة بن الصامت، قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في المنشط والمكروه، أن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم. (٢)

١٠. أخرج مسلم في صحيحه، عن أنس بن مالك، عن عبادة بن الصامت، أن نبي الله ﷺ، قال:

من أحب لقاء الله أحب لقاء الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره لقاءه. (٣)
أقول: إن عبادة بن الصامت راوية أفضية النبي ﷺ وهي من جلائل رواياته غير أن ابن ماجة فرّقها في مواضع مختلفة من سننه ولم يذكرها جملة واحدة.
نعم ذكرها عبد الله بن أحمد في زيادته على مسند أبيه في مكان واحد. (٤)
ومن أفضيته المعروفة: أن لا ضرر ولا ضرار، و أنه ليس لعرق ظالم حق.
اقتصرننا على هذا المقدار من روائع رواياته لطولها وضيق المجال.
وقد عزيت إليه روايات، لا تنسجم مع الضوابط الماضية.

١ . مسند أحمد: ٣١٩/٥.

٢ . صحيح البخاري: ٧٧/٩، باب كيف يبايع الإمام الناس.

٣ . صحيح مسلم: ٦٥/٨، باب من أحب لقاء الله أحب لقاءه.

٤ . ابن ماجة تحت رقم ٢٢١٣، ٢٣٤٠، ٢٤٨٣، ٢٤٨٨، ٢٤٤٣، ٢٤٧٥؛ مسند أحمد: ٣٢٤/٥.

١ . إفتاء النبي ﷺ ثم رجوعه عنه

أخرج أبو داود، عن سلمة بن المحبق، عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال ناس لسعد بن عبادة: يا أبا ثابت، قد نزلت الحدود، لو أنك وجدت مع امراتك رجلاً، كيف كنت صانعاً؟ قال: كنت ضاربهما بالسيف حتى يسكتا، أفأنا أذهب فأجمع أربعة شهداء؟! فيلإ ذلك قد قضى الحاجة، فانطلقوا فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ألم تر إلى أبي ثابت، قال: كذا وكذا؟ فقال رسول الله ﷺ: كفى بالسيف شاهداً، ثم قال: لا، لا، أخاف أن يتتايح^(١) فيها السكران والغيران.^(٢)

وحاصل الحديث أن أبا ثابت قال: إني لو شاهدت الواقعة لقتلت ولا أصبر إلى أن أذهب فأجمع أربعة شهداء لأنه يلزم قضاء الحاجة والفرار من الزنا. فلما عرض كلام أبي ثابت على النبي ﷺ، قال النبي ﷺ: كفى بالسيف شاهداً، أي يوضع هذا السيف موضع الشهداء، ولا يحتاج إلى أن يذهب الزوج إلى جمع أربعة شهداء. ثم إن النبي ﷺ بداله في إمضاء عمل أبي ثابت لأنّ تجويز قتلهم، ربما تكون ذريعة لقتل النساء بلا جرم، وذلك إمّا لغيرة الزوج أو غضبه.

هذا هو مفاد الحديث ومعنى ذلك أنّ النبي أفى بشيء ثم رجع عنه، وهذا يناهض الأصول المسلمة من حيث إنّه لا ينطق إلاّ عن وحي. إلاّ أن يحمل كلامه الأوّل على المزاح والهزل في القول، وهو كما ترى ليس على ذلك الحمل قرينة.

١ . يتتايح على وزن يتتايح وزناً وهو التمادي والتهافت في الشر والفساد والمراد من «سكران»: صاحب الغيظ والغضب، يقال سكر فلان على فلان أي غضب واغتاط، و«الغيران» بفتح العين المعجمة أي صاحب الغيرة.

٢ . سنن ابن داود: ١٤٤/٤ برقم ٤٤١٧.

وكفى في ضعف الحديث أنّ أبا داود صاحب السنن، قال: الفضل بن دهم (الوارد في سند الحديث) ليس بالحفاظ كان قصاباً بواسط. (١)

٢. الله ليس بأعور

أخرج أبو داود عن جنادة بن أبي أمية، عن عبادة بن الصامت، أنّه قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: إنّّي قد حدثتكم عن الدّجال، حتى خشيت أن لا تعقلوا، وإنّ مسيح الدّجال رجل قصير أفحج، جعد، أعور، مطموس العين، ليس بناتئة ولا حجراً، فإنّ ألبس عليكم فاعلموا أنّ ربكم ليس بأعور. (٢)

فإنّ معنى ذلك أنّ لربنا عيناً مادية ليست بعوراء، وقد عزى هذا الحديث إلى غير واحد من الصحابة كما سيأتي.

٣. إخراج الأمة من النار يوم القيامة

أخرج أحمد في مسنده، عن روح بن زبّاع، عن عبادة بن الصامت، قال: فقد النبي ﷺ ليلة أصحابه، وكانوا إذا نزلوا أنزلوه أوسطهم، ففرعوا، وظنوا أنّ الله تبارك و تعالى اختار له أصحاباً غيرهم، فإذا هم بخيال النبي ﷺ فكبروا حين رأوه، قالوا: يا رسول الله أشفقنا أن يكون الله تبارك و تعالى، اختار لك أصحاباً غيرنا، فقال رسول الله ﷺ: لا، بل أنتم أصحابي في الدنيا والآخرة إنّ الله تعالى أيقظني، فقال: يا مُحمّد إنّّي لم أبعث نبياً ولا رسولاً إلاّ وقد سألتني مسألة أعطيتها إياه فاسأل يا محمّد تُعْطَ، فقلت: مسألتي شفاعة لأمّتي يوم القيامة، فقال أبو بكر: يا رسول الله، وما الشفاعة؟ قال: أقول: يا ربّ، شفاعتي التي اختبأت عندك،

١ . سنن أبي داود: ١٤٤/٤ برقم ٤٤١٧.

٢ . سنن أبي داود: ١١٦/٤ برقم ٤٣٢٠.

فيقول الربّ تبارك و تعالى: نعم، فيُخرج ربي تبارك و تعالى بقية أمتي من النار فينبذهم في الجنة. (١)
إنّ ظاهر الحديث أنّ النبي ﷺ يشفع لقاطبة أُمَّته يوم القيامة فيخرج المحكومون بالنار عنها
وينبذون في الجنة وهذا ما لا يدعن به القرآن الكريم، وذلك لأنّ أصنافاً من الأُمَّة الإسلاميّة
محكومون بالخلود أو بالمكث في النار أحقاباً كالقاتل، قال سبحانه: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزُنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ
فِيهِ مُهَانًا﴾ (الفرقان/٦٨ - ٦٩).

فالخلود إمّا بمعنى المكث في النار دائماً أو كناية عن المكث فيها حقبة طويلة يصح أن يطلق
عليها الخلود، ومع ذلك كيف يخرجون من النار في نفس يوم القيامة لا بعده؟
أضف إلى ذلك أنّ الشفاعة شروطاً أهمها وجود الصلة المعنويّة بين الشافع والمشفوع له، ومن
الواضح أنّ هذه الصلة ليست متوفرة في جميع الأُمَّة، فمن أحبط عمله لا تشملته الشفاعة وإن كان
مسلماً.

قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ
بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات/٢).
ومثله المرابي الذي عدّه سبحانه محارباً لله، وقال:

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ
وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة/٢٧٩).

١ . مسند أحمد: ٣٢٥/٥.

إنّ القول بالشفاعة بهذا المعنى يورث الجرأة في الأمة الإسلامية فيتكلون عليها في نطاق العمل،
بذريعة أنّ النبي ﷺ سيشفع للأمة بأسرها حينها ستخرج من النار و تنبذ في الجنة.
أضف إلى ذلك أنّ التعبير عن الدخول في الجنة بالنبذ فيها لا يخلو عن نوع تحقير للمشفوع
له، وهو لا يناسب كرامته سبحانه، وكرامة نبيهص.

٧- طلحة بن عبيد الله التيمي

(٢٦ق. هـ - - ٣٦هـ -)

سيرته وأحاديث الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. تأبير النخل لا يُغني عن شيء.

٢. عمرو بن العاص من صلحاء قريش.

طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيمم القرشي التيمي، وأمّه الصعبة بنت عبد اللّٰهبن مالك، وهو من السابقين الأوّلين إلى الإسلام، فلما هاجر المسلمون إلى المدينة آخى رسول الله ﷺ بين طلحة وبين أبي أيّوب الأنصاري، وهو أحد أصحاب الشورى، ولم يشهد بدرًا وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، وباع بيعة الرضوان وأبلى يوم أحد بلاءً عظيماً، ووقى رسول الله ﷺ بنفسه و اتقى عنه النبل بيده. (١)

وقد اتفق أصحاب المعاجم أنّه كان يملك ثروة عظيمة.

نقل الذهبي عن ابن سعد، قال: كان طلحة يغلّ بالعراق أربعمائة ألف،

١ . أسد الغابة: ٥٩/٣ - ٦٠.

ويغلُّ بالسراة عشرة آلاف دينار، أو أقل أو أكثر، وبالأعراض^(١) له غلات، وكان لا يدع أحداً من بني تميم عائلاً إلا كفاه و قضى دينه، ولقد كان يرسل إلى عائشة إذا جاءت غلته كل سنة بعشرة آلاف، ولقد قضى عن فلان التيمي ثلاثين ألفاً. كما قضى عن عبد الله بن عامر بن كريز ثمانين ألف درهم.

قال الحميدي: كانت غلة طلحة كل يوم ألف وافٍ.^(٢)

ثم نقل عن الواقدي عن موسى بن طلحة أنّ معاوية سأله، كم ترك أبو مُجَد (طلحة) من العين؟ قال: ترك الفي ألف درهم و مائتي ألف درهم و من الذهب مائتي ألف دينار.^(٣) هذه الثروة المكتنزة ملكها الرجل في عصر الخلفاء في حين أنّ أبازر كان يجود بنفسه جوعاً في ربة.

وقد مات علي عليه السلام ولم يترك من البيضاء والصفراء إلا سبعمائة درهم.

وقال ابن سعد نقلاً عن بنت عوف، قالت: قتل طلحة وفي يد خازنه ألفا ألف درهم، ومائتا ألف درهم، وقُومت أصوله وعقاره ثلاثين ألف ألف درهم.^(٤)

ولو أراد الباحث أن يجمع رؤوس ما كان يملكه طلحة فعليه الرجوع إلى كتب التاريخ، والحديث عن ثروته التي اقتناه بعد رحيل الرسول خارج عن نطاق البحث، وقد أشرنا إليها في المقام ليعلم ان نكت-ه لبيعة علي بن أبي طالب «عليه السلام» لم يكن إلا لعدم تحمّله لسيرة الإمام في بيت المال، إذ هو القائل لما تصدى للخلافة.

١ . اعراض المدينة قراها التي في أوديتها.

٢ . الوافي درهم وأربعة دوانق.

٣ . سير اعلام النبلاء: ١/٣٢-٣٣.

٤ . طبقات ابن سعد: ٣/٢٢٢.

«والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإمام لرددته، فإنّ في العدل سعة و من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيّق»^(١).

إنّ الرجل نكث بيعته مع عليّ عليه السلام ، فقاد حرب الجمل على الإمام المفترضة طاعته، أمّا بنص النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما هو الحقّ، أو باعتبار بيعة المهاجرين والأنصار له، فندم قبل هلاكه - ولما ينفعه الن-دم - فقتل عام ٣٦هـ- في جمادى الآخرة، ودفن قريباً من البصرة، وبذلك يعلم حال ما روي في حقّه من الفضائل.

وله في مسند «بقيّ بن مخلد» ثمانية وثلاثون حديثاً له حديثان متفق عليهما، وانفرد له البخاري بحديثين، ومسلم بثلاثة أحاديث، وقد جمعت رواياته في المسند الجامع فبلغت ٢٢ حديثاً^(٢) وهو من المقلّين في حقل الحديث.

وله أحاديث رائعة و إن عزي إليه مالا تنطبق عليه الموازين السالفة الذكر.
روائع أحاديثه:

١. أخرج البخاري في صحيحه، عن أبي سهيل بن مالك، عن أبيه أنّه سمع طلحة بن عبد الله، يقول: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل نجد نائر الرأس يسمع دويصوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال: هل عليّ غيرها، قال: لا، إلاّ أن تطوّع، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصيام رمضان، قال: هل عليّ غيره، قال: لا، إلاّ أن تطوّع، قال: وذكر له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « الزكاة، قال: هل عليّ غيرها، قال: لا، إلاّ أن تطوّع، قال: فأدبر الرجل، وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

١ . نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٣ .

٢ . المسند الجامع: ٥٢٧/٧ برقم ٣٢٠ .

أفصح ان صدق. (١)

٢. أخرج أحمد، عن يحيى بن طلحة، عن أبيه طلحة بن عبيد الله: أنّ النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال، قال: اللهم أهله علينا باليمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله. (٢)

٣. أخرج أحمد، عن موسى بن طلحة، عن أبيه، قال:

قلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنّك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنّك حميد مجيد. (٣)

وقد رويت عنه روايات تخالف الضوابط المذكورة.

١. تأبير النخل لا يُغني عن شيء

أخرج مسلم في صحيحه عن موسى بن طلحة عن أبيه، قال:

مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل، فقال: ما يصنع هؤلاء.

فقالوا: يلحقونه، يجعلون الذكر في الأُنثى فيتلقح.

فقال رسول الله ﷺ: ما أظن يغني ذلك شيئاً، قال: فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول

الله ﷺ بذلك، فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنّما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإني لن أكذب على الله عزّ وجلّ. (٤)

١ . صحيح البخاري: ١٤/١، باب الزكاة من الإسلام؛ صحيح مسلم: ٣٠/١، كتاب الإيمان.

٢ . مسند أحمد: ١٦٢/١.

٣ . مسند أحمد: ١٦٢/١.

٤ . صحيح مسلم: ٩٥/٧، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا على سبيل الرأي.

وروى عن رافع بن خديج: قال: قدم نبي الله المدينة وهم يأبرون النخل، يقولون يلقحون النخل، فقال: ما تصنعون؟ قالوا: كنا نصنعه، قال: لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً فتركوه، فنقصت، قال: فذكروا ذلك له، فقال: إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإتوا أنا بشر.^(١)

والعجب أنتمسلم النيسابوري مؤلف الصحيح ذكر الحديث في باب «أسماء» بوجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا على سبيل الرأي. نحن نعلق على الحديث تعليقاً مختصراً، ونحيل التفصيل إلى القارى. أولاً: نفترض أنّ النبي ﷺ لم يكن نبياً، ولا أفضل الخليفة، ولم ينزل عليه الكتاب والحكمة، بل كان عربياً صميمياً ولد في أرض الحجاز و عاش بين ظهري قومه وغيرهم في الحضر والبادية، وقد توالى سفره إلى الشام، وكلّ من هذا شأنه يقف على أنّ النخيل لا يثمر إلا بالتلقيح، فما معنى سؤاله ما يصنع هؤلاء؟ فيجيبونه أنهم «يلقحونه».

أفيمكن أن يكون هذا الشيء البسيط خافياً على النبي ﷺ؟ ثانياً: كيف يمكن للنبي ﷺ النهي عن التلقيح الذي هو سنة من سنن الله أودعها في الطبيعة، قال سبحانه: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر/٤٣) ومع ذلك فكيف يقول: ما أظن يغني ذلك شيئاً.

ثالثاً: إنّ الاعتذار الوارد في الرواية يسيء الظن بكل ما يخبر به عن الله بلسانه ويخرج من شفثيه، وأسوأ من ذلك ما نسب إليه من الاعتذار بقوله: «وإذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عزّوجلّ» لأنّ فيه

١ . شرح النووي على صحيح مسلم: ١٥/١٢٥-١٢٦، الباب ٣٨، كتاب الفضائل.

تلميحاً إلى أنه - و العياذ بالله - يكذب في مواضع أُخر.

فلو كانت الرواية ونظائرها مصدراً للعقيدة فسيعقبها - العياذ بالله - جهل النبي

ﷺ بأبسط السنن الجارية في الحياة فهل يصحّ النفوّه بذلك!؟

كيف يصحّ للنبي ﷺ أن يعتذر عمّا قال، بقوله ﷺ: «وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر، مع أنّه يقول في جواب عبد الله بن عمر (حيث نقل إليه اعتراض قريش عليه) «بأنّه يكتب كل شيء يسمعه من رسول الله، ورسول الله بشر يتكلّم في الغضب والرضا». مومياً باصبعه إلى فيه: اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلاّ حق.^(١)

٢. عمرو بن العاص من صلحاء قريش

أخرج أحمد في مسنده عن ابن أبي مليكة، قال: قال طلحة بن عبيد: سمعت رسول الله

ﷺ ، يقول: إنّ عمرو بن العاص من صالحى قريش.^(٢)

ورواه الترمذي بالسند التالي: حدثنا إسحاق بن منصور، قال: أخبرنا أبو أسامة عن نافع بن

عمر الجمحي، عن ابن أبي مليكة، قال: قال طلحة بن عبيد الله... الخ.

وقال الترمذي: هذا حديث إمامنا نعرفه من حديث نافع بن عمر الجمحي، ونافع ثقة وليس

اسناده بمتصل، وابن أبي مليكة لم يدرك طلحة.

إذا كان هذا حال السند، فيعرف به حال المضمون ولكن يكفي لنا دراسة إجمالية لسيرة عمرو

بن العاص ليتبين أنّه هل كان من الصالحين؟ بل الرواية

١ . سنن أبي داود: ٣/٣١٨ برقم ٣٦٤٦.

٢ . مسند أحمد: ١/١٦١، ونقله الترمذي برقم ٣٨٤٥.

تخالف ما هو الثابت في التاريخ الصحيح.

وإليك هذه الوثيقة التاريخية:

لما علم معاوية أنّ الأمر لم يتم له ان لم يبايعه عمرو، فقال له: يا عمرو؟ اتّبِعني، قال:
لماذا؟ للآخرة؟ فوالله ما معك آخرة، أم للدنيا؟ فوالله لا كان حتى أكون شريكك فيها.

قال: فأنت شريكي فيها، قال: فاكتب لي مصر وكورها.

فكتب له مصر وكورها وكتب في آخر الكتاب وعلى عمرو السمع والطاعة.

قال عمرو: واكتب: أنّ السمع والطاعة لا ينقصان من شرطه شيئاً.

قال معاوية: لا ينظر الناس إلى هذا، قال عمرو: حتى تكتب.

قال: فكتب، والله ما يجد بُدّاً من كتابتها... وعمرو يقول له، إنّما أبايعك بها ديني.

وكتب عمرو إلى معاوية:

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل به منك دنيا فانظرن كيف تصنع

وما الدين والدُّنيا سواءً وإتّني لأخذ ما تُعطي ورأسي مقنّع^(١)

ومن أراد أن يقف على شخصيته من حيث نسبه وإسلامه ودهائه، فعليه أن يطالع كلمات

النبي ﷺ في حقّه وكلمات الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وسائر الصحابة والتابعين ليقف على أنّه

هل كان من الصلحاء أو أنّه كان بؤرة الفتن والفساد؟

وقد قام العلامة المحقق عبد الحسين الأميني بدراسة وافية لسيرته في كتابه الغدير^(٢).

١ . العقد الفريد: ٩٢/٥، دار الكتب العلمية.

٢ . الغدير: ١١٤/٢ - ١٧٦.

٨- حذيفة بن اليمان العبسي

(... - ٣٦هـ-)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. نفاة القدر مجوس هذه الأمة

٢. وجوب إطاعة الجائر

٣. الاقتداء بالشيخين

٤. غفران الله لمن أمر بحرق نفسه بالنار

٥. الدجال معه ماء و نار

٦. محمد بن مسلمة مصون عن الفتنة

هو حذيفة بن حسل بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن غطفان، أبو عبد الله العبسي، و اليمان لقب حسل بن جابر، وإنما قيل له ذلك، لأنه أصاب دماً في قومه فهرب إلى المدينة، وحالف بني عبد الاشهل من الأنصار، فسماه قومه اليمان لأنه حالف الأنصار وهم من اليمن. روى عنه: ابنه أبو عبيدة، وعمر بن الخطاب، وقيس بن أبي حازم، وأبو وائل، و زيد بن وهب وغيرهم، وهاجر إلى النبي ﷺ فخيرته بين الهجرة والنصرة، فاختر النصر، وشهد مع النبي ﷺ أحداً، وقتل أبوه بها (١) قال الواقدي: آخى رسول الله بين حذيفة وعمار.

١. أسد الغابة: ١/٣٩٠ - ٣٩١.

سئل عليّ عن حذيفة، فقال: «عَلِمَ المنافقين، وسئل عن المعضلات، فإن تسألوه تجدوه بما عالماً» ولي حذيفة إمرة المدائن لعمر، فبقي عليها إلى بعد مقتل عثمان، وتوفي بعد عثمان بأربعين ليلة. وكان النبي ﷺ قد أسرَّ إلى حذيفة أسماء المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة في الأُمة، وقد ناشده عمر، أ أنا من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أُرْكي أحداً بعدك.

قال ابن سيرين: بعث عمر حذيفة على المدائن، ففُرىَ عهده عليهم، فقالوا: سل ما شئت، قال: طعام آكله، وعلف حماري هذا - ما دمت فيكم - من تبن، فأقام فيهم ما شاء الله ثمكّتب إليه عمر: أقدم.

فلما بلغ عمر قدمه، كمن له على الطريق، فلما رآه على الحالة التي خرج عليها، أتاه فالتزمه، وقال أنت أخي وأنا أخوك. ^(١)

وقد وقف حذيفة بن اليمان على المنافقين وأسمائهم عندما كان يسوق ناقة النبي ﷺ ويقودها عمار بن ياسر عند الرجوع من غزوة تبوك، فبينما هم يسرون إذ التفت رسول الله ﷺ إلى خلفه، فرأى في ضوء ليلة مقمرة فرساناً متلثمين لحقوا به من وراء لينقروا به ناقته، وهم يتخافتون، فغضب رسول الله ﷺ، وصاح بهم، وأمر حذيفة أن يضرب وجوه رواحلهم، قائلاً: إضرب وجوه رواحلهم.

فارعبهم رسول الله ﷺ بصياحه بهم إرعاباً شديداً، وعرفوا بأنّ رسول الله ﷺ علم بمكرهم وموامرتهم، فاسرعوا تاركين العقبة حتى خالطوا الناس.

يقول حذيفة: فعرفتهم برواحلهم، وذكرتهم لرسول الله ﷺ وقلت: يا رسول الله لا تبعث إليهم لتقتلهم؟ فأجابه رسول الله ﷺ في لحن ملوّه الحنان والعاطفة: إنّ الله أمرني أن أعرض عنهم، وأكره أن يقول الناس: إنّه دعا أناساً من

١ . سير اعلام النبلاء: ٢ / ٣٦٣-٣٦٤.

قومه وأصحابه إلى دينه فاستجابوا له فقاتل بهم حتى ظهر على عدوه ثم أقبل عليهم فقتلهم، ولكن دعهم يا حذيفة فإن الله لهم بالمرصاد. (١)

مات حذيفة بالمدائن سنة ٣٦ هـ - وقد شاخ.

له في الصحيحين اثنا عشر حديثاً، وفي البخاري ثمانية، وفي مسلم ١٧ حديثاً، وقد جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١٤٠ حديثاً.

إن المترجم صاحب السرّ وقد نقل عنه أنه قال: كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله الشر مخافة أن يدركني. (٢)

فلاجل ذلك نرى في أحاديثه كثرة الإخبار عن الفتنة، فلنذكر شيئاً من روائع أحاديثه ثم نقل بعض ما عزي إليه من الروايات السقيمة.

روائع أحاديثه:

١. أخرج مسلم في صحيحه، عن ربيعي بن حراش، عن حذيفة في حديث قتيبة، قال: قال نبيكم ﷺ: كل معروف صدقة. (٣)

٢. أخرج أحمد في مسنده، عن أبي عبيدة بن حذيفة، عن حذيفة، قال: سأل رجل على عهد النبي ﷺ فأمسك القوم، ثم إن رجلاً أعطاه فأعطى القوم، فقال النبي ﷺ: من سنّ خيراً فاستنّ به، كان له أجره ومن أجور من اتبعه غير منتقص من أجورهم شيئاً، و من سنّ شراً فاستنّ به، كان عليه وزره ومن أوزار من يتبعه غير منتقص من أوزارهم شيئاً. (٤)

١ . المغازي للواقدي: ١٠٤٢/٣ - ١٠٤٥؛ مجمع البيان: ٤٦/٣؛ بحار الأنوار: ٢٤٧/٢١.

٢ . سير اعلام النبلاء: ٣٦٥/٢ نقلاً عن البخاري.

٣ . صحيح مسلم: ٨٢/٣، باب انّ اسم الصدقة يقع على كلّ نوع من المعروف.

٤ . مسند أحمد: ٣٨٧/٥.

٣. أخرج أحمد في مسنده، عن عابس، عن حذيفة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من شرط لأخيه شرطاً لا يريد أن يفني له به، فهو كالمدي جاره إلى غير ذي منعة. (١)
٤. أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي وائل، عن حذيفة، أنه بلغه أن رجلاً ينم الحديث، فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يدخل الجنة نمام. (٢)
٥. أخرج أحمد في مسنده، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ مما أدرك الناس من أمر النبوة الأولى: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت. (٣)
٦. أخرج ابن ماجه في سننه، عن ابن سيرين، عن حذيفة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تعلّموا العلم لتباهوا به العلماء، أو لتماروا به السفهاء، أو لتصرفوا وجوه الناس إليكم، فمن فعل ذلك فهو في النار. (٤)
- ولعلّ كونه في النار لأجل ما يترتب على تلك الأعمال من أمور محرمة غير محمودة العواقب.
٧. أخرج أحمد في مسنده، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة، عن النبي ﷺ، قال: إنّها ستكون أمراء يكذبون ويظلمون، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس منّا ولست منهم، ولا يرد عليّ الحوض؛ ومن لم يصدّقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم فهو منّي وأنا منه، وسيرد عليّ الحوض. (٥)

١ . مسند أحمد: ٤٠٤/٥ .

٢ . صحيح مسلم: ٧٠/١، باب بيان غلط تحريم النميّة.

٣ . مسند أحمد: ٣٨٣/٥ .

٤ . سنن ابن ماجه: ٩٦/١ برقم ٢٥٩ .

٥ . مسند أحمد: ٣٨٤/٥ .

٨. أخرج أحمد عن أبي وائل، عن حذيفة، أنّ رسول الله ﷺ قال: ليردّن عليّ الحوض أقوام ليختلجون دوبي فأقول ربّ أصحابي، ربّ أصحابي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. (١)

ويؤيده قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (التوبة/١٠١).

ورواه مسلم بلفظ قريب منه، عن شقيق، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: أنا فرطكم على الحوض، ولأنازعنّ أقواماً ثمّ لأغلبنّ عليهم، فأقول: يا ربّ، أصحابي، أصحابي، فيقال: أنت لا تدري ما أحدثوا بعدك. (٢)

٩. أخرج الترمذي في سننه، عن زر بن حبیش، عن حذيفة، في حديث... أتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب، فصلّى حتى صلى العشاء ثمّ انفتل، فتبعته فسمع صوتي، فقال: من هذا، حذيفة؟ قلت: نعم؛ قال: ما حاجتك غفر الله لك ولاّمك، قال: إنّ هذا ملك لم ينزل الأرض قط، قبل هذه الليلة، استأذن ربّه أن يسلم عليّ ويشرني بأنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة وإنّ الحسن والحسين سيّد شباب أهل الجنّة. (٣)

١٠. أخرج مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن عكيم، قال: كنّا مع حذيفة بالمدائن فاستسقى حذيفة، فجاءه دهقان بشراب في إناء من فضّة فرماه به، وقال: إيّ اخبركم أيّ قد أمرته أن لا يسقيني فيه، فإنّ رسول الله ﷺ قال: لا تشربوا في إناء الذهب والفضة، ولا تلبسوا الدّيّاج والحريز،

١ . مسند أحمد: ٣٨٨/٥.

٢ . صحيح مسلم: ٦٨/٧، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

٣ . سنن الترمذي: ٥/٦٦٠ - ٦٦١ برقم ٣٧٨١ وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده: ٥/٣٩٢.

فإنه لهم في الدنيا وهو لكم في الآخرة يوم القيامة. (١)

هذه بعض روايات أحاديثه، وثمة مرويات عزيت إليه ربما لا توافق الموازين وإليك نقل بعضها:

١. نفاة القدر مجوس هذه الأمة

أخرج أبو داود في سننه، عن رجل من الأنصار، عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوهم، وهم شيعة الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال. (٢)

لا شك أن القضاء والقدر من العقائد الإسلامية التي لا يخفى على إنسان له أدنى إلمام بالقرآن والسنة قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان/٣-٤).

والليلة المباركة هي ليلة القدر، قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وقد ورد في غير واحدة من الآيات أن كل ما يصيب الإنسان فقد قُدر من قبل أن يصيبه، قال سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد/٢٢).

فمصير الإنسان تابع لأمرين، أحدهما: ما يصيبه من دون أن يكون له فيها دور أو إختيار، كالأمر الخارجة عن اختياره من موته ومرضه إلى غير ذلك.

وثانيهما: الأفعال التي تعد ملاكاً للثواب والعقاب والتحسين والتقبيح. فليس معنى التقدير هو سلب المسؤولية والاختيار عنه، بل تقديره سبحانه، هو

١ . صحيح مسلم: ١٣٦/٦، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة من كتاب اللباس والزينة.

٢ . سنن أبي داود: ٢٢٢/٤ برقم ٤٦٩١.

أنّه خلق الإنسان فاعلاً مختاراً وقدّر أن يكون هو مصدرًا للأعمال عن اختيار.
أقول: إنّ القدر بالمعنى الذي جاء في هذه الرواية وغيرها من الأفكار التي طرحت بعد رحيل النبي ﷺ وفرق المسلمين إلى فرقتين.

إحدهما: فرقة تفسّر الكون وما يصدر من الإنسان بتقديره سبحانه، و أنّه لا مؤثر ولا فاعل ولا سبب إلاّ الله سبحانه، و أنّه ليس ثمة دور للفواعل الطبيعية كالنار والماء ولا لغيرهما من الفواعل العالمة والمريدة.

فالقدر بهذا المعنى هو الجبر المطلق، وقد بثتها اليهود في الأوساط الإسلامية، ولأجل ذلك ذهبوا إلى أنّ الله سبحانه مغلولة بعد التقدير لا يمكن له أن يبدل القدر، قال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ (المائدة/٦٤).

وقد اغتَرّ السُّدّج من المسلمين بهذه الإسرائيليات، وحيكت العديد من الروايات لدعم فكرة القدر، وإعطائها حجماً أكبر ممّا تستحق، وأتمّ نافذة تطل على الكون والحياة الإنسانية وما يصدر من الخير والشرّ، ومنها هذه الرواية.

ثانيهما: إثبات الاختيار للإنسان وجعل المسؤولية على عاتقه في المجال الذي يناط به الإيمان والكفر، والثواب والعقاب، والحسن والقبح، على وجه يجتمع مع القول بقضائه سبحانه وقدره بالبيان التالي:

إنّ تقديره سبحانه يشمل جميع العلل والفواعل، والجماد و الحيوان والإنسان، ولكن تختلف كيفية التقدير حسب اختلاف ذوات الفواعل، فالتقدير في الفاعل الطبيعي هو أن يصدر منه الفعل جبراً بلا اختيار، ومثله ما يصدر من الحيوان، فأنّه وإن كان فاعلاً شاعراً، ولكنّه فاعل غير مختار، فالتقدير فيه صدور الفعل عن شعور بلا اختيار.

ويقابلها الإنسان فهو فاعل شاعر مختار، فتقديره سبحانه هو أن يكون مبدءاً لفعله عن شعور واختيار، مختاراً في فعله وتركه، غير مجبور على واحد من الطرفين، فاللازم الاحتفاظ بأصلين: الأول: شمولية التقدير لكل فاعل طبيعي وغير طبيعي، حتى لا يخرج شيء في عام الوجود عن مجال تقديره وقضائه.

الثاني: التحفظ على كون الإنسان فاعلاً مختاراً يصدق في حقه قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف/٢٩).

فأصحاب التقدير الذين يحتلّ عندهم القدر مقاماً شامخاً، يأخذون بالأصل الأول ويذرون الأصل الثاني، ولكن الإنسان الواعي يأخذ بكلا الأصلين ولا يُبطل أحدهما بالآخر. فمن أمعن في الروايات المروية حول القضاء والقدر يستنبط أنّها تروّج فكرة جبرية يهودية، بزعم أنّ التقدير يخرج الأمر عن اختياره سبحانه، واختيار فاعله فردّ عليها سبحانه بقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ (المائدة/٢٦) وغيره مما ورد في تقرير كون الإنسان فاعلاً مختاراً.

٢. وجوب إطاعة الجائر

أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سلام، قال: قال حذيفة بن اليمان، قلت: يا رسول الله إنّنا كنّا بشرّ فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرّ؟ قال: نعم. قلت: كيف؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم، قلوب الشياطين في جثمان انس، قال: قلت: كيف

اصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع. ^(١)

والحديث محمول على ما إذا كان في النهوض ضدهم والتمرد عليهم مفسدة كبرى، وإلا فالسكوت امام الظالم وإطاعة أمره تقوية شوكته ودعم لمبدأ الظلم. وهذا يخالف القرآن الكريم: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف/٢٨).

وقال سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ (الإنسان/٢٤).

كما يخالف ما روي عن النبي ﷺ عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام.

روي الطبري، عن الحسين بن علي عليه السلام، أنه خطب أصحابه وأصحاب الحر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس اتّرسول الله ﷺ « قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم و العدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله. ^(٢)

وهذه النصوص الرائعة المؤيدة بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين الذين قاموا في وجه الطغاة من بني أمية وبني العباس، تشهد بأن ما نسب إلى الصحابة والتابعين من الاستسلام والسكوت أمام ظلم الظالمين ما هي إلا مفتعلات وضعها علماء البلاط الحاكم ومرزقتهم بغية تحقيق مآربهم.

١ . صحيح مسلم: ٢٠/٦، باب الأمر بلزوم الجماعة.

٢ . تاريخ الطبري: ٣٠٤/٤ حوادث عام ٦١هـ - وقد مرّ النص أيضاً فلاحظ.

٣. لزوم الاقتداء بالشيخين

أخرج الترمذي، عن ربعي، عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر و عمر.

وأخرج عنه أيضاً، قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: إني لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي. وأشار إلى أبي بكر وعمر. (١)

وثمة تساؤلات وتأملات في هذه الرواية:

أولاً: إنّ الرواية معارضة بنفس ما روي عن حذيفة في ذلك المجال، فقد أخرج الترمذي في سننه عن زاذان، عن حذيفة، قال: قالوا: يا رسول الله لو استخلفت، قال: إن أستخلف عليكم فعصيتموه غدّيتم، ولكن ما حدّثكم حذيفة فصّدّقوه و ما أقراكم عبد الله فأقرّوه.

قال الترمذي: هذا حديث حسن (٢)

ثانياً: لو كان النبي أمر بالافتداء به في حال يتنبأ عن عدم بقائه كان على الشيخين والمهاجرين في السقيفة الاستدلال بالرواية مع أنّهما لم يحتجّا بها ولا غيرهما أيضاً، بل كان الجهد منصباً على أنّ المهاجرين من عشيرة النبي «ﷺ» وعشيرته أولى بالخلافة من غيرهم.

ثالثاً: إنّ الحديث الثاني أيضاً مكذوب على لسان رسول الله، فإنّه استخلف غير مرة استخلافاً عاماً، فتجد استخلافه في الموارد التالية:

١ . سنن الترمذي: ٥/٦٠٩ - ٦١٠ برقم ٣٦٦٢؛ وأخرجه أيضاً ابن ماجة باللفظ الأخير: ١/٣٧ برقم ٩٧.

٢ . سنن الترمذي: ٥/٦٧٥ برقم ٣٨١٢.

أ. حديث بدء الدعوة

أخرج الطبري وغيره بسنده، عن علي بن أبي طالب، أنه لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا أربعين رجلاً فيهم أعمامه وعشيرته فتكلم بالكلام التالي، وقال:

يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتم به، إني قد جئتم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيتكم يوازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم، قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: ... أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. (١)

ب. حديث المنزلة

روى أهل السير والتاريخ أنّ رسول الله ﷺ خلف علي بن أبي طالب عليه السلام على أهله في المدينة عند توجهه إلى تبوك، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلفه إلا استثقلاً له، فلما قال ذلك المنافقون، أخذ علي بن أبي طالب عليه السلام سلاحه، ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجراف، فقال: ما نشره المنافقون، فأجاب النبي ﷺ: أفلا ترضى يا علي أن تكون مّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. (٢)

١ . تاريخ الطبري: ٢/٦٣-٦٤ وغيره من المصادر المتوفرة.

٢ . صحيح البخاري: ٦/٣، غزوة تبوك؛ وصحيح مسلم: ٧/١٢٠، في فضائل علي؛ السيرة النبوية: ٢/٥١٩؛ إلى غير ذلك.

ودلالة الحديث على أنّ النبي ﷺ أفاض على علي بن أبي طالب بإذن من الله سبحانه الخليفة، واضحة لأنّ كلمة «منزلة» اسم جنس أضيف إلى هارون، وهو يقتضي العموم، فيدل على أنّ كلّ مقام و منصب كان ثابتاً لهارون فهو ثابت لعلي بن أبي طالب، إلاّ ما استثناه، وهو النبوة، وقد كان هارون خليفة لموسى بالضرورة.

ج. حديث الغدير

وهو حديث معروف متواتر، وحاصله أنّ النبي عندما وصل إلى غدير خم من الجحفة عند منصرفه من حجّة الوداع، أمر بردّ من تقدّم من الحجاج، وحبس من تأخر عنهم، حتى إذا أخذ القوم منازلهم، قام خطيباً وسط القوم على أكتاف الإبل فقال: أستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقّ، وناره حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟

قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال: اللهم اشهد، ثمّ قال: أيّها الناس، ألا تسمعون؟

قالوا: نعم.

قال: فإني فرط على الحوض، فانظروني كيف تخلفوني في الثقلين.

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: الثقل الأكبر، كتاب الله، والآخر الأصغر عترتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنّهما لن يفترقا

حتى يردا عليّ الحوض، فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا.

ثمّ أخذ بيد عليّ فرفعها، حتى روي بياض آباطهما، وعرفه القوم

أجمعون، فقال: أيّها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟
قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، من كنت مولاه، فعليّ مولاه - يقولها ثلاث مرّات - ثمّ قال: اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَأَحِبِّ مَنْ أَحَبَّهُ، وَأَبْغِضِ مَنْ أَبْغَضَهُ، وَانصِرْ مَنْ نصره، وَاخْذِلْ مَنْ خَذَلَهُ، وَأَدْرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ، الْآ فليبلغ الشاهد الغائب.

ثمّ لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة/٣)، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالي والولاية لعلي من بعدي. (١)

٤. غفران الله لمن أمر بإحراق بدنه بعد الموت

أخرج البخاري، عن ربي بن حراش، قال: قال عقبة لحذيفة: ألا تحدثنا ما سمعت من النبي ﷺ ، قال: سمعته يقول: إنّ رجلاً حضره الموت لما آيس من الحياة أوصى أهله إذا متّ، فأجمعوا لي حطباً كثيراً، ثمّ أوزوا فيه ناراً حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي، فخذوها فاطحنوها، فذروني في النّيم، في يوم حارٍ أو راح، فجمعه الله. فقال له: لِمَ فعلت؟ قال: حَشَيْتَكَ، فغفر له. (٢)

١ . الغدير: ٣٤/١ - ٤٢ قد بسط الكلام في مصادر الحديث ورواته قرناً بعد قرن.

٢ . صحيح البخاري: ١٧٦/٤، حديث الغار؛ وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة: ٩٨/٨، باب في سعة رحمة الله تعالى.

أقول: رواها أبو هريرة بلفظ آخر عن النبي ﷺ قال: كان رجلٌ يسرف على نفسه فلما حضره الموت، قال لبيته: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم أطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر عليّ ربّي ليعذبني عذاباً ما عدّ أحدٌ، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض، فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت فإذا هو قائم.

فقال: ما حملك على ما صنعت، قال: يا ربّحشيتك، فغفر له، وقال غيره: مخالفتك يا ربّ. ^(١)
وقد رواه البخاري أيضاً عن أبي سعيد الخدريّ.

وعلى آية حال، فالرواية تنتهي تارة إلى حذيفة بن اليمان، وأخرى إلى أبي هريرة، وثالثة إلى أبي سعيد الخدريّ.

وفي الرواية تساؤلات

أولاً: الظاهر أنّ الموصي أوصى بما أوصى لئلا يُحشر ويعذب، وزعم أنّه سبحانه لا يقدر على حشره إذا أحرق بدنه ودُزّر رماد بدنه في الريح، كما هو ظاهر قوله على ما نقل أبو هريرة «والله لئن قدر عليّ ربّي ليعذبني عذاباً ما عدّ أحدٌ» وهذا اعتقاد بعجزه سبحانه من حشره، إذا حرق و دُزّر.

وهذا النوع من العقيدة جهل بقدرته سبحانه ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الأنعام/٩١) وهو موجب للعقاب لا للغفران، ولما وقف ابن حجر على ذلك اعتذر بأنّ الرجل قال ذلك في حالة دهشته وغلبة الخوف عليه، حتى ذهب بعقله لما يقول، ولم يقله قاصداً لحقيقة معناه، بل في حالة كان فيها كالغافل والذاهل والناسي الذي لا يواخذ بما يصدر منه. ^(٢)

١ . صحيح البخاري: ١٧٦/٤، حديث الغار.

٢ . فتح الباري: ٥٢٣/٦ شرح حديث ٣٤٨١.

وأنت خبير بأنّ تلك الوصية بالنحو الوارد في الرواية كاشفة عن أنّه أوصى بذلك وهو في سلامة عقله، فكيف يحمل على أنّه أوصى ذاهلاً وناسياً؟
وانّه سبحانه وتعالى أعرف بالإنسان من نفسه، فلماذا يأمر الأرض بجمع رماده ثمّ يحييه ويسأله: لِمَ فعلت ذلك؟

ثانياً: أنّ ظاهر الآيات أنّ الإنسان إذا مات فلا يرجع إلى الدنيا إلاّ لغايات خاصة، كإحياء الموتى لغاية إثبات النبوة، أو إحياء أصحاب الكهف لغاية إثبات إمكان المعاد.

قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيُعْلَمُوا أَن تَوَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ (الكهف/ ٢١) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على إحياء الموتى كإحياء عزيز^(١) لتلك الغاية أيضاً. وأمّا إذا لم تكن ثمة غاية كإتمام الحجّة فلا يرجع إلى الدنيا، ويترك حسابه إلى الآخرة، قال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون/ ٩٩-١٠٠).

فنخلص إلى القول: بأنّ الرواية تخالف الذكر الحكيم، مضافاً إلى أنّها أشبه بالاسرائيليات التي رُوّج لها مستسلمة أهل الكتاب، ثمّ نشرها السُّدّج في أوساط المسلمين دون وعي.

٥. الدجال معه ماء ونار

أخرج البخاري، عن عقبة بن عمر، عن حذيفة، أنّه سأله وقال: ألاّ تحدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ قال: إنّّي سمعته يقول: إنّ مع الدجال إذا خرج ماءً وناراً، فأما الذي يرى الناس أنّها النار فماء بارد، وأمّا

١ . البقرة: ٢٥٩.

الذي يرى الناس أنه ماء بارد، فنار تحرق، فمن أدرك منكم فليقع في الذي يرى أنها نار، فإنها عذب بارد. (١)

أقول: إن الرواية مهما صحّ سندها فهي من الإسرائيليات، التي لا يقام لها وزن، حتى أنّ البخاري ذكرها في باب تحت عنوان ما ذكر عن بني إسرائيل. (٢)
وان ذكرها في كتاب الفتن من الجزء التاسع بصورة موجزة. (٣)

وذلك أولاً: أنّ تزويد الدجال بهذه المعجز يوّدي إلى إضلال الناس، والغاية من خلقة الإنسان هي الهداية لا الضلالة، وسيوافيك توضيحه عند دراستنا لأحاديث المغيرة بن شعبة.
وثانياً: أنّ اختلاف المرئي في نظر الرائي رهن كون الدجال ساحراً، ويُحَيَّل الشيء بصورة عكسه، وهذا أيضاً من أسباب الضلال، فلماذا سلطه سبحانه على العباد.
وأما تفسير ابن حجر وقوله: يجعل الله باطن الجنة التي يسخرها الدجال ناراً وباطن النار جنة. (٤)

فهو تفسير بعيد لا يحمل عليه كلام أصحاب البلاغة، فالحقّ أنّ أكثر ما ورد حول الدجال إسرائيليّات، لا يدعن بها العقل الحصيف، ولا يُظن لعاقل أن يصدق، وإن كان أصل ظهور الدجال في آخر الزمان أمراً مسلماً بين المسلمين.

-
- ١ . صحيح البخاري: ١٦٩/٤، باب ما ذكر عن بني إسرائيل و٦٠/٩ باب ذكر الدجال؛ وأخرجه مسلم أيضاً في صحيحه: ١٩٥/٨، باب ذكر الدجال وصفته ومأمعه.
 - ٢ . صحيح البخاري: ١٦٩/٤.
 - ٣ . صحيح البخاري: ٦٠/٩، باب ذكر الدجال من كتاب الفتن.
 - ٤ . فتح الباري: ٩٩/١٣.

٦. مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَصُونٌ عَنِ الْفِتْنَةِ

أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: قَالَ حَذِيفَةُ: مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ تَدْرِكُهُ الْفِتْنَةُ إِلَّا أَنَا أَخَافُهَا عَلَيْهِ
إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَا تَضْرِكُ الْفِتْنَةَ ^(١)
أَقُولُ: إِنَّ التَّارِيخَ الصَّحِيحَ لَا يَصْدُقُ الرَّوَايَةَ، فَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ تَخَلَّفَ عَنِ بَيْعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ أَنْ تَدَافَعَ إِلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ وَ فِي طَلِيعَتِهِمْ بَقَايَا الْمُهَاجِرِينَ وَجَمُوعَ الْأَنْصَارِ ، وَقَعَدَ عَنِ
نَصْرَةِ الْإِمَامِ فِي مَعَارِكِ الْجَمَلِ وَ صَفَيْنَ وَالنَّهْرَوَانَ وَبَقِيَ فِي الْمَدِينَةِ، فَالرَّجُلُ سَقَطَ فِي الْفِتْنَةِ، ﴿أَلَا فِي
الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ (التوبة/٤٩).

وَأَغْلَبَ الظَّنُّ أَنَّ الرَّوَايَةَ حَيْكَتٌ لِأَجْلِ إِرَاءَةِ أَنَّ قِيَامَ الْإِمَامِ عَلِيِّ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» ضَدَّ النَّكَثِينَ
وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ كَانَ فِتْنَةً، وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ وَجُوهُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا
مَصُونِينَ عَنْهَا، وَلَمْ يَدْخُلْهَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ لِأَنَّهُ كَانَ مَصُونًا عَنْهَا بِنَصِّ النَّبِيِّ
ﷺ.

وَلَعَمْرُ الْحَقِّ، لَوْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصُدُّ انْقِذَاحَ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ وَغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ، كَانَ عَلَيْهِ
أَنْ يَحْدِدَ الْفِتْنَةَ مَوْضِعًا وَمَحْمُولًا، وَالْآثَارُ الْوَحِيمَةُ الْمُرْتَبَةِ عَلَيْهَا، حَتَّى يَتَبَيَّنَ الْحَقُّ لِطَلَابِهِ، وَلَا يَقَعُ
فِيهَا جَمْهُورُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَنِ عَمْدٍ أَوْ غَفْلَةٍ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ الرَّوَايَةَ نَظِيرُ مَا رَوَاهُ أَبُو مُوسَى
الْأَشْعَرِيُّ عِنْدَمَا اعْتَذَرَ عَنِ الْمَشَارَكَةِ فِي الْأَحْدَاثِ الْوَاقِعَةِ بَعْدَ مَقْتَلِ عَثْمَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَتَنٌ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ، يَصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيَمْسِي كَافِرًا، وَيَمْسِي
مُؤْمِنًا وَيَصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي

١ . سنن أبي داود: ٢١٦/٤ برقم ٤٦٦٣.

فيها خير من الساعي».

قالوا: فما تأمرنا، قال: «كونوا أحلاس بيوتكم». (١)

ومعنى ذلك أنّ ما خاض فيه عليّ عليه السلام من الحروب الطاحنة ضد الناكثين والقاسطين والمارقين، كان فتنة، واللازم هو اجتنابها وهل يمكن لمسلم واع أن ينسب علياً إلى إثارة الفتنة مع اتّعلياً بنص الرسول صلى الله عليه وسلم مع الحق، والحقّ معه حيث ما دار؟! (٢)

١ . سنن أبي داود: ١٠١/٤ برقم ٤٣٦٢؛ مسند أحمد: ٤٠٨/٤.

٢ . تاريخ بغداد: ٣٢١/١٤؛ تفسير الرازي: ١١١/١ في تفسير البسمة وغيرها.

٩- عقبة بن عمرو

«أبو مسعود الأنصاري»

(... - ٤٠هـ -)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. جواز الإصغاء لغناء الجوّاري في العرس

٢. تعريف ٣٦ رجلاً من المنافقين

٣. حب الأصحاب وبغضهم

هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عُسيرة الأنصاري، شهد ليلة العقبة وهو صغير، ولم يشهد بدرأ، وشهد أحداً، ونزل الكوفة، فلما خرج علي عليه السلام إلى صفين استخلفه على الكوفة ثمّ عزله عنها، فرجع أبو مسعود إلى المدينة فمات بها في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان، وقد انقرض عقبه فلم يبق منهم أحد. ^(١)

وهو من المقلّين في الرواية، بلغت جميع رواياته في المسند الجامع إلى ٣٦ رواية.

١ . سير أعلام النبلاء: ٢/٤٩٣ برقم ١٠٣؛ وقيل في نسبه غير ذلك لاحظ طبقات ابن سعد: ١٦/٦.

حدث عنه: ولده بشير، وأوس بن ضمعج، وعلقمة، وأبو وائل، وقيس بن أبي حازم، وربيع بن حراش، إلى غير ذلك.

ومن روائع رواياته:

١. أخرج مسلم في صحيحه، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، قال: قال أبو مسعود البدري: كنت أضرب غلاماً لي بالسّوط، فسمعت صوتاً من خلفي: أعلم أبا مسعود، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا منّي إذا هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: أعلم أبا مسعود، أعلم أبا مسعود، قال: فألقيت السّوط من يدي، فقال: أعلم أبا مسعود إن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام.

قال: فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً. (١)

٢. أخرج أحمد في مسنده، عن أبي عمرو الشيباني، عن أبي مسعود الأنصاري، قال:

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أبدو بي (٢) فأحملي، فقال: ما عندي، فقال رجل: يا رسول الله أنا أدله على من يحمله.

فقال رسول الله ﷺ: من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله. (٣)

وإليك بعض ما عزي إليه مما لا يصح.

١. جواز الإصغاء لغناء الجوّاري في العرس

أخرج النسائي، عن عامر بن سعد، قال: دخلت على قرظة بن كعب، وأبي

١ . صحيح مسلم: ٩١/٥، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده. ووصفه بالبدري في سند الحديث محمول على المجاز لما عرفت أنه لم يشهد بدرأ.

٢ . ابدع به: أهمله وحّدّه.

٣ . مسند أحمد: ٢٧٢/٥.

مسعود الأنصاري في عرس، وإذا جوارٍ يغنين، فقلت: أنتما صاحبا رسول الله ﷺ، ومن أهل بدر، يُفعل هذا عندكم؟! فقال: اجلس إن شئت فاسمع معنا، وإن شئت فاذهب، قد رُحِّص لنا في اللهو عند العرس. (١)

والظاهر أنّ المرخص بزعمهما هو رسول الله، فعلى ذلك رُحِّص رسول الله ﷺ غناء الجواري في العرس للرجال، وهذا ما لا يصدقه الكتاب العزيز والسنة النبوية.

أما الكتاب فهو يأمر نساء النبي ﷺ بقوله: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ (النور/٣١).

وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ (الأحزاب/٣٢).

فإذا كان هذا أدب الإسلام، فكيف يرُحِّص النبي ﷺ للنساء أن يغنين لغيرهن؟! أو يُرُحِّص للرجال ما يثير الشهوة ويُميت القلب، ويحيي الغرائز الجامحة؟!

وأما السنة، فالرسول يفسر الغناء: بأنه من قبيل نفخ الشيطان في منخري المغنية. (٢)

ومع ذلك فكيف يسوغ لأُمَّته أن تستمع إلى نفخ الشيطان؟!

على أنّ تجويز اللهو في العرس، يخالف ما رواه عقبة بن عامر، من انحصار جواز اللهو في ثلاثة، حيث روى عبد الله بن زيد الأزرق، عن عقبة بن عامر الجهني، عن النبي ﷺ قال: ... كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل، إلّا رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، فإنّهنّ من الحق. (٣)

١ . النسائي: السنن: ١٣٥/٦، باب اللهو والغناء عند العرس.

٢ . مسند أحمد: ٣/٤٤٩.

٣ . سنن ابن ماجه: ٢/٩٤٠ برقم ٢٨١١؛ سنن الترمذي: ٤/١٧٤ برقم ١٦٣٧.

٢. تعريف ٣٦ رجلاً من المنافقين

أخرج أحمد في مسنده، عن عياض، عن أبي مسعود، قال:

خطبنا رسول الله ﷺ خطبة، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: إن فيكم منافقين، فمن سميت فليقم، ثم قال: قم يا فلان، قم يا فلان، قم يا فلان، قم يا فلان، حتى سمى ستة وثلاثين رجلاً، ثم قال: إن فيكم أو منكم، فاتقوا الله.

قال: فمرّ عمر على رجل ممن سمى، مقتنع، قد كان يعرفه، قال: مالك؟

قال: فحدّثه بما قال رسول الله ﷺ، فقال: بعداً لك سائر اليوم. (١)

نعلق على الحديث بالقول:

أولاً: إن الظاهر من قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (التوبة/١٠١).

إنّ النبي لم يكن يعرف المنافقين المندسين بين أصحابه، وإنما أخبره بهم الله سبحانه، ويظهر من قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد/٣٠). انه ﷺ إنما كان يعرفهم في لحن القول.

نعم عرف لفيماً منهم عندما حاولوا اغتياله عند رجوعه من تبوك، فعرفهم لحذيفة بن اليمان (٢) وعلى هذا فكيف وقف النبي على أهؤلاء منافقون، إلا أن يعرفهم من لحن القول فيعرفهم.

١ . مسند أحمد: ٢٧٣/٥.

٢ . مسند أحمد: ٤٥٣/٥.

ثانياً: إنّ رسول الله ﷺ كان يتمتع بأخلاق عالية، حتى وصفه الله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلِقَ عَظِيمٌ﴾ كما وصفه بكونه رحمة للعالمين، أفسوخ لمن يتمتع بالرفقة أن يعرف ٣٦ رجلاً ممن حوله بالنفاق ويقول: «إن فيكم أو منكم فاتقوا الله»؟ مضافاً إلى أنه مخالف للسياسة الحكيمة، ولذلك لم يعرف المحاولين لاغتياله عند رجوعه من «تبوك» إلا لشخص أو شخصين من أصحابه: حذيفة ابن اليمان و عمّار.

٣. حب الأصحاب وبغضهم

أخرج الترمذي، عن عبد الرحمان بن زياد، عن عبد الله بن مغفل، قال: قال رسول الله ﷺ: الله في أصحابي، الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، و من آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، و من آذى الله فيوشك أن يأخذه. (١)

إنّ هنا سؤالين:

الأول: إنّ ظاهر مفاد الخطاب في قوله: «لا تتخذوهم غرضاً»، هو أنّ الرسول خاطب رجالاً ليسوا من أصحابه فوصى بأصحابه أن يحسن إليهم، مع أنّ الواقع لم يكن كذلك، بل هو كان يتكلّم بين أصحابه، ولا يوجد فيهم أحد سواهم، وكان الجميع بمرأى ومسمع منهص، وعندئذ كيف يوصي أصحابه بالمخاطبين الذين هم أصحابه، وبالتالي يوصي أصحابه بأصحابه؟! وواضع الحديث قد غفل عن هذه النكتة، لأنّه كان في زمان متأخر عن زمان الصحابة.

الثاني: إنّ الرواية تخلق للصحابة هالة من القداسة، وتمنح لهم وصف

١ . سنن الترمذي: ٥/٦٩٦ برقم ٣٨٦٢، باب ٥٩.

العدالة، بل العصمة، على وجه لا يجوز تجريح واحد منهم، فكأنهم فوق مستوى عامة الناس لا يتسرب الشك إلى طهارتهم ونزاهتهم من كلّيب وشين.

مع أنّ صحيح الروايات يحكم على قسم كبير منهم بالردة والرجوع على أعقابهم القهقري، ونكتفي في ذلك بما جمعه ابن الأثير في كتابه في هذا المضمار، فقد نقل شيئاً كثيراً، منها:

١. روى عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: أنا فرطكم على الحوض، وليُرفعنَّ إليّ رجال منكم، حتى إذا أهويت إليهم لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي ربّ، أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. أخرجه البخاري ومسلم.

٢. روى أنس بن مالك: أنّ رسول الله ﷺ قال: ليردنَّ عليّ الحوض رجال ممّن صاحبي، حتى إذا رأيتهم، ورفعوا إليّ اختلجوا دوني، فلاقولنّ: أي ربّ، أصحابي أصحابي، فليُقالنّ لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وفي رواية: ليردنَّ عليّ الناس من أمتي - الحديث - و في آخره، فأقول: «سحقاً لمن بدّل بعدي» أخرجه البخاري و مسلم.

٣. روى أبو حازم، عن سهل بن سعد، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب، ومن شرب لم يظماً أبداً، وليردنَّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثمّ يُحال بيني وبينهم، قال أبو حازم: فسمع النعمان بن أبي عياش، وأنا أحدثهم هذا الحديث، فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري: لسمعته يزيد، فيقول: إنهم ميّ، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي. أخرجه البخاري و مسلم.

وللبخاري: أنّ رسول الله ﷺ، قال: بينا أنا قائم

على الحوض إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني و بينهم، فقال: هلمّ. فقلت: أين؟ فقال: إلى النار و الله.

فقلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم قد ارتدوا على أديبارهم القهقري. ثم إذا زمرة أخرى، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني و بينهم، فقال لهم: هلمّ، قلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم قال: إنهم قد ارتدوا على أديبارهم. فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هملّ النعم.

ومسلم: أن رسول الله ﷺ قال: ترد عليّ أمّتي الحوض و أنا أذود الناس عنه، كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله. قالوا: يا نبيّ الله تعرفنا؟ قال: نعم. لكم سيما ليست لأحد غيركم. تردون عليّ غراً محجلين من آثار الوضوء، وليصدّن عني طائفة منكم فلا يصلون.

فأقول: يا رب، هؤلاء من أصحابي، فيجيبني ملك، فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك!؟

٥. روت عائشة، قالت: سمعت رسول الله، يقول - و هو بين ظهرائي أصحابه - : «إني على الحوض أنتظر من يرد عليّ منكم. فوالله ليقتطعنّ دوني رجال، فلاقولنّ: أي ربّ، مّي ومن أمّتي! فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك. مازالوا يرجعون على أعقابهم . أخرجهم مسلم.

٦. روت أسماء بنت أبي بكر، قالت: قال رسول الله ﷺ : إني على الحوض، أنظر من يرد عليّ و سيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا رب، مني ومن أمّتي - و في رواية، فأقول: أصحابي - فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم. أخرجهم البخاري و مسلم.

٧. روت أمّ سلمة، قالت: كنت أسمع الناس يذكرون الحوض. ولم أسمع ذلك من رسول الله

ﷺ فلما كان يوماً من ذلك

والجارية تمشطني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيها الناس، فقلت للجارية، استأخري عني. قالت: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء فقلت: إي من الناس. فقال رسول الله ﷺ: إي لي لكم فرط على الحوض، فيأتي لا يأتي أحدكم، فيذبني عنكما كما يذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا. أخرجه مسلم.

٨. روى سعيد بن المسيب أنه كان يحدث عن أصحاب النبي قال: يرد علي الحوض رجال من أصحابي، فيخلون عنه. فأقول: يا رب، أصحابي، فيقول: إنك لا تعلم لك بما أحدثوا بعدك. أنهم ارتدوا على أديبارهم القهقري. أخرجه البخاري.

٩. روى أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، لأذودن رجلا عن حوضي. كما تزد الغريبة من الإبل عن الحوض. أخرجه البخاري ومسلم.

١٠. روى حذيفة بن اليمان: أن رسول الله ﷺ قال: إن حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن. والذي نفسي بيده: لأذودن عنه الرجال، كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه. قالوا: يا رسول الله، وتعرفنا؟ قال: نعم. تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء ليست لأحد غيركم. أخرجه مسلم. (١)

وهذه الأحاديث تعرب عن موقف محدثي أهل السنة بالنسبة إلى الصحابة، مع أنهم يتجاهلون هذه الروايات، وربما ينسبون مفادها إلى الشيعة، فأيهما أحق بهذه النسبة، أهؤلاء الذين رووا تلك الروايات ودونوها في صحاحهم وأسموها بأصح الكتب بعد كتاب الله؟ أم الشيعة الذين يأتمون بالإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام الذي يصف صحابة النبي ﷺ «

١. ابن الأثير: جامع الأصول: ١١/١١٩ - ١٢٣ برقم ٧٩٦٩ - ٧٩٧٩، كتاب القيامة، الفرع الأول في صفة الحوض.

بقوله: اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحابة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكانفوه^(١) وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت ثبوتته.^(٢)

والقول الحاسم في حق الصحابة هو ما ذهبت إليه الشيعة، وهو أنهم كالتابعين ففيهم الصالح والطالح والعاقل والفاسق.

فالشيعة لا تغالي في حق الصحابة، ولا تقدر جميع من سُمي بالصحابة بمجرد أنهم رَووا أو سمعوا حديثه، أو عاشروه ولو زمناً طويلاً، خصوصاً الذين مارسوا الفتن في حياته، وبعد وفاته وختموا حياتهم إلى جانب معاوية وغيره ممن تستروا بالإسلام بعد أن عجزوا عن مقاومته وباعوا ضمائرهم للشيطان.

١ . كانفوه: أعانوه.

٢ . الصحيفة السجادية الجامعة: ٤٣، الدعاء رقم ١٤، تحقيق و نشر مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

١٠ - تميم الداري

(...-٤٠هـ-)

سيرته وأحاديثه

أحاديثه السقيمة:

١. النبي ﷺ يحدث عن تميم الداري

تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة اللخمي الفلسطيني، و«الدار» بطن من لحم، ولحم: فخذ من يعرب بن قحطان.

وفد تميم الداري سنة تسع، كان نصرانياً فأسلم، فحدث عنه النبي ﷺ «على المنبر بقصة الجساسة في أمر الدجال.

ولتميم عدة أحاديث.

حدث عنه: ابن موهب عبد الله، وأنس بن مالك، وكثير بن مرة، وعطاء بن يزيد الليثي، ووزارة بن أوفى.

قال ابن سعد: لم يزل بالمدينة حتى تحول بعد قتل عثمان إلى الشام.

وروى الزهري، عن السائب بن يزيد، قال: أول من قصّ تميم الداري، استأذن عمر فأذن له، فقصّ قائماً.

والعجب أنّ الخليفة أذن لتميم الداري أن يقصّ أساطير اليهود والنصارى،

في الوقت الذي مَنَعَ عن كتابة الحديث، ونهى عن إفشائه ومذاكرته، فما هو المبرر من حرمان المسلمين عن سماع أحاديث نبيهم ﷺ والسماح للقصاصين في قص أساطيرهم وخرافاتهم؟! وثمة نكتة جديرة بالإشارة وهي أنّ النبي ﷺ أفضل الأمة وأعلمهم، فكيف يحدث عن واحد من أفراد الأمة، كتميم الداري ولم ير في متون التاريخ رواية المعصوم عن غيره. روى خالد بن عبدالله، عن بيان، عن وبرة، قال: رأى عمر تميمياً الداري يصلي بعد العصر، فضربه بدرته على رأسه. فقال له تميم: يا عمر، تضربني على صلاة صليتها مع رسول الله ﷺ؟! قال: يا تميم، ليس كلّ الناس يعلم ما تعلم.

وأخرج ابن ماجه باسناد ضعيف، عن أبي سعد، قال: أول من أسرج في المساجد تميم الداري. يقال: وجد على بلاطة قبر تميم الداري: مات سنة أربعين.

وحديثه يبلغ ثمانية عشر حديثاً، منها في صحيح مسلم حديث واحد. ^(١)

وجمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١١ حديثاً. ^(٢)

روائع أحاديثه

١. أخرج مسلم في صحيحه، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن تميم الداري، أنّ النبي

ﷺ قال: الدين النصيحة، قلنا: لمن، قال لله،

١ . سير أعلام النبلاء: ٢/٤٢٢ - ٤٢٨ - برقم ٨٦.

٢ . المسند الجامع: ٣/٢٩٢ - ٢٩٨ - برقم ٥٩.

ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم. (١)

٢. أخرج أحمد في مسنده، عن زرارة بن أوفى، عن تميم الداري، عن النبي ﷺ قال: أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته، فإن أكملها كتبت له كاملة، وإن لم يكن أكملها، قال الله سبحانه لملائكته: انظروا، هل تجدون لعبدي من تطوع، فأكملوا بما ما ضيّع من فريضة، ثم الزكاة، ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك. (٢)

وقد عزي إليه حديث لا يستقيم مع الضوابط المقررة.

النبي ﷺ يحدث عن تميم الداري

أخرج مسلم في صحيحه، عن عامر بن شراحيل الشعبي شعب همدان أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس، وكانت من المهاجرات الأول [قال شراحيل لفاطمة ج حدثني حديثاً سمعته من رسول الله لا تسنده إلى أحد غيره.

فقلت: لعن شئت لأفعلن - إلى أن قالت - سمعت نداء المنادي، منادي رسول الله ﷺ ينادي الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله ﷺ، فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم.

فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: ليلزم كل إنسان مصلاه، ثم قال: أتدرون لِمَ جمعتمكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

١ . صحيح مسلم: ٥٣/١، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون و أنّ محبة المؤمنين من الإيمان من كتاب الإيمان.

٢ . مسند أحمد: ١٠٣/٤.

قال: إيّ والله ما جمعتمكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتمكم لأنّ تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فحاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال.
حدثني أنّه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لحم وجُدام، فلعب بهم الموح شهوراً في البحر، ثم ارفوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر.

فقالوا: ويلك ما أنت؟

فقلت: أنا الجساسة.

قالوا: وما الجساسة؟

قلت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدّير، فإنّه إلى خبركم بالأشواق.

قال: لما سمّت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة.

قال: فانطلقنا سراعاً، حتى دخلنا الدّير، فإذا فيه أعظم إنسان رأينا قط خلقاً وأشدّه وثاقاً،

مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد.

قلنا: ويلك ما أنت؟

قال: قد قدرتم على خبري فاحبروني ما أنتم؟

قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموح

شهوراً، ثم ارفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا

يُدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر.

فقلنا: ويلك ما أنت؟

فقلت: أنا الجساسة.

قلنا: وما الجساسة؟

قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فاتّه إلى خيركم بالأشواق، فاقبلنا إليك سراعاً و فزعنا

منها، ولم نأمن من أن تكون شيطانة.

فقال: أخبروني عن نخل بيسان.

قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟

قال: أسألکم عن نخلها هل يثمر؟

قلنا له: نعم.

قال: أما إنّه يوشك أن لا تثمر.

قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية.

قلنا : عن أي شأنها تستخبر؟

قال: هل فيها ماء؟

قالوا: هي كثيرة الماء.

قال: أما إنّ ماءها يوشك أن يذهب.

قال: أخبروني عن عين زُغر.

قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟

قال: هل في العين ماء، وهل يزرع أهلها بماء العين؟

قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها.

قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟

قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب.

قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم.

قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه.
قال لهم: قد كان ذلك، قلنا: نعم، قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا أهبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليّ كلتاها كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدني عنها، وإن على كلنقب منها ملائكة يحرسونها.
قالت: قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة يعني المدينة، ألا هل كنت حدثتكم ذلك، فقال الناس: نعم، فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه، وعن المدينة ومكة، إلا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن بل من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو، وأوماً بيده إلى المشرق.

قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ. (١)

وفي الحديث أمارات كثيرة على الدس و الوضع، ونحن نقتصر منها على أمرين:
الأول: انالني ﷺ أعلم الأمة وأفضلهم ولا يدانيه أحد في ذلك، الذي قال عنه سبحانه: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء/١١٣).
فإذا كان هو أعلم الأمة، فكتابه هو المهيم على جميع الكتب السماوية،

١ . صحيح مسلم: ٢٠٣/٨ - ٢٠٥، باب في خروج الدجال ومكنه في الأرض من كتاب الفتن وأشراف الساعة.

كما قال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة/٤٨).

فإذا كان الأمر كذلك، فما هي الحاجة للحصول على تأييد تميم الداري بصحة كلامه؟! وهذا يحط من شأن النبي ﷺ وكتابه المنزل.

فتميم الداري أحوج إلى تأييد النبي ﷺ.

الثاني: أهذه الجزيرة التي حدث عنها تميم الداري في أي مكان من الأرض تقع؟ فعلماء الجغرافية قد مسحوا الأرض مسحاً دقيقاً فلم يعثروا على مثل تلك الجزيرة. مضافاً إلى ما في متن الحديث من أمور خرافية لا يستحسنها إلا السذج من الناس.

١١- أبو موسى الأشعري

(...-٤٢هـ-)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. صحابي أعرف بالمصلحة من رسول الله ﷺ.
٢. أهل الكتاب لهم أجران. ٣. التجسيم في أحاديثه
٤. الفداء في أحاديثه ٥. الميت يعدّب ببيكاء الحيّ
٦. القعود خير من القيام ٧. الإرجاء في حديثه

هو عبد الله بن قيس بن سليم، قحطاني، أسلم بمكة، ويقال هاجر إلى أرض الحبشة، ثمّ قدم مع أهل السفينتين ورسول الله ﷺ بخير؛ وربما يقال قد أسلم بمكة قديماً ثمّ رجع إلى بلاد قومه، فلم يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعريين على رسول الله ﷺ فوافق قدومهم قدوم أهل السفينتين جعفر وأصحابه من أرض الحبشة ووافقوا رسول الله ﷺ بخير. (١)

والثاني هو الصواب، فإنّ ابن إسحاق والواقدي وغيرهما لم يذكرهما من

١ . ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/١٠٥.

مهاجرة الحبشة، وعلى أية حال، كان عامل رسول الله ﷺ على زبيد وعدن، واستعمله عمر بن الخطاب على البصرة، وشهد وفاة أبي عبيدة الجراح في الشام، ولما قُتل عمر كان أبو موسى على البصرة فأقره عثمان عليها ثمّ عزله، واستعمل بعده ابن عامر، فسار من البصرة إلى الكوفة فلم يزل بها حتى أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص وطلبوا من عثمان أن يستعمله عليهم، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان ^(١) فأقره الإمام علي عليه السلام ثمّ عزله.

ولما نكثت طائفة بيعة الإمام علي عليه السلام وعلى رأسهم طلحة والزبير وعائشة، وجعلوا البصرة قاعدة لجيشهم، سار الإمام نحوهم ليُطفئ نار الفتنة، وبعث بكتاب إلى أبي موسى الأشعري ليقرأه على الناس ويستنفرهم إلى نصرته.

ذكر الطبري أنّ الإمام كتب إلى أبي موسى: أيّ وجهت هاشم بن عتبة ليُنهض من قبلك من المسلمين إليّ، فأشخص الناس فإنّ-ي لم أولك الذي أنت به، إلاّ لتكون من أعواني على الحقّ. فدعا أبو موسى، السائب بن مالك الأشعري، فقال له: ما ترى؟ قال: أرى أن تتبع ما كتب به إليك، قال: لكّي لا أرى ذلك، فكتب هاشم بن عتبة إلى علي عليه السلام: أنّه قد قدمتُ على رجل غالمشاقٍ ظاهر الغل و الشنآن.

وبعث بالكتاب مع المحل بن خليفة الطائي، ولما وصل الكتاب إلى الإمام ووقف على تشييطه عزائم الناس، بعث ابنه الحسن بن علي و عمار بن ياسر يستنفران له الناس، وبعث قرظة بن كعب الأنصاري أميراً على الكوفة، وكتب معه إلى أبي موسى أمّا بعد: فقد كنت أرى أن تعزب عن هذا الأمر الذي لم يجعل الله عزّ وجلّ لك منه نصيباً، سيمنعك من ردّ أمري، وقد بعثت الحسن بن علي وعمار بن ياسر يستنفران الناس، وبعثت قرظة بن كعب والياً على المصر،

١ . الجزري: أسد الغابة: ٢٤٦/٣.

فاعتزل عملنا مذموماً مدحوراً.^(١)

لقد واجه الإمام بعد وقعة الجمل، واقعة صفين التي أشعل نائرتها القاسطون، وحمل رايتها معاوية بن أبي سفيان، فدارت بين علي والقاسطين حرب طاحنة كاد النصر أن يكون حليف علي وعساكره لولا الفتنة التي أثارها عمرو بن العاص، فرفعوا المصاحف على الأستنة، ونادوا يا معشر العرب، الله الله في نسائكم وبناتكم، فمن للروم والأتراك وأهل فارس غداً إذا فُنيتم، الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم.

وقد أثرت تلك المكيدة على هم كثير من قواد جيش علي «عليه السلام»، فألزموا علياً على إيقاف الحرب والخضوع إلى حكم القرآن.

فانتهى الأمر إلى أن ينتخب كل من الطائفتين رجلاً، يتدارسا الموقف ويُجيبا ما أحيا القرآن و يُميتا ما أمات القرآن، وقد قبل الإمام التحكيم على مضض شديد لم يكن له بدّ من القبول، وقد بلغ القوم في قلة الحياء وشكاسة الخلق بمكان أنّهم فرضوا التحكيم عليه وفرضوا أيضاً أن يكون الحكم من جانبه هو أبا موسى الأشعري فامتنع الإمام، وقال: إني لا أرضى بأبي موسى ولا أرى بأن أوليّه، فقال الأشعث وزمرته: إنّا لا نرضى إلاّ به، فلم ير الإمام بداً إلاّ النزول على رأيهم، فتم الاتفاق عليه من جانبه، وعلى عمرو بن العاص من جانب معاوية غير أنّ أبا موسى كما تنبأ به الإمام علي عليه السلام انخدع بالمكيدة التي حاكها له عمرو بن العاص، فخلع علياً عن الخلافة على أن يخلع عمرو بن العاص معاوية عن الحكم، لكن عمرو بن العاص خالف الشرط المتفق عليه بينهما، فقال: إنّ هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبتت صاحبي معاوية، فانه وليّ عثمان بن عفان، والطالب بدمه، وأحقّ الناس بمقامه.

١ . تاريخ الطبري: ٥١٢/٣.

فقال أبو موسى لعمرو: مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت، إنما مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث.

قال عمرو: إنَّ مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً. (١)

وبذلك تمت المكيدة لصالح معاوية.

هذه هي سيرة الرجل على وجه الإجمال، ولم يُر بعد مسألة التحكيم له أيُّ نشاط يُذكر، وقد مات بمكة عام ٤٢هـ - وقيل ٤٤هـ. وقيل غير ذلك.

اتفق أهل السير على أنّ أبا موسى كان رجلاً ساذجاً غير فطن، كان عليّ عليه السلام واقفاً على سذاجته، وقال لما بعثه عن كُره: «وكأني به وقد حُدد».

فقال رجل للإمام عليه السلام: فلمَ توجّهه وأنت تعلم أنّه مخدوع، فأجاب الإمام: يا بُنيّ لو عمل الله في خلقه بعلمه، ما احتج عليهم بالرسول. (٢)

وربما يتصور أنّ أبا موسى خلع عليّاً لانخداعه بمكر نظيره عمرو بن العاص، ولكن مع الإذعان بذلك كان ثمة عامل آخر أثّر في عقد الاتفاق مع نظيره على عزل الإمام ومعاوية عن الخلافة، وهو أنّ الإمام لما وقف على خذلانه وتثييطه عزائم الناس عن الجهاد، عزله ونصب مكانه عاملاً آخر، فلم يزل أبو موسى في حرج من هذا الموقف الذي ترك مضاعفات سلبية في نفسه، فحقّزه على عزل الإمام الذي اتفق المهاجرون والأنصار على إمامته وخلافته، إلّا نزريراً يسيراً لا يتجاوز عددهم عدد الأصابع.

لما بلغ عليّاً ما جرى بين الحكمين من الحكم على خلاف كتاب الله وسنة رسوله، وغدر عمرو بن العاص، وانخداع أبي موسى، قام خطيباً، رافضاً ما

١ . تاريخ الطبري: ٥ / ٣٨، طبعة مؤسسة عز الدين.

٢ . ابن شهر آشوب، المناقب: ٢ / ٢٦١، طبعة قم.

حكّم به الحكماء الجائران، وقال:

«الحمد لله، وإن أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدث الجليل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ليس معه إله غيره، وأنّ محمّداً عبده ورسولهص.

أما بعد؛ فإنّ معصية الناصح، الشفيق العالم، المجرب، تورث الحسرة، وتعقب الندامة، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأبي، لو كان يطاع لقصير أمر، فأبيتم عليّ اباء المخالفين الجفأة، والمنابذين العصاة، حتّى ارتاب الناصح بنصحه، وضمّن الزند بقدحه، فكنت أنا وإياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمري بمنعرج اللّوى فلم تستبينوا النصح إلاّ ضحى الغد^(١)

صدق الإمام، إنّ من الخطب الفادح، والحدث الجليل، خلع صديق الأمّة، وأول من آمن برسالة النبي ﷺ وصدق به، وبات في فراشه، دفعاً لريب المنون عنه، وجاهد في سبيل الله بنفسه ونفيسه، وشهد المعارك كلها إلاّ تبوك، بأمر النبي ، إلى غير ذلك من فضائل ومناقب ومآثر جمّة اعترف بها الصديق والعدو والقريب والبعيد.

إنّ من المصائب العظام نصب معاوية بن أبي سفيان الطليق ابن الطليق، ابن آكلة الأكباد، للخلافة والزعامة الإسلامية، وأتى هو من الإسلام، وهو ثمرة الشجرة الخبيثة الملعونة في القرآن، أو ليس هذا من أدهى الدواهي؟ ولأجل ذلك نرى أنّ الإمام يصف تلك الحادثة المريرة، بالخطب الفادح والحدث الجليل.

هذه سيرة الرجل على وجه الإجمال، التي هي مقدمة لدراسة ما روي عنه وعزّي إليه، فلنذكر شيئاً من روائع أحاديثه التي تشهد الموازين على صحّتها.

١ . نصح البلاغة، الخطبة ٣٥.

روائع أحاديثه

١. أخرج الشيخان، عن أبي بردة (ابن أبي موسى) عن أبي موسى، قال: قلت: يا رسول الله أيّ الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده.^(١)
٢. أخرج الإمام أحمد، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: قال رسول الله تُستأمر اليتيمة في نفسها، فإن سكنت فقد أذنت، وإن أبت لم تكره.^(٢)
٣. أخرج الإمام أحمد، عن أبي بردة، عن أبيه (أبو موسى) قال: قال رسول الله ﷺ: لا نكاح إلا بولي.^(٣)
٤. أخرج الإمام أحمد، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً.^(٤)
٥. أخرج الإمام أحمد، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: أطعموا الجائع، وفكّوا العاني، وعودوا المريض.^(٥)
٦. أخرج الترمذي، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته.^(٦)
٧. أخرج الإمام أحمد، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: أُعطيت خمساً: بعثت إلى الأحمر والأسود،

١ . صحيح مسلم: ٤٨/١، باب تفاضل الإسلام؛ صحيح البخاري: ١٠/١، باب أي الإسلام أفضل.
٢ . مسند أحمد: ٣٩٤/٤.
٣ . مسند أحمد: ٣٩٤/٤.
٤ . مسند أحمد: ٤٠٤/٤.
٥ . مسند أحمد: ٣٩٤/٤.
٦ . سنن الترمذي: ٢٠٨/٤ برقم ١٧٠٥.

وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأحلت لي الغنائم ولم تحلّ لمن كان قبلي، ونصرت بالرعب شهراً، وأعطيت الشفاعة. وليس من نبي إلا وقد سأل شفاعة، وإني أخبأت شفاعةي ثم جعلتها لمن مات من أمتي لمن لم يشرك بالله شيئاً. (١)

هذه نماذج من روائع أحاديثه ذكرناها ليكون القارئ على بصيرة من منزلة الرجل في نقله للحديث، وفي مقابلها روايات، رويت عنه، فيها شذوذ وعلل، لا يصحّ لباحث قبولها ونسبتها إلى الرسول ﷺ وإليك بعضها:

١. صحابيٌّ أعرف بالمصلحة من رسول الله ﷺ

أخرج أحمد، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ «معي نفر من قومي، فقال: أبشروا وبشروا من وراءكم أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقاً بما دخل الجنة. فخرجنا من عند النبي نبشّر الناس، فاستقبلنا عمر بن الخطاب فرجع بنا إلى رسول الله، فقال عمر: يا رسول الله إذا يتكل الناس، قال: فسكت رسول الله ﷺ. (٢)

ولنا مع هذا الحديث وقفة قصيرة هي:

أولاً: أنه معارض بما رواه معاذ بن جبل عن النبي ﷺ، قال: يا معاذ، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: لا يشهد عبد ان لا إله إلا الله ثم يموت على ذلك إلا دخل الجنة، قال: أفلا أحديت الناس؟ قال: لا، إني أخشى أن يتكلوا عليه. (٣)

فالمعارضة بين الحديثين واضحة، فإنّ الأوّل يدلّ على أنّ النبي ﷺ أمر بنشر الحديث، والثاني يدلّ على أنّه أمر بكتمه.

١ . مسند أحمد: ٤/٤١٦.

٢ . مسند أحمد: ٤/٤٠٢.

٣ . مسند أحمد: ٤/٢٣٠.

وثانياً: أنّ الحديث الثاني، الذي رواه معاذ يدل على أنّ النبي كان واقفاً على العلة دون حاجة إلى أن يخبره أحد بذلك.

وثالثاً: أنّ الحديث الأوّل يدل على أنّ عمر كان أعرف بالمصلحة من رسول الله ﷺ وأنّ هذا الحديث يترك أثراً سلبياً في قلوب المؤمنين، فلذلك لما أخبره عمر، سكت الرسول.

والحقّ أنّ الحديثين لا يخلوان عن شذوذ وعلة، وقد سبق الذكر الحكيم بالتصريح بذلك. قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ (النساء/ ١١٦) وقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الرعد/ ٦).

٢. أهل الكتاب لهم أجران

أخرج البخاري، عن أبي بردة، عن أبيه قال: قال رسول الله: ثلاثة لهم أجران، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه وآمن بمحمد. ^(١)

إنّ الإيمان بالرسول والنبي الخاتم ليس من خصائص من كان من أهل الكتاب ثمّ أسلم، بل كلّ من أسلم بلسانه وقلبه وآمن بالرسول، فقد آمن بمن قبله من الرسل، قال سبحانه: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة/ ٢٨٥).

نعم لو كان تعدد الأجر لأجل ترتّب أحد الإيمانين على الآخر كان لما ذكر وجهه، ولكن الأجر على نفس الإيمان وسعة متعلقه، لا على ترتّب أحدهما على الآخر. وإلاّ يلزم أن يكون لمن كان يهودياً فتنصّر ثمّ أسلم، أجزور ثلاثة.

١ . صحيح البخاري: ٣٥/١، باب تعليم الرجل أمته وأهله.

٣. التجسيم في أحاديثه

ظهر التجسيم والتشبيه في المرّيات عنه نذكر منها ما يلي:

الحديث الأوّل: أخرج مسلم، عن أبي عبيدة، عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: إنّ الله عزّوجلّ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور - وفي رواية أبي بكر: (حجاب النور) - لو كشفه لأحرقت سُبحاتُ وجهه، ما انتهى إليه بصره من خلقه. (١)

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: فالسُّبحاتُ (بضم السين والباء ورفع التاء في آخره) جمع سُبحَة، قال صاحب العين والهروي وجميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين: معنى سُبحاتُ وجهه: نوره وجلاله وبهاؤه.

وأما الحجاب (الذي يشير إلى قوله: حجاب النور أو النار) فأصله في اللغة المنع والستر، وحقيقة الحجاب إنّما تكون للأجسام المحدودة، والله تعالى منزّه عن الجسم والحد. والمراد هنا المانع من رؤيته، وسمي ذلك المانع نوراً أو ناراً لأنهما يمنعان من الإدراك في العادة لشعاعهما.

والمراد من الوجه الذات، والمراد ب- «ما انتهى إليه بصره من خلقه» جميع المخلوقات، لأنّ بصره سبحانه و تعالى محيط بجميع الكائنات. ولفظة «من» لبيان الجنس لا للتبويض والتقدير لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نوراً أو ناراً وتجلّى -ى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته. (٢)

١ . صحيح مسلم: ١/١١١، باب في قوله ﷺ : إنّ الله لا ينام و في قوله: حجاب النور لو كشفه لأحرق سُبحاتُ وجهه.

٢ . النووي: شرح مسلم: ٣/١٧.

ولنا مع هذا الحديث وتفسيره وقفة:

أولاً: إنّ النبي ﷺ كان يكلم الناس على قدر عقولهم شأن كلنبي، فهذه التأويلات التي ارتكبتها الشارح مفاهيم لا يقف عليها إلا من توغّل في العلوم العقلية، وليس المخاطب إلا نظراء أبي موسى، فأين هؤلاء من هذه التأويلات!؟

ثانياً: إنّ الشُّبْحَة في اللغة تعني الدعاء، قال في اللسان: سميت الصلاة تسبيحاً، لأنّ التسبيح تعظيم لله وتنزيهه عن كلّ سوء^(١) وتفسيره بنور الله ووجهه وبهائه شيء لا تدل عليها مادة الكلمة، وإمّا جرّهم إلى ذلك التفسير لأجل جعل الرواية ذات مفهوم صحيح.

ونقل ابن الجوزي عن أبي عبيدة: لم نسمع الشُّبْحَات إلا في هذا الحديث.^(٢)

ويظهر من المقاييس: أنّه ليس لتلك المادة إلاّ معنيان، أحدهما جنس من العبادة والآخر جنس من السعي، فالأوّل الشُّبْحَة ومن هذا الباب التسبيح، وهو تنزيه الله جلّ ثناؤه عن كلّ سوء، وعلى ذلك فتفسير السبحة بالأنوار لا دليل عليه في اللغة.^(٣)

ثالثاً: إنّ المتبادر من قوله من خلقه أنّ «من» للتبويض بشهادة قوله: «انتهى إليه بصره» فيكون خلقه أوسع من نور بصره.

وأنت إذا عرضت هذا الحديث على عربي صميم لم يشب ذهنه بهذه المعارف، لفسّر الحديث على وجه يلازم التجسيم، وليس في الحديث قرينة على التأويل، وإلاّ لكان التأويل مقدماً على غيره.

١ . لسان العرب: ٢، مادة سبج.

٢ . ابن الجوزي: دفع شبه التشبيه: ٢٠٢.

٣ . المقاييس: ١٢٥/٥.

الحديث الثاني: أخرج الإمام أحمد، عن أبي موسى الأشعري: قال: قال رسول الله ﷺ:
يجمع الله عزوجل الأمم في صعيد يوم القيامة، فإذا بدا لله عزوجل أن يصدع بين خلقه مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يُقحمونهم النار، ثم يأتينا ربنا عز وجل، ونحن على مكان رفيع فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون، فيقول ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا عز وجل، قال: فيقول: وهل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيقول: كيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون: نعم أنه لا عدل له، فيتجلّى لنا ضاحكاً، فيقول: أبشروا أيها المسلمون، فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً.^(١)

ورواه مسلم في صحيحه، باب معرفة طريق الروية، بغير هذا اللفظ عن أبي هريرة.^(٢)
وهذا الحديث يثير تساؤلات كثيرة.

الأول: إن لازم قوله: «مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يقحمونهم النار ثم يأتينا ربنا عزوجل» عدم وجود أيّ موحد يؤمن بالله الواحد وينكر عبادة الأوثان في الأمم السالفة، وهذا على خلاف الضرورة وصريح القرآن الكريم، فهذا هو يقول في حق نوح: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (هود/٤٠) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على وجود الصالحين في الأمم السالفة.
الثاني: إن قوله: «ثم يأتينا ربنا ونحن على مكان رفيع» حاك عن ثبوت الحركة لله سبحانه، بشهادة قوله: ونحن على مكان رفيع.
الثالث: إن قوله: «من أنتم؟» أو قوله: «ما تنتظرون؟» أو قوله: «وهل تعرفونه ان رأيتموه؟» حاك عن تكلمه سبحانه تكلماً حسياً.

١ . مسند أحمد: ٤/٤٠٧ - ٤٠٨ .

٢ . صحيح مسلم: ١/١١٢، باب معرفة طريق الروية.

الرابع: انه سبحانه يسألهم عن أنهم هل يعرفون ربهم، وهم يجيبون بقولهم: نعم، ثم يسألهم عن السمات التي يعرفون بها ربهم، ويقول: «كيف تعرفونه ولم تروه؟» فيجيبون بسمه كلبية لا صلة لها بمعرفة الرب معرفة شخصية، حيث يقولون «نعم انه لا عدل له» فان وصفه بعدم العدل والند له، لا يكون علامة وسمة للمعرفة الشخصية.

الخامس: ان قوله فيتجلل-ى لنا ضاحكاً، صريح في الجسم والجسمانية، وان له سبحانه ضحكاً حسياً.

السادس: ان قوله: «أبشروا أيها المسلمون، فانه ليس منكم أحد إلا جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً، ينافي قوله سبحانه: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الحديد/١٥) والآية وإن كانت تخاطب المنافقين والكافرين، ولكن المورد غير مخصص، فان عدم أخذ الفدية لأجل انه يخالف عدله سبحانه.

وبعبارة أخرى: ان اليهود والنصارى إن كانوا مستحقين للدخول في النار، فهم يدخلونها لأعمالهم الشريرة، لا لأن يخلوا مكان المسلمين، وإن لم يكونوا مستحقين للدخول في النار فملاء الجحيم بهم يستلزم أخذ البريء بجرم المذنب والله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام/١٦٤).

ومقارنة هذا الحديث مع ما رواه أبو هريرة في هذا المجال، يعلم مدى الاختلاف الفاحش بين الروايتين، والظاهر أنهما رواية واحدة نقلت بصورتين مختلفتين.

أخرج مسلم عن أبي هريرة انه قال: كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من

كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم.^(١)

فبالمقارنة بين الحديثين يعلم مدى التحريف الطارىء على الرواية من أحد الجانبين، مثلاً أنّ الرواية الأولى: (رواية أبي موسى) تصرّح بأنه سبحانه يتكلّم مع المسلمين حيث قال: «فنقول نحن المسلمون» ويتجلى لهم، أمّا الرواية الثانية (رواية أبي هريرة) فالله سبحانه يتكلّم مع المسلمين مع ما فيهم من المنافقين ويتجلّى للجميع.

وعلى كلّ تقدير سواء أكانتا رواية واحدة، أو كانتا روايتين فكلتاها من الروايات المدسوسة من قبل أهل الجعل والوضع و التحريف.

٤. الفداء في أحاديثه

إنّ مسألة الفداء، أي أخذ شخص محل شخص آخر يوم القيامة، فكرة يهودية ومسيحية تسرّبت إلى أحاديث أبي موسى الأشعري، وقد اتضح ذلك من خلال استعراض الرواية السابقة، وثمة روايات أخرى نقلها مسلم عنه نأتي بنصها:

١. روى مسلم، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة دفع الله عزّوجلّ إلى كلّ مسلم يهودياً

١ . صحيح مسلم: ١/١١٣، باب معرفة طريق الروية.

أو نصرانياً، فيقول: هذا فكاكك من النار. (١)

٢. أخرج مسلم، عن عون وسعيد بن أبي بردة، أنّهما شهدا أبا بردة يحدث عمر بن عبد العزيز، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهودياً أو نصرانياً، قال: فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرّات أنّ أباه حدثه عن رسول الله ﷺ؟ قال: فحلف له. (٢)

٣. أخرج مسلم، عن أبي بردة، عن أبيه عن النبي ﷺ، قال: يجيئ يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى، فيما أحسب أنّه قال: أبو روح لا أدري ممن الشك، قال أبو بردة: فحدثت به عمر بن عبد العزيز، فقال: أبوك حدثك هذا عن النبي ﷺ؟ قلت: نعم. (٣)

يظهر من الرواية الأخيرة أنّ عمر بن عبد العزيز وغيره كانوا شاكين في صحّة هذا الحديث مهما صحّ سنده.

نعم تعجّب أبو روح «وقال: لا أدري ممن الشك» أقول منشأ الشك هو أنّ هذه الروايات مخالفة للذكر الحكيم كما أوعزنا إليه ولأنّ الناس يجزون بأعمالهم لا بأعمال غيرهم قال سبحانه: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الصفات/٣٩) قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ (لقمان/٣٣).

وقال سبحانه: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (يس/٥٤) إلى غير ذلك من الآيات الصريحة في أنّ كلّ إنسان مرهون بعمله.

١ . صحيح مسلم: ١٠٤/٨ - ١٠٥، باب قبول توبة القاتل.

٢ . صحيح مسلم: ١٠٤/٨ - ١٠٥، باب قبول توبة القاتل.

٣ . صحيح مسلم: ١٠٤/٨ - ١٠٥، باب قبول توبة القاتل.

٥. الميت يُعذب ببيكاء الحي

أخرج أحمد، عن ابن أبي موسى الأشعري، عن أبيه: أنّ النبي قال: الميت يعذب ببيكاء الحي عليه، إذا قالت النائحة: وا عضداه، وا ناصراه وا كاسباه، جُبِدَّ (١). الميت وقيل له أنت عضدها أنت ناصرها، أنت كاسبها، فقلت سبحان الله: يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، فقال: ويحك أحدثك عن أبي موسى عن رسول الله، وتقول هذا، فأيتنا كذب؟! فوالله ما كذبت على أبي موسى ولا كذب أبو موسى على رسول الله. (٢)

وأخرجه الترمذي عن أبي موسى الأشعري أنّ رسول الله، قال: ما من ميت يموت فيقوم باكيه، فيقول واجبلاه، واسيداه، أو نحو ذلك، إلّا وكلّ به ملكان يلهزانه (٣) أهكذا كنت. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. (٤)

وأخرجه ابن ماجه في سننه. (٥)

وكفى في وهن الحديث وشذوذه أنّ السامع أدرك بفطرته أنّه يخالف نداء الذكر الحكيم، غير أنّ الذي صدّه عن التكذيب هو كون الرواية منسوبة إلى أبي موسى، عن طريق ولده، ولكن لم يعرف أنّ كتاب الله فوق كلّ شيء، و هو المعيار لتمييز الحقّ عن الباطل.

١ . جبد أي قطع.

٢ . مسند أحمد: ٤/٤١٤.

٣ . يقال لهز فلاناً أي لكزه، وقيل ضربه بجمع كفه في اللهزمة والرقبة.

٤ . سنن الترمذي: ٣/٣٢٧ برقم ١٠٠٣.

٥ . سنن ابن ماجه: ١/٥٠٨ برقم ١٥٩٤ وفيه مكان يلهز، يتعتع.

وقد مضى أنّ السيدة عائشة كذّبت الرواية، وقالت: رحم الله أبا عبد الرحمان سمع شيئاً فلم يحفظه، إنّما مرّت على رسول الله جنازة يهودي وهم ييكون عليه، فقال: أنتم تبكون وإنّه ليعذب. (١)

٦. القعود خير من القيام

أخرج أبو داود، عن أبي كبشة قال: سمعت أبا موسى يقول: قال رسول الله ﷺ: إثنين أيديكم فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «كونوا أحلاس بيوتكم». (٢)

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز في تفسير الحديث: هذه الفتنة هي الفتن التي لا يظهر وجهها ولا يعلم طريق الحق فيها، بل هي ملتبسة فهذه يجتنبها المؤمن ويتعد عنها بأيّ ملجأ و من هذا الباب قوله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال مواقع القطر، يفرّ بدينه من الفتن». (٣)

أقول: أين الفتنة الواردة في الرواية من الاقتداء بإمام أصفقت الصحابة من المهاجرين والأنصار على بيعته، وقدّموه إماماً للمسلمين، فهل يتصور أن يكون القاعد فيها أفضل من القائم؟! إنّ أبا موسى مما خذل علياً وثبط عزيمة الناس عن المشاركة في قتال

١ . صحيح مسلم: ٤٤/٣، باب البكاء على الميت.

٢ . سنن أبي داود: ١٠١/٤ برقم ٢٢٦٢. وأخرجه أحمد في مسنده: ٤٠٨/٤.

٣ . أمّ مالك الخالدي، بيعة علي بن أبي طالب في ضوء الروايات الصحيحة، ص ٢٣٥.

الناكثين، التي أخبر النبي ﷺ بأنّ الإمام سيقا تل الناكثين والقاسطين والمارقين (١). وقد تمسك أبو موسى بهذا الحديث ولم يشارك مع علي عليه السلام في القتال، ولكنه شارك مع عمرو بن العاص في عزل علي عليه السلام عملاً بهذا الحديث، لكن من أين علم أنّ النبي ﷺ يريد بكلامه حرب الناكثين، وقد قامت بعده فتن وحروب ولم يكن حرب الجمل أول حرب دارت بين المسلمين؟! على أنّ قوله: «كونوا أحلاس بيوتكم» ينافي الذكر الحكيم فاتّه يأمر بالإصلاح قال سبحانه: ﴿وَإِنطائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحبّ المقسطين﴾ (الحجرات/٩).

فالله سبحانه يأمر بالإصلاح أولاً ثمّ قتال الفئة الباغية، فكيف يأمر النبي بالانعزال والانزواء؟! فالتبرير الذي برّر به عمله غير مجديّ.

٧. الإرجاء في حديثه

أخرج أبو داود، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة، عذابها في الدنيا: الفتن و الزلازل والقتل» (٢). أقول: إنّ فكرة الإرجاء وإن ظهرت في أواخر القرن الأوّل، فادّعت المرجئة أنّ الإيمان عبارة عن الإقرار بالقول واللسان وإن لم يكن مرافقاً للعمل، فأخذوا من الإيمان جانب القول وتركوا جانب العمل، فكأثمّ قدّموا الأوّل وأخروا الثاني واشتهروا بمقولتهم «لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة».

١ . تاريخ ابن عساکر: ٤١/٥؛ تاريخ ابن كثير: ٣٠٦/٧؛ كنز العمال: ٨٨/٦؛ الغدير: ١٩٢/٣.

٢ . سنن أبي داود: ١٠٥/٤ برقم ٤٢٧٨.

لكن الحديث يدعم تلك الفكرة فيبشّر -ر الأمة المرحومة بالنجاة في الآخرة، وإن كان يصيبهم في الدنيا ببعض الجزاء، ولكن كتبت النجاة على الجميع، حتى الطواغيت والمجرمين والظالمين العتاة، ومن الواضح انالحديث مخالف للقرآن الكريم والسنة النبوية واتفاق المسلمين، فأين قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ (النساء/ ٩٣) وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة/ ٣٤-٣٥) إلى غير ذلك من الآيات العامة لجميع الأفراد خصوصاً الأمة المرحومة التي جاءهم نبيهم بهذه الآيات والأحكام.

١٢- زيد بن ثابت الأنصاري

(١١ق. هـ - - ٤٥هـ-)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. عذاب بلا ذنب.
 ٢. اتخاذ اليهود قبور أنبيائهم مساجد.
 ٣. حرمان بعض الورثة من الميراث.
 ٤. تحريف القرآن الكريم.
 ٥. عدم سجود النبي عند قراءة سورة النجم.
 ٦. العثور على آية عند خزيمة.
 ٧. نهي الرسول ﷺ عن كتابة الحديث.
 ٨. البداء المحال في الوحي.
 ٩. الملائكة باسطوا أجنحتهم على الشام.
 ١٠. ضرورة اتخاذ الخليفة من المهاجرين.
- هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الأنصاري الخزرجي ثمّ النجاري، أمّه النوار بنت مالك بن معاوية بن عدي بن النجّار، كنيته أبو سعيد، وكان عمره لما قدم النبي ﷺ المدينة إحدى عشرة سنة، وكان يوم بعث ابن ست سنين، وفيها قتل أبوه واستصغره رسول الله ﷺ يوم بدر فردّه، وشهد أحداً، وقيل: لم يشهدا، وإتّما شهد الخندق أوّل مشاهدته، وكانت راية بني مالك بن النجار يوم تبوك بيد زيد بن ثابت. (١)
- وقد أطراه أصحاب المعاجم بأمر ورّبما ذكروا ما يخالفها.

١ . أسد الغابة: ٢/٢٢١ - ٢٢٣.

١ . هل كان زيد جامعاً للقرآن؟

إنَّ أبا بكر قال له: أنت رجل شاب عاقل لانتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه.

فقال زيد: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟

قال: هو والله خير.

فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ، فتتبع القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله تعالى، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر. ^(١)

يلاحظ عليه، أولاً: أنَّ البخاري نقل أنَّ القرآن جمع في عصر رسول الله ﷺ ، وأحد الجامعين هو زيد بن ثابت، فروى عن أنس، قال: مات النبي ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، و معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قال: ونحن ورثناه ^(٢) ومعه كيف يكون جامعاً للقرآن أيضاً بعد رحيله؟!

ثانياً: لو صحَّ ما في الخبر، و افترضنا أنَّه لم يجمع القرآن في عهد الرسول، كان اللازم على الخليفة أبي بكر أن يترك جمع القرآن الكريم إلى عبد الله بن مسعود، الذي يروي البخاري عنه، أنَّه قال : والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم

١ . صحيح البخاري: ١٨٣/٦، باب جمع القرآن.

٢ . صحيح البخاري: ١٨٧/٦، باب القراء من أصحاب النبي.

أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه. (١)
كما روى البخاري أيضاً عن مسروق: أنه ذكر عبد الله بن عمرو، عبد الله بن مسعود، فقال:
لا أزال أحبه، سمعت النبي ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة من: عبد الله بن مسعود، وسالم،
ومعاذ، وأبي بن كعب.

كما روى أيضاً، أنه خطب عبد الله بن مسعود، وقال: والله لقد أخذت من في رسول الله
ﷺ بضعا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أي من أعلمهم بكتاب الله وما
أنا بخيرهم قال شقيق: فجلست في الحلق أسمع ما يقولون، فما سمعت راداً يقول غير ذلك. (٢)
ومع هذه الروايات التي رواها البخاري في حق عبد الله بن مسعود، فمن البعيد أن يترك الخليفة
ذلك المقرئ الكبير ويلتجئ إلى شاب أدرك من عصر الرسالة عشرة أعوام وهو بعد صبي لم يبلغ
الخلع، ويترك عبد الله بن مسعود أحد السابقين في الإسلام، أدرك رسول الله ﷺ في مكة
المكرمة والمدينة المنورة.

كل ذلك يرشدنا إلى أن جمع القرآن الكريم بعد رحيل الرسول زيد بن ثابت مزعمة لا يدعن
لها العقل ولا النقل.

وأعجب منه انقاطبة المسلمين لم يحفظوا آخر آية سورة التوبة حتى زيد بن ثابت نفسه،
فأخذها من أبي خزيمة أحد الصحابة.

أو ليس معنى ذلك انالمعجزة الكبرى والسند الوثيق للإسلام، لم يصل إلى المسلمين بطريق
متواتر، بل وجدته الجامع عند واحد من الصحابة فأدرجه في القرآن، وهذا إنكار لتواتر القرآن
وبالتالي إنكار تلك المعجزة الكبرى.

١ . صحيح البخاري: ١٨٧/٦ .

٢ . المصدر السابق: ١٨٦/٦ .

وثمة نكتة جديرة بالامعان وهي:

إنّ هذه الروايات مخالفة لحكم العقل، فإنّ عظمة القرآن بنفسه، واهتمام النبي ﷺ بحفظه وقراءته، واهتمام المسلمين بما يهتم به النبي ﷺ وما تستوجب تلاوة القرآن من الثواب، كل ذلك يبعثنا إلى القول بأنّ القرآن جمع في عهد الرسالة، وينافي القول بجمعه على النحو المذكور في تلك الروايات.

إنّ العقل الصريح يحكم بأنّ قائداً كالنبي ﷺ الذي كان واقفاً على أنّ القرآن دعامة دينه ومعجزة شريعته والمرجع الأوّل للأُمَّة إلى يوم القيامة في العقيدة والشريعة، لا يمكن أن يترك القرآن في مهبّ الرياح مبعثراً بين الرقاع والاكثاف بين العسب وصدور الرجال، دون أن يجمعه في كتاب ويدونه كي يكون حجة خالدة على مدى العصور. فمن زعم أنّ الرسول لم يبذل عناية كافية في جمع القرآن وتدوينه وصيانته عن طروء الحوادث، فقد جعل النبي ﷺ غير معنيّ بقوام شريعته وبرهان رسالته وشؤون أُمَّته. أعاذنا الله وإياكم من تلك الفكرة الخاطئة.

هذا هو موجز البحث عن المفخرة الأولى التي أثبتتها أصحاب المعاجم لزيد بن ثابت وأنّه الجامع للقرآن بعد رحيل النبي ﷺ ، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى الكتب المعدة لهذا الغرض.

٢. هل كان زيد أعلم بالفرائض؟

قد ذكر غير واحد من أصحاب المعاجم أنّ زيداً أفرض الصحابة وأعلمهم بالفرائض.

روى ابن سعد في طبقاته عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ :

أفرض أُمَّتي زيد بن ثابت.

وروى أيضاً، أنّ عمر وعثمان ما كانا يُقدِّمان على زيد بن ثابت أحداً في الفرائض، و الفتوى، والقراءة، والقضاء، كما روى عن عمر بن الخطاب، أنّه قال: من كان يريد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت. ^(١)

ونقل الذهبي عن الشعبي، أنّه قال: غلب زيد الناس على اثنين: الفرائض والقرآن. ^(٢)
أقول: ما نقله عن الشعبي فقد نقل عنه خلافه.

قال ابن شهر آشوب في بيان أنّ علياً هو المرجع في جميع العلوم الإسلامية، ما هذا لفظه: و منهم الفرضيون وهو أشهرهم فيها؛ ثمّ نقل عن فضائل الصحابة لأحمد، عن طريق ابنه، أنّه قال: إنّ أعلم أهل المدينة بالفرائض علي بن أبي طالب عليه السلام، قال الشعبي: ما رأيت أفرض من علي عليه السلام ولا أحسب منه، وقد سئل عنه وهو على المنبر يخطب عن رجل مات وترك امرأة وأبوين وابنتين، كم نصيب المرأة؟ فقال: صار ثمنها تسعاً، فلقبت بالمسألة المنبرية.

شرح ذلك: للأبوين السدسان، وللبنتين الثلثان، وللمرأة الثمن، عالت الفريضة فكان لها ثلاث من أربعة وعشرين ثمنها، فلمّا صارت إلى سبعة وعشرين صار ثمنها تسعاً، فإنّ ثلاثة من سبعة وعشرين تسعها، ويبقى أربعة وعشرون، للابنتين ستة عشر، وثمانية للأبوين سواء، قال: هذا على الاستفهام، أو على قول القائلين بالعول، فلذا صار ثمنها تسعاً، أو سئل كيف يجيء الحكم على مذهب من يقول بالعول؟ فبيّن الجواب والحساب والقسمة والنسبة.

١ . طبقات ابن سعد: ٣٥٩/٢؛ ولاحظ سير اعلام النبلاء: ٤٣١/٢ برقم ٨٥، وقد ناقش المعلق في اسناد بعض تلك الروايات.

٢ . سير اعلام النبلاء: ٤٣٢/٢.

ومنه المسألة الدينارية. (١)

وكان ابن عباس يردّ على زيد قوله بالعود في الفرائض، فمن ذلك قوله:
إنشاء، أو قال: من شاء باهله، إنالذي أحصى رمل عالج عدداً أعدل من أن يجعل في مال
نصفاً ونصفاً وثلاثاً، هذان النصفان قد ذهباً بالمال، فأين موضع الثلث؟ (٢)
وللامام الصادق رُدُّ على ما قضى به زيد بن ثابت في مسألة، وهي: إذا ماتت امرأة وتركت
زوجها وإخوة، وأُمّها وأختاً لأبيها؛ فمن أراد التفصيل فليرجع إلى تهذيب الأحكام. (٣)

٣. كان زيد عثمانياً الهوى

ذكر الجزري أنزيداً كان عثمانياً، ولم يشهد مع علي شيئاً من حروبه، وكان يظهر فضل عليّ
وتعظيمه، وهو من الذين لم يبايعوا علياً عند ما بايعه وجوه المهاجرين والأنصار، وعلى الرغم من
ذلك لم يكن يكتفم فضائل عليّ عليه السلام ومناقبه.

روى يعقوب بن سفيان بسنده، عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إني تارك
فيكم خليفتي: كتاب الله عزّوجلّ، وعترتي أهل بيتي؛ وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. (٤)
وهو أحد رواة حديث الغدير من الصحابة. (٥)

١ . بحار الأنوار: ١٥٩/٤٠ نقلًا عن مناقب ابن شهر آشوب، لاحظ المناقب: ٢٥٩/١.

٢ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٥/٢٠ - ٢٧.

٣ . الطوسي: تهذيب الأحكام: ٢٩١/٩ - ٢٩٢.

٤ . كتاب المعرفة والتاريخ: ٥٣٧/١.

٥ . الغدير: ٣٧/١.

روائع أحاديثه

١. أخرج مسلم في صحيحه، عن بسر بن سعيد، عن زيد بن ثابت، قال: احتجر رسول الله ﷺ حجيرة بخصفة أو حصير، فخرج رسول الله ﷺ يُصلي فيها. قال: فتتبع إليه رجال وجاءوا يصلون بصلاته، قال: ثم جاءوا ليلة فحضرُوا وأبطأ رسول الله ﷺ عنهم، قال: فلم يخرج إليهم فرفعوا أصواتهم وحبسوا الباب، فخرج إليهم رسول الله ﷺ مغضباً. فقال لهم رسول الله ﷺ: ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فاتخير صلاة المرء في بيته، إلا الصلاة المكتوبة. (١)

إنّ هذه الرواية تُعد من الأدلة الواضحة على عدم جواز إقامة نوافل رمضان جماعة، وإتاقامتها كذلك بدعة حدثت بعد النبي ﷺ، وقد بسطنا الكلام عنها في كتابنا «البدعة». (٢)

٢. أخرج ابن ماجة في سننه، عن أبي هبيرة الأنصاري، عن أبيه، عن زيد ابن ثابت، قال: قال رسول الله ﷺ: نَصَّرَ اللهُ امرأً سمع مقالتي فبلَّغها، فربَّ حامل فقه غير فقيهه، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

زاد فيه عليّين مُحمَّد: «ثلاث لا يُغلُّ عليهنَّ قلب امرئٍ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم». (٣)

٣. أخرج أحمد، عن القاسم بن حسان، عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول

١ . صحيح مسلم: ١٨٨/٢ . باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد.

٢ . البدعة، ص ١٥٤ - ١٩٨ .

٣ . سنن ابن ماجة: ١/٨٤ برقم ٢٣٠؛ مسند أحمد: ٥/١٨٢ .

الله ﷻ : إني تارك فيكم خليفتي، كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأتّهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض^(١)
هذه بعض رواياته الرائعة استعرضناها، فلنعطف عنان الكلام إلى ما عُزّي إليه مما يخالف الموازين السالفة الذكر.

١. عذاب بلا ذنب:

أخرج ابن ماجة في سننه، عن ابن الديلمى، عن زيد بن ثابت، قال: سمعت رسول الله، يقول: لو أنّ الله عدّب أهل سماواته وأهل أرضه لعدّبهم وهو غير ظالم لهم. ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم. ولو كان لك مثل أحد ذهباً أو مثل جبل أحد ذهباً تنفقه في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كله . فتعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنك إن متّ على غير هذا دخلت النار.^(٢)

والحديث وإن نقل عن ثلة من الصحابة كأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، لكن يرده العقل الحصيف و الفطرة السليمة، إذ إنّ هنا كلاماً مع غض النظر عن مسألة التحسين والتقيح وهل هما عقليان أو شرعيان وهو:

إنّ الوجدان خير شاهد على قبح تعذيب البريء من أي فاعل صدر، سواء كان الفاعل هو الواجب أو الممكن، فلو لم يتمكن العقل من درك هذا المقدار من التحسين والتقيح فلا يصحّ له القضاء في أيّ أمر يمتّ إليه بصلة.

نعم إنّ السماوات والأرض وما فيهما ملك لله تبارك وتعالى لا ينازعه فيها أحد، فلو عذب أهلها لا يمنعه منه شيء، ولكن هل يجوز له حسب

١ . مسند أحمد: ١٨١/٥ - ١٨٢ .

٢ . سنن ابن ماجة: ٣٠/١ برقم ٧٧ .

حكيمته وعدله أن يعذب البريء، ويدخل الطفل الرضيع النار بحجة أنه ملكه؟ كلا، لا، إذ عندئذٍ يكون ظالماً وجائراً ويكون مناقضاً لحكيمته وعدله.

وقد احتكم سبحانه في غير واحد من المسائل إلى العقل والفطرة، فقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (القلم/ ٣٥) ويقول سبحانه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (ص/ ٢٨) أي لا نجعلهما على حد سواء لأنه قبيح.

إن المتبادر من الآيات الآمرة بالعدل والناهية عن الظلم هو أنّ الإنسان إذا رجع إلى فطرته تتجلى له تلك الحقيقة ويتميز عنده العدل عن الظلم دون أدنى ريب، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل/ ٩٠).

والدليل على ذلك أنّ كلّ إنسان يدرك من صميم ذاته معنى العدل والظلم وغيرها مما يرجع إلى محاسن الأفعال ومساوئها، ولا يصحّ الأمر بالعدل ولا النهي عن الظلم إلا إذا كان الموضوع (العدل و الظلم) محددًا معروفًا للمكلف مع قطع النظر عن التشريع، وإلا يلزم الخطاب بأمر لم يكن المخاطب واقفًا عليه.

فإذا شهد سبحانه على قيامه بالعدل والقسط أو شهد على نفسه بأنه ليس بظالم ولا ظلام ولا يظلم الناس، فمعنى ذلك أنّه سبحانه يصف نفسه بالعدل والظلم بالمعنى المعروف عند العقلاء قال سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ (آل عمران/ ١٨)، وقال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (آل عمران/ ١٨٢) وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (يونس/ ٤٤).

فالله عادل بنفس المعنى الذي ندركه عن العدل، و ليس بظالم بنفس ذلك المعنى الذي ندركه عن الظلم، و من المعلوم أنّ تعذيب أهل الأرض

والسماوات بلا جرم وإثم ظلم يقبحه العقل، ولا يُنسب إلى الله سبحانه لمنافاته العدل، فكيف يصحّ أن يقال: إنّ الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم؟! بل يكون ظالماً قطعاً تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

إنّ إنكار إدراك العقل الأمور البديهية في مجال الحسن والقبح إعدام للعقل وإطاحة به، ومع رفضه في مجال العقائد لا يمكن أن يثبت شيء من المعارف الإلهية، فلو أنكرنا قضاء العقل بقبح الكذب أو قبح تزويد الكاذب بالكرامات لا يصح إثبات نبوة أيّ أحد ولو جاء بمعاجز باهرة، لاحتمال الكذب عليه وعلى مرسله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

٢. اتخاذ اليهود قبور الأنبياء مساجد

أخرج أحمد في مسنده، عن عبد الرحمان بن ثوبان، عن زيد بن ثابت: أنّ رسول الله ﷺ قال: لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. ^(١)

إنّ ظاهر الرواية يعرب أنّ قاطبة اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وما هذا إلا بسبب التكريم والتبجيل، سواء اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يصلّون فيها أو تبركاً بهم أو يسجدون على قبورهم على نحو يكون القبر مسجوداً عليه أو يسجدون لهم بحيث يكون الركوع والسجود للأنبياء. وعلى جميع التقادير (وإن كان التقدير الأخير بعيداً) فعلمهم - لو صحّ - يعرب عن تكريمهم لأنبيائهم وتبجيلهم لهم. هذا هو معنى الحديث.

ومن جانب آخر إن تاريخ اليهود حافل بقتل الأنبياء والرسل، فكيف يمكن الجمع بين مضمون الحديث والآيات الصريحة الدالة على تحقيرهم لأنبيائهم!؟

١. مسند أحمد: ١٨٤/٥.

قال سبحانه: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ
وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة/٨٧) وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ
أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُونِ عَذَابِ الْخَرِيقِ﴾ (آل عمران/١٨١)
إلى غير ذلك من الآيات المنبذة بعمل اليهود.

إلهذا الحديث الذي اتخذه ابن تيمية وابن قيم الجوزية ومن لفّ لهما ذريعة إلى تحريم الصلاة
عند قبور الأنبياء، حديث لا يعتمد عليه مهما صحّ سنده، لأنّ المضمون يخالف صريح القرآن
والسيرة الثابتة عند اليهود، فإنّ اليهود لم يكونوا أهل تكريم وتبجيل لأنبيائهم، أفمن المعقول عندئذ
أن يتخذوا قبورهم مصلّى؟! وقد بسطنا الكلام في ذلك في كتابنا «الوهابية في الميزان».

٣. حرمان بعض الورثة من الميراث

أخرج أحمد في مسنده عن راشد، عن زيد بن ثابت، أنّه سئل عن زوج، وأخت لام، وأب
فأعطى الزوج النصف و الأخت النصف، فكلم في ذلك فقال: حضرت رسول الله قضى
بذلك.^(١)

أقول: لو قلنا بأنّ لفظ «وأب» معطوف على «أخت» فالوارث في المسألة ثلاثة وهم: بين
وارث ذي فرض، ووارث بالقرابة، أمّا الأول فالزوج يرث النصف من المال، والأخت لأم ترث
السدس، قال سبحانه في حقّ الزوج: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾
(النساء/١٢).

وقال سبحانه في حقّ الأخت للأم: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ
فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ (النساء/١٢).

١ . مسند أحمد: ١٨٨/٥ .

وأما الثاني كالآب فلو كان المورث ذا ولد ففرضه السدس، لكنّه خلاف المفروض وإلّا فلا فرض له في الكتاب العزيز، قال سبحانه: ﴿وَلَا بَوِيهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ (النساء/ ١١) وهو يرث ما بقي بعد إخراج سهام ذوي الفروض وعلى ضوء ذلك ففي المسألة :

يرث الزوج النصف.

والأخت السدس.

والباقي أي الثلث للآب.

ومع ذلك فكيف ورثت أم فأرض الصحابة الزوج النصف والأخت النصف الآخر وحرم الآب؟! هذا إذا قلنا بأنّ الورثة كانوا ثلاثة، وأما لو قلنا بعطف لفظ الآب على الأُمّ وأنّ المراد الأُخت لآب وأم فالوارث اثنان وتقسيم التركة صحيح حسب الذكر الحكيم.

أما في جانب الزوج فقد عرفت، وأما في جانب الأخت فلقوله سبحانه: ﴿إِنْ أَمْرًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ (النساء/ ١٧٦) لكن يرد على الجواب بأنّ أمّ فرض الصحابة غفل عن النص القرآني، وبرر عمله بقضاء رسول الله بذلك.

٤. تحريف القرآن الكريم

أخرج أحمد في مسنده عن كثير بن الصلت، قال: كان ابن العاص، وزيد ابن ثابت يكتبان المصاحف، فمروا على هذه الآية، فقال زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألّبتة»

فقال عمر: لما أنزلت هذه أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلت: اكتبنيها.

قال شعبة: فكأته كره ذلك، فقال عمر: ألا ترى أنّ الشيخ إذا لم يحصن جلد وإنّ الشّا إذا زنى، وقد أحصن رجم. (١)

أقول: إنّ القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الذي يتميز بأسلوبه ومضمونه. والعبارة المحكية عن الخليفة - بأنّه من القرآن الكريم - كلام حيك على نسق قوله سبحانه: ﴿الزّانية والزّاني فاجلدوا كلّ واحدٍ منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ (النور/٢).

أو قوله سبحانه: ﴿والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله﴾ (المائدة/٣٨).

ولو افترضنا أنّ زيدا سمع من رسول الله قوله: «الشيخ و الشيخة إذا زنيا» فلا يكون ذلك دليلاً على أنّه من القرآن الكريم، بل هو كلام الرسول ﷺ ألقاه لبيان حكم الله الشرعي. ثمّ إنّ القول بالتحريف يخالف النصّ الصريح للذكر الحكيم، قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر/٩).

وقال سبحانه: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (فصلت/٤٢) وأيّ باطل أوضح من تطرق الزيادة والنقيصة إلى تلك المعجزة الخالدة. والعجب أنّ الذين يروون هذه الروايات الضعيفة يتهمون الشيعة بالتحريف، وفاتهم أنّ العثور على رواية في هذا الصدد في كتبهم لا تكون دليلاً على العقيدة، وعلى فرض التسليم فكتب هؤلاء أيضاً تعجّ بالآحاد التي تدل على التحريف.

١ . مسند أحمد: ١٨٣/٥؛ وانظر سنن الدارمي: ١٧٩/٢، باب في حد المحصنين بالزنا.

٥. عدم سجود النبي عند قراءة سورة النجم

أخرج أبو داود في سننه، عن عطاء بن يسار، عن زيد بن ثابت، قال: قرأت على رسول الله ﷺ النجم فلم يسجد فيها. (١)

إنّ الحديث يخالف ظاهر القرآن الكريم حيث ورد فيه السجود بصيغة الأمر الظاهر في الوجوب، قال سبحانه: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ * فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ (النجم/٥٩ - ٦٢).

نعم لو ثبت فعل النبي ﷺ يكون قرينة على حمل الأمر في الآية على استحباب السجود لكن الروايات المتضاربة دلّت على وجوبه.

أخرج البخاري، والترمذي وابن مردويه عن ابن عباس، قال: سجد النبي ﷺ في النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس.

وأخرج أحمد والنسائي وابن مردويه عن المطلب بن أبي وداعة، قال: قرأ النبي ﷺ بمكة (والنجم) فسجد وسجد من معه.

وأخرج سعيد بن منصور، عن سبرة، قال: صلّى بنا عمر بن الخطاب الفجر، فقرأ في الركعة الأولى سورة يوسف، ثمّ قرأ في الثانية النجم، فسجد، ثمّ قام: فقرأ إذا زلزلت ثمّ ركع. (٢)

٦. العثور على آية عند خزيمة

أخرج البخاري في صحيحه، عن خارجة بن زيد بن ثابت، أنّ زيد بن

١ . سنن أبي داود: ٥٨/٢ برقم ١٤٠٤.

٢ . الدر المنثور: ٦٦٨/٧.

ثابت، قال: نسخت الصحف في المصاحف ففقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فلم أجد لها إلا مع خزيمه بن ثابت الأنصاري الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين، وهو قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ .^(١) قد عرفت أنّ القرآن الكريم جمع في عصر الرسالة وإنّ القول بجمعه بعد رحيله يخالف العقل والنقل.

والعجب أنّ القرآن الكريم الذي كان يسمعه مئات الصحابة وهم يعدون في طليعة الحفظ كيف نسي الجميع هذه الآية على وجه لم يجدها زيد بن ثابت إلا عند خزيمه بن ثابت؟! ومعنى ذلك انتهاء القرآن الكريم إلى النبي ﷺ بغير الواحد، وكون شهادة خزيمه تعادل شهادة رجلين لا يخرجها عن حدّ خير الواحد.

على أنّ زيداً قد اعتمد في كتابة آخر آية من سورة البراءة على نفس ذلك الشخص، وفاته أنّ تلك التشبهات لا تضي على القرآن وصف التواتر.

٧. نهي الرسول ﷺ عن كتابة الحديث

أخرج أبو داود في سننه، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، قال: دخل زيد بن ثابت على معاوية، فسأله عن حديث فأمر إنساناً يكتبه، فقال له زيد: إنّ رسول الله ﷺ أمرنا أن لا نكتب شيئاً من حديثه فمحاها.^(٢)

إنّ البحث في منع الرسول عن كتابة حديثه ذو شجون، وقد استوفينا الكلام فيه في مقدمة هذا الكتاب، فلو كان الرسول أمر بمحو ما كتب فهو ﷺ

١ . صحيح البخاري: ١٩/٤، باب قول الله تعالى (من المؤمنين) ؛ سنن الترمذي: ٢٨٤/٥ - ٢٨٥ برقم ٣١٠٤.

٢ . سنن أبي داود: ٣١٨/٣ - ٣١٩ برقم ٣٦٤٧. ورواه أحمد في مسنده: ١٢/٣ عن أبي هريرة.

أسوة، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب/ ٢١). فلنقتد جميعاً برسول الله ولنحرق جميع الصحاح والمسانيد والسنن، ولم يكن أمر الرسول أمراً مؤقتاً مقطوعاً وإنما كان أمراً شمولياً عبر الزمان، أفيصح ذلك في منطق العقل؟! كيف ولو انفصلنا عن السنة لخفي علينا معالم الدين والشريعة؟! كيف يأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمحو كتابة الحديث مع أنه كتب إلى الأساقفة وشيوخ القبائل والرؤساء كتباً ورسائل اتفق فيها معهم على أمور؟ وهذه الكتب كانت موجودة في أيدي الناس ولم يأمر رسول الله « ﷺ » بمحوها وإبطالها. أمر القرآن الكريم بكتابة الدين مهما كان صغيراً أو كبيراً، أو ليس لكلامه - نعوذ بالله - قيمة بمقدار الدين.

كذلك يعرب عن أن المنع عن كتابة الحديث كان منعاً سياسياً من جانب الخلفاء، ولم يكن له أصل ديني، ولذلك لما بلغ السيل الزبي، وتسربت كثير من الإسرائيليات والمسيحيات والمجوسيات إلى أوساط المسلمين. وقف المسلمون وفي طليعتهم عمر بن عبد العزيز على الخسارة الفادحة التي منوا بها من جرّاء ذلك، فكتب إلى أبي بكر بن حزم بضبط الحديث وتدوينه من رأس، قائلاً: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ، وليفشوا العلم وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً. (١)

والذي يؤيد كون الحديث موضوعاً على لسان رسول الله ﷺ ما رواه ابن داود، عن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كلشيء

١ . صحيح البخاري: ٢٧/١، باب الحرص على الحديث.

أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كلشيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلّا حقّ. (١)

٨. البداء المحال في الوحي

أخرج البخاري في صحيحه، عن سهل بن سعد الساعدي، أنّه قال: رأيت مروان بن الحكم جالساً في المسجد فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أنّ زيد بن ثابت أخبره أنّ رسول الله ﷺ أملى عليه: «لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله». قال: فجاءه ابن أممكتوم وهو يملئها عليّ، فقال: يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان رجلاً أعمى، فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله «ﷺ» وفخذه على فخذي فنقلت عليّ حتى خفت ان ترضّ فخذي ثم سريّ عنه، فأنزل الله عزّوجلّ ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ (النساء/٩٥). (٢)

أقول: إنّ فصل الخاص عن العام، والمقيد عن المطلق أمر جائز في التشريع الإسلامي، لأنّ السنة الإلهية جرت على بيان الأحكام الشرعية بالتدرّج، وهذا مما لا مشاحة فيه. إنّما الكلام في الآية المباركة التي ليست بصدد بيان الحكم الشرعي حتى يتماشى فيها الضابطة المذكورة، وإنّما هي بصدد بيان حقيقة وهي عدم استواء القاعد و المجاهد، فإذا الموضوع أمّا هو مطلق القاعد أو القاعد غير أولي الضرر.

فلو كان الموضوع - في الواقع - هو مطلق القاعد، فلماذا أُضيف إليه قيد

١ . سنن أبي داود: ٣/٣١٨ برقم ٣٦٤٦.

٢ . صحيح البخاري: ٤/٢٤ و ٢٥ باب قول الله تعالى: (لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).

(غير أولي الضرر) في المرّة الثانية، ولو كان الموضوع منذ أوّل الأمر هو المقيد (أي لا يستوي القاعدون غير أولي الضرر) فلماذا فصل عنه القيد في المرّة الأولى وضمّ إليه ثانياً؟ ومعنى ظاهر الرواية حدوث البداء على الله سبحانه، وظهور ما خفي عليه وهو أمر محال، فلم يعلم وجه هذا الفصل إلا أن تكون الغاية تكريم ابن أمّ مكتوم وهذا أمر بعيد، فالحكم بوضع الرواية أحسن من هذا التوجيه.

وقد زعم أبو جعفر الطحاوي أنّ الإشكال يكمن في التسوية بين القاعدين لعذر وبغير عذر. فأجاب أنّه سبحانه لم يقصد من القاعدين في الآية القاعدين بالزمانه مع النية أنّهم لو أطاقوا الجهاد لجاهدوا، ولكن ذهب ذلك عن ابن أمّ مكتوم حتى قال ما قال^(١) أقول: خفي عليه موضع الإشكال، فإنّ محله هو أنّه سبحانه إمّا أراد من القاعدين عمومهم، أو خصوص غير القاعدين بالزمانه، فعلى الأوّل يلزم البداء بإنزال القيد، وعلى الثاني يلزم تأخير القيد المتصل عن الآية وهو كما ترى.

٩. الملائكة باسطوا أجنحتهم على الشام

أخرج أحمد في مسنده، عن عبد الرحمان بن شماس، عن زيد بن ثابت، قال: بينا نحن عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع، إذ قال: طوبى للشام، قيل: ولـم ذلك يا رسول الله؟ قال: لأنّ ملائكة الرحمن باسطوا أجنحتها عليه.^(٢)

١. مشكل الآثار: ١٥٤/٢.

٢. مسند أحمد: ١٨٤/٥.

إنّ النبي ﷺ أفصح من نطق بالضاد، فهو لا يتكلم اقتضاباً إلاّ أن يكون في المقام أدنى مناسبة، فلو افترضنا أنّ زيداً كان يؤلف القرآن من الرقاع، ولم يكن يتكلّم مع النبيّ بأيّ مناسبة ألقى رسول الله ﷺ كلامه وأظهر فضائل الشام؟ وأغلب الظن أنّ الحديث وضع في أوائل العهد الأموي لتثبيت أركان الجهاز الحاكم.

١٠. ضرورة اتخاذ الخليفة من المهاجرين

أخرج أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار فجعل منهم من يقول: يا معشر المهاجرين إنّ رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منّا، فنرى أنّ يلي هذا الأمر رجلاً منّا، أحدهما منكم، والآخر منّا، قال: فتتابع خطباء الأنصار على ذلك، قال: فقام زيد بن ثابت، فقال: إنّ رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وإنّما الإمام يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنّا أنصار رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر، فقال: جزاكم الله خيراً من حيّ يا معشر الأنصار وثبت فائلكم، ثمّ قال: والله لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم.^(١)

إنّ الخلافة كالرسالة فرع وجود مؤهلات و صلاحيات تؤهل الإنسان لأن يشغل منصّة الخلافة ويقوم بنفس الوظائف المخوّلة إلى النبي ﷺ سوى النبوة، وعلى ضوء ذلك فليست العناوين الطارئة كعنوان الأنصار أو المهاجرين من المؤهلات للقيام بأعباء الخلافة، ولذلك يقول سبحانه: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام/١٢٤). فما صرح به زيد من أنّ الرسول كان من المهاجرين فليكن الإمام منهم، من الوهن بمكان لعدم الدليل على الملازمة.

١ . مسند أحمد: ٥/١٨٥.

وتشهد على بطلانه هذه الوثيقة التاريخية:

لما عرّف الرسول نفسه على بني عامر الذين جاءوا إلى مكة المكرمة في موسم الحج ودعاهم إلى الإسلام، قال له كبيرهم: رأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟

فقال النبي ﷺ: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء.^(١)

فعلى ذلك فمنطق المهاجرين والأنصار في مسألة الخلافة منطلق غير سديد، إذ ليست الخلافة رهن عنوان المهاجرين والأنصار، وإنما هي رهن ملاكات وصلاحيات لا حصر لها، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنْتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة/ ٢٤٧) فقد انطلق بنو إسرائيل من مبدئية الشراء وكثرة المال، والله سبحانه ردّ عليهم وجعل المعيار هو كثرة العلم والقدرة الجسمانية، وأين هذا من منطق الحاضرين في سقيفة بني ساعدة؟!

١ . ابن هشام السيرة النبوية: ٢/ ٤٢٤ .

١٣ - المغيرة بن شعبة

(٢٠ق.هـ - ٥٠هـ-)

سيرته و أحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. النبي ﷺ بال قائماً.

٢. يعذب الميت بما يُنوح عليه.

٣. إخبار النبي ﷺ القيامة.

٤. الدجال معه جبل خبز.

المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك الثقفي، يُكنى أبا عبد الله.

روى ابن إسحاق عن عامر بن وهب، قال: خرج المغيرة في ستة من بني مالك إلى مصر تجاراً

حتى إذا كانوا ببزاق^(١) عدا عليهم فذبحهم واستاق العير وأسلم.

وروى الواقدي: أنه قدم على النبي ﷺ وعليه

١ . موضع قريب من مكة.

ثياب سفره، وكان أبو بكر عنده فسأله، وقال: أمن مصر أقبلتم؟ قال: نعم، قال: ما فعل المالكيون؟ قال: قلت: قتلتم وأخذت أسلابهم وجئت بها إلى رسول الله ليخمسها، فقال النبي ﷺ: أمّا إسلامك فنقبله، ولا آخذ من أموالهم شيئاً، لأنّ هذا غدر ولا خير في الغدر، فأخذني ما قرب وما بعد، وقلت: إنّما قتلتم وأنا على دين قومي. وكان قتل منهم ثلاثة عشر فيبلغ ثقيفاً بالطائف فتداعوا للقتال، ثمّ أصلحوا على أن يحمل عني عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية. وهذا يعرب أنّه التجأ إلى الإسلام كي يصون به نفسه عن سطوة ثقيف، وقد التقى في الحديبية مع عروة بن مسعود وهو مندوب قريش فلما عرفه عروة، قال له: يا غدر، والله ما عُسلت عني سواتك إلّا بالأمس.

استأمره عمر على البحرين فكرهوه فعزله عمر، ثمّ ولّاه البصرة فبقي عليها ثلاث سنين وأنهم فيها بالزنا، فشهد عليه أبو بكر ونافع ابنا الحارث وشبل بن معبد وزياد بن أبيه، لكن الأخير عدل عن شهادته، وقال: لم أر ما قالوا لكن رأيت ريبة و سمعت نفساً عالياً. فكبر عمر وضرب القوم إلّا زياداً، ثمّ عزله من البصرة فولّاه الكوفة. وقد عُذّ من دهاة العرب الأربعة، أعني: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه.

ومن نماذج دهائه أنّه: دعا معاويةً عمرو بن العاص، فقال: أعني على الكوفة، قال: كيف بمصر؟ قال: استعمل عليها ابنك عبد الله بن عمرو، قال: فنعنم. فبيناهم على ذلك جاء المغيرة بن شعبة وكان معتزلاً بالطائف، فناجاه معاوية، فقال المغيرة: أتومّر عمراً على الكوفة وابنه على مصر وتكون كالقاعد بين الحبي الأسد؟

قال: فما ترى؟ قال: أنا أكفيك الكوفة، قال: فافعل.

فقال: معاوية لعمرو حين أصبح: إني قد رأيت كذا، ففهم عمرو، فقال: ألا أدلك على أمير الكوفة؟ قال: بلى، قال: المغيرة، واستغن برأيه وقوته عن المكيدة، واعزله عن المال، قد كان قبلك عمر وعثمان فعلا ذلك، قال: نعم ما رأيت. فدخل عليه المغيرة، فقال: إني أمرتك على الجند والأرض ثم ذكرتُ سنّة عمر وعثمان قبلي، قال: قد قبلتُ.

ومن دهائه أنّ عليّاً لما دفن النبي ﷺ ألقى المغيرة خاتمه في القبر حتى ينزل في القبر ويجعل ذلك ذريعة إلى الافتخار بأنّه آخر من عهدَ برسول الله ﷺ ومسحَ كفنّه، ولكن لم تنطلي هذه الحيلة على الإمام عليّ، فقال له: لا يتحدث الناس أنّك نزلت في قبر نبي اللّهولا يتحدثون أنّ خاتمك في قبره، ونزل هو عليّ في القبر فناوله إياه.

كان المغيرة ينال في خطبته من عليّ عليّ وأقام خطباء ينالون منه.

قال الذهبي: مات أمير الكوفة المغيرة في سنة ٥٠ في شعبان وله سبعون سنة، وله في الصحيحين اثنا عشر حديثاً، وانفرد له البخاري بحديث، ومسلم بحديثين. هذا بعض ما يمكن أن يذكر في سيرته، وليس الرجل صاحب صحيفة بيضاء، ولتقتصر على ذلك. (١)
وقد بلغ عدد رواياته في المسند الجامع ما يربو على ٥٨ حديثاً. (٢)

١ . سير اعلام النبلاء: ٣/٢١-٣٢؛ أسد الغابة: ٤/٤٠٦؛ تاريخ ابن عساکر: ١٧/٤٢؛ طبقات ابن سعد: ٤/٢٨٤ وج ٦/٢٠؛ انساب الاشراف: ٣/٦٨، إلى غير ذلك من المصادر.
٢ . المسند الجامع: ١٥/٣٧٨ برقم ٦٤٧.

روائع أحاديثه

١. أخرج البخاري في صحيحه، عن الوراد، كاتب المغيرة بن شعبة، قال: أُملى عليّ المغيرة بن شعبة في كتاب إلى معاوية أنّ النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت. ^(١) ويصدقفه قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يونس/١٠٧).
٢. أخرج البخاري عن المغيرة بن شعبة، قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم فقال الناس: كُسِفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فقال رسول الله ﷺ: إنّ الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله. ^(٢)
٣. أخرج مسلم في صحيحه عن علي بن ربيعة الأسدي، قال: أتيت المسجد والمغيرة أمير الكوفة، قال: فقال المغيرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ كذباً عليّ ليس ككذب عليّ أحد، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. ^(٣)
٤. أخرج أحمد في مسنده عن رجل من ولد المغيرة بن شعبة عنه، قال: نهى رسول الله ﷺ عن المثلة. ^(٤)
٥. أخرج الترمذي في سننه، عن ميمون بن أبي شبيب، عن المغيرة بن

١. صحيح البخاري: ١/١٦٤، باب الذكر بعد الصلاة.

٢. صحيح البخاري: ٢/٣٤، باب الصلاة في كسوف الشمس.

٣. صحيح مسلم: ١/٨، باب النهي عن الحديث بكلمة سمع.

٤. مسند أحمد: ٤/٢٤٤.

شعبة، عن النبي ﷺ قال: من حدث عني حديثاً وهو يرى أنّه كذب فهو أحد الكذّابين. (١)
هذا شيء من روائع أحاديثه، ولكن عزيت إليه أحاديث لا تصدقها الموازين السابقة، وإليك ما يلي :

١. النبي ﷺ بال قائماً

أخرج ابن ماجة، عن أبي وائل، عن المغيرة بن شعبة، أنّ رسول الله « ﷺ » أتى سباطة (٢)
قوم، فبال قائماً. (٣)

والرواية لو صحت فإنّما تحمل على صورة الاضطرار، فإنّ البول قائماً ينافي ما ثبت منه خلافه.
قال ابن قدامة: ويُسْتَحَبُّ أن يبول قاعداً لئلا يترشش عليه، قال ابن مسعود: من الجفاء أن
تبول وأنت قائم، وكان سعد بن إبراهيم لا يجيز شهادة من بال قائماً، قالت عائشة: من حدثكم
أرسل الله ﷺ كان يبول قائماً فلا تصدقوه، ما كان يبول إلا قاعداً.

قال الترمذي: هذا أصحّ شيء في الباب، وقد رويت الرخصة فيه عن عليّ ؓ، وعمر،
وابن عمر، وزيد بن ثابت، وسهل بن سعد، وأنس، وأبي هريرة، وعروة، ورواه البخاري وغيره
ولعلّ النبي ﷺ فعل ذلك لتبيين الجواز ولم يفعله إلاّ مرة واحدة، ويحتمل أنّه في موضع لا يتمكن
من الجلوس فيه. (٤)

١ . سنن الترمذي: ٣٦/٥ برقم ٢٦٦٢.

٢ . سباطة: الكناسة.

٣ . سنن ابن ماجة: ١١١/١ برقم ٣٠٦.

٤ . المغني: ١٥٦/١.

وما نقله عن عائشة فقد رواه ابن ماجة، أمَّا قالت: من حدَّثك أنّ رسول الله بال قائماً فلا تُصدِّقه، أنا رأيته يبول قاعداً. (١) وروى ابن ماجة في سننه عن عمر، أنّه قال: رأيت رسول الله ﷺ أبول قائماً. فقال: يا عمر: لا تبل قائماً، فما بلت قائماً، بَعُدُ. (٢)

وروى جابر بن عبد الله قال: نهي رسول الله ﷺ أن يبول قائماً. (٣) وما وجه به ابن قدامة صدوره من النبي ﷺ من أنّه كان لتبيين الجواز وجه تافه، إذ بإمكانه ﷺ أن يبيّنه بكلامه دون حاجة إلى بيانه بالفعل الذي يعدّ من صفات غير المباليين بأحكام الشريعة، وأمّا نسبة ذلك إلى عليّ، فالمروي عن أئمة أهل البيت خلافه. (٤)

٢. يعذب الميت بما يُنَّاح عليه

أخرج أحمد في مسنده، عن علي بن ربيعة الأسدي، قال: مات رجل من الأنصار يقال له قرظة بن كعب فنيح عليه.

فخرج المغيرة بن شعبة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما بال النوح في الإسلام أما إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: من ينح عليه يعذب بما ينح به عليه. (٥)

قد تناولنا البحث في البكاء على الميت والنياحة عليه عند دراسة أحاديث أبي موسى الأشعري وذكرنا فيها أنّ البكاء على الميت أمر فطري نابع من صميم العاطفة الإنسانية، ومثله غير خاضع للنهي، وإمّا المنهي عنه هو التكلم والدعاء

١ . سنن ابن ماجة: ١١٢/١ برقم ٣٠٨ - ٣٠٩.

٢ . سنن ابن ماجة: ١١٢/١ برقم ٣٠٨ - ٣٠٩.

٣ . سنن ابن ماجة: ١١٢/١ برقم ٣٠٨ - ٣٠٩.

٤ . الوسائل: الجزء ١، الباب ١٦ من أحكام الخلوة، الحديث ١.

٥ . مسند أحمد: ٢/٢٤٥.

بالويل والثبور وكل ما يُسخط الرب والاعتراض على قضائه وقدره.

أخرج ابن ماجة في سننه، عن مكحول والقاسم، عن أبي امامة: أنّ رسول الله ﷺ لعن الخامشة وجهها، والشاقّة جيبها والداعية بالويل والثبور. (١)

ومعنى هذا، أنّ المنهية عنه نظير هذه الأعمال الخارجة عن أدب التسليم والرضا بقدره وقضائه. وقد أمر النبي ﷺ بالنياحه على حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب، كما بكى ﷺ على ولده إبراهيم وبكت معه الصحابة.

وما تضمنه الخبر من أنّكيت يعذب بما يناح عليه، يخالف القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام/١٦٤) فهو من قبيل أخذ البريء بجرم المذنب، والعقل الحصيف يرده.

٣. إخبار النبي ﷺ عن الحوادث إلى يوم القيامة

أخرج أحمد في مسنده، عن محمد بن كعب القرظي، عن المغيرة بن شعبة، أنّه قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبرنا بما يكون في أمته إلى يوم القيامة، وعاه من وعاه ونسيه من نسيه. (٢)

إنّ الإخبار عن الحوادث التي تقع في حياة الأمة الإسلامية محمول على وجه الإجمال دون التفصيل وذكر رؤوس الحوادث دون الخوض في تفاصيلها وإلا لاستغرق مدة مديدة ربّما لا يتسع لها عمر المتكلم والسامع.

وعلى ذلك فهل وعى المغيرة بن شعبة من تلك الأخبار شيئاً مفيداً لحال الأمة أو كان ممن نسي الجميع؟ فلو كان ممن وعاه، فلماذا لم يخبر الأمة بما سمعه ولم يُبيّن جانباً من تلك الجوانب؟ ولو كان ممن نسيه، فهذا يعرب عن

١ . سنن ابن ماجة: ١/٥٠٥ برقم ١٥٨٥.

٢ . مسند أحمد: ٤/٢٥٤.

ضعف ذاكرته، حيث لم يضبط شيئاً مما سمعه من رسول الله ﷺ حول تلك الحوادث المهمة التي تتشوق النفس إلى معرفتها وحفظها، وعند ذلك لا يمكن الاعتماد والركون إلى جميع ما أخبر به عن النبي من أحاديث رواها عنه أصحاب الصحاح والمسانيد.

وقد نقل أيضاً عن حذيفة، أنّ قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فحدثنا بما هو كائن إلى قيام الساعة، فحفظه من حفظه و نسيه من نسيه.

قال الذهبي بعد نقل الرواية في ترجمته: قلت: قد كان ﷺ يترتل كلامه ويفسره، فلعله قال في مجلسه ذلك ما يكتب في جزء، فذكر أكبر الكوائن، ولو ذكر أكثر ما هو كائن في الوجود لما تهيأ أن يقوله في سنة، بل ولا في أعوام، ففكر في هذا. ^(١)

وهذا التوجيه لو تمّ فإتّما يتم على رواية المغيرة بن شعبة، دون رواية حذيفة ابن اليمان الأنفة الذكر حيث خصّص الأوّل بياهملاً يقع في أمته دون الثاني حيث عمّم بيانه لما هو كائن إلى قيام الساعة.

٤. الدجال معه جبل خبز

أخرج البخاري عن المغيرة بن شعبة: ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدّجال ما سألته، وإنّه قال لي: ما يضرك منه؟ قلت لأتّهم يقولون: إنّه معه جبل خبز ونهر ماء، قال: هو أهون على الله من ذلك. ^(٢)

وروى مسلم عنه أنّه قال: ما سأل رسول الله ﷺ أحد عن الدجال أكثر ممّا سألته عنه، فقال لي: أي بُنيوما ينصبك منه أنّه لن يضرك؟ قال: قلت: إتّهم

١ . سير أعلام النبلاء: ٢/٣٦٦ برقم ٧٦.

٢ . صحيح البخاري: ٥٩/٩، باب ذكر الدجال.

يزعمون أنّ معه أنهار الماء وجبال الخبز، قال: هو أهون على الله من ذلك. ^(١)
لا شك أنّ الله سبحانه أقدّر على ذلك وأهون عليه واتكلممكم بالنسبة إليه سواء فلا يتصور فيه اليسر ولا العسر إذا كان الشيء بذاته أمراً ممكناً غير ممتنع. وقال علي عليه السلام: «ما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه إلاّ سواء». ^(٢) ولكن الكلام في أنّه هل من الممكن عقلاً و منطقاً تزويد الدجال المضلّ بتلك الكرامات الكبيرة والمعجزات الباهرة التي هي خير ذريعة لإضلال الناس؟

وبعبارة أخرى: إنّ تزويده بتلك القُدّرات الخارقة للعادة، يوجب التفاف الناس حوله وإيمانهم به وبدعوته، وهو غير جائز بدهشة العقل إذ معنى ذلك إنّّه سبحانه مهد الطريق لإضلال الناس، وحكمته سبحانه تصدّنا عن تجويزه عليه قال سبحانه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة/٤٤-٤٧).
ومفاد الآية: إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما كان صاحب معاجز وكرامات باهرة فالناس بطبعهم يلتفون حوله ويرون ذلك دليلاً على اتصاله بالله وكونه سفيراً من قبله، فلو تقوّل - والعياذ بالله - على الله سبحانه والحال هذه، فمقتضى حكمته أن يأخذ منه باليمين ويقطع منه الوتين بلا تريث وتردد.

ومع ذلك فكيف يزوّد دجال العصر الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غير واحد من أحاديثه بهذه القدرات الغيبية ومُهلّه مدّة مديدة لإضلال الناس ولا يأخذ منه باليمين ولا يقطع منه الوتين؟!؟

١ . صحيح مسلم: ١٧٧/٦، باب جواز قوله لغيره يا بني.

٢ . نصح البلاغة، الخطبة ١٨٥.

١٤- جرير بن عبد الله البجلي

(... - ٥١هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

رؤية الله يوم القيامة

ابن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن حشم بن عوف البجلي القسري، أبو عمرو، وقيل أبو عبد الله، من أعيان الصحابة.

حدّث عنه: أنس، وقيس بن أبي حازم، وأبو وائل، والشعبي، وهمام بن الحارث، وأولاده الأربعة: المنذر، وعبيد الله، وإبراهيم، وأيوب، وشهر بن حوشب، وزيايد بن علاقة، وحفيده أبو زرعة بن عمرو بن جرير، وأبو إسحاق السبيعي، وجماعة.

قال الواقدي: حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه، قال: قدم جرير البجلي في رمضان سنة عشر ومعه من قومه خمسون ومائة، فقال رسول الله ﷺ: يطلع عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن، فطلع جرير على راحلته ومعه قومه فأسلموا.

شهد حرب القادسية ثم نزل الكوفة، ولما قدم أمير المؤمنين علي عليه السلام

الكوفة بعد وقعة الجمل، كتب إلى جرير وكان عاملاً لعثمان على همدان يدعو إلى البيعة، فكتب إليه جرير جواب كتابه بالطاعة ثم أقبل إلى الكوفة فبايعه، بعثه الإمام علي عليه السلام رسولاً إلى معاوية يدعو إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته.

قال ابن عساكر: سكن جرير الكوفة، ثم سكن قرقيسياء، وقدم رسولاً من عليّ إلى معاوية. توفي جرير سنة إحدى وخمسين.

ومسند جرير نحو من مائة حديث بالمكرر، اتفق له الشيخان على ثمانية أحاديث، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بستة. ^(١)

عدّ من المقلّين في الفتيا من الصحابة، وله في المسند الجامع ٥٧ حديثاً. ^(٢) وقد عزيت إليه أحاديث رائعة وأخرى سقيمة.

فمن روائع أحاديثه:

١. أخرج مسلم في صحيحه، عن عبد الرحمان بن هلال العبسي، عن جرير بن عبد الله، قال: جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم الصوف، فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة، فحثّ الناس على الصدقة فأبطأوا عنه حتى روي ذلك في وجهه. قال: ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصرة من ورق

١ . سير أعلام النبلاء: ٥٣٠/٢ برقم ١٠٨؛ أسد الغابة: ٢٧٩/١؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢٢/٦.

٢ . المسند الجامع: ٤٨٦/٤ برقم ٨٩.

ثمّ جاء آخر، ثمّ تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه.

فقال رسول الله ﷺ: من سنّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء؛ و من سنّ في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء. (١)

٢. أخرج الحميدي عن قيس بن أبي حازم، قال: قال لي جرير: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ لَا يَرْحَمَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ. (٢)

وعزي إليه حديث لا يستقيم مع الضوابط المقررة.

رواية الله يوم القيامة

أخرج الحميدي في مسنده، عن قيس، قال: قال لي جرير بن عبد الله:

كنّا عند النبي ﷺ، إذ نظر إلى القمر ليلة البدر. فقال: أما إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا، لا تضامون في رويته، فمن استطاع منكم لا يغلب على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثمّ قال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ (طه/١٣٠). (٣)

قوله: «لا تضامون» أمّا بالتخفيف بمعنى لا يحصل لكم ضيم، وبالتشديد أي لا تزامون.

وحاصل الحديث: إنّ ثمة فرق بين رواية الهلال وإراءته للآخرين وبين

١ . صحيح مسلم: ٦١/٨، باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة.

٢ . مسند الحميدي: ٣٥١/٢ برقم ٨٠٢.

٣ . مسند الحميدي: ٣٥٠/٢ برقم ٧٩٩.

روية البدر، فالأول لأجل ضالة رويته فهو بحاجة إلى مشاركة الناس بغية رويته، بخلاف البدر فهو لأجل وضوح رويته لا يحتاج إلى تلك العناية، بل يراه كل الناس في محله وموضعه. إن مسألة الروية من المسائل المستوردة من اليهود الذين كانوا يصرون على موسى أن يريهم الرب في ميقاتهم، فنزل عليهم ما نزل.

ولما كان عليّ عليه السلام من المنكرين للروية والقائلين بالتنزيه، عمد مخالفوه إلى نقل روايات حول الروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم مقابلة له.

وقيس بن أبي حازم كان من مناوئي علي عليه السلام و مخالفه.

يقول ابن حجر: وقد تكلم أصحابنا فيه فمنهم من رفع قدره وعظمه وجعل الحديث عنه من أصح الاسناد، ومنهم من حمل عليه، و قال: له أحاديث مناكير، والذين أطروه حملوا هذه الأحاديث على أنها عندهم غير مناكير، وقالوا: هي غرائب. ومنهم من حمل عليه في مذهبه وقالوا: كان يحمل على عليّ، والمشهور عنه أنه كان يقدّم عثمان ولذلك تجنب كثير من قدماء الكوفيين الرواية عنه. ^(١)

أقول: ما قيمة رواية تخالف الذكر الحكيم حيث يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام/١٠٣) ويقول سبحانه مخاطباً لموسى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ (الأعراف/١٤٣) ولفظة «لن» في لغة العرب للتأييد، و قد تكلمنا حول الروية في هذا الكتاب فلا نعيد.

وتخالف أيضاً العقل الصريح الذي به عرفنا الله سبحانه، والذي يحكم بامتناع رويته لاستلزامها كونه جسماً أو جسمانياً، محاطاً واقعاً في جهة ومكان - تعالى عن ذلك علواً كبيراً -.

١ . تهذيب التهذيب: ٣٨٨/٨.

١٥ - عمران بن الحصين الخزاعي

(... - ٥٢هـ -)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. الميت يعذب ببكاء الحي.

٢. خير القرون قرني.

٣. أكثر أهل النار النساء.

٤. كل ميسر لما خلق له.

عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي، يكنى أبا نجيذ، أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في سنة ٧هـ-، وله عدّة أحاديث، وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات، بعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة ليفقه أهلها، وكان من فضلاء الصحابة، واستقضاه عبد الله بن عامر على البصرة فأقام قاضياً يسيراً ثم استعفى فأعفاه.

روى عنه الحسن وابن سيرين.

وقال الذهبي: وكان ممن اعتزل الفتنة، ولم يجارب مع علي «عليه السلام».

أقول: ما ذكره الذهبي شنشنة أعرفها من كل من يكنّ العداء لأهل البيت «عليهم السلام» وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، كيف يصف الذهبي حروب علي مع الناكثين و القاسطين والمارقين فتنة، وقد

أخبر النبي ﷺ بما؟! روى أبو أيوب الأنصاري، قال: أمرني رسول الله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي. (١)

روى أبو سعيد الخدري: أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، قلنا: يا رسول الله، أمرتنا بقتال هؤلاء، فمع من؟ قال: مع علي بن أبي طالب، معه يقتل عمار بن ياسر. (٢)

روى عمّار بن ياسر، قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. (٣)
قال الخطيب في تاريخه عن خلود العصري، قال: سمعت أمير المؤمنين علياً يقول يوم النهروان: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين. (٤)

والروايات المروية عنه تحكي عن تعاطفه مع علي عليه السلام ولعله لم يشارك في الحروب، لعذر كالمريض كما يظهر مما نقله العلامة المجلسي في البحار.

توفي عمران سنة ٥٢ في البصرة.

قال الذهبي: مسنده ١٨٠ حديثاً، اتفق الشيخان له على تسعة أحاديث، وانفرد البخاري بأربعة أحاديث، ومسلم بتسعة. (٥)

وقد جمعت رواياته في المسند الجامع فبلغت ٩٨ حديثاً. (٦)

فلنذكر شيئاً من روائع رواياته، ثم نذكر ما عزي إليه وهي تخالف الأصول الصحيحة.

١ . الاستيعاب: ٥٣/٣.

٢ . البداية و النهاية: ٣١٧/٧.

٣ . مجمع الزوائد: ٢٣٨/٧.

٤ . تاريخ بغداد: ٣٤٠/٨؛ تاريخ ابن كثير: ٣٠٥/٧.

٥ . سير أعلام النبلاء: ٥١٢/٢؛ أسد الغابة: ١٣٨/٤.

٦ . المسند الجامع: ٢٠٦/١٤ - ٢٨١ برقم ٥٠٨.

روائع رواياته:

١. أخرج مسلم في صحيحه، عن مطرف، عن عمران بن حصين، قال: تمتعنا مع رسول الله ﷺ ولم ينزل فيه القرآن، قال رجل برأيه ما شاء. (١)
- وقد رواه مسلم أيضاً بطرق أخرى عن عمران بن حصين، ومراده من «رجل» هو عمر بن الخطاب الذي نهى عنه كما رواه أحمد في مسنده. (٢)
٢. أخرج أحمد في مسنده عن أبي داود، عن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: من كان له على رجل حق، فمن آخر، كان له بكل يوم صدقة. (٣)
٣. أخرج أبو داود في سننه عن محمد بن سيرين، عن عمران بن حصين، قال: قال النبي ﷺ: من حلف على يمين مصبورة (٤) كاذباً فليتبوأ بوجهه مقعده من النار. (٥)
٤. أخرج النسائي في سننه، عن محمد بن الزبير، عن أبيه، عن رجل من أهل البصرة، قال: صحبت عمران بن حصين، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: النذر نذران، فما كان من نذر في طاعة الله فذلك لله، وفيه الوفاء، وما كان من نذر في معصية الله فذلك للشيطان ولا وفاء فيه، ويكفره ما يكفر اليمين. (٦)
٥. أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي المهلب، عن عمران بن حصين: ان امرأة من جهينة أتت نبي الله ﷺ وهي حبلى من الزنا فقالت: يا نبي الله أصبت

١ . صحيح مسلم: ٤/٤٨، باب جواز التمتع من كتاب الحج.

٢ . مسند أحمد: ٤/٤٣٦.

٣ . مسند أحمد: ٤/٤٤٢.

٤ . المصبورة أي الزم بما وحبس عليها.

٥ . سنن أبي داود: ٣/٢٢٠ برقم ٣٢٤٢؛ مسند أحمد: ٤/٤٣٦.

٦ . سنن النسائي: ٧/٢٨ - ٢٩، باب كفارة النذر.

حدّاً فأقمه عليّ، فدعا نبي الله ﷺ وليّها، فقال: أحسن إليها فإذا وضعت فائتي بها، ففعل فأمر بها نبي الله ﷺ فشكّت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها.

فقال له عمر: تصلّي عليها يا نبيّ الله وقد زنت؟ فقال: لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لو سعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى؟! (١)

٦. أخرج أحمد، عن أبي الرجاء العطاردي، قال: خرج علينا عمران بن حصين وعليه مطرّف من خز لم نره عليه قبل ذلك ولا بعد، فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: من أنعم الله عزّ وجلّ عليه نعمة فإنّ الله عزّ وجلّ يحب أن يرى أثر نعمته على خلقه، وقال الروح بيغداد... يجب أن يرى أثر نعمته على عبده. (٢)

٧. أخرج الدارمي في سننه، عن الحسن، عن عمران بن حصين، أنّ رسول الله ﷺ قال: مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل من عبادة الرجل ستين سنة. (٣)

٨. أخرج أحمد في مسنده، عن أبي مراية، عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ قال: لا طاعة في معصية الله تبارك و تعالى. (٤)

٩. أخرج الترمذي في سننه، عن مطرّف بن عبد الله عن عمران بن حصين، قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً، واستعمل عليهم علي بن أبي طالب عليه السلام فمضى في السريّة، فأصاب جارية،

١ . صحيح مسلم: ٥/١٣٠، باب من اعترف على نفسه بالزنا.

٢ . مسند أحمد: ٤/٤٣٨.

٣ . سنن الدارمي: ٢/٢٠٢، باب في مقام الرجل في سبيل الله.

٤ . مسند أحمد: ٤/٤٢٦.

فأنكروا عليه، وتعاهد أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: إذا لقين-ا رس-ول الله ﷺ أخبرناه بما صنع عليّ، وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدأوا برسول الله ﷺ فسلموا عليه، ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السريّة، سلّم-وا على النبيّ فقام أحد الأربعة-ة، فق-ال: يا رسول الله، ألم تر أنّ علي بن أبي طالب صنع كذا و كذا، فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، ثمّ قام الثاني فقال مثل مقالته، فأعرض عنه، ثمّ قام الثالث فقال مثل مقالته: فأعرض عنه، ثمّ قام الرابع فقال مثل ما قالوا. فأقبل رسول الله ﷺ والغضب يعرف في وجهه، فقال: ما تريدون من عليّ، ما تريدون من عليّ، ما تريدون من عليّ؟! إنّ عليّاً مّيّ، وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي. (١)

١٠. أخرج ابن ماجة في سننه، عن القاسم بن مهران، عن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله يحبُّ عبده المؤمن، الفقير، المتعفف، أبا العيال. (٢)

ويؤيده قوله سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة/٢٧٣).

هذه شيء من روائع رواياته وكم لها من نظير، وقد عزي إليه ما لا ينطبق عليه الموازين التي استعرضناها في صدر الكتاب فلنذكر منها شيئاً

١. الميت يعذب ببكاء الحي

أخرج أحمد في مسنده عن مُجَدِّ بن سيرين، قالوا: ذكروا عند عمران بن حصين «الميت يعذب ببكاء الحي»، فقالوا: كيف يعذب الميت ببكاء الحي؟

١ . سنن الترمذي: ٥/٦٣٢ برقم ٣٧١٢؛ و مسند أحمد : ٤/٤٣٧.

٢ . سنن ابن ماجة: ٢/١٣٨٠ برقم ٤١٢١.

فقال عمران قد قاله رسول الله ﷺ . (١)

إنَّ تعجَّب الحاضرين أوضح دليل على أنَّ الرواية مخالفة للفطرة الإنسانية التي بني عليها الدين، وقد أثارت حفيظتهم ودفعتهم إلى القول بأنَّه «كيف يعذب الميت ببيكاء الحي؟» وقد ذكرنا ما هو الصحيح غير مرّة.

٢. خير القرون قرني

أخرج مسلم في صحيحه، عن زهد بن مُضَرَّب، سمعت عمران بن حصين يحدث أنّ رسول الله ﷺ قال: إنَّ خيركم قرني، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أقال رسول الله صبعده قرنه مرتين أو ثلاثة، ثمّ يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السِّمَن. (٢)

التاريخ الصحيح لا يدعن بما جاء في الرواية، فلنضرب عن عصر الخلفاء الراشدين صفحاً، ونستعرض العهد الأموي الذي تسلم فيه الأمويون منصة الخلافة ابتداءً من معاوية بن أبي سفيان فيزيد بن معاوية فمروان بن الحكم ثمّ أبناؤه الأربعة، فهل يمكن أن نعدّ هذه الحقبة من التاريخ خير القرون، وقد قتل فيها سبط النبي الحسين بن علي عليه السلام، وأبيحت دماء أهل المدينة وأعراض نسائهم، وحوصرت مكة وهتكت حرمتها بيد الحجاج بن يوسف الثقفي، واستعبد أبناء المهاجرين والأنصار، ونُقش على أيديهم كما ينقش على أيدي غلمان الروم؟! إلى غير ذلك من الجرائم البشعة التي يندى لها جبين الإنسانية.

وأنت إذا أمعنت في كتب التواريخ وجدت النصف الثاني من القرن الأوّل

١ . مسند أحمد: ٤/٤٣٧.

٢ . صحيح مسلم: ٧/١٨٥-١٨٦، باب فضل الصحابة، ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم.

من أشدّ القرون لا خير فيه، ولا في خلفائه وأمرائه، والناس بأمرائهم أشبه منهم بآبائهم.
٣. أكثر أهل النار النساء

أخرج البخاري في صحيحه، عن أبي رجاء، عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ، قال:
اطّلت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطّلت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء. (١)
أقول: لو ثبت الحديث وأنّ النبي ﷺ اطّلع من عالم الغيب على أنّ أكثر أهل النار من
النساء، لآخذنا به، لكنّه لم يثبت، و الواقع المشهود في تاريخ البشر هو أنّ نسبة وقوع المعاصي
من قبل الرجال أكثر منه عند النساء، فثمة معاصي موبقة لا يقوم بها غالباً إلاّ الرجال كاللواط
والسرقة والقتل وغيرها.

أمّا النساء فيلازمن المنازل غالباً ويقمنّ بالوظائف البيئية أو العمل في المزارع والمعامل.
أضف إلى ذلك أنّ المعاناة التي تلاقىها المرأة أيام الحمل والوضع بمثابة مطهر لها من الذنوب
ولو ماتت في هذا السبيل ماتت شهيدة.

روى النسائي عن عقبه بن عامر أنّ رسول الله ﷺ قال: «والنفساء في سبيل الله
شهيد». (٢)

ومن لاحظ الروايات الواردة في هذا المجال رأى فيها قسوة ظاهرة في حقّ النساء.

١ . صحيح البخاري: ١١٧/٤، باب ماجاء في صفة الجنة.

٢ . سنن النسائي: ٣٧/٦.

روى مسلم، عن عمران بن حصين، عن رسول الله ﷺ ، قال: إن أقل ساكني الجنة النساء. (١)

وروى أيضاً عن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ : كنت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين، وإذا أصحاب الجد محبسون إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء. والقضية في كلا الجانبين قابلة للنقاش، ومعنى ذلك أنه لا يدخل غني الجنة ولا يدخل رجل النار.

وروى مسلم أيضاً عن أسامة بن زيد بن حارثة، وسعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل أنّهما حدثا عن رسول الله ﷺ أنه قال: ما تركت بعدي في الناس فتنة أضرم على الرجال من النساء. (٢)

إنّ القرآن الكريم يذكر الأموال والأولاد من أسباب الفتنة، ويقول: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التغابن/٥). ولا يذكر النساء من أسبابها وإنما يصفهن بقوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ (التغابن/١٤).

فضمر النساء على الرجال أقل بكثير من ضرر حبّ الرئاسة والجاه والمال.
٤. كل ميسر لما خلق له

أخرج البخاري في صحيحه، عن عمران بن حصين، قال: قال رجل: يا رسول الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم، قال: فلم يعمل العاملون؟

١ . صحيح مسلم: ٨٨/٨، باب أكثر أهل الجنة الفقراء.

٢ . المصدر نفسه.

قال: كلّ يعمل لما خلق له، أو لما يسرّ له. (١)

أقول: لما كان مضمون الحديث يعادل الجبر، سألت السائل رسول الله ﷺ ، وقال: إذا كان كالإنسان مسيرٍ إما إلى الجنة أو إلى النار فلماذا يعمل أهل الجنة مع أئمتهم إليها، (فلم يعمل العاملون)؟

والسؤال جيد جداً، وأما الجواب فليس بمقنع ولا قانع للإشكال لولم نقل أنّه دعم للإشكال، حيث جاء فيه: كلّ ميسر لما خلق له ، فأهل الجنة خلقوا للجنة فيعملون لها، وأهل النار خلقوا للنار فيعملون لها.

فعندئذٍ تثار تساؤلات:

الأول: إذا كان أهل الجنة خلقوا للجنة فهم يدخلون الجنة شاءوا أم أبوا، فما معنى التكليف والعمل؟

الثاني: إذا كان أهل النار خلقوا للنار شاءوا أم أبوا، فما هو ذنبهم في دخولهم النار؟

وقد حاول الشارحون دفع الإشكال فلم يأتوا بشيء مقنع.

قال ابن حجر في شرحه للحديث: وفيه قصة لأبي الأسود الدؤلي مع عمران، وفيه قوله له: أ يكون ذلك ظلماً؟ فقال: لا، كلّ شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل.

قال عياض: أورد عمران على أبي الأسود شبهة القدرية من تحكمهم على الله ودخولهم بآرائهم في حكمه، فلما أجابه بما دلّ على ثباته في الدين قواه بذكر الآية وهي حدّ لأهل السنة، وقوله: «كلّ شيء خلق الله وملكه» يشير إلى أنّ المالك الأعلى الخالق الأمر لا يُعترض عليه إذا تصرف في ملكه بما يشاء، وإتّما

١ . صحيح البخاري: ١٢٢/٧، باب في القدر.

يعترض على المخلوق المأمور. (١)

ما نقله ابن حجر عن عياض مخالف للفطرة الإنسانية التي بني عليها الدين، إذ لا شكّ أنّه سبحانه هو الخالق وله التصرف في ملكه كيفما يشاء هذا من جانب.
ومن جانب آخر أنّه حكيم وحكمته تصدّه عن أن يختار الجانب الذي فيه تعذيب البريء والرضيع إلى غير ذلك من الأعمال التي تعد ظلماً عند العقل وقبيحاً عند الجميع.
فهؤلاء ينظرون إلى سعة قدرته ويغضّون البصر عن حكمته ورأفته وعدله.
وما نقله من مناظرة أبي الأسود الدؤلي مع عمران بن الحصين نقله الإمام أحمد في مسنده وإليك نصه:

أخرج أحمد في مسنده عن أبي الأسود الدؤلي، قال: قال لي عمران بن الحصين: رأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم و مضى عليهم من قدر ما سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيء قضي عليهم، ومضى عليهم. قال: فقال: أفلا يكون ظلماً؟ قال: ففزعت من ذلك فزعاً شديداً. وقلت: كل شيء خلق الله وملك يده، فلا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون، فقال لي: يرحمك الله. إني لم أرد بما سألتك إلا لأحرز عقلك.

إنّ رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله، رأيت ما يعمل الناس اليوم، ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم و مضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: لا بل

١ . فتح الباري: ١١/٤٩٣.

شيء قضى عليهم و مضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا*
فَأَلَّهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾. (١)

إنَّ أبا الأسود الدؤلي عالم من علماء الأمة تخرَّج على يدي علي بن أبي طالب وله الفضل في تدوين علم النحو برعاية الإمام عليّ عليه السلام.

وعمران بن الحصين صحابي جليل نحل من نخير علم الرسول ﷺ، وقد دارت المناظرة بين تابعي وصحابي، ولكن الغلبة كانت حليف أبي الأسود الدؤلي لأنه إذا كان مصير كل إنسان محتوماً عليه ومقضيّاً به ولم يكن للإنسان دور فيه، فما معنى حمل مسؤوليته على عاتقه. قال سبحانه: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ - وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (الإسراء/٣٦). وقال سبحانه: ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (الصفات/٢٤) وقال تعالى: ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً﴾ (الأحزاب/١٥).

ولاجل ذلك اعترض أبو الأسود الدؤلي على عمران، بأنَّ إنكار دور الإنسان في مصيره يلازم كون العقاب عليه ظلماً.

فما أجاب به عمران بن الحصين: من أن كل شيء خلقه الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون، جواب غير مقنع، إذ لا شك أن الله سبحانه مالك للملك والمملوك، ولا يملك إنسان شيئاً إلا بإذنه، ولكنَّ حكمته سبحانه وعدله يصدّه عن أن يظلم عباده، وكون الدنيا وما فيها ملكاً له لا يبرّر التصرف في ملكه على خلاف العدل. أي أخذ البريء بلا جرم.

وخلاصة الكلام: أن هنا أصلين كونه مالكاً وكونه حكيماً، فلا يتصرف في ملكه إلا في إطار الحكمة مع كونه قادراً على التصرف على خلافها، والله

١ . مسند أحمد: ٤/٤٣٨.

سبحانه لا يسأل عما يفعل، لأنّه حكيم لا يفعل على خلاف حكمته، ويعود السؤال عنه سؤالاً لغوياً غير مجدٍ.

ثمّ إنّ الصحابي الجليل استند - حسب الرواية - إلى قصة رجلين من مزينة وهو أيضاً غير مقنع، إذ يرد عليه ما أورد على جواب المناظر.
فرفض أمثال هذه الروايات أفضل من أخذها وتأويلها.

١٦ - أسامة بن زيد بن حارثة

(... - ٥٤ هـ -)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١ . اتخذ اليهود قبور أنبيائهم مساجد.

٢ . النساء أضرنّ شيء على الرجال.

ابن حارثة بن شراحيل بن عبد العزّي بن امرئ القيس، أبو زيد، ويقال: أبو حارثة.

استعمله النبي ﷺ على جيش لغزو الشام، وفي الجيش، عمر و كبار الصحابة، وهو ابن

حاضنة النبي ﷺ أم أيمن.

أمر رسول الله أسامة فطعنوا في إمارته، فقال: إن يطعنوا في إمارته فقد طعنوا في إمارة أبيه، وأيم

الله أنّه كان خليقاً بالإمارة.

ينقل الذهبي عن عبيد الله بن عبد الله، قال: رأيت أسامة يصلي عند قبر النبي ﷺ فمرّ به

مروان، فقال: أتصلي عند قبر؟! وقال له قولاً قبيحاً.

فقال: يا مروان، إنك فاحش متفحّش، وإني سمعت رسول الله، يقول: إنّ

الله يُبغض الفاحش المتفحّش.

حدّث عنه: أبو هريرة، وابن عباس، وأبو وائل، وأبو عثمان الهندي، وعروة ابن الزبير، وأبو سلمة وأبو سعيد المقبري، وعامر بن سعد، وأبو ظبيان، وعطاء بن أبي رباح، وابناه حسن و محمد. وله في «مسند بقي» مائة وثمانية عشر حديثاً منها في البخاري و مسلم خمسة عشر، وفي البخاري حديث و في مسلم حديثان.

قال الزهري: مات أسامة بالجرف (١) في آخر خلافة معاوية سنة أربع وخمسين (٢) ضل وبلغت أحاديثه في المسند الجامع ٧٥ حديثاً. (٣)

وقد رويت عنه روايات رائعة كما عزيت إليه أخرى سقيمة.

روائع رواياته

١. أخرج أحمد في مسنده، عن الزبيرقان، عن أسامة بن زيد:

«إنّ رسول الله ﷺ كان يصلي الظهر بالهجير ولا يكون وراءه إلاّ الصف والصفان و الناس في قائلتهم وفي تجارتهم، فأنزل الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾.

قال: فقال رسول الله ﷺ: لينتهين رجال أو لأحرقن بيوتهم. (٤)

ومعنى ذلك أنّ الصحابة كان يشغلهم الصفق في الأسواق عن الحضور

١ . الجرف موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام.

٢ . أسد الغابة: ١/٦٤؛ طبقات ابن سعد: ٤/٦١-٧٢؛ سير اعلام النبلاء: ٢/٤٩٦.

٣ . المسند الجامع: ١/٩٩-١٤١.

٤ . مسند أحمد: ٥/٢٠٦ والآية ٢٣٨ من سورة البقرة.

في صلاة النبي ﷺ ، ويدل عليه قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ (الجمعة/ ١١).

٢. أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي عثمان النهدي، عن أسامة بن زيد، قال: كنا عند النبي ﷺ فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبيّاً لها، أو ابناً لها في الموت.

فقال للرسول: ارجع إليها فأخبرها أنّ الله ما أخذ وله ما أعطى، وكلّ شيء عنده بأجل مسمّى، فمرها فلتصبر ولتحتسب، فعاد الرسول، فقال: إنّها قد أقسمت لتأتيها. قال: فقام النبي ﷺ وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل، وانطلقت معهم، فرفع إليه الصبي ونفسه تقعقع كأنّها في شنة ففاضت عيناه. فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟

قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإني أرحم الله من عباده الرحماء. (١)

٣. أخرج النسائي، عن أبي سعيد المقبري، قال: حدّثني أسامة بن زيد، قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم شهراً من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى ربّ العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم. (٢)

١ . صحيح مسلم: ٣/٣٩، باب البكاء على الميت.

٢ . سنن النسائي: ٤/٢٠١، صوم النبي ﷺ.

٤. أخرج الترمذي في سننه عن أبي عثمان النهدي، عن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ : من صنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيراً. فقد أبلغ في الثناء. (١)

وإليك ما عزيت إليه من الأحاديث السقيمة.

١. اتخاذ اليهود قبور أنبيائهم مساجد

أخرج أحمد في مسنده، عن أسامة بن زيد قال: قال لي رسول الله ﷺ « : أدخل علي أصحابي، فدخلوا عليه فكشف القناع، ثم قال: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. (٢)

نعلق على الحديث، ونقول:

أولاً: إنّ اليهود هم الذين كانوا يقتلون أنبياءهم بغير حق وقد اشتهروا بتلك الوصمة، قال سبحانه: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة/٩١) فمن كانت شيمته قتل الأنبياء لا يتخذ قبورهم مساجد سواء أكانت الصلاة لأجل التبرك بهم أو لاتخاذ قبورهم قبلة. ثانياً: لم يكن للنصارى أنبياء حتى يقتلوهم ويتخذون قبورهم مساجد. وأما السيد المسيح فهو عندهم إله متجسد وليس بنبي حيث قالوا: بالاقانيم الثلاثة: إله الأب، إله الابن، روح القدس. وأما غير المسيح لدى النصارى فليسوا بأنبياء وإنما هم آباء التبليغ والتبشير، إلا أن يراد مطلق أنبياء بني إسرائيل وهو خلاف الظاهر.

١ . سنن الترمذي: ٣٨٠/٤ برقم ٢٠٣٥.

٢ . مسند أحمد: ٥/٢٠٣.

٢. النساء أضرنّ شيء على الرجال

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي عثمان النهدي، عن أسامة بن زيد، عن النبي ﷺ قال: ما تركت بعدي فتنة هي أضرنّ على الرجال من النساء. (١)

لا يشك عاقل أنّ من أسباب الفتنة هي النساء، قال سبحانه: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ (التغابن/١٤).

وأما كونهنّ أضرنّ شيء على الرجال من حبالجاه والمال والأولاد فليس بثابت لو لم يثبت خلافه، ولذا نرى أنّه سبحانه يقول: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال/٢٨) ويقول أيضاً: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التغابن/١٥) فيذكر الأموال والأولاد ولا يعطف عليها النساء وهذا دليل على أنّ ضرر الأولين على الرجال أكثر من ضررهنّ.

نعم: لا ننكر بأنّ الرجال ربما يُفتنون بالنساء فيتوغلون في الفساد من أجل كسب رضاهنّ، ولكن ليس إضرارهنّ عند المقايسة بأشد من إضرار الآخرين كما هو واضح.

وأنت إذا تفحصت فيما روي عن لفييف من الصحابة حول النساء تجد أنّ الروايات تتضمن تحقير النساء وأنهنّ محط الفتنة والضلال، وكأنّ الرواة لم يطرق أسماعهم قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ...﴾ (الاحزاب / ٣٥).

١ . صحيح مسلم: ٨٩/٨، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء؛ صحيح البخاري: ٨/٧، باب ما يتقى من شؤم المرأة.

١٧- ثوبان مولى رسول الله ﷺ

(... - ٥٤هـ -)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة

١. ضرب النبي ﷺ يد بنت هبيرة.

٢. دعاء النبي غير المستجاب.

٣. خروج رايات سود من المشرق.

وهو ثوبان بن بجدد، وقيل: ثوبان بن حيدر، يُكنى أبا عبد الله، وهو من حمير من اليمن، أصابه سباء فاشتره رسول الله ﷺ، وقال له: إن شئت أن تلحق بمن أنت منهم، وإن شئت أن تكون منّا، فثبت على ولاء رسول الله ﷺ، ولم يزل معه سفيراً وحضراً إلى أن توفي رسول الله ﷺ، فخرج إلى الشام فنزل إلى الرملة وابتنى بها داراً وابتنى بمصر داراً وبحمص داراً، وتوفي بها سنة ٥٤ هـ - وشهد فتح مصر.

روى عن رسول الله ﷺ أحاديث، روى عنه: شدّاد بن أوس، وجبير بن نفير، وأبو إدريس الخولاني، وأبو سلام مطور الحبشي، ومعدان بن طلحة، وأبو الأشعث الصنعاني، وأبو أسماء الرحبي، وأبو الخير البيهقي، وغيرهم. (١)

١. أسد الغابة: ٢٤٩/١؛ سير أعلام النبلاء: ١٥/٣ برقم ٥.

وقد جمعت رواياته في المسند الجامع فبلغت ٦٤ رواية. (١)
كما نقلت عنه روايات رائعة و عزيت إليه أخرى سقيمة.
روائع أحاديثه

١. أخرج أحمد في مسنده، عن عبد الرحمان بن ميسرة، عن ثوبان، عن النبي ﷺ ، قال:
استقيموا تفلحوا، وخير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن. (٢)
٣. أخرج أحمد في مسنده، عن سالم بن أبي الجعد، قال: قيل لثوبان: حدثنا عن رسول الله ﷺ ، فقال: لتكذبون عليّ سمعت رسول الله ﷺ ، يقول: ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة، وحطّ عنه بها خطيئة. (٣)
٣. أخرج أحمد عن أبي زرعة، عن ثوبان، قال: لعن رسول الله ﷺ الراشي، والمرتشي، والرئاش. (يعني الذي يمشي بينهما). (٤)
٤. أخرج ابن ماجة في سننه، عن عبد الله بن أبي الجعد، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ : لا يزيد في العمر إلا البرّ، ولا يرده القدر إلا الدّعاء، وإنّ الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها. (٥)

والرواية من دلائل القول بالبداء، وهو تغيير المصير بصالح الأعمال.

٥. أخرج الترمذي، عن أبي سلمة، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ :

١ . المسند الجامع: ٣/٣١٥ - ٣٥٣.
٢ . مسند أحمد: ٥/٢٨٠.
٣ . مسند أحمد: ٥/٢٨٣.
٤ . مسند أحمد: ٥/٢٧٩.
٥ . سنن ابن ماجة: ١/٣٥ برقم ٩٠.

من قال حين يمسي: «رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً، و بمحمد ﷺ نبياً» كان حقاً على الله أن يرضيه. (١)

٦. أخرج الترمذي في سننه، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، قال: وقال رسول الله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من يخذلهم حتى يأتي أمر الله. (٢)

هذه ثلثة من رواياته الرائعة، وقد عزيت إليه طائفة أخرى من الروايات مما لا تخلو من إشكال:

١. ضرب النبي ﷺ يد بنت هبيرة

أخرج النسائي في سننه، عن أبي أسماء الرحبي، أنّ ثوبان مولى رسول الله ﷺ حدّثه، قال: جاءت بنت هبيرة إلى رسول الله ﷺ وفي يدها فتخ (فقال كذا في كتاب أبي، أي خواتيم ضخام) فجعل رسول الله ﷺ يضرب يدها، فدخلت على فاطمة بنت رسول الله ﷺ تشكو إليها الذي صنع بها رسول الله ﷺ، فانتزعت فاطمة سلسلة في عنقها من ذهب، وقالت: هذه أهداها إليّ أبو حسن، فدخل رسول الله ﷺ، والسلسلة في يدها، فقال يا فاطمة أبعثك أن يقول الناس: ابنة رسول الله وفي يدها سلسلة من نار، ثمّ خرج ولم يقعد. فأرسلت فاطمة بالبصرة بالسلسلة إلى السوق، فباعتها، واشترت بثمنها غلاماً، وقال مرة عبداً - و ذكر كلمة معناها - فأعتقته، فحدّث بذلك.

١ . سنن الترمذي: ٤٦٥/٥ برقم ٣٣٨٩.

٢ . سنن الترمذي: ٥٠٤/٤ برقم ٢٢٢٩.

فقال: الحمد لله الذي أنجى فاطمة من النار. (١)

أقول: ثمة تساؤلات:

أولاً: إنّ الخواتيم التي كانت في يد بنت هبيرة - سواء أكانت من فضة أم من ذهب - لم يكن التزيّن بها محظوراً على المرأة، فكيف يعاتبها النبي ﷺ « لا سيما إذا كان اقتناؤها لها مشروعاً كما هو المفروض؟

وثانياً: الظاهر أنّ بنت هبيرة كانت بالغة بشهادة أنّها كانت تتختم بخواتيم ضخام، ودخلت على فاطمة تشكو إليها ما صنع بها رسول الله ﷺ، فكيف يصحّ للنبي ﷺ مس يدها بالضرب مع أنّها أجنبية؟! والظاهر أنّ الضرب كان بالمباشرة لا بالآلة.

ثالثاً: لو افترضنا جواز الضرب، لكن النبي ﷺ أجلّ من أن يضرب يد بنت هبيرة تأدباً وترهباً، بل كان اللازم أن يأمرها بالمعروف بأسلوب لائق.

رابعاً: إنّ الحديث يدل على أنّه لما دخلت بنت هبيرة على فاطمة واشتكت عمّا صنع بها رسول الله، انتزعت فاطمة سلسلة في عنقها من ذهب، وقالت: هذه أهداها إليّ أبو حسن، مستظهرة بأنّ التزيّن بالذهب أمر حلال للمرأة وليس لأحد الاعتراض عليك.

ومن الواضح أنّ فاطمة من أهل البيت الذين طهّهم الله تطهيراً، وهي أجلّ من أن تعترض على أبيها بانتزاع ما في عنقها من الذهب.

خامساً: ثمّ إنّ الحديث يتضمّن أنّ النبي ﷺ دخل عليها والسلسلة في يدها، فقال: «يا فاطمة أيعرّك أن يقول الناس ابنة رسول الله وفي يدها سلسلة من نار».

١ . سنن النسائي: ١٥٨/٨.

ثمّ خرج ولم يقعد....

وعندئذٍ يثار السؤال التالي.

إنّ السلسلة التي كانت في يدها لا تخلو عن حالتين، إمّا أن تكون ملكاً للغير غير راضٍ بالتصرف فيها، أو ملكاً لفاطمة.

والأوّل لا يليق أن ينسب إلى بنت رسول الله ﷺ التي يدور على رضاها ورضيها رسول الله غضبه.

وعلى الثاني كيف يفسّر ما ورد في الحديث «وفي يدها سلسلة من نار» وليس ما تنزّين به المرأة من أقسام الكنز حتى تكون سلسلة من نار؟!!

وأغلب الظن أنّ الحديث من الموضوعات التي اختلقها الجهاز الأموي الحاكم للحطّ من شأن فاطمة الزهراء وبعليها. فسلام الله عليهما يوم ولدا ويوم استشهادها، ويوم يعثان حينئذ.

٢. دعاء النبي غير المستجاب

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي أسماء، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ :

زوي لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغارها، وإنّ أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، و أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربّي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإنّ ربّي، قال: يا مُحمّد إني إذا قضيت قضاءً فأنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا اسلّط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال: من بين أقطارها حتى يكون

بعضهم يُهلك بعضاً ويُسيب بعضهم بعضاً. (١)

أقول: وقد رواه الإمام أحمد بلفظ آخر، عن عبد الله بن شداد، عن معاذ بن جبل، وقد ذكرناه في ترجمة معاذ بن جبل.

ومن الواضح أنّ الحوادث والنوازل التي ألمت بالمسلمين عبر التاريخ خير شاهد على أنّه سبحانه سلط عليهم عدواً من غير أنفسهم نتيجة أعمالهم وانحرافهم، فقد بسط الوثنيون المغول نفوذهم على معظم البلاد الإسلامية واستولوا على حاضرتها بغداد وأبادوا الحرث والنسل.

فكيف يدّعي الحديث بأنّ النبي ﷺ أعطى سؤله؟!

٣. خروج رايات سود من المشرق

أخرج أحمد في مسنده، عن أبي قلابة، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ :

وإذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان، فأتوها فإنّ فيها خليفة الله المهدي. (٢)

ونظير ذلك ما أخرجه ابن ماجة عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحي، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ : يقتل عند كنزكم ثلاثة كلّهم ابن خليفة، ثمّ لا يصير إلى واحد منهم، ثمّ تطلع الرايات السود من قبل المشرق ويقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم - ثمّ ذكر شيئاً لا أحفظه - فقال: فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج فإنّه خليفة الله المهدي. (٣)

قال في الزوائد: هذا اسناد صحيح، رجاله ثقات، ورواه الحاكم في

١ . صحيح مسلم: ١٧١/٨، باب هلاك هذه الأُمّة بعضهم ببعض من كتاب الفتن.

٢ . مسند أحمد: ٢٧٧/٥.

٣ . سنن ابن ماجة: ١٣٧٦/٢ برقم ٤٠٨٤.

المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

إنّ أمثال هذه الروايات - وإن رويت باسناد صحيح - وضعت حينما قامت الدولة العباسية التي وليها أبو العباس السفاح (١٠٨ - ١٣٦هـ) - وهو أوّل خليفة عباسي يتولّى زمام الأمور - فكيف يبشّر النبي ﷺ بهذا الخليفة المهدي الذي خضّب الأرض بدماء المسلمين حتى لُقّب بالسفاح؟!!

قال السيوطي: وكان السفاح سريعاً إلى سفك الدماء، فأطعمه في ذلك عمّاله في المشرق والمغرب، ومن أراد الإلمام بسيرته فليقرأ ما ذكره ابن الأثير في تاريخه. (١)

وقد أسرف تجار الحديث وعلماء البلاط العباسي في وضع الحديث في فضل العباس وأولاده ممّا حدا بابن الجوزي أن يذكر قسماً وافراً منها في كتابه «الموضوعات» تحت العناوين التالية:

١. باب في فضل العباس وأولاده.

٢. باب في عدد خلفاء بني العباس.

٣. باب في زيادة ولاية بني العباس على ولاية بني أمية.

وجاء من يحمل نزعة أموية فوضعوا روايات في غمض بني العباس، نقلها ابن الجوزي تحت ذلك العنوان، وقال في آخره: وقد روي ضد هذا. فنقل باسناده عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أقبلت الرايات السود من خراسان فأتوها فإنّ فيها خليفة الله المهدي.

وقال هذا حديث لا أصل له، ولا نعلم أنّ الحسن (الوارد في سند الحديث) سمع من عبدة ولا

ابن عمر سمع من الحسن، قال يحيى: عمر لا شيء (٢).

١ . الكامل في التاريخ، لابن الأثير: ٤٠٨/٥.

٢ . الموضوعات: ٣٠/٢ - ٣٩.

١٨ - سعد بن أبي وقاص

(٢٨ق.هـ - - ٥٤هـ -)

سيرته و أحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. إثبات الجهة لله سبحانه ٢. الطواف أكثر من سبعة أشواط
 ٣. الرمي بست حصيات ٤. الطيرة في المرأة والفرس والدار
 ٥. التنديد بالشعر ٦. لم يسلم أحد قبل سعد
 ٧. دخول الامة قاطبة الجنة بشفاعة النبي ﷺ
 ٨. عمر أفظ و أغلظ من رسول الله ٩. سؤال النبي من الله ثلاثاً
 ١٠. الله ليس بأعور ١١. عبد الله بن سلام من أصحاب الجنة
- هو سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري، يكنى أبا إسحاق، وأمّه: حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، وقيل حمنة بنت أبي سفيان بن أمية أسلم بعد ستة، و قيل بعد أربعة، وكان عمره عندما أسلم ١٧ سنة.
- أحد السابقين الأولين، وأحد ستة أهل الشورى، شهد بدرًا وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وأبلى يوم

أحد بلاءً عظيماً، و هو أول من أراق دمًا في سبيل الله، وأول من رمى بسهم في سبيله. استعمله عمر بن الخطاب على الجيوش الذين سيّره لقتال الفرس، وكان أمير الجيش في معركة القادسية وجلولاء، وهو الذي فتح مدائن كسرى بالعراق، وبنى الكوفة وولي العراق ثم عزله، فلما حضرت عمر الوفاة جعله أحد أصحاب الشورى، ثم استعمله عثمان فولاه الكوفة ثم عزله، و لما قتل عثمان لزم بيته ولم يبايع علياً، فلما اعتزل طمع فيه معاوية فكتب إليه يدعوه إلى أن يعينه على الطلب بدم عثمان فأجابه بالآيات التالية:

معاوي داؤك الداء العيِّاء وليس لما تجي به دواء
أيدعوني أبوحسن عليّ فلم أردد عليه ما يشاء
وقلت له اعطني سيفاً قصيراً تميز به العداوة والولاء
أطمع في الذي أعيأ عليّاً على ما قد طمعت به العفاء
ليوم منه خير منك حيّاً وميتاً أنت للمرء الفداء^(١)

وما حضر سعد وقعة الجمل ولا صفين ولا التحكيم في دومة الجندل.^(٢)

يقول ابن مزاحم: وكان سعد بن أبي وقاص قد اعتزل عليّاً ومعاوية، فنزل على ماء لبني سليم بأرض البادية يتشوّف الأخبار، وكان رجلاً له بأس ورأي في قريش، ولم يكن له في عليّ ولا معاوية هوى، فأقبل راكب يُوضِع من بعيد فإذا هو بابنه عمر بن سعد فقال له أبوه: مَهْيَمٌ.^(٣)

١ . أسد الغابة: ٢/٢٩٠ - ٢٩٢.

٢ . سير اعلام النبلاء: ١/١٢٢.

٣ . مَهْيَمٌ: كلمة يمانية معناها ما أمرك وما شأنك.

فقال: يا أبي! التقى الناس بصفين و كان بينهم ما قد بلغك حتى تفانوا، ثم حكّموا الحكمين: عبد الله بن قيس، و عمرو بن العاص، وقد حضر ناس من قريش عندهما، وأنت من أصحاب رسول الله و من أهل الشورى ولم تدخل في شيء مما تكره هذه الأمة، فاحضر دومة الجندل فأنك صاحبها غداً.

فقال: هذا أمر لم أشهد أوّله فلا أشهد آخره، ولو كنت غامساً يدي في هذا الأمر لغمستها مع عليّ، إلى أن قال: فلما جنّ الليل رفع صوته لسمع ابنه:

دعوت أباك اليوم والله للذي دعاني إليه القوم والأمر مقبل
فقلت لهم للموت أهون جرعة من النار فاستبقوا أخاكم أو اقتلوا
إلى أن قال:

لو كنت يوماً لا محالة وافداً تبعت علياً والهوى حيث يجعل^(١)
وليس ما جاء في بيته الأخير أوّل مرة ولا آخرها باح فيها بفضل الإمام أمير المؤمنين، بل نرى نظائر هذه الكلمات في أحاديثه، حيث ينقل فضائل الإمام بصدر رحب.

١. أخرج مسلم في صحيحه، عن سعيد بن المسيب، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: أنت مّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. قال سعيد: فأحببت أن أشافه بما سعداً، فلقيت سعداً فحدثته بما حدثني عامر، فقال: أنا سمعته. فقلت: أنت سمعته؟ فوضع اصبعيه على أذنيه فقال: نعم، وإلا فاستكتنا.^(٢)

ولما كانت الرواية من الدلائل الساطعة على خلافة الإمام عليّ عليه السلام

١ . وقعة صفين، ابن مزاحم: ٦١٩ - ٦٢٠.

٢ . صحيح مسلم: ١٢٠/٧، باب من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام.

بعد رسول الله ﷺ حاول بعض المعلّقين على صحيح مسلم أن يشكّك في دلالتها على الخلافة وقال: والمستدل بهذا الحديث على أنّ الخلافة له بعد رسول الله زائع عن منهج الصواب، فإنّ الخلافة في الأهل في حياته لا تقتضي الخلافة في الأُمَّة بعد مماته. (١)

وقد عزب عن المعلّق أنّه لو كان المراد خصوص الخلافة في الأهل لما احتاج إلى استثناء مقام النبوة بقوله: «إلّا أنّه لا نبي بعدي» فإنّ الاستثناء دليل على ثبوت ما كان لهارون من مقامات و مناصب لعليّ إلّا النبوة، وقد جاء في الذكر الحكيم أنّه كان وزيراً لموسى وفي الوقت نفسه نبياً مثله. قال سبحانه: ﴿وَاجْعَلِ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي﴾ (طه/٣٠) وقال سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً﴾ (مريم/٥٣) إلى غير ذلك من الآيات التي تشير بوضوح إلى مناصب هارون العامة في بني إسرائيل، والحديث المروي عن النبي ﷺ الذي يسمى «بحديث المنزلة» يثبت لعليّ كلّ ما كان لهارون من مناصب إلّا النبوة، فيكون الإمام خليفة النبي ﷺ ووزيره.

٢. أخرج الإمام أحمد، عن عبد الله بن الرقيم الكناني، قال: خرجنا إلى المدينة زمن الجمل، فلقينا سعد بن مالك بها، فقال: أمر رسول الله ﷺ «بسدّ الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب عليّ «عليّاً»». (٢)

٣. أخرج مسلم، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟

فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله ﷺ فلن أسبّه لأن تكون لي واحدة منهناًحِبُّ إليّ من حمر النعم: سمعت رسول الله

١ . هامش صحيح مسلم: مطبعة مجّد علي صبيح، القاهرة.

٢ . مسند أحمد: ١/١٧٥.

ﷺ يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي».

وسمعه يقول يوم خيبر: لَأُعْطِيَنَّ الراية رجلاً يُجِبُّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، قال: فتناولنا لها، فقال: ادعوا لي علياً، فأُتي به أرمداً، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه.

ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً و فاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلي. (١)

ورغم علمه بمواقف علي عليه السلام وفضائله لم يمدّ يد البيعة إليه، نقل الطبري: أنه جي بسعد إلى المسجد حتى يبايع علياً فلم يبايع، وقال: لا أبايع حتى يبايع الناس، والله ما عليك مني بأس، قال علي عليه السلام: خلو سبيله. (٢)

والعجب أنه بعد ما سمع ما ذكره الرسول في حق علي عليه السلام يصف بيعة الناس لعلي وجهاده مع الناكثين والقاسطين والمارقين، فتنة.

أخرج الإمام أحمد، عن بسر بن سعيد أنّ سعد بن أبي وقاص قال عند قتل عثمان بن عفان: أشهد أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، قال: أفرايت إن دخل علي بيتي وبسط يده إلي ليقتلني، قال: كن كابن آدم (٣) . (٤)

ارتحل الرسول إلى الرفيق الأعلى وجابه المسلمون حوادث مرّة مروراً

١ . صحيح مسلم: ١٢٠/٧، باب فضائل علي بن أبي طالب. والآية ٦١ من سورة آل عمران.

٢ . تاريخ الطبري: ٤٥١/٣.

٣ . أي لا تقتله بل قل: لئن بسطت إلي يدك... الخ.

٤ . سنن الترمذي: ٤٨٦/٤ برقم ٢١٩٤؛ مسند أحمد: ١٨٥/١.

بالسقيفة إلى حوادث الردة إلى قتل عثمان، ورغم كل هذه الحوادث فما وجه تخصيص الحديث ببيعة الإمام علي عليه السلام - الذي بايعه معظم الأنصار والمهاجرين وتمت الحجة على الغائب - دون سائر الحوادث؟

فإذا ثبتت خلافة الخليفتين ببيعة عدّة من المهاجرين والأنصار وخلافة الخليفة الثالث ببيعة نفر قليل من أعضاء الشورى الستة، فلماذا لا تثبت خلافة الإمام علي عليه السلام ببيعة جماهير الأنصار والمهاجرين ولم يتخلف إلا نفر يسير من أصحاب الأهواء والمصالح؟^(١) الرواية على فرض صحتها تنجى عن ظهور فتنة على نحو كلي دون أن تحددها، بحدث خاص، لكن ابن أبي وقاص طبّقها على قتل عثمان وعلى الأحداث التي تلتها، ولذلك لم يبايع علياً «عليه السلام» ولم يشارك في الحروب التي خاضها الإمام مع الناكثين وغيرهم.

ويظهر أنه كان حريصاً على الدنيا ومكباً عليها.

روى ابن سعد قال: انبأنا محمد بن عمر، حدثنا فروة بن زبيد، عن عائشة بنت سعد قالت: أرسل أبي إلى مروان بزكاة خمسة آلاف، وترك يوم مات مائتي ألف وخمسين ألفاً. وقال الزبير بن بكار: كان سعد قد اعتزل في آخر عمره في قصر بناه بطرف حمراء الأسد. روى نوح بن يزيد، عن إبراهيم بن سعد: أنّ سعداً مات وهو ابن ٨٢ سنة في سنة ٥٦هـ-، وقيل سنة ٥٧هـ-، وقال المدائني: توفي سنة ٥٥هـ وعلى قول سنة ٥٤هـ.^(٢)

١ . لاحظ تاريخ الطبري : ٣/٤٥٢، وقد ذكر وجه إعراض قليل من الصحابة عن بيعة علي «عليه السلام».

٢ . سيرة أعلام النبلاء: ١/١٢٢، وحمراء الأسد موضع على ثمانية أميال من المدينة على يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة، وإليها انتهى رسول الله في مطاردة المشركين يوم أُحد.

قال الذهبي: روى جملة صالحة من الحديث، وله في الصحيحين ١٥ حديثاً، وانفرد له البخاري بخمسة أحاديث، ومسلم ١٨ حديثاً، وقال أيضاً: وقع له في مسند «بقي بن مخلد» ٢٧٠ حديثاً فمن ذلك في الصحيح ٣٨ حديثاً. (١)

وقد جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١٤٤ رواية (٢) وعلى أية حال فهو صحابي، وله ما لسائر الصحابة من الفضل والكمال، ولا يعني ذلك براءته من كلِّ رين وشين، فلنذكر شيئاً من روائع أحاديثه.
روائع أحاديثه

١. أخرج ابن ماجة في سننه، عن محمد بن سعد، عن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر. (٣)

٢. أخرج الترمذي في سننه، عن محمد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل أنه سمع سعد بن أبي وقاص والضحاك بن قيس، وهما يذكران التمتع بالعمرة إلى الحج. فقال الضحاك بن قيس: لا يصنع ذلك إلا من جهل أمر الله، فقال سعد: بئس ما قلت يا ابن أخي.
فقال الضحاك بن قيس: فإنَّ عمر بن الخطاب قد نهي عن ذلك.

فقال سعد: قد صنعها رسول الله ﷺ وصنعنا معه. (٤)
وهذه الرواية حجة على من يقلد الخليفة في إفتائه بجرمة المتعتين، متعة الحج ومتعة النساء.
وقد روى الإمام البخاري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمان، عن عبد الله بن عمر، عن سعد بن أبي وقاص، عن النبي أنه مسح على الخفين.

١ . سير أعلام النبلاء: ١/٩٣ و١٢٤.

٢ . المسند الجامع: ٦/٦٣ برقم ٢٣٩.

٣ . سنن ابن ماجة: ٢/١٣٠٠ برقم ٣٩٤١.

٤ . سنن الترمذي: ٣/١٨٥ برقم ٨٢٣.

وانَّ عبد الله بن عمر سأل عمر عن ذلك، فقال: نعم إذ أحدثك شيئاً سعدُ عن النبي ﷺ فلا تسأل عنه غيره. (١)

وعلى ذلك فقد حدّث سعد عن حلية المتعتين فيجب على الخليفة وغيره أتباعه.
٣. أخرج الدارمي في سننه، عن سعيد بن المسيب، عن سعد بن أبي وقاص، قال: لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان ممّن ترك النساء، بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا عثمان: إيّ لم أؤمر بالرهبانية، أرغبت عن سنتي؟
قال: لا، يا رسول الله، قالص: إنّ من سنتي ان أصلّ-ي وأنا، وأصوم وأطعم وأنكح وأطلق، فمن رغب عن سنتي فليس مني، يا عثمان إنّ لأهلك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً.
قال سعد: فوالله لقد كان أجمع رجال من المسلمين على أنّ رسول الله ﷺ إن هو أقرّ عثمان على ما هو عليه، ان نختصي فنتبتل. (٢)

٤. أخرج مسلم في صحيحه، عن خالد، عن أبي عثمان قال: لما ادّعي زياد لقيت أبا بكره فقلت له: ما هذا الذي صنعتم؟ إيّ سمعت سعد بن أبي وقاص، يقول: سمعُ أذناي من رسول الله ﷺ وهو يقول: من ادّعي أباً في الإسلام غير أبيه يعلم أنّه غير أبيه فالجنة عليه حرام. (٣)

٥. أخرج الترمذي في مسنده، عن صالح بن أبي حسان، قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: إنّ الله طيّب، يحب الطيّب، نظيف يحبُّ النّظافة، كريم

١ . صحيح البخاري: ٤٧/١، باب المسح على الخفين؛ مسند أحمد: ١٥/١.

٢ . سنن الدارمي: ١٣٣/٢، باب النهي عن التبتل.

٣ . صحيح مسلم: ٥٧/١، باب بيان من رغب عن أبيه وهو يعلم من كتاب الإيمان.

- يحبُّ الكرم، جواد يحبُّ الجود، فنظّفوا - أراه - قال: أفنيتكم ولا تشبّهوا باليهود. (١)
٦. أخرج ابن ماجة، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : خياركم من تعلّم القرآن وعلمه، قال: وأخذ بيدي فأقعدني مقعدي هذا، أقرئ. (٢)
٧. أخرج أحمد في مسنده، عن أبي بكر بن حفص: قال سعد: إنّي سمعت رسول الله، يقول: نعم الميتة، أن يموت الرجل دون حقّه. (٣)
٨. أخرج النسائي في سننه، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، أنه ظن أن له فضلاً على من دونه من أصحاب النبي ﷺ ، فقال نبي الله ﷺ : إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم، وصلاتهم وإخلاصهم. (٤)
٩. أخرج أحمد في مسنده، عن ابن سعد بن أبي وقاص، قال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: إنّ الإيمان بدأ غريباً وسيعود كما بدأ، فطوبى يومئذٍ للغرباء إذا فسد الناس، والذي نفس أبي القاسم بيده، ليأرزنّ الإيمان بين هذين المسجدين كما تآرز الحية في جحرها. (٥)
١٠. أخرج أحمد في مسنده، عن عمر بن سعد عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ : عجبت للمؤمن إذا أصابه خير حمد الله وشكر، وإن أصابته مصيبة، حمد الله وصبر، فالمؤمن يوجر في كلِّ أمره حتّى يوجر في اللقمة يرفعها إلى في امرأته. (٦)

١ . سنن الترمذي: ١١١/٥ برقم ٢٧٩٩. قوله «أراه» صيغة متكلم مجهول وهو قول الراوي: أي الذي فهمت من كلامه أنّه قال.

٢ . سنن ابن ماجة: ٧٧/١ برقم ٢١٣.

٣ . مسند أحمد: ١٨٤/١.

٤ . سنن النسائي: ٤٥/٦.

٥ . مسند أحمد: ١٨٤/١.

٦ . مسند أحمد: ١٧٣/١.

إلى غير ذلك من روائع أحاديثه، وقد عزّيت إليه أحاديث سقيمة نشير إلى بعضها:

١. إثبات الجهة لله سبحانه

أخرج عبد حميد، عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: لما حكم سعد بن معاذ في بني قريظة أن يقتل من جرت عليه الموسى، و أن يقسم أموالهم وذرايبهم، فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكم فيهم اليوم بحكم الله عزوجل، الذي حكم فوق سبع سماوات»^(١).

هذه الرواية بظاهرها تثبت الجهة لله سبحانه وأنه فوق سبع سماوات، وما هذا شأنه فله جهة ومكان متخيّر فيه، وهو يلازم التجسيم - نعوذ بالله - في حين أنه سبحانه يعرف نفسه على خلاف ما في هذه الرواية ويقول سبحانه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ* هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد/٣ و ٤).

ويقول سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة/٧)

فعلى ضوء هذه الآيات فالله سبحانه هو الموجود المحيط بجميع

١ . مسند حميد برقم ١٤٩؛ فضائل الصحابة للنسائي برقم ١١٩.

الممكنات وهو الذي معنا أينما كنّا وما من نجوى إلّاهو مع من يناجيه، ومثله لا يكون متحيزاً فوق سبع سماوات.

نعم كونه معنا أو في كلّ مكان ليس بمعنى حلوله فينا، أو في الأشياء بل المراد إحاطته القيومية بما سواه وكونه قائماً به، وهو غير الحلول في الأشياء. والعجب أنّ السلفية المغرورة بأمثال هذه الرواية يأولون هذه الآيات بأنّ المراد علمه سبحانه بالظاهر والباطن أو علمه بما يجري في مجلس النجوى وهذا هو التأويل الذي لو قام به مسلم لرمي بالجهمية.

٢. الطواف أكثر من سبعة أشواط

أخرج أحمد، عن مجاهد، عن سعد بن مالك قال: طفنا مع رسول الله، فمنا من طاف سبعاً، و منا من طاف ثمانياً، و منا من طاف أكثر من ذلك، فقال رسول الله ﷺ: لا حرج. (١)

إنّ الحجّ عبادة جماعية شرعها الله سبحانه منذ عهد إبراهيم وقد حرّفت بمرور الزمان إلى أن بعث نبي الإسلام ﷺ فعلم الناس معالم الحج في العام العاشر من الهجرة ولم يحج بعد الهجرة إلاّ مرة واحدة وان اعتمر غير مرّة وقد جاءت صفة حجّ النبي في رواية جابر بن عبد الله (رض) ورواه مسلم على تفصيله وفيها قال جابر: لسنا ننوي إلاّ الحج، لسنا نعرف العمرة، حتى إذا أتينا البيت معه، استلم الركن فرمّل ثلاثاً و مشى أربعاً ثمّ نفذ إلى مقام إبراهيم ﷺ فقرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾. (٢)

فهو ﷺ رمّل ثلاثاً أي أسرع في مشيه وهزّ منكبيه من الأشواط الثلاثة الأول ومشى على عادته في الأربعة الأخيرة، وصار

١. مسند أحمد: ١/١٨٤.

٢. صحيح مسلم: ٣/٣٩، باب حجّة النبي ﷺ.

المجموع سبعة أشواط.

فإذا كان هذا طواف النبي والمسلمون وراءه، فكيف يمكن أن يطوف واحد سبعة، وآخر ثمانية، وثالث أكثر من ذلك، وكان النبي ﷺ « بصدد تعليم آداب الحج و المسلمون بصدد التعلّم؟! » فالحديث مع تضمّنه جواز الزيادة في العبادة، بعيد عن موقف المسلمين يومذاك الذين كانوا وراء النبي في اعمال الحج كما هو صريح الرواية حيث يقول: «طفنا مع رسول الله فمتّا من طاف سبعا».

٣. الرمي بست حصيات

أخرج النسائي في سننه، عن ابن أبي نُجَيْح قال: قال مجاهد: قال سعد: رجعنا في الحجة مع النبي ﷺ وبعضنا يقول رميت بسبع حصيات وبعضنا يقول رميت بست فلم يعب بعضهم على بعض.

ثمّ روى عن قتادة قال: سمعت أبا مجلز يقول: سألت ابن عباس عن شيء من أمر الجمار، فقال: ما أدري رماها رسول الله ﷺ بست أو بسبع. (١)

روى مسلم في صحيحه، عن جابر في باب صفة حجّ النبي، قال: ثمّ سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها، كلّ حصاة منها مثل حصى الخذف، رمى من بطن الوادي. (٢)

وقد تقدم أنّ النبي ﷺ كان بصدد تعليم آداب

١ . سنن النسائي: ٥/٢٧٥، باب عدد الحصى التي يرمى بها الجمار.

٢ . صحيح مسلم: ٣/٤٢، باب حجة النبي ﷺ.

الحج وفرائضه ومحظوراته وقد حرص المسلمون على التعلم، فكيف يصح أنه رمى بعضهم بسبع، وبعضهم الآخر بست، ولا يعيب بعضهم على بعض؟

وما رواه النسائي عن ابن عباس أنه قال: ما أدري رماها رسول الله ﷺ «بست أو سبع يخالف ما رواه في الباب التالي عن ابن عباس عن طريق أخيه الفضل بن العباس، قال: كنت ردف النبي ﷺ» فلم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة. (١)

٤. الطيرة في المرأة والفرس والدار

أخرج أبو داود، عن سعيد بن المسيب، عن سعد بن مالك، أنّ رسول الله ﷺ قال: لا هامة ولا عدوى ولا طيرة، وإن تكن الطيرة في شيء ففي الفرس والمرأة والدار. (٢)

وأخرج أحمد في مسنده، عن سعيد بن المسيب قال: سألت سعد بن أبي وقاص، عن الطيرة؟ فانتهرني، وقال: من حدّثك؟ فكرهت أن أحدثه من حدثني، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هام، إن تكن الطيرة في شيء ففي الفرس والمرأة والدار، وإذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تمّبطوا، وإذا كان بأرض وأنتم بها فلا تفرّوا منه. (٣)

وأخرج أيضاً، عن سعد بن أبي وقاص، أنّ رسول الله ﷺ قال: إذا كان الطاعون بأرض فلا تمّبطوا عليه، و إذا كان بأرض وأنتم بها فلا تفرّوا منه. (٤)

١ . سنن النسائي: ٢٧٥/٥، باب التكبير مع كل حصاة.

٢ . سنن أبي داود: ١٩/٣ برقم ٣٩٢١.

٣ . مسند أحمد: ١/١٨٠ و١٨٦.

٤ . مسند أحمد: ١/١٨٠ و١٨٦.

وثمة شكوك تحوم حول تلك الروايات:

أولاً: إنّ الرواية الأولى تنفي العدوى، وهي انتقال المرض من سقيم إلى سليم، فلو صحّ النفي، فلماذا يروي سعد بن النبي ﷺ في روايته الثانية والثالثة أنّه أمر بأن لا يُهبط بأرض فيها الطاعون، وإذا هُبط فيها فلا يُخرج منها؟ فإنّ ذلك صريح في الاعتراف بمبدأ العدوى. لآته إذا كان في أرض ليس فيها طاعون وأُخبر بوجوده في أرض أخرى فلا يهبط فيها خوفاً من الابتلاء، كما أنّه إذا كان في أرض فيها طاعون فلا يخرج منها لئلا ينقل المرض معه إلى أرض أخرى، وهو نفس القول بالعدوى.

وبالتالي فقد عزي إلى النبي ﷺ عن طريق سعد قولين متناقضين.

ثانياً: إنّ الذكر الحكيم يصف العالم بالحسن والجمال وأنّه سبحانه ما خلق شيئاً إلاّ حسناً وجميلاً قال سبحانه: ﴿رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (طه/٥٠) وقال سبحانه: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (السجدة/٧) وقال سبحانه: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (غافر/٦٤) فهذه الآيات تصف فعل الله سبحانه وكلّ ما خلقه بالجمال، فكيف يحلّ الشوم في المرأة والفرس والدار!؟

إنّ الشوم والطيرة إنّما هو وليد عمل الإنسان، فهو بفعله يجعل اليوم سعداً أو نحساً، وإلاّ فالיום هو اليوم، والشمس هي الشمس، والقمر هو القمر، يجريان بأمر الله سبحانه: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (يس/١٨-١٩).

يعني: قال أصحاب القرية لرسولهم إنّنا تشاءمنا بكم، فوافاهم الجواب بأنّ طائرکم معکم، وإنّ الذي ينبغي أن تشاءموا به هو معکم، وهو حالة اعراضکم عن الحق وإقبالکم على الباطل.

وعلى كلّ تقدير، فالشرّ الذي يصيب الإنسان في داره وبعد زواجه، له سبب واقعي، لا صلة له بالدار والزوجة التي تخدم الزوج وأولاده بجِدٍّ ومثابرة.

كيف يكون الشوم في المرأة مع أنّها إحدى الثلاث التي اختارهنّ رسول الله ﷺ من الدنيا ؟ قال:

حُبِّبَ إِلَيَّ من الدنيا: النساء، والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة. (١)

أخرج مسلم عن عبد الله بن عمر، أنّ رسول الله ﷺ قال: الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة. (٢)

هذا هو الإمام أبو الحسن علي الهادي عليه السلام يخاطب أحد أصحابه الذي كان يقول: «كفاني الله شرك من يوم فما أيشمك» بقوله: ترمي بذنبك من لا ذنب له، ما ذنب الأيام حتى صرتم تتشأمون بها إذا جاوزتم بأعمالكم فيها، ثمّ قال: إنّ الله هو المثيب والمعاقب، والمجازي بالأعمال عاجلاً وآجلاً، لا تعد ولا تجعل للأيام صنعاً في حكم الله. (٣)

٥. التنديد بالشعر

أخرج مسلم، عن محمد بن سعد، عن سعد، عن النبي ﷺ، قال: لا َن يمتلَى جوف أحدكم قيحاً يريه خير من أن يمتلَى شعراً. (٤)
إنّ الشعر على نمطين:

١ . مسند أحمد: ٣/١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥.

٢ . صحيح مسلم: ٤/١٨٧، باب استحباب نكاح البكر.

٣ . الحراني، تحف العقول: ٤٨٢-٤٨٣ بتلخيص. وسنوافيك عند دراسة أحاديث أبي هريرة أنّ عائشة كذبت أمثال هذه الرواية، لاحظ ص ٣٠٨.

٤ . صحيح مسلم: ٧/٥٠، باب كتاب الشعر؛ سنن الترمذي: ٥/١٤١ برقم ٢٨٥٢؛ مسند أحمد: ١/١٧٥ وفيه (حتى يريه) بدل يريه.

نمط منه لا يهدف إلا إلى نشر الفساد والدعارة ودعم الظلم وتوطيد أركانه إلى غير ذلك من غايات ساقطة، فصاحبه هو الذي نزل في حقه قوله سبحانه: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ (الشعراء/ ٢٢٤ - ٢٢٦) فأصحاب هذا النوع من الشعر هم سماسرة الأهواء يتبعون الهوى، و يرمون أمراً، اليوم وينقضونه غداً، فليس لهم مآرب في الحياة إلا إشباع رغباتهم وميوههم الفاسدة.

ونمط آخر منه يهدف إلى بث الأخلاق الحميدة وإنهاض الهمم، لبسط العدل ونشره، وكبح جماح الظلم، والدعوة إلى الحق بأسلوب بديع، يمازج الأرواح ويخالط الأدمغة، فهذا النوع من الشعر بغية العالم، ومقصد الحكيم، ومآرب الأخلاقي، وطلبة الأديب، وأمنية العالم الاجتماعي، فأصحاب هذا النوع من الشعر هم الذين استثناهم الله سبحانه بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء/ ٢٢٧).

إنّ التقدير الوافر لهذا النمط من الشعر وتكريم قائله عملٌ قام به النبي ﷺ ، فإنه أول فاتح لهذا الباب على مصراعيه مدحاً وهجاءً باصاخته للشعراء المادحين له ولا سرته الكريمة، وكان ينشد الشعر ويستنشده، ويجيز عليه ويرتاح له، ويكرم الشاعر مهما وجد في شعره هذه الغاية الوحيدة، كإرتياحه لشعر عمّه شيخ الأباطح أبي طالب عليه السلام لما استسقى فسُقي، قال: لله درّ أبي طالب لو كان حياً لقرت عيناه، من ينشدنا قوله؟ فقام علي عليه السلام قال: كأنك أردت يا رسول الله قوله:

وأبيضَ يُستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل
تلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

وكإرتياحه ﷺ لشعر كعب بن زهير لما أنشده في مسجده الشريف لاميته التي مطلعها:
بانث سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفسد مكبول
فكساه النبي صبردة اشتراها معاوية بعد ذلك بعشرين ألف درهم، وهي التي يلبسها الخلفاء في
العيدين. (١)

روى الحاكم النيسابوري: لما أنشد كعب قصيدته وبلغ قوله:
انّ الرسول لسيف يستضاء به وصارم من سيوف الله مسلول
أشار ﷺ بكفه إلى الخلق ليسمعوا منه.
ويروى أنّ كعباً أنشد من سيوف الهند، فقال النبي « ﷺ » من سيوف الله (٢) إلى غير ذلك
من الموارد الكثيرة التي قدر فيها النبي ﷺ الشعر والشعراء، وبذلك أثبت أنّ الشعر المذموم
غير الشعر الممدوح، وأنّه سبحانه إنّما يذم النمط الأوّل ولو جاء في حديث النبي ﷺ ما نقله
«سعد» فإنّما يرمي إلى الصنف الأوّل وإلاّ فالشعر في العصور الأولى كان سهماً في أكباد أعداء
الله، وخير دعاية إلى الإسلام في كلّصقع وناحية، ولذلك كان أئمة الدين يبذلون من مال الله
للشعراء ما يغنيهم عن التكبس والاشتغال بغير هذه المهنة.

ولما نصب النبي ﷺ علياً عليه السلام للخلافة والإمامة يوم الغدير استجاز حسان ابن ثابت أن
يصبّ كلامه في قالب الشعر، فلما قرأ على النبي ﷺ قال ﷺ: لا تزال يا حسان مؤيداً
بروح القدس ما نصرتنا بلسانك. (٣)

١ . الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص ٦٢ كما في الغدير: ٤/٢.

٢ . مستدرک الحاكم: ٥٨٢/٣.

٣ . الفصول المختارة: ٢٣٦.

٥٦. لم يسلم أحد قبل سعد

أخرج البخاري في باب مناقب سعد، قال: عن سعيد بن المسيب يقول: سمعت سعد بن أبي وقاص قال: ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام. (١)

إنّ معنى الرواية كما ذكره ابن حجر هو أنّه لم يسلم أحد قبله، ولما وقف ابن حجر على بطلانه، عاد يؤول المروي عن سعد، ويقول: والسبب فيه أنّ من كان أسلم في ابتداء الأمر كان يخفي إسلامه، ثمّ أوضح معنى قوله وإني لثلث الإسلام بأنّه أراد بالاثنتين الآخرين خديجة وأبا بكر، أو النبي وأبا بكر وقد كانت خديجة أسلمت قطعاً ولعلّه خصّ الرجال.

وعلى أية حال فلم يكن سعد أوّل من أسلم لا خفاءً ولا علانية، وقد تضافرت الروايات على أنّ أوّل من أسلم هو علي بن أبي طالب، وإليك بعض ما أثر عن النبي ﷺ في هذا الصدد.

١. أخرج الحاكم في مستدركه عن النبي ﷺ أنّه قال: أوّلكم وارداً - وورداً - على الحوض أوّلكم إسلاماً علي بن أبي طالب. (٢)

كيف يكون هو أوّل من أسلم مع أنّ حديث بدء الدعوة يشهد بوضوح انّ علياً هو أوّل من أسلم.

روى الطبري في تاريخه: أنّه لما نزل قوله سبحانه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا النبي علياً ﷺ فقال له: يا علي إنّا لله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، إلى أن قال: فلما جاء القوم خاطبهم بقوله: يا بني عبد المطلب

١. صحيح البخاري: ٢٢/٥، باب مناقب سعد.

٢. الحاكم، المستدرک: ١٣٦/٣ وصححه تاريخ بغداد: ٨١/٢.

إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيتكم يوازني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعاً، فقام علي عليه السلام، وقال: أنا يا نبي الله فأخذ برقبته، وقال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. ^(١)

٢. قال الحاكم النيسابوري: ولا أعلم خلافاً بين أصحاب التواريخ أنّ علي ابن أبي طالب (رض) أوّلهم إسلاماً. ^(٢)

٣. وقال ابن عبد البر: اتفقوا على أنّ خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقه فيما جاء به ثمّ علي بعدها. ^(٣)

٤. وقال المقرئزي: وأما علي بن أبي طالب فلم يشرك بالله قط، وذلك أنّ الله تعالى أراد به الخير فجعله في كفالة ابن عمه سيد المرسلين محمد، فعندما أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوحي وأخبر خديجة وصدقت كانت هي، وعلي بن أبي طالب وزيد ابن حارثة يصلون معه... إلى أن قال: فلم يحتج علي (رض) أن يُدعى ولا كان مشركاً حتى يوحّد فيقال أسلم، بل كان عمره عندما أوحى الله إلى رسوله ثماني سنين وقيل سبع سنين، وقيل: إحدى عشر سنة، وكان مع رسول الله في منزله بين أهله كأحد أولاده يتبعه في جميع أحواله. ^(٤)

روى ابن الأثير عن أبي يحيى بن عفيف، عن أبيه، عن جدّه عفيف، قال: جئت في الجاهلية إلى مكة وأنا أريد أن ابتاع لأهلي من ثيابها وعطرها، فأتيت العباس بن عبد المطلب، وكان رجلاً تاجراً، فأنا عنده جالس حيث انظر إلى

١ . تاريخ الطبري: ٢/٢١٦ وللحديث مصادر كثيرة اكتفينا بما ذكر.

٢ . المعرفة: ٢٢.

٣ . الاستيعاب: ٢/٤٥٧.

٤ . الامتاع: ٤٢.

الكعبة وقد حلقت الشمس في السماء فارتفعت وذهبت إذ جاء شاب فرمى ببصره إلى السماء ثم قام مستقبل الكعبة، ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى جاء غلام فقام على يمينه، ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة، فسجد الشاب فسجد الغلام والمرأة، فقلت: يا عباس أمر عظيم، قال العباس: أمر عظيم تدري من هذا الشاب؟ قلت: لا، قال: هذا مُحَمَّد بن عبد الله ابن أخي، أتدري من هذا الغلام؟ هذا علي بن أخي، أتدري من هذه المرأة؟ هذه خديجة بنت خويلد زوجته، أتدري من هذا أخي هذا أخبرني أنّ ربّه ربّالسماء والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه ولا والله ما على الأرض كلّها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة. (١)

٧. دخول الأمة قاطبة الجنة بشفاعة النبيّ

أخرج أبو داود، عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ من مكة نريد المدينة، فلما كنّا قريباً من عَزُورَا نزل ثمّ رفع يديه فدعا الله ساعة ثمّ خرّ ساجداً، فمكث طويلاً ثمّ قام فرفع يديه فدعا الله ساعة ثمّ خرّ ساجداً، فمكث طويلاً ثمّ قام فرفع يديه ساعة ثمّ خرّ ساجداً.

ذكره أحمد ثلاثاً: قال: «إني سألت ربي وشفعت لأُمّتي، فأعطاني ثلث أُمّتي، فخررت ساجداً شكراً لربي، ثمّ رفعت رأسي فسألت ربي لأُمّتي، فأعطاني ثلث أُمّتي، فخررت ساجداً لربي شكراً، ثمّ رفعت رأسي فسألت ربي لأُمّتي، فأعطاني الثلث الآخر، فخررت ساجداً لربي. (٢)

١ . أسد الغابة: ٣/٤١٤ - ٤١٥؛ ورواه النسائي في خصائصه: ٣؛ ولاحظ الاستيعاب: ٢/٥٥٩. وكان النبي يصلي إلى الكعبة قبل الهجرة و إنما صلى إلى بيت المقدس في المدينة بعدها إلى سبعة عشر شهراً.
٢ . سنن أبي داود: ٣/٩٠ برقم ٢٧٧٥.

إنّ الامعان في الآيات الواردة حول الشفاعة تثبت بأنّها حقّ خاص بالله سبحانه يأذن لعدّة خاصّة من عباده المقربين، ولا يأذن لهم أن يشفعوا إلّا في حقّ عدّة معينة، فقد وضع القرآن حدوداً وقيوداً في الشافع والمشفوع له.

إنّ الشفاعة في حقّ من قطعوا صلّتهم بالله سبحانه فلم يؤمنوا به أو بوحدانيته أو بقيامته ، منتفية قطعاً لا تناههم شفاعة الأنبياء.

قال سبحانه: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (الأعراف/ ٥٣) . وقال سبحانه: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (المدثر/ ٤٦ - ٤٨).

وثمة روايات متضاربة تحدد شفاعة الأنبياء، ومع ذلك فكيف ورد في هذه الرواية أنّ الأئمة بقاطبتها عادلها وظالمها، تقيها وفاجرها، صالحها وطالحها على حدّ سواء في الشفاعة، والله سبحانه يقبل شفاعة نبيّه في حقهم!؟

ولا يراد من الأئمة في الرواية إلّا من آمن بالله ورسوله وإن فسق وفجر وخضب الأرض بإراقة دماء الأبرياء.

٨. عمر أفظ وأغلظ من رسول الله

أخرج البخاري في صحيحه، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك.

فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال النبي ﷺ:

عجبت من هولاء اللاتي كنَّ عندي، فلما سمعت صوتك ابتدرن الحجاب، فقال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله، ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟! فقلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: «إيهما يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فحجاً قط إلا سلك فحجاً غير فحجك». (١)

وثمة شكوك تحوم حول تلك الرواية:

أولاً: أنّ ظاهر الرواية أنّ النبي اجتمع مع نسوة من قريش وهنّ أجنبيات من دون أن يضرب سائر بينهما، وهذا لا يليق بأن ينسب إلى مؤمن فضلاً عن النبي ﷺ، ويعلم ذلك من خلال بيان أمرين:

الأمر الأول: أنّ التعبير بقوله: «وعنده نسوة من قريش» يعرب اتّقيهنّ أجنبيات عنه ﷺ، وإلا فلو كان المراد زوجاته لكان اللازم التعبير بالزوجات لا بنسوة من قريش.

على أنّ بعض زوجاته ﷺ لم يكن من قريش فمثل ميمونة بنت حُيي بن أخطب كانت يهودية فأسلمت، ومارية القبطية أهديت إلى النبي ﷺ فأنجبت له إبراهيم. وقوله يستكثره بمعنى اتّهنّ يكثرن الكلام عنده لا اتّهنّ يطلبن نفقة كثيرة.

الأمر الثاني: أنّ الاجتماع كان بعد نزول آية الحجاب، بشهادة انهنّ ابتدرن للحجاب عندما أقبل عليهنّ عمر بن الخطاب.

ولازم هذين الأمرين أن يجتمع النبي مع نساء أجنبيات دون أن يضرب سائر بينهما.

١ . صحيح البخاري: ١١/٥، باب مناقب عمر. ونقله مسلم في صحيحه: ١١٥/٧ باب فضائل عمر.

ثانياً: أنّ لازم صحّة الخبر أن يكون النبي ﷺ - والعياذ بالله - فظاً غليظ القلب وإن كان أقلّ من فظاظة عمر، مع أنّه سبحانه ينفي عنه هذه التهمة، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران/ ١٥٩) إلاّ أن يحمل على جهل النسوة بحال النبي ﷺ ورأفته.

ثالثاً: أنّ ظاهر قوله: إيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فحجاً قط إلاّ سلك فحجاً غير فحجك» يدل على عصمته وكونه من المخلصين ودخوله في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر/ ٣٩-٤٠). فالشيطان عندما يلتقي مع الأنبياء لا يسلك فحجاً غير فحجهم بل يقابلهم فيوسوس إليهم: قال سبحانه: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ!﴾ (طه/ ١٢٠) ولكنّه عندما يلتقي مع عمر، يسلك فحجاً آخر، فهل يصحّ ذلك يا تُرى!؟

وثمة رواية أخرى عن جابر رواها مسلم ربما تكون قرينة على تفسير الحديث السابق. روى مسلم، عن جابر بن عبد الله، قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر ودخل، ثمّ أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي ﷺ حوله نساؤه واجماً ساكتاً، قال: لأقولنّ شيئاً أضحك النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقممت إليها فوجأت عنقها، فضحك رسول الله ﷺ وقال: هنّ حولي كما ترى يسألني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة: يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ما ليس عنده فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده، ثمّ اعتزلنّ شهراً أو تسعاً وعشرين ثمّ نزلت إليه هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ - حَتَّى بَلَغَ - لِلْمُحْسَنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب/ ٢٨- ٢٩).

فبدأ بعائشة وقال: يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أبويك، قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله استشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، قال: لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يعثني معتناً ولا متعتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً. (١)

وعلى ضوء هذا الحديث يكون المراد من نساء قريش هو زوجاته ونساؤه، ولا يكون اجتماعه اجتماعاً مع أجنبيات، ولكنّه وإن رفع الإشكال الأوّل لكنّه زاد في الطين بلّة، لأنّه يصرح بأنّ كلاً من الشيخين قاما ليحآ ويضربا بنتيهما (زوجتي النبي ﷺ) مع أنّهما كانتا تطلبان النفقة الواجبة التي عند النبي ﷺ بشهادة قولهما: (فقلن والله لا نسأل رسول الله شيئاً أبداً ليس عنده) فعند ذلك كان سؤالهما سؤالاً شرعياً، وطعن الشيخين وضربهما أمراً غير مشروع بالمرّة، إلاّ أن يكون تكلمهما وضربهما لإيجاد السرور ورفع الحزن عن قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ثمّ إنّه ليس فيما رواه مسلم من قوله ﷺ لعمر: إبهأ يا ابن الخطاب «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً... الخ» عين ولا أثر ولا أظنّ أحداً من المحدثين يتمسك في المقام لإثبات صحّة ما سقط في حديث مسلم بقاعدة «تقدم النقيصة على الزيادة وإنّ القول بسقوط الزيادة عن رواية مسلم أولى من القول بأنّ الراوي أضاف من نفسه بلا وعي» فإنّ تلك القاعدة إنّما تتمشى إذا لم تكن قرينة على العكس، فإنّه من البعيد أن يقوم النبي ﷺ بمدح عمر بن الخطاب وينسأه الراوي، أو يمدحه وعنده من هو أفضل منه وأقدم منه إسلاماً، فإنّ ذلك يعد نوع إهانة لأبي بكر.

١ . صحيح مسلم: ٤/١٨٧، باب تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلاّ بالنية.

وعلى أيّة حال فالروايتان - على الرغم من رواية مسلم والبخاري لهما - لا يخلوان من إشكالات وتساؤلات، والنفس لا تسكن لما جاء فيهما.

٩. سؤال النبي من الله ثلاثاً

أخرج مسلم، عن عامر بن سعد، عن أبيه: أنّ رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مرّ بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه، ودعا ربّه طويلاً، ثمّ انصرف إلينا، فقال ﷺ: سألت ربي ثلاثاً فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها. (١)

هذا ما رواه مسلم عن سعد، ولكن روى الإمام أحمد، عن معاذ بن جبل نفس الرواية بنحو آخر، قال: وجدت رسول الله قائماً يصلي، فقامت خلفه، فأطال الصلاة، فلما قضى الصلاة قال: قلت يا رسول الله لقد صليت صلاة طويلة؟ فقال رسول الله ﷺ: إني صليت صلاة رغبة ورهبة، سألت الله عزّ وجلّ ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألته أن لا يهلك أمتي غرقاً فأعطانيها، وسألته أن لا يُظهر عليهم عدواً ليس منهم فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فردّها عليّ. (٢)

فالنبي حسب رواية سعد سأل الله سبحانه الثلاثة التالية:

١. أن لا يهلك أمته بالسنة، والمراد بها المجاعة العامّة التي تعم الجميع، لا أن تصيب ناحية دون أخرى.

٢. أن لا يهلكهم بالغرق.

١. صحيح مسلم: ١٧١/٨-١٧٢، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض.

٢. مسند أحمد: ٣١٧/٦.

٣. أن لا يجعل بأسهم بينهم.

ولكن الثلاثة التي سأها النبي ﷺ في رواية معاذ بن جبل ^(١) ، عبارة عن الأمور التالية:

١. أن لا يُظهر عليهم عدواً ليس منهم.

٢. أن لا يهلك أُمَّته غرقاً.

٣. أن لا يجعل بأسهم بينهم.

فالحديثان يشتركان في الثاني والثالث دون الأول.

وقد رواه مسلم أيضاً عن ثوبان بنحو آخر، قال: قال رسول الله ﷺ : إني سألت ربي لأُمَّتي أن لا يهلكها بسنةٍ بعامةٍ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإنّ ربي قال: يا مُحمدُ إني إذا قضيت قضاءً فإِنَّه لا يرد وإني أعطيتك لأُمَّتك أن لا أهلِكهم بسنةٍ عامّةٍ، وأن لا أُسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتّى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسي بعضهم بعضاً. ^(٢)

فقد جاء في هذا الحديث السؤالان المقضيان دون الثالث، كل ذلك يعرب عن اضطراب الحديث في النقل ولا يصحّ الاعتماد عليه.

ثمّ إنّ ثمة تساؤلات وهي:

١. انّ النبي سأل أن لا يهلك أُمَّته، فما هو المراد من هذا السؤال؟ أسأل أن لا يكون غلاء في صقع معين من نواحي الأمصار الإسلامية، أو المراد هو المجاعة العامة التي تُهلك الأُمَّة من رأس؟

١ . لاحظ ص ٨٦ .

٢ . صحيح مسلم: ١٧١/٨ ، باب هلاك هذه الأُمَّة بعضهم بعض .

أما الأول فلم يستجب دعاؤه، فما أكثر الغلاء في الأقطار الإسلامية لا سيما في العصر الحاضر.

وأما الثاني فالدعاء كان أمراً لغواً لأنه سبحانه وعد في الذكر الحكيم بقاء الأمة الإسلامية إلى يوم القيامة، قال سبحانه: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء/١٠٥) وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة/٣٣) وقال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور/٥٥).

٢. انّ السؤال الأخير أي «لا يجعل بأسهم بينهم» من الأدعية التي لا تستجاب أبداً، لأنه على خلاف السنن السائدة في الكون، و الاختلاف أمر طبيعي لكافة أبناء البشر، فكيف يطلب النبي من الله سبحانه أن لا يجعل بأسهم بينهم وهو القائل: افتقرت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وافتقرت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وافتقرت أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة؟

رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. (١)

١٠. الله ليس بأعور

أخرج أحمد في مسنده، عن داود بن عامر بن سعد بن مالك، عن أبيه،

١. المستدرک علی الصحیحین: ١/١٢٨، وقد أشبعنا الكلام في هذا الموضوع عند دراسة أحاديث معاذ بن جبل، فلاحظ.

عن جدّه سعد أنّه قال: قال رسول الله ﷺ : إنّهُ لم يكن نبيّ إلاّ وصف الدجال لأُمَّتِهِ، ولأصْفَتِهِ صفة لم يصفها أحد قبلي، أنّه أعور و أنّ الله عزّ وجلّ ليس بأعور. (١)

هذا الحديث يثبت العضو لله سبحانه، وأنّ لله عيناً، لكنّه ليس أعور، والله سبحانه أجلّ من التجسيم. وقد مرّ الكلام فيه عند دراسة أحاديث معاذ بن جبل.

١١. عبد الله بن سلام من أصحاب الجنّة

أخرج مسلم عن عامر بن سعد، قال سمعت أبي يقول: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لحبيّ يمشي أنّه في الجنّة إلاّ لعبد الله بن سلام. (٢)

إنّ أثر الوهن باد على هذا الخبر بوضوح لانطوائه على تناقض سافر للحديث التالي.

أخرج أبو داود في سننه، عن عبد الرحمان بن الأخنس، أنّه كان في المسجد فذكر رجل عليّاً عليه السلام فقال: «أشهد على رسول الله ﷺ أنّي سمعته وهو يقول عشرة في الجنّة: النبيّ الجنّة، وأبو بكر في الجنّة، وعمر في الجنّة، وعثمان في الجنّة، وعلي في الجنّة، وطلحة في الجنّة، والزبير بن العوام في الجنّة، وسعد بن مالك في الجنّة، و عبد الرحمان بن عوف في الجنّة ولو شئت لسميت العاشر، قال: فقالوا: من هو؟ فسكت: قال: فقالوا: من هو؟ فقال: هو سعيد بن زيد. (٣)

١ . مسند أحمد: ١/١٧٦.

٢ . صحيح مسلم: ١٦٠/٧، باب فضائل عبد الله بن سلام؛ و أخرجه أيضاً البخاري: ٣٧/٥، باب مناقب عبد الله بن سلام.

٣ . سنن أبي داود: ٢١١/٤ برقم ٤٦٤٩.

وهذا التناقض بين الحديثين يجزنا إلى القول بوضع أحد الحديثين أو كليهما، ومن البعيد أن لا يسمع سعد ما سمعه سعيد بن زيد من النبي في حق العشرة المبشرة بالجنة مع أنه هو منهم. أضف إلى ذلك أن لازم صحّة الخبر الأوّل أن يصل عبد الله بن سلام اليهودي - الذي أسلم وبث طائفة كبيرة من الإسرائيليات في أوساط المسلمين - مرتبة يتفوّق فيها على أكابر الصحابة وأعيانهم الذين ضحوا بنفسيهم ونفيسيهم في سبيل إعلاء كلمة الله. ثمّ إنّ الذي يسيء الظن بصحة الحديث الثاني أنّنا نقل هو سعيد بن زيد وهو أحد تلك العشرة المبشرة.

وما أحسن ما يقال: «بأبي زوجة تمدحها أمّها» وأقول: «بأبي راوٍ ينقل عن النبي أنّه من أهل الجنة».

إنّ طبيعة الحال تقتضي أن يدلي النبي ﷺ قوله في حشد كبير، يحضره أكثر العشرة المبشرة بالجنة، لا أن يدلي بكلامه هذا أمام أحدهم خاصّة، ولا ييوح هو أيضاً بما سمعه إلاّ عندما رأى نيل الناس من عليّ عليه السلام وذكره بالسوء.

١٩ - أبو هريرة

(٢١ق.هـ - ٥٧هـ -)

سيرته و أحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة

١. محاولة عفریت من الجن قطع صلاة النبي ﷺ .
٢. الشيطان إذا سمع الأذان ولي....
٣. وجوب الجهاد تحت راية كلّ بر و فاجر.
٤. قبول التوبة مع عدم الندم.
٥. النبي ﷺ يمنع من كتابة الحديث.
٦. من هو خالق الله؟ ٧. أنّ الله خلق آدم على صورته طوله ستون ذراعاً.
٨. سليمان يطوف على ستين امرأة في ليلة واحدة.
٩. موسى يفتقأ عين ملك الموت. ١٠. رؤية الله بالعين الباصرة.
١١. لا تملأ النار حتى يضع الرب رجله فيها.
١٢. نزول الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا.
١٣. نقض سليمان حكم أبيه داود.
١٤. ظهور موسى عرياناً أمام الملائكة.
١٥. اتهام أولو العزم من الأنبياء بالعصيان.
١٦. شك الأنبياء وتفضيل يوسف على نبينا ﷺ .
١٧. نبي من الأنبياء يحرق قرية النمل. ١٨. أيوب يحثي رجل جراد من ذهب في ثوبه.
١٩. النبي يؤذي ويجلد ويسب ويلعن من لا يستحق.
٢٠. التلاعب بحديث بدء الدعوة. ٢١. إيقاع الفعل في وقت لا يسعه.
٢٢. أمة مسخت فأراً.
٢٣. أبو طالب أبي النطق بالشهادتين عند الموت
٢٤. أبو هريرة ينسب ما سمعه عن الفضل إلى النبي ﷺ .
٢٥. إبراهيم يخاصم ربه. ٢٦. دخول امرأة في النار بسبب هرة.
٢٧. في إحدى جناحي الذبابة داء وشفاء.

إنَّ أبا هريرة غامض الحسب، مغمور النسب، اختلف الناس في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً، وقد نقل الذهبي أقوالاً عشرة في اسمه ورجَّح أنَّ اسمه عبد الرحمان بن صخر، كما نقل الأقال في اسم أبيه، ولا يهتُّنا التحقيق في اسمهما فقد سرد هشام [بن مُجَدِّج بن الكلبي نسب أبيه، بقوله: هو عمير بن عامر بن ذي الشرى بن طريف بن عتيان بن أبي صععب بن هُنَيْيَّة بن سعد بن ثعلبة إلى أن ينتهي إلى نصر بن الأزدي. (١)

ويكفيُّ أبا هريرة لهرة صغيرة كان مغرمًا بها.

قال ابن قتيبة: إنَّ أبا هريرة كان يقول: وكُنَّيت بأبي هريرة بهرة صغيرة كنت أَلعب بها. (٢) وأخرج ابن سعد في ترجمة أبي هريرة في الطبقات بالاسناد إليه، قال: كنت أرعى غنماً، وكانت لي هريرة صغيرة، فكنت إذا كان الليل وضعتها في شجرة، وإذا أصبحت أخذتها فلعبت بها فكنتوني أبا هريرة. (٣) إسلامه

اتفقوا على أنه أسلم بعد فتح خيبر، يقول أبو هريرة:

خرج النبي إلى خيبر وقدمت المدينة مهاجراً، فصلَّيت الصبح خلف سباع ابن عُرفُطة - كان استخلفه - فقرأ في السجدة الأولى [كذاج بسورة مريم، وفي الآخرة ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾].

١ . سير أعلام النبلاء: ٥٧٨/٢ برقم ١٢٦ .

٢ . ابن قتيبة: المعارف: ١٥٨ .

٣ . الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣٢٩/٤ . وقد جرت سنة النبي ﷺ على تبديل الأسماء والكنى غير الحسنة، إلى الحسنة منهما ولكنَّهص أبقى كنية أبي هريرة على حالها ولم يُعَيِّرَها ، فما هو السرُّ في ذلك!؟

فقلت: ويل لأبي، قلّ رجل كان بأرض الأزدي، إلاّ وكان له مكيالان، مكيال لنفسه، و آخر
يبخس به الناس. (١)

وعلى ذلك فقد أدرك من عهد الرسالة أربع سنين، إذا صحّ وقوع غزوة خيبر في شهر محرم
الحرام، وهو بعد محلّ خلاف بين كُتّاب السيرة النبويّة. ولكن، قال ابن أبي خالد: حدثنا قيس بن
أبي حازم، قال لنا أبو هريرة: صحبت رسول الله ثلاث سنين. (٢)

والجمع بين القولين هو أنّ النبي أمر العلاء بن الحضرمي في البحرين وبعث معه أبا هريرة مؤدّباً
له، فلو لبث فيها سنة واحدة، فقد صحب النبي «ﷺ» ثلاث سنين، وإن أدرك من عهد
الرسالة أربع.

ويظهر مما وصف به أرض الأزدي وما دعا به على والده بقوله: «ويل لأبي» أنّ منبته لم يكن
منبّت خيبر، وقد روى هو أيضاً: أنّه قال لي النبي ﷺ: ممن أنت؟ قلت: من دوس، قال:
ماكنت أرى أنّ في دوس أحداً فيه خير. (٣)

كثرة أحاديثه

يصفه الذهبي بقوله: الإمام، الفقيه، المجتهد، الحافظ، صاحب رسول الله، أبو هريرة الدوسي
اليماني، سيد الحفاظ الأثبات، حمل عن النبي علماً كثيراً طيباً مباركاً - لم يُلحق في كثرته - و عن
أبيّ و أبي بكر و عمر و أسامة وعائشة والفضل وبُصرة بن أبي بُصرة، وكعب الخبر.
حدّث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، فقليل بلغ عدد أصحابه

١ . سير أعلام النبلاء: ٥٨٩/٢.

٢ . مسند أحمد: ٤٧٥/٢ و مختصر تاريخ ابن عساکر: ١٨٢/٢٩.

٣ . مختصر تاريخ ابن عساکر: ١٨١/٢٩.

ثم نقل عن صاحب التهذيب أسماء من له رواية عنه في كتب الأئمة الستة. (١)

وبلغ مسنده ٥٣٧٤ حديثاً، المتفق في البخاري و مسلم منها ٣٢٦، وانفرد البخاري ب- ٩٣ حديثاً، ومسلم ب- ٩٨ حديثاً. (٢)

ولم يتفق لأحد من الصحابة ذلك الحجم الهائل من الروايات عن النبي ﷺ، وعلى الرغم من أنه لم يكن يكتب الحديث ولكنه حفظ هذا العدد الهائل من الروايات عن ظهر قلب.

وقد روى سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن وهب بن منبه، عن أخيه همام، قال: سمعت أبا هريرة، يقول: ما أحد من أصحاب رسول الله أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب و كنت لا أكتب. (٣)

وعلى ضوء ذلك فيلزم أن يكونا متكافئين في نقل الحديث مع أنّ المروي عن عبد الله بن عمرو أقل بكثير عمّا روي عن أبي هريرة.

فإذا كان المروي عن أبي هريرة ٥٣٧٤ حديثاً، فلازمه أن يكون المروي عن عبد الله بن عمرو مثل هذا أو أكثر، مع أنّ المروي عنه سبعمائة حديث، فتكون النسبة بينهما هي الشُّبُع، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على ضعف الاعتماد على مروياته.

وقد اعتذر المعلّق على سير أعلام النبلاء عن هذا الفارق الشاسع بين الراويين بوجوه ضعيفة لا يُركن إليها. فمن جملة ما اعتذر به: «أنّ عبد الله كان مشغولاً بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم، فقلّت الرواية عنه» (٤) وفي الوقت

-
- ١ . سير أعلام النبلاء: ٥٧٨/٢ برقم ١٢٦.
 - ٢ . سير أعلام النبلاء: ٥٧٨/٢ برقم ١٢٦.
 - ٣ . مختصر تاريخ ابن عساکر: ١٩١/٢٩.
 - ٤ . سير أعلام النبلاء: ٥٩٩/٢.

نفسه يذكر في الوجه الرابع ما يخالف ذلك و يقول: «إنَّ عبد الله كان قد ظفر بالشام بِجَمَلٍ من كتب أهل الكتاب، فكان ينظر فيها ويحدِّث منها، فتجنَّب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمة التابعين».

إنَّ عناية عبد الله بكتب أهل الكتاب والنظر فيها والتحديث منها يعرب عن اشتغاله بالتعليم أكثر من العبادة، أو مثلها ولو كان أبو هريرة يحسن القراءة والكتابة أو يمارسها لنقل من جمل ذلك الجمل ما شاء.

وعلى أية حال فقد جمعت رواياته في المسند الجامع فبلغت ٢٧٤٠ حديثاً. ^(١) ضولكن الموجود في مسند أبي هريرة تأ عمر علوش أكثر من ذلك حيث بلغ عدد أحاديثه من المسند والموقوف والمعلِّق إلى ٦٤٢٨، وقد جمع ما روي عنه في ثلاثة أجزاء أسماء «التمام الحسن» وهو تنمة جامع المسانيد والسنن تأليف عماد الدين ابن كثير القرشي، طبع في دار الفكر، بيروت.

ملاحح من شخصيته

يظهر ممَّا روي عنه من الأقوال والأفعال أنه كان كثير المزمل، يمارس على كبر سنّه ما يمارسه الأطفال من الأفعال.

يقول ابن قتيبة نقلاً عن أبي رافع: كان مروان ربّما استخلف أبا هريرة على المدينة، فيركب حماراً قد شدّ عليه بردعة، وفي رأسه خلبة من ليف، فيسير فيلقى الرجل، فيقول: الطريق قد جاء الأمير. وربّما أتى الصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الغراب فلا يشعرون

١ . انظر المسند الجامع: ١٦ و ١٧ و ١٨، ولكن المسند الجامع ليس بجامع لا في هذا المورد، ولا في موارد أُخر، وقد وقفنا على روايات لأبي هريرة في الصحيحين والسنن لم تُذكر في الجامع.

بشيء حتى يلقي نفسه بينهم و يضرب برجليه فينفر الصبيان فيفرّون.

وربما دعاني إلى عشائه بالليل، فيقول: دع العراق للأمير، فانظر فإذا هو ثريدة بزيت. ^(١)
ونقل عن سعد بن أبي مالك القرظي، قال: أقبل أبو هريرة في السوق يحمل حزمة حطب وهو
يومئذ خليفة لمروان، فقال: أوسع الطريق للأمير. ^(٢)

حبّه للثروة

يدل ما أثر عنه من فعل وقول أنّه كان رجلاً محبباً للمال وذاخراً له، فلنأت ببعض النماذج
الدالة على ذلك:

فعن ابن المسيب، قال: كان أبو هريرة إذا أعطاه معاوية سكت، وإذا أمسك عنه تكلم. ^(٣)
روى إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة: أنّ عمر قال لأبي هريرة: كيف وجدت الأمانة؟ قال:
بعثتني وأنا كاره، و نزعني وقد أحببتها. وأتاه بأربعمئة ألف من البحرين.
فقال: ما جئت به لنفسك؟ قال: عشرين ألفاً.

قال: من أين أصبتها؟ قال: كنت أبحر، قال: أنظر إلى رأس مالك و رزقك فخذ، واجعل
الآخر في بيت المال. ^(٤)

صلته بالبيت الأموي

ومّا لا يمكن إنكاره أنّه كان له صلة وثيقة بالبيت الأموي، ولذلك كان

١ . ابن قتيبة، المعارف، ص ١٥٨ .

٢ . أبو نعيم، حلية الأولياء: ١/٣٨٤ .

٣ . سير أعلام النبلاء: ٢/٦١٥ .

٤ . المصدر السابق: ٢/٦١٧ - ٦١٨ .

ينوب مروان بن الحكم في المدينة.

يقول ثابت بن مشحل: قال: كتب الوليد إلى معاوية بموت أبي هريرة، فكتب إليه: أنظر من ترك فادفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم وأحسن جوارهم وافعل إليهم معروفًا فإنه كان ممن نصر عثمان و كان معه في الدار. (١)

روى عاصم بن مُجَدِّد، عن أبيه، قال: رأيت أبا هريرة يخرج يوم الجمعة فيقبض على رمانتي المنبر قائماً ويقول: حدثنا أبو القاسم الصادق المصدوق، فلا يزال يحدِّث حتى إذا سمع فتح باب المقصورة لخروج الإمام للصلاة جلس. (٢)

هذا وغيره يدل على أنه كان عثمانياً الهوى، أمويّ النزعة وإن كان لا يتجاهر به إلا أنه يعلم من أحواله، ومع ذلك ففي أحاديثه ما يظهر منه التعاطف مع الحسنين عليهما السلام.

دراسة الإطراءات الواردة في حقّه

قد رويت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إطراءات عديدة في حقّ أبي هريرة، تشير إلى أنه كان موضع اهتمام من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعلمه من العلوم النبوية ما لم يُعلّم غيره، ودعا له أن لا ينسى ما تعلمه، فلو ثبتت تلك الروايات، فهو كما قال الذهبي: سيد الحفاظ الأثبات، ولكن تلك الإطراءات لم تنقل عن غير طريق أبي هريرة إلا القليل، فلندكر بعض ما رواه هو:

١. روى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ألا تسألني من هذه الغنائم التي يسألني أصحابك؟ قلت: أسألك أن تعلمني ممّا علّمك الله، فنزع نمرة كانت على ظهري، فبسطها بيني وبينه، حتى كأني أنظر إلى النمل يدبّ

١ . الحاكم النيسابوري، المستدرک: ٣/٥٠٨ و٥١٢.

٢ . الحاكم النيسابوري، المستدرک: ٣/٥٠٨ و٥١٢.

عليها فحدثني، حتى إذا استوعبت حديثه.

قال: أجمعها فصرها إليك، فأصبحت لا أسقط حرفاً مما حدثني.

٢. و قال يوماً: إنكم تقولون أنّ أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله، وتقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثله، وإنّ إخواني المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكان إخواني من الأنصار يشغلهم عمل أموالهم وكنت امرئاً مسكيناً من مساكين الصفة، ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون، وقد قال رسول الله ﷺ: اللّهي حديث يحدثه يوماً:

أنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي جميع مقالتي، ثمّ يجمع إليه ثوبه الأوعى ما أقول، فبسطت نمرة عليّ، حتى إذا قضى مقالته، جمعها إلى صدري فما نسيت من مقالة رسول الله ﷺ تلك من شيء.

٣. روى الزهري، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال أتزعمون أنّي أكثر الرواية عن رسول الله - والله الموعود - أنّي كنت امرأً مسكيناً أصحب رسول الله على ملء بطني وإنّه حدّثنا يوماً، وقال: من يبسط ثوبه حتى أقضي مقالتي، ثمّ قبضه إليه ^(١) لم ينس شيئاً سمع مني، ففعلت. فوالذي سمعته منه. ^(٢)

وقال ابن حجر في فتح الباري بعد أن ذكر الاسنادين: والاسنادان جميعاً محفوظان صححهما الشيخان. ^(٣)

١ . كذا في المصدر الصحيح ثمّ يقبضه إليه.

٢ . سير أعلام النبلاء: ٥٩٥/٢.

٣ . فتح الباري: ١٠٤/١.

وهاهنا سؤالان:

الأول: لماذا خصّص النبي ﷺ هذه الكرامة بأبي هريرة دون سواه من أصحاب الصفة، ولا أظنُّ أنه لم يكن يوجد بينهم من هو عدل لأبي هريرة في النيل بهذه الكرامة؟
والثاني: ما معنى أنه بسط ثوبه وأفضى النبي جميع مقالته في ثوبه ثمَّه قبضه إلى صدره فصار ما ألقاه النبي ﷺ عجيباً مع روحه ونفسه فلم ينس ما سمعه أبداً؟
فلو كان النبي ﷺ يريد أن يُخصِّص هذه الكرامة بأبي هريرة لكان له أن يضع يده على صدره ويدعو له كما فعل ذلك مع غيره نظير، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. كلَّهذه النصوص المنتهية إليه تجعل الإنسان في حيرة من أمر هذا الرجل.

أبو هريرة متهم في روايته

يظهر ممَّا نقله الذهبي وغيره أنّ الرجل كان متهماً في روايته بعد رسول الله ﷺ في عهد الخلافة وبعدها، وإليك بعض ما نقله في ذلك المقام.

١. أخرج غير واحد من المؤرّخين والمحدّثين، عن السائب بن يزيد أنّه سمع عمر يقول لأبي هريرة: لتتركنا الحديث عن رسول الله وإلاّ لألحقنك بأرض الدوس. ^(١)
وقال لكعب: لتتركنّ الحديث أو لألحقنك بأرض القردة. ^(٢)
لم يكن الخليفة مانعاً عن التحديث بقلة، ولذلك كان يقول: «أقلّوا الرواية

١ . سير أعلام النبلاء: ٦٠١/٢ .

٢ . سير أعلام النبلاء: ٦٠١/٢ .

عن رسول الله «وإنما خالف أبا هريرة في تكثيره.

٢. روى ابن عجلان أنّ أبا هريرة، كان يقول: إنّي لأحدّث أحاديث لو تكلمت بها في زمن عمر، لشجّ رأسي.

٣. روى الشعبي قال: حدث أبو هريرة فسرد عليه سعد حديثاً، فوقع بينهما كلام حتى ارتجّت الأبواب.

٤. روى إسحاق بن سعيد، عن أبيه قال: دخل أبو هريرة على عائشة، فقالت له: أكثرت يا أبا هريرة عن رسول الله ﷺ، قال: أي والله يا أمّاه، ما كانت تشغلني عنه المرأة، ولا الميكلّة، ولا الدهن، قالت: لعله.

٥. لما أرادوا أن يدفنوا الحسن في الحجرة النبوية وقع خصام.

قال الوليد بن رباح: سمعت أبا هريرة يقول لمروان: والله ما أنت وال، وإنّ الوالي لغيرك، فدعه - يعني حين أرادوا دفن الحسن عليه السلام مع رسول الله ﷺ - ولكنك تدخل فيما لا يعينك، إنّما تريد إرضاء من هو غائب عنك - يعني معاوية -.

فأقبل عليه مروان مغضباً، وقال: يا أبا هريرة، إنّ الناس قد قالوا أكثر أبو هريرة الحديث عن رسول الله ﷺ وإنّما قدم قبل وفاته بيسير. ^(١)

٦. أخرج البخاري عن أبي صالح، قال: حدّثني أبو هريرة، قال: قال النبي ﷺ: أفضل الصدقة ماترك غنيّ، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، تقول المرأة: إنّما أن تطعمني وإنّما أن تطلقني.

ويقول العبد: اطعمني واستعملني.

ويقول الابن: اطعمني إلى من تدعني؟

فقالوا: يا أبا هريرة، سمعت هذا من رسول الله ﷺ!؟

١. سير أعلام النبلاء: ٢/٥٠٥.

قال: لا، هذا من كيس أبي هريرة.^(١)

ورواه الإمام أحمد في مسنده باختلاف طفيف في اللفظ.^(٢)

انظر إلى الرجل ينسب في صدر الحديث الرواية إلى النبيضرس قاطع، ولكنه عندما سُئل عن سماع الحديث من رسول الله عدل عما ذكره أولاً، وصرح بأنه من كيسه الخاص أي من موضوعاته. وبعد هذا فهل يصح توثيقه؟!

هذه النصوص تعرب عن أنّ الرجل كان متهماً في عصره، وإن كان هو يبزر عمله بأن الآخرين كانوا منشغلين بالصفق في الأسواق أو بالمرأة والمكحلة والدهن، ولكن كان في القوم من لم يكن له ذلك الشأن كعلي بن أبي طالب عليه السلام وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وأبي بن كعب وأبي أيوب الأنصاري وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو، إلى غير ذلك من أقطاب الحديث، الذين كان لهم شغف بنقل الحديث وضبطه وتحديثه، ومع ذلك لم يبلغ حديث أكثرهم معشار ما نقله أبو هريرة.

كان أبو هريرة يجلس إلى حجرة عائشة فيحدث، ثم يقول: يا صاحب الحجر، أتتكرين مما أقول شيئاً؟

فلما قضت صلاتها، لم تُنكر ما رواه، لكن قالت: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسرد الحديث سردكم.

وكذلك قيل لابن عمر: هل تنكر مما يحدث به أبو هريرة شيئاً؟ فقال: لا، ولكنه اجتراً، وجبناً.

١ . صحيح البخاري: ٦٢/٧، ٦٣، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال من كتاب النفقات.

٢ . مسند أحمد: ٢/٢٥٢.

فقال أبو هريرة: فما ذنبي إن كنت حفظت ونسوا. (١)

قال ابن عساکر: إنّ رجلين من بني عامر دخلا على عائشة، فقالا لها: إنّ أبا هريرة يقول: إنّ الطيرة في الدار والمرأة والفرس، فقالت: كذب والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قاله إنّما قال: كان أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك.

وعن عائشة أنّها قالت لأبي هريرة: إنّك تحدّث عن رسول الله أشياء ما سمعتها منه؟! فقال لها مجيباً: إنّّه كان يشغلك عن تلك الأحاديث، المرأة والمكحلة. (٢)

هذه النصوص توقفك على حقيقة الحال وأنّ الرجل كان متّهماً في روايته في عصره، ولكن القول بعدالة الصحابة حال بين المحققين والتحقيق في رواياته ومروياته، ولولا ذلك لما أخذوا بكثير ممّا عزاه إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

التحديث بنصف ما معه

يظهر ممّا رواه أبو هريرة أنّه إنّما حدّث بنصف ما وعاه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وحبس النصف الآخر لأنّ الظروف لم تساعد لبتّه.

روى البخاري، عن المقبري، عن أبي هريرة، قال: حفظت من رسول الله وعاءين، فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم. (٣)

التدليس في الحديث

قال يزيد بن هارون: سمعت شعبة، يقول: كان أبو هريرة يدلّس.

١ . سير أعلام النبلاء: ٢/٦٠٧.

٢ . مختصر تاريخ ابن عساکر: ٢٩/١٩٥-١٩٦.

٣ . صحيح البخاري: ٣١/١، باب حفظ العلم من كتاب الايمان.

وذكره ابن عساكر في تاريخه والحافظ ابن كثير في البداية. ^(١)

ولما كانت شهادة شعبة تحطُّ من مكانة أبي هريرة عاد الذهبي ناقضاً للقاعدة، فقال:

قلت: تدليس الصحابة كثير ولا عيب فيه، فإنَّ تدليسهم عن صاحبٍ أكبر منهم،
والصحابة كلُّهم عدول.

وأنت خبير بأنَّ التدليس من أسباب الضعف، فكيف صار هناك من أسباب الفخر، حيث
قال: إنَّ تدليسهم عن صاحبٍ أكبر منهم.

وقد أشار الحافظ ابن كثير في البداية إلى تفسير كلام شعبة، بقوله: وكان شعبة يشير بهذا إلى
حديث: «من أصبح جنباً فلا صيام له» فأنه لما عوتب عليه، قال: أخبرني محبر ولم أسمع من
رسول الله ﷺ.

وسيوافيك عند دراسة أحاديثه أنه نسب هذا الحديث إلى الرسول، فلما شهد غير واحد من
الصحابيَّات على خلافه، قال: أخبرني به الفضل بن العباس.

وأبيّ تدليس كان أعظم من ذلك؟ بل كان ينسب ما سمعه من كعب الأحبار إلى النبي ﷺ،
وهو من أسوأ التدليسات، وها نحن نوقفك على نموذج من هذا النوع من التدليس الذي كان
يرتكبه أبو هريرة.

روى الطبري عن أبي نعيم، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، قال: بينا ابن عباس ذات يوم
جالس إذ جاءه رجل، فقال: يا ابن عباس سمعت العجب من كعب الحبر يذكر في الشمس
والقمر.

قال: وكان متكئاً فاحتفز، ثمَّ قال: وما ذاك؟ قال: زعم أنه يُجاء بالشمس والقمر يوم القيامة
كأنهما ثوران عقيران فيُقذفان في جهنم.

١ . انظر سير أعلام النبلاء: ٢/٦٠٨ قسم التعليقة.

قال عكرمة: فطارت من ابن عباس شفة ووضعت أخرى غضباً ، ثم قال: كذب كعب، كذب كعب، كذب كعب، ثلاث مرات، بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام، الله أجل وأكرم من أن يعذب على طاعته، ألم تسمع قول الله تبارك و تعالی ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ إنما يعني دووهمما في الطاعة فكيف يعذب عبيد يئني عليهما انهما دائبان في طاعته؟! قاتل الله هذا الخبر وقبح خبريته، ما أجرأه على الله وأعظم فريته على هذين العبيد المطيعين لله.

قال: ثم استرجع مراراً وأخذ عُوَيْدًا من الأرض فجعل ينكته في الأرض، فظل كذلك ما شاء الله، ثم إنّه رفع رأسه ورمى بالعويد، فقال: ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما فقلنا: بلى رحمك الله... (١)

وهذا النسخ الخرافي للقصة التي حاكتها مخيلة كعب وأضرابه، رواها أبو هريرة مباشرة عن النبي

ﷺ .

روى ابن كثير في تفسير سورة التكوير:

حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي، حدثنا يونس بن مُحمَّد، حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج، قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمان بن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد، مسجد الكوفة، وجاء الحسن فجلس إليه، فحدث، قال: حدثنا أبو هريرة: إن رسول الله ﷺ ، قال: إن الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة، فقال الحسن: وما ذنبهما؟

فقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول أحسبه، قال: وما ذنبهما. (٢)

ترى أن حديثاً واحداً يرويه رجل عن كعب، وفي الوقت نفسه يرويه أبو هريرة عن النبي

ﷺ ، فما ان كعباً لم يدرك النبي ﷺ .

١ . تاريخ الطبري: ٤٤/١ .

٢ . تفسير ابن كثير: ٢٢١/٧ ، تفسير سورة التكوير .

لم يستطع أن ينسبه إليه وبما أنّ أبا هريرة أدرك عصر الرسالة أخذ بالتدليس فنسب ما سمعه عن كعب إلى النبي ﷺ. وأيّ تدليس أسوأ من ذلك؟ وليس هذا إلاّ من مقولة الكذب المنافي للعدالة.

ومما يقضى منه العجب ما ذكره أبو جعفر الطحاوي لتصحيح هذا الأثر حيث قال: إنّ الشمس والقمر كالملائكة الموكلين لأهل النار، معدّبان لأهل النار لا معدّبان فيها، إذ لا ذنوب لهما^(١)

يلاحظ عليه: أنّ التفسير خلاف ما فهمه المخاطبون بهذا الحديث، مضافاً إلى أنّه لا يناسب قوله «عقيران» وما العقر إلاّ لتعدييهما.

وحيث إنّ أهل السنة ذهبوا إلى عدالة الصحابة بأجمعهم أخذوا بروايات أبي هريرة وأمثاله دون أدنى تحقيق، و إذا فتشوا عن اسناد الرواية فإنّما يفتشون عمّن ورد اسمه قبل الصحابة، فإذا وصل الكلام إليهم يكسر القلم ويضبط اللسان فلا كلام فيهم و إن صدر عنهم ما صدر. إنّ تقديس جميع من أسموهم بالصحابة لمجرد أنّهم رأوا الرسول أو سمعوا حديثه أو صاحبه ولو زمناً قصيراً ممّا لا يمكن تصديقه، لأنّ مجرد الصحبة لا يضيفي على المصاحب ثوب القداسة ولا يخلق حوله هالة من التقديس بعد ما شهد القرآن والسنة على كون لقيف منهم مصدراً للفتنة والفساد، وهذا هو الذكر الحكيم يصرّح ويقول:

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ (التوبة/ ١٠١).

وهؤلاء الذين مردوا على النفاق كانوا مندسّين بين الصحابة، ولم يكن عددهم قليلاً، وإلاّ لما استأثروا باهتمام بالغ من قبل القرآن الكريم في غير واحد من سوره وآياته.

١ . مشكل الآثار: ١/٤٨.

إِنَّه سبحانه يصف بعض الصحابة بالفسق ويقول: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾
(الحجرات/٤).

فمن هذا الفاسق الذي أخبر القرآن عنه بين صحابته؟ و ما هو إلا الوليد ابن عقبة الذي
صاحب النبي ﷺ أعواماً عديدة.

وليس الوليد نسيج وحده في هذا المضممار، بل ان كثيراً من الصحابة تركوا النبي قائماً حينما
كان يخطب للجمعة وخرجوا من المسجد طلباً لحطام الدنيا، فنزل قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً
أَوْ لَهْواً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التَّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ
الرَّازِقِينَ﴾ (الجمعة/١١).

أترى أنّ من يرجح اللهو وحطام الدنيا على صلاة الجمعة يكون من القديسين و من العدول
الذين تنبض قلوبهم بذكر الله ويخافون يوماً قمطيراً؟!
ويكفي من السنة ما وردت حول ارتداد الصحابة عقب وفاة النبي ﷺ « وقد رواها
البخاري في كتاب الفتن. (١)

وقد جمعها ابن الأثير في جامعه فبلغت عشرين حديثاً فلاحظ. (٢)
وفاته

توفي أبو هريرة سنة ٥٧ وقيل ٥٨ وهو ابن ٧٨، قيل مات بالعقيق وحمل إلى المدينة وصلّى
عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان و كان أميراً على المدينة لعنه معاوية بن أبي سفيان. (٣)
وقد مضى الرجل وعزّي إليه أحاديث كثيرة إلى النبي ﷺ ، وهي بين صحيحة تعلقو على
هاماتها سمات الصحة والاتقان، وسقيمة مخالفة لكتاب الله والسنة الثابتة والعقل الحصيف، فمن
أراد تنزيه السنة النبوية

١ . صحيح البخاري: ٤٢/٩، كتاب الفتن.

٢ . جامع الأصول: ٤٦٨/١٠-٤٧٣، باب صفة الحوض من كتاب القيامة.

٣ . ابن الأثير: أسد الغابة: ٣١٧/٥، قسم الكنى.

وتمحيصها، فعليه بدراسة روايات هذا الصحابي، وكفانا مؤونة ذلك ما ألفه العالمان الكبيران أحدهما شيعي والآخر سني، فالأول هو العلم المفرد المجاهد السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي فقد فتح هذا الباب على مصراعيه في وجه الأمة ونشر كتابه المعروف بـ«أبو هريرة». وأما الثاني فهو الكاتب المجاهد محمود أبو رية مؤلف كتاب «أبو هريرة شيخ المضيرة» فقد بلغا الغاية في دراسة رواياته. ولقد صدرنا في بعض ما ذكرناه في المقام عمّا أفاده العالمان لا سيما ما أفاده العلامة شرف الدين العاملي «طيب الله رسمه».

ولنذكر شيئاً من روائع أحاديثه

١. أخرج مسلم، عن سعيد بن المسيب أنّ أبا هريرة أخبره أنّ رسول الله ﷺ، قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله.

وفي لفظ آخر عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي، و بما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله. (١)

وهذه الرواية نقلت عن النبي ﷺ متضافرة، نقلها غير واحد من الصحابة.

٢. أخرج مسلم، عن أبي سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان. (٢)

٣. أخرج أحمد، عن أبي رافع، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ، قال: للصائم فرحتان: فرحة في الدنيا عند إفطاره، وفرحة في الآخرة. (٣)

١ . صحيح مسلم: ٣٩/١، باب الأمر بقتال الناس.

٢ . صحيح مسلم: ٥٦/١، باب خصال المنافق.

٣ . مسند أحمد: ٢/٣٤٥.

٤. أخرج أحمد، عن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: رُبَّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، وربّ قائم حظه من قيامه السهر. ^(١)
٥. أخرج ابن ماجة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: من أغان على قتل مؤمن بشرط كلمة لقي الله عزّ وجلّ: مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله. ^(٢)
٦. أخرج الترمذي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أنّ رسول الله ﷺ « قال: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم. ^(٣)
٧. أخرج أحمد، عن الحسن، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «: من سنّ سنّة ضلال اتّبع عليها، كان عليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء، و من سنّ سنّة هدى فاتّبع عليها كان له مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ^(٤)
٨. أخرج الترمذي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ «، قال: إنّ الدين النصيحة، إنّ الدين النصيحة، إنّ الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. ^(٥)
٩. أخرج الترمذي، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال:
سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل،

١ . مسند أحمد: ٢/٣٧٣.

٢ . سنن ابن ماجة: ٢/٨٧٤ برقم ٢٦٢٠.

٣ . سنن الترمذي: ٥/١٧ برقم ٢٦٢٧.

٤ . مسند أحمد: ٢/٥٠٤ - ٥٠٥.

٥ . سنن الترمذي: ٤/٣٢٤ برقم ١٩٢٦.

وأَيُّ أَعْمَالٍ خَيْرٍ؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم أي شيء؟ قال: الجهاد سنام العمل، قيل: ثم أي شيء يا رسول الله؟ قال: ثم حجّ مبرور. (١)

١٠. أخرج البخاري في الأدب المفرد، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

«إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفَحْشَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ، وَإِيَّاكُمْ وَالشَّخَّ، فَإِنَّهُ دَعَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَطَعُوا أَرْحَامَهُمْ، وَدَعَاهُمْ فَاسْتَحَلُّوا مُحَارِمَهُمْ.» (٢)

هذه طائفة من روائع رواياته، ولكن عزيت إليه روايات سقيمة لا يصحّ عزوها إلى النبي ﷺ لمخالفتها للمعايير العامة لصحة الحديث التي استوفينا الكلام حولها في صدر الكتاب وإليك نزرًا منها.

١. محاولة عفريت من الجن قطع صلاة النبي ﷺ

أخرج مسلم في صحيحه، عن ابن زياد، قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّعَفْرِيْتًا مِنْ الْجِنِّ جَعَلَ يَفْتِكُ (٣) عَلَيَّ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، وَ إِنَّ اللَّهَ أَمَكَّنِي مِنْهُ فَذَعْتَهُ، (٤) فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُرْبِطَهُ إِلَى جَانِبِ سَارِيَةِ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ أَوْ كَلِّكُمْ، ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سَلِيمَانَ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ فَرَدَّهُ اللَّهُ خَاسِتًا.» (٥)

١ . سنن الترمذي: ١٨٥/٤ برقم ١٦٥٨.

٢ . البخاري: الأدب المفرد، ص ١٧٠ برقم ٤٨٧.

٣ . العفريت: العاتي المارد من الجن: الفتك: هو الآخذ في غفلة وخديعة.

٤ . حقيقته ، وفي نقل فدعته: دفعته دفعاً شديداً.

٥ . صحيح مسلم: ٧٢/٢، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والآية ٣٥ من سورة ص.

وفي الحديث تساؤلات:

أولاً: أنّ المنقول عن أبي هريرة يختلف مضمونه مع ما نقل عن أبي سعيد الخدري، حيث نقل عنه الإمام أحمد: «أنّ رسول الله ﷺ قام فصلّى صلاة الصبح وهو خلفه، فقرأ فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته قال: لو رأيتموني وإبليس، فأهويت بيدي فمازلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين اصبعي هاتين: الإبهام والتي تليها، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية، من سواري المسجد، يتلاعب به صبيان المدينة، فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل. (١)

كما أنّ مضمونه يختلف عمّا رواه نفس مسلم، عن أبي الدرداء، في ذلك المقام . قال: قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول: أعوذ بالله منك، ثمّ قال: ألعنك بلعنة الله ثلاثاً، وبسط يده كأنّه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة، قلنا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، و رأيناك بسطت يدك؟ قال: إنّ عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليحمله في وجهي فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرّات، ثمّ قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر ثلاث مرّات، ثمّ أردت أخذه، والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة. (٢)

والظاهر وحدة الواقعة، والاختلاف في المضمون بيّن غني عن البيان، كذلك يسلب الاعتماد على هذه النقول مع وحدة الواقعة.

وثانياً: أنّ الرواية تعرب عن أنّ لإبليس وجنوده سلطة على النبي ﷺ

١ . مسند أحمد: ٣/٨٢.

٢ . صحيح مسلم: ٢/٧٣، باب جواز لعن الشيطان أثناء الصلاة.

حيث أخذه في غفلة وخديعة، كما يشهد عليه قوله «يفتك»، وهذا ما يكذبه الكتاب العزيز ويقول: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل/٩٩) وحمل السلطة على خصوص الإغواء خلاف الإطلاق.

وثالثاً: أنّ الرواية تدل على مشاهدة الناس للجن، ولذلك صمّم النبي ﷺ على أن يربط ذلك العفريت العاتي المارد من الجن، على سارية من سواري المسجد حتى يصبح الناس وينظروا إليه، مع أنه خلاف القرآن الكريم، حيث يقول: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف/٢٧).

وحمله على غالب الناس خلاف الظاهر، وعلى فرض الصحة فأهل المدينة من تلك الأغلبية الذين لا يستطيعون رؤية الجن.

ورابعاً: الرواية تدل على أنّ النبي ﷺ انصرف عن عمله، لأنّه ذكر قول أخيه سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ فلاجل ذلك ردّ الله ذلك الجن خاسئاً ذليلاً صاغراً مطروداً.

ولكن الآية لا تصلح أن تكون سبباً لانصرافه، وذلك لأنّها لا تدل على أنّ ربط الجن العاتي من خصائص سليمان، فما هو من خصائصه هو الملك المبني على قدرة قاهرة واستخدام الجن والإنس والطير إلى غير ذلك مما جاء في الذكر الحكيم من الجنود، وأين هذا من ربط الجن العاتي بسارية من سواري المسجد في مورد واحد؟

فنفس الرواية حاكية على أنّها مندسة بين الروايات، فنجلّ ساحة النبي ﷺ أن يستدل بآية على أمر ليس فيها دلالة عليه.

٢. الشيطان إذا سمع الأذان ولّى ...

أخرج أحمد، عن عبد الرحمان بن يعقوب، عن أبي هريرة، قال: قال

رسول الله ﷺ : إذا سمع الشيطان الأذان ولّى وله ضراط حتى لا يسمع الصوت. (١)
أقول: نحن لا نعلّق على هذا الحديث شيئاً، ولكن هل للشيطان قدرة على هذا العمل الذي
هو من شؤون الموجود المادي؟!!

ثمّ على فرض صحته، فالأذان ظاهرة مستمرة بين المسلمين حسب اختلاف الآفاق، والشيطان
له إحاطة بالبشر فهو يواجه في كلّ حين أذاناً في البلدان المختلفة، فهل يقوم بذلك العمل حسب
استمرار الأذان في بلدان المسلمين ليلاً ونهاراً؟ لا أدري ولا المنجم يدري ولا القراء يدرون!!
إضافة إلى أنّ النبي ﷺ كان إنساناً حَيِّياً حسب ما ورد في الروايات، فمن البعيد أن يتفوّه
بتلك الكلمة.

٣. وجوب الجهاد تحت راية كلّ برّ وفاجر

أخرج أبو داود في سننه، عن مكحول، عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ :
الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برّاً كان أو فاجراً، والصلاة واجبة عليكم خلف كلّ مسلم برّاً
كان أو فاجراً وإن عمل الكبائر، والصلاة واجبة على كل مسلم برّاً كان أو فاجراً وإن عمل
الكبائر. (٢)

أقول: الجهاد لا ينفك عن التصرف في الأنفس والأعراض والأموال، فكيف يجب مع أمير
فاجر، مع أنّه ربما يدعو إلى العيث والفساد والعصيان وقتل الأبرياء وهتك الأعراض وغصب
الأموال؟

١ . مسند أحمد: ٢/٤١١ .

٢ . سنن أبي داود: ٣/١٨ برقم ٢٥٣٣ .

ولقائل أن يحمل الرواية على ما إذا دعا الأمير الفاجر إلى البرّ والإحسان، ولكنّه في غير محله، لأنّ معرفة ذلك في ميادين الجهاد أمر صعب جداً لو لم يكن بمتعذر.

فمن مارس الجهاد في ساحات الوغى، يعلم أنّه لا يمكن لمجاهد أن يتفحص في الأمور المشتبهة ويأخذ بالبر ويترك خلافه. فالحقّانّ الجهاد إنّما هو مع إمام عادل لا الأعم من البرّ والفاجر، والرواية من صنائع يد السياسة التي تبغي من وراء ذلك إضفاء المشروعية على الجهاد تحت لواء الطلقاء وأبناء البيت الأموي.

ولكن المروي عن أئمة أهل البيت خلاف ذلك.

قال الإمام الرضا عليه السلام: والجهاد واجب مع الإمام العادل. ^(١)

وقال الإمام الصادق عليه السلام: إنّ القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل الميتة والدم

ولحم الخنزير. ^(٢)

إلى غير ذلك من الروايات.

٤. قبول التوبة مع عدم الندم

أخرج مسلم في صحيحه، عن عبد الرحمان بن أبي عمرة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يحكي عن ربّه عزّوجلّ، قال: ذنب عبد ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أنّ له ربّاً يغفر الذّنب ويأخذ بالذّنب، ثمّ عاد فأذنب، فقال: أي ربّ اغفر لي

١ . الوسائل: ١١، كتاب الجهاد، الباب ١، الحديث ٢٤، من أبواب جهاد العدو.

٢ . المصدر نفسه، الباب ١٢، الحديث ١، من أبواب جهاد العدو.

ذنبى، فقال تبارك وتعالى عبدي أذنب ذنباً فعلم أنّ له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثمّ عاد فأذنب، فقال: أي ربّ اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أنّ له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك. (١)

يلاحظ عليه: أنّ حقيقة التوبة عبارة عن الندم على المعصية والعزم على ترك المعاودة في المستقبل، وإلاّ فلو لم يعزم على ترك المعاودة فهو دليل على عدم ندمه.

فإذا كان هذا حقيقة التوبة التي يصبح التائب معه كمن لا ذنب له، فلم تكن متحققة في توبة الرجل فكيف قبلت توبته؟

وبعبارة أخرى: أنّ حقيقة التوبة عبارة عن الندم على ما فعل من المعصية، والعزم على ترك المعاودة إليها في المستقبل، وهذا هو الذي دعا إليه الذكر الحكيم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ (التحريم/٨).

قال الراغب: التوبة النصوح: ما يصرف صاحبه عن العودة إلى المعصية، أو ما يخلص العبد للرجوع عن الذنب فلا يرجع إلى ما تاب منها. (٢)

وعلى ذلك ففي الرواية ملاحظتان:

الأولى: أنّ الظاهر من الرواية أنّ التوبة لم تكن جامعة للشرائط ومنها الندم على ما مضى، بل كان يذنب رجاء غفران الرب له من دون الندم، وهذه الفكرة من الوهن بمكان، لأنّ الربّ إنّما يغفر الذنوب إذا تاب العاصي توبة نصوح،

١ . صحيح مسلم: ٩٩/٨، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب؛ صحيح البخاري: ١٤٥/٩، باب قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله).

٢ . وقد تضافرت الروايات عن رسول الله ﷺ من أنّ المراد من التوبة النصوح هو أن يتوب الرجل من العمل السيء ثمّ لا يعود إليه أبداً، أخرجه السيوطي عن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود وابن عباس، ومجاهد، وقتادة (الدر المنثور: ٢٢٧/٨).

نابعة من الندم، على ما مضى فكيف قبلت توبته في كلمرة؟
الثانية: انّ قوله سبحانه: «اعمل ما شئت فقد غفرت لك» هو في الواقع رخصة في ارتكاب
الآثام والمعاصي دون أي وازع، وحاشا لله أن يرخّص للعبد في ارتكاب المعاصي إلى ما شاء بمجرد
أنّه غفار للذنوب وإن عصى وتاب إلى ما شاء الله.

٥. النبي ﷺ يمنع من كتابة الحديث

أخرج أحمد في مسنده، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، قال:
كنا قعوداً نكتب ما نسمع من النبي ﷺ فخرج علينا، فقال: ما هذا تكتبون؟
فقلنا: ما نسمع منك، فقال: أكتب مع كتاب الله؟ فقلنا: ما نسمع، فقال: اكتبوا كتاب الله،
امحضوا كتاب الله، أكتب غير كتاب الله، امحضوا كتاب الله أو خلّصوه، قال: فجمعنا ما كتبناه
في صعيد واحد ثمّ أحرقناه بالنار.

قلنا: أي رسول الله، أنتحدّث عنك؟ قال: نعم، تحدّثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمّداً
فليتبوأ مقعده من النار. قال: فقلنا: يا رسول الله أنتحدّث عن بني إسرائيل؟ قال: نعم. تحدّثوا عن
بني إسرائيل ولا حرج، فانّكم لا تحدّثون عنهم بشيء إلاّ وقد كان فيهم أعجب منه.^(١)
وفي الحديث ملاحظات:

الأولى: انّ هذا الحديث يعارض مع كثير ممّا يدل عن أنّ النبي رخص في الكتابة، ونحن نذكر
موجزاً ممّا وقفنا عليه، وقد مرّ أيضاً في المقدمة.

١ . مسند أحمد: ٣/١٢ .

١ . ما رواه البخاري، عن أبي هريرة أنخزاعة قتلوا رجلاً من بني ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه، فأخبر بذلك النبي ﷺ فركب راحلته فخطب، فقال: إن الله حبس عن مكة القتل أو الفيل (شك أبو عبد الله) وسلط عليهم رسول الله المومنين. ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي ولم تحل لأحد بعدي - إلى أن قال - : فجاء رجل من أهل اليمن، فقال: أكتب لي يا رسول الله فقال: اكتبوا لأبي فلان - إلى أن قال: - كتب له هذه الخطبة. (١)

٢ . روى البخاري، عن أبي هريرة، يقول: ما من أصحاب النبي أحد أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب. (٢)

٣ . ما رواه البخاري عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه، قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده. قال عمر: إن النبي ﷺ غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللعظ، قال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع. فخرج ابن عباس، يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه. (٣)

٤ . عن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كلشيء أسمع من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: تكتب كل شيء

١ . صحيح البخاري: ٢٩/١ - ٣٠، باب كتابة العلم، الحديث ١١٢ .

٢ . المصدر نفسه: ٣٠/١، باب كتابة العلم، الحديث ١١٣ .

٣ . صحيح البخاري: ٣٠/١، باب كتابة العلم.

سمعت من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأوماً باصبعه إلى فيه، وقال: اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق. (١) ٥. ما رواه نفس أبي هريرة، قال: كان رجل من الأنصار يجلس إلى النبي ﷺ فيسمع من النبي الحديث فيعجبه ولا يحفظه، فشكا ذلك إلى النبي، فقال: يا رسول الله إني أسمع منك الحديث فيعجبني ولا أحفظه، فقال رسول الله ﷺ: استعن بيمينك وأوماً بيده للخط. (٢) إلى غير ذلك من الروايات الحاثثة على كتابة السنة قولاً وتقريراً التي هي فوق المال الذي هو زينة الحياة الدنيا، وقد أمر سبحانه أن يكتب الدين وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ - إِلَىٰ أَنْ قَالَ: - وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ (البقرة/٢٨٢). الثانية: أنّ أبا هريرة كان أمياً لا يجيد القراءة والكتابة كما مرّ في حديث وهب بن منبه عن أخيه همام (٣) فكيف يقول كنا نعوداً نكتب ما نسمع من النبي ﷺ فخرج علينا، فقال: ما هذا تكتبون؟ ولأجل ذلك سألت رسول الله أن يدعو له بعدم النسيان. قال: قلت: يا رسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه، قال: ابسط رداءك فبسطته فغرف بيديه، ثم قال: ضمه، فضممته، فما نسيت شيئاً بعده. (٤) الثالثة: أنّ الرواية تصرح بأنّ أبا هريرة ومن كان معه من الجماعة الذين

١ . سنن أبي داود: ٣/٣١٨ برقم ٣٦٤٦، باب في كتاب العلم؛ مسند أحمد: ٢/١٦٢؛ سنن الدارمي: ١/١٢٥، باب من رخص في كتابة العلم.

٢ . سنن الترمذي: ٥/٣٩ برقم ٢٦٦٦.

٣ . لاحظ ص ٣٠٠ من هذا الكتاب.

٤ . صحيح البخاري: ٣١/١، باب حفظ العلم.

كانوا يكتبون الحديث جمعوا ما كتبوا ثم أحرقوه بالنار، وهو معارض لما تضافر عن الخليفة الثاني من أنه أراد أن يكتب السنن، فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله ﷺ، فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: إني كنت أردت أن أكتب السنن وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكْبُؤا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً. ^(١) فلو كان هناك حظر عن تدوين الحديث إلى حد فهم أبو هريرة وأضرابه أنه يجب اعدام ما كُتِبَ بالاحراق، لما شاور عمر بن الخطاب أصحاب النبي ﷺ في كتابة الحديث، بل منع عنها بلا تشاور، فاستخارته شهراً يدل على عدم صدور نهي عن النبي ﷺ. الرابعة: انّ ظاهر قوله: «قلنا أي رسول الله أنتحدث عنك؟ قال: نعم تحدثوا عني ولا حرج» لا يلائم مع منعهم عن كتابة الحديث إذ أي فرق بين صيانة الحديث بالكتابة أو صيانته بالتحدّث، فما هو الوجه من التفريق بين الكتابة والتحدّث؟ وتصور انّ كتابة الحديث يوجب اختلاطه بالقرآن فهو اعتذار بوجه أسوأ، فانّ القرآن معجزة بلفظه و معناه لا يشابهه غيره ولا يخالطه شيء، وقد مرّ تفنيده في مقدّمة الكتاب فلاحظ. والعجب مما نقله عن رسول الله ﷺ أنه أجاز التحدّث عن بني إسرائيل، قال: تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج. كيف يجوز النبي ﷺ التحدّث عن بني إسرائيل مع أنّهم كانوا يحرفون التوراة والإنجيل، وكانوا يتاجرون بكتبهم المحرفة؟ قال

١ . تقييد العلم، ص ٤٩.

سبحانه: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة/٧٩). لا أدري ماذا يستفيد المجتمع الإسلامي من الإسرائيليات والمسيحيات والمجوسيات التي لعب بها الدهر والزمان، وكانت النقلة طيلة الزمان يتاجرون بما جاء فيها ويروون ما يوافق أهواء الجهاز الحاكم؟ والحديث وُضع لجواز التحديث عن بني إسرائيل، وقد حدّث أبو هريرة عن طريق كعب الأحبار عنهم - أعادنا الله من شرورهم - وأكثر ما يرويه أبو هريرة من القصص عن بني إسرائيل منتهية إلى أستاذه كعب الأحبار - الذي قال في حقه: ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة ^(١) وإن صبّها في قالب الحديث عن الرسول الأعظم ﷺ .

٦. من هو خالق الله؟ روى مسلم عن يزيد بن الأصم قال: سمعت أبا هريرة، يقول: قال رسول الله ﷺ: ليسألنكم الناس عن كل شيء حتى يقولوا: الله خلق كل شيء، فمن خلقه؟! ^(٢) وأخرج أيضاً عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة حتى يقولوا هذا الله، فمن خلق الله؟ قال: فبينما أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب، فقالوا: يا أبا هريرة، هذا الله فمن خلق الله؟! فأخذ حصيً بكفه فرماهم، قال: قوموا صدق خليلي. ^(٣) والحديث يعرب أنّ الرسول ﷺ لم يُعلم أبا هريرة

١ . سير أعلام النبلاء: ٢/٦٠٠.

٢ . صحيح مسلم: ١/٨٤-٨٥، باب بيان الوسوسة في الإيمان و ما يقولها من وجدها.

٣ . صحيح مسلم: ١/٨٤-٨٥، باب بيان الوسوسة في الإيمان و ما يقولها من وجدها.

جواب السؤال، ولذلك لما سأله الأعراب أخذ حصيً بكفه فرماهم وأمرهم بالقيام. مع أنّ هذا بعيد عن أدب النبي ﷺ، فإنّ السؤال لائق بالبحث، لأنّه يخطر هذا السؤال في ذهن كثير من الناس، فالمترقب من الرسول الأعظم ﷺ إذا تنبأ عن مستقبل أبي هريرة أن يُعلمه الجواب. والحديث إمّا مكذوب على رسول الله ﷺ، وعلى فرض الصحة فهو يعرب عن عدم استعداده لتلقي الجواب. مع أنّ الإمام أحمد نقل عن النبي ﷺ أنّه علم الأمة جواب هذا السؤال، فقال: قال: قال جعفر: بلغني أنّ النبي قال: إذا سألكم الناس عن هذا فقولوا: الله ﷻ كان قبل كلّ شيء، والله خلق كلّ شيء، والله كائن بعد كلّ شيء. (١) ولعلّ مراده من جعفر هو جعفر بن بُر الذي روى عنه مسلم، الحديث المتقدّم في صحيحه. والجواب في غاية المتانة، لأنّه سبحانه ليس ظاهرة مسبوقه بالعدم، حتى يُسأل عن علّة الإيجاد، فإذا كان واجب الوجود، كان موجوداً في الأزل والأبد، ولا يتصور له العدم حتى يُسأل عن علّة الوجود، والتفصيل في محله. ٧. أنّ الله خلق آدم على صورته طوله ستون ذراعاً أخرج البخاري في صحيحه، عن همام، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ «»، قال: خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً (وزاد أحمد من طريق سعيد ابن المسيب، عن أبي هريرة مرفوعاً: في سبعة أذرع عرضاً) فلما خلقه، قال:

١ . مسند أحمد: ٢/٥٣٩.

اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يخيونك فأنها تحيتك وتحيّة ذريتك. فقال : السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه «ورحمة الله» فكلّ من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعدُ حتى الآن. ^(١) وفي الحديث عدّة إشكالات تسقطه عن الاعتبار وتجعله في عداد الموضوعات: الأوّل: أنّ الظاهر أنّ الضمير على صورته يرجع إلى الله تبارك وتعالى وهو نفس القول بالتجسيم ولا يرجع إلى آدم، إذ يكون مفاد الحديث عندئذٍ أشبه بتوضيح الواضحات، لأنّ كلّ شيء مخلوق على صورته لا على صورة غيره، وإتّما يفيد معنى جديداً وهو الإخبار بكرامة آدم وأنّه مخلوق على صورة الله سبحانه، إذا عاد الضمير إلى الله سبحانه، وعلى هذا يلزم أن يكون لله صورة طولها ستون ذراعاً. والذي يدل على أنّ الضمير يرجع إلى الله سبحانه هو ما روى نفس أبي هريرة في غير مورد. فقد روى هذا الحديث بصور مختلفة فتارة رواه كما سمعت وأخرى بلفظ: إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإنّ الله خلق آدم على صورته. ^(٢) وثالثة بأنّه إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه ولا يقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإنّ الله خلق آدم على صورته. ^(٣) وربما يووّل الحديث بإرجاع ضمير صورته إلى آدم نفسه لا إلى الله تبارك وتعالى بمعنى أنّ الله عزّوجلّ خلقه في الجنة على صورته التي كان عليها

١ . صحيح البخاري: ٥٠/٨، كتاب الاستئذان ، باب بدو السلام؛ صحيح مسلم: ١٤٩/٨، باب يدخل الجنة أقوام افتدّهم مثل أفئدة الطير من كتاب الجنة، ولاحظ ارشاد الساري: ٣١٩/٥ في باب خلق آدم وذريته من كتاب بدء الخلق، فقد جاء فيه: في سبعة أذرع عرضاً

٢ . صحيح مسلم : ٣٢/٨، باب النهي عن ضرب الوجه من كتاب البر والصلة والآداب.

٣ . البخاري: الأدب المفرد، ص ٧٣ و٧٤ برقم ١٧٣ و١٧٤.

بعد هبوطه منها، إذ أنشأه تماماً مستوياً طوله ستون ذراعاً وعرضه سبعة أذرع لم يتغير من حال إلى حال ولم يكن مثل ذريته حتى تكون نطفة ثم علقه إلى أن يكون رجلاً سوياً بل خلقه دفعة واحدة على صورته التي رآها عليها بنوه في الأرض. ولكن التأويل باطل جداً لمخالفته ما نقلناه عنه، كما يخالف ما روي عنه مرفوعاً: خلق آدم على صورة الرحمن. ^(١) كما يخالف ما روي عنه أن موسى ضرب الحجر لبني إسرائيل فتفجر فقال: اشربوا يا حمير، فأوحى الله إليه عمدت إلى خلق خلقتهم على صورتي فشبهتهم بالحمير. ^(٢) كل هذه الأحاديث تدل على أن الرواية لا تقبل التأويل. الثاني: أنه إذا كان طول آدم ستين ذراعاً فلازم تناسب أعضائه أن يكون عرضه سبعة عشر ذراعاً وسبع الذراع، وإذا كان عرضه سبعة أذرع يجب أن يكون طوله أربعة وعشرين ذراعاً ونصف الذراع، لأن عرض الإنسان مع استواء خلقه، بقدر سبعي طوله، فما بال أبي هريرة يقول طوله ٦٠ ذراعاً في سبعة أذرع عرضاً؟! فهل كان آدم غير متناسب في خلقته مشوّهاً في تركيبه؟! الثالث: أن تحية السلام إنما شرعت في دين الإسلام وقد قال رسول الله ﷺ: ما حسدكم اليهود على شيء كما حسدوكم على السلام، فلولا اختصاصه بهذه الأمة ما اختصوهم بالحسد عليه، فما بال أبي هريرة يقول في هذا الحديث: «فلما خلق الله آدم، قال: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة، فاستمع ما يميونك فأثما تحيتك وتحية ذريتك». وعلى أية حال فما رأي أولي النظر في هذا الخبر؟ وماذا يقولون في قول أبي هريرة: ولم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن؟ ^(٣)

١ . إرشاد الساري: ٣١٩/٥.

٢ . كتاب تأويل مختلف الحديث، ص ١٨٠.

٣ . عبد الحسين شرف الدين: أبو هريرة: ٦٣ - ٦٤.

نظر أئمة أهل البيت في الحديث

ذهب أئمة أهل البيت إلى أنّ الرواية محرّفة وقد نقلت بغير وجهها.

روى الصدوق بإسناده عن أبي الورد بن ثمامة، عن عليّ عليه السلام قال: سمع النبي صلى الله عليه وآله رجلاً يقول لرجل: قبح الله وجهك ووجه من يشبهك فقال صلى الله عليه وآله: مه، لا تقل هذا فإنّ الله خلق آدم على صورته.

قال الصدوق: تركت المشبّهة من هذا الحديث أوّله، وقالوا: إنّ الله خلق آدم على صورته فضلّوا في معناه وأضلّوا.

وروى أيضاً الحسين بن خالد، عن الإمام الرضا عليه السلام، قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله إنّ الناس يروون أنّ رسول الله، قال: «إنّ الله خلق آدم على صورته» فقال عليه السلام: قاتلهم الله لقد حذفوا أوّل الحديث، إنّ رسول الله مرّرجلين يتسابان فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبح الله وجهك ووجه من يشبهك. فقال صلى الله عليه وآله: يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك، فإنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته.^(١)

وبهذا صانت أئمة أهل البيت الأحاديث النبويّة من التحريف، وكم لمثل هذا المورد من نظير، بمعنى أنّه يظهر الحق، إذا رجعنا إلى رواياتهم. كما في مورد «نزوله سبحانه كلّ ليلة إلى سماء الدنيا» كما سيوافيك.

٨. سليمان يطوف على ستين امرأة في ليلة واحدة

أخرج البخاري في صحيحه، عن مُجَدِّد، عن أبي هريرة، قال:

إنّ نبي الله سليمان عليه السلام كان له ستون امرأة، فقال: لأطوفنّ الليلة على نسائي فلتحمِلنّ كلّ امرأة ولتلدنّ فارساً يُقاتل في سبيل الله، فطاف على

١ . الصدوق، التوحيد: ١٥٢-١٥٣.

نساءه، فما ولدت منهنّ إلا امرأة ولدت شقّ غلام.
قال نبي الله: لو كان سليمان استثنى لحملت كلّ امرأة منهنّ فارساً يقاتل في سبيل الله.
(١)

وفي الحديث عدة تساؤلات:

١. إنّ الله سبحانه أَدَبَ أنبياءه فأحسن أدبهم، وهم أكثر حياءً من سائر الناس ليكونوا أسوة
لغيرهم في الحياة، فهل يصح لني حَيٍّ أن يصرّح أمام الملاء العام بأنّه سيطوف علنساءه في هذه
الليلة؟! الليلة!

٢. إنّ الذكر الحكيم يصف سليمان في آياته الكريمة بما يلي:

﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ (ص/٤٠).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(النمل/١٥).

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا

لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (النمل/١٦).

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (الأنبياء/٧٩).

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص/٣٠).

أفيصح لنيّ قد أطراه الذكر الحكيم بما تلوناه عليك، أن يخبر بأنّ نساءه سيلدنّ ستين فارساً؟!
فإن علم به من طريق الغيب، فلماذا تخلف الخبر عن المطابقة؟! وإن لم يعلم به كذلك، فكيف

تفوّه بذلك بضرر قاطع!؟

١ . صحيح البخاري: ١٣٨/٩، باب قول الله إنّما قولنا لشيء من كتاب التوحيد ؛ صحيح مسلم: ٨٧/٥، باب
الاستثناء.

٣. هل في استطاعة الإنسان أن يطوف على ستين امرأة في ليلة واحدة كي يلدن له ستين فارساً؟ إنّ هذا وإن كان في واقع الأمر أمراً غير محال إلاّ أنّه بعيد جداً، وليست عظمة النبي ﷺ مقرونة بالقدرة الجنسية كي نتصور أنّها مفخرة له.

نعم كانت تُعدّ مفخرة في العصر الجاهلي فانعكست في رواية أبي هريرة الذي تأثر بها ونسج الحديث على وفق ما يعدّ فضيلة في تلك البيئات.

٩. موسى يفتق عين ملك الموت

أخرج مسلم في صحيحه، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكّه ففتق عينه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: فردّ الله إليه عينه، وقال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكلّ شعرة سنة، قال: أي ربّ ثمّ مه؟ قال: ثمّ الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رميةً بحجرٍ، فقال رسول الله ﷺ: فلو كنت ثمالاً ريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكتيب الأحمر. (١)

أقول: ورواه البخاري في صحيحه تارة في باب من أحبّ الدفن في الأرض من كتاب الجنائز. (٢) وأخرى في باب وفاة موسى من كتاب بدء الخلق. (٣)

و قد سقط من نسخة البخاري ما نقله مسلم من قوله «ففتق عينه» ولكن

١. صحيح مسلم: ٩٩/٧-١٠٠، باب من فضائل موسى.

٢. صحيح البخاري: ٩٠/٢.

٣. صحيح البخاري: ١٥٧/٤.

ذيله يدل على سقوطه حيث قال : «فردّ الله عليه عينه» إذ لو لم يُحدث موسى شيئاً من فقاء العين أو نظيره لما كان لقوله: فردّ الله عليه عينه، وجه.

وفي الحديث دلالات متعددة على كونه موضوعاً على لسان النبي «ﷺ». أما أولاً: فلاّته يصوّر النبي موسى ﷺ كأنّه أحد الجبارين يبطش ويصكّ ويفقأ العين، ويوقع بأسه حتى في ملائكة الله المقربين.

فلو كان الكلّيم - و العياذ بالله - على هذه الدرجة الساقطة، فكيف اصطفاه الله من عباده وآثره بمناجاته وكتابه؟!

وثانياً: هل كان موسى ﷺ يحب الدنيا على وجه، خاصّم ملك ربه، وليس هذا إلاّ من سمات أهل الدنيا خصوصاً اليهود الذين يكرهون الموت لا من صفات الأنبياء، فإنّ رغبتهم إلى لقاء الله أشد من رغبتهم في البقاء في الدنيا؟

قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّبِيِّينَ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ* وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة/٦-٧).

وهذا هو الإمام أمير المؤمنين يصف المتقين بقوله: «فلولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين». (١)

وثالثاً: إنّ الحديث يصوّر أمّوسى كان أقوى من ملك الموت ولذلك تمكّن موسى من الوقعة به ولم يتمكن الملك من دفع العادية، وهذا عجيب جداً!! لأنّه كان مأموراً بإزهاق روحه ولازم ذلك أن تفوق قوته، قوة الضارب فصار الأمر على العكس.

ورابعاً: إنّ لازم ما جاء في التوراة من ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾

١ . نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣ .

وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴿٤٥﴾ (المائدة/٤٥)، أن يقتص
الملك من الكليم عليه السلام تحقيقاً للتشريع الذي جاء به موسى عليه السلام ، لكن صار الأمر على العكس
فالله سبحانه أكرمه وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور... .

وخامساً: هل ملك الموت عنصر مادي له عين مادية تُفَقَّأ بالصك عليها؟! هذا هو ما لا
أعرفه أنا ولا الراوي يعرفه ولا القارى يعرفه. وكم لهذا الراوية من هذه السقطات التي جلّها حصيلة
الإسرائيليات التي بثّها بين المسلمين ويا ليت أنّه لم يبيث ذلك الوعاء بل يعقد عليه كما عقد على
الوعاء الآخر على ما مضى في ترجمته ^(١).

١٠ . روية الله بالعين الباصرة

أخرج البخاري في صحيحه، عن عطاء بن يزيد الليثي، أنّ أبا هريرة أخبرهما أنّ الناس قالوا: يا
رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحب؟
قالوا: لا، يا رسول الله، قال: فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحب؟ قالوا: لا، قال: فأنكم
ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبّع، فمنهم من يتبع الشمس
ومنهم من يتبع القمر و منهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله،
فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول أنا
ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أول من يجوز من
الرسل بأُمَّته... .

١ . لاحظ ص ٣٠٨ .

هذا ما أخرجه في باب فضل السجود من كتاب الصلاة. (١)
وأخرجه أيضاً في باب «الصراط جسر جهنم» من كتاب ما جاء في الرقاق وان لا عيش إلا
عيش الآخرة، ويختلف لفظه مع السابق وجاء فيه:
...وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم،
فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة
التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه ويضرب جسر جهنم.

قال رسول الله ﷺ : فأكون أول من يجيز. (٢)

ورواه أيضاً مسلم عن أبي هريرة في باب معرفة طريق الروية من كتاب الإيمان ونذكر موضع
الحاجة... فيتبع من كان يعبد الشمس، الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، القمر، ويتبع من
كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في
صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا
ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون:
أنت ربنا، فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا و أمّتي أول من يجيز. (٣)

وقد نقله مسلم عن أبي سعيد الخدري بصورة أكثر شناعة، ومما جاء فيه: انّ ناساً في زمن
رسول الله قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ : نعم، قال: هل
تضارون في روية

-
- ١ . صحيح البخاري: ١/١٥٦.
 - ٢ . صحيح البخاري: ٨/١١٨.
 - ٣ . صحيح مسلم: ١/١١٣.

الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحب؟ وهل تضارّون في روية القمر ليلة البدر ليس فيها سحب؟... إلى أن قال: حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من برّ وفاجرٍ أتاهم ربّ العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فما تنتظرون تتبع كالأمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنّا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً، مرتين أو ثلاثاً حتى اتّبعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه، إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلّما أراد أن يسجد خرّ على قفاه... الحديث. (١)

وفي الحديث بعامة صورته أمارات على الدسّ والوضع.

الأول: وجود الاختلاف الفاحش بين صور الحديث، فما نقله البخاري في باب «فضل السجود» يختلف عمّا نقله هو في باب «الصراط جسر جهنم» وهو واضح لمن قابل النصين، فقد جاء في النص الثاني قوله: «فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون...» في حين أنّ النص الأول خالٍ عن هذه الإضافة إلى غير ذلك من الاختلافات.

كما أنّ ما نقله البخاري في باب «فضل السجود» يختلف مع ما نقله مسلم في صحيحه في باب «معرفة طريق الروية».

كما أنّما نقله مسلم عن أبي سعيد الخدري يختلف مع ما نقله الشيخان عن أبي هريرة إذ ليس في حديثه قوله: «ويكشف عن ساق».

وهذا الاختلاف يسلب الاعتماد على الحديث لا سيما إذا كان الراوي ممن لا يجيد القراءة والكتابة فيضع لفظاً مكان لفظ آخر.

١ . صحيح مسلم: ١/١١٥، باب معرفة طريق الروية.

الثاني: أنّ مجموع الصور تثبت الرواية بالعين الباصرة وأنّ المؤمنين يرونه سبحانه كروية أحدنا للآخر مع أنّه يستلزم أن يكون سبحانه جسماً وله جهة وآثار مادية وذلك أنّ الرواية قائمة بأمر ثمانية:

١. سلامة الحاسة، ٢. المقابلة أو حكمها كما في رواية الصور المنطبعة في المرأة، ٣. عدم القرب المفرط، ٤. عدم البعد كذلك، ٥. عدم الحجاب بين الرائي والمرئي، ٦. عدم الشفافية فإنّ ما لا لون له كالهواء لا يُرى، ٧. قصد الرواية، ٨. وقوع الضوء على المرئي وانعكاسه منه إلى العين.

فلو قلنا بأنّ هذه الشروط ليست إلزامية بل هي تابعة لظروف خاصة، ولكن قسماً منها يعدّ مقوماً للرواية بالأبصار، وهو كون المرئي في حيز خاص، وتحقق نوع مقابلة بين الرائي والمرئي، وعند ذلك كيف يمكن أن تتحقق الرواية من دون بعض هذه الشروط؟ ومع تحقق هذه، يلزم أن يكون المرئي جسماً أو جسمانياً، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

الثالث: ماذا يريد الراوي من قوله: فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فمن أين يعرفون أنّ الجائي هو الله سبحانه، وما هي أمارته وعلامته؟ وأسوأ من هذا ما في النقل الثاني: فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون.

فهل لله تبارك وتعالى صور متعددة تعرف بعضها وينكر البعض الآخر؟ فكيف يعرفون أنّ بعضاً منها صورته دون البعض الآخر؟ فهل شاهدوا تلك الصور في الدنيا أو في البرزخ؟ الرابع: أمّا نقله مسلم عن أبي سعيد الخدري أسوأ حالاً من سابقه، فماذا

يريد الراوي من قوله: «فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه...»؟ فإنّ معناه أنّ المؤمن والمنافقين يعرفونه سبحانه بساقه، فكانت هي الآية الدالة عليه. فهل لله سبحانه ساق، يكشف يوم القيامة عنها؟

الخامس: كفى في ضعف الحديث ما علق عليه العلامة السيد شرف الدين ص حيث قال: إنّ الحديث ظاهر في أنّ الله تعالى جسماً، ذا صورة مركبة تعرض عليها الحوادث من التحول والتغير، وإنّ سبحانه ذو حركة و انتقال، يأتي هذه الأمة يوم حشرها، وفيها مؤمنوها ومناققوها، فيرونه بأجمعهم ماثلاً لهم في صورة غير الصورة التي كانوا يعرفونها من ذي قبل، فيقول لهم: أنا ربكم، فينكرونه متعوذين بالله منه، ثمّ يأتيهم مرّة ثانية في الصورة التي يعرفون، فيقول لهم: أنا ربكم، فيقول المؤمنون والمناققون جميعاً:

نعم، أنت ربنا و إنّما عرفوه بالساق إذ كشف لهم عنها، فكانت هي آيته الدالة عليه، فيتستى حينئذٍ السجود للمؤمنين منهم دون المنافقين وحين يرفعون رؤوسهم يرون الله ماثلاً بصورته التي يعرفون لا يمارون فيه، كما كانوا في الدنيا لا يمارون في الشمس والقمر، ماثلين فوقهم بجرميهما النيرين ليس دونهما سحاب. (١)

١١. لا تملأ النار حتى يضع الربُّ رجله فيها

أخرج مسلم في صحيحه، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ «قال: تحاجت النار والجنة، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم

١ . كلمة حول الرواية، لشرف الدين العملي، ص ٦٥.

وعجزهم، فقال الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكلّ واحدة منكم ملوّها، فأما النّار فلا تمتلئ فيضع قدمه عليها فتقول: قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض. (١)

وفي الحديث ملاحظات ربما تجعله في مدحرة البطلان:

الأولى: أي فضل في المتكبرين والمتجبرين حتى تفتخر بهم النار، ثمّ ومن أين علمت الجنة بأنّ الفائزين بها من عجزة الناس مع أنّه سبحانه أعدّها للنبيين والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين؟!!

الثانية: ثمّ هل للجنة والنار عقل ومعرفة بمن حلّ فيهما من متجبر ومتكبر أو ضعيف وساقط من الناس؟

الثالثة: أنّه سبحانه قد أخبر بأنّه يملأ جهنم بالجنة والناس لا برجله تعالى كما قال سبحانه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص/٨٥)، وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود/١١٩).

وعلى ذلك فالموعود هو امتلاء جهنم بهما، وما هو المتحقق فإنّما هو امتلاء النار بإدخال رجل الرب فيها، فما وُعد لم يتحقق، وما تحقّق لم يُعد.

رابعاً: هل لله سبحانه رجل أكبر وأوسع حتى تمتلئ بها نار جهنم بحد يضيق الظرف عن المظروف فينادي بقوله: قط قط.

فالحديث أشبه بالأسطورة وقد صاغها الراوي في ثوب الحديث عن رسول الله ﷺ فجنى به على الرسول وحديثه وسوّد صحائف كتب الحديث وصحيفة عمره - أعاذنا الله من الجهل المطبق، والهوى المغربي -.

١ . صحيح مسلم: ١٥١/٨، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ؛ وصحيح البخاري: ١٣٨/٦، تفسير سورة ق.

١٢ . نزول الرب كليلة إلى السماء الدنيا

أخرج البخاري في صحيحه، عن أبي عبد الله الأغر وأبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة: إن رسول الله ﷺ قال: يتنزل ربنا تبارك وتعالى كليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له. (١)

وفي الحديث تساؤلات

أولاً: ان ربنا هو الغفور الرحيم وهو القائل عز من قائل: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة/٣٩).

والقائل تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة/٧٤).

والقائل سبحانه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ (الزمر/٥٣). إلى غير ذلك من الآيات التي تكشف عن سعة رحمته لعموم مغفرته.

كما أنه سبحانه وعد عباده بأنه يستجيب دعاء من دعاه ويقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر/٦٠) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على قرب المغفرة من المستغفرين، والإجابة من الله سبحانه للسائلين آناء الليل والنهار فأى حاجة إلى نزول الرب الجليل من عرشه الكريم إلى سماء الدنيا وندائه بقوله: « من يدعوني فاستجيب له ».

١ . صحيح البخاري: ٧١/٨، باب الدعاء نصف الليل من كتاب الدعوات؛ وأخرجه مسلم في صحيحه: ١٧٥/٢، باب الترغيب في الدعاء من كتاب الصلاة عن أبي عبد الله الأغر وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة.

ثانياً: تعالى ربنا عن النزول والصعود والمجيء والذهاب والحركة والانتقال وسائر العوارض والحوادث، وقد صار هذا الحديث سبباً لذهاب الحشوية إلى التجسيم والسلفية إلى التشبيه، وإن كنت في شك فاستمع لكلام من أحبي تلك الطريقة بعد اندثارها وانطماسها، يقول الرحالة ابن بطوطة في رحلته:

وكان بدمشق من كبار فقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام يتكلم في فنون، إلا أن في عقله شيئاً، وكان أهل دمشق يعظّمونه أشدّ التعظيم، ويعظّمهم على المنبر، وتكلم مرّة بأمر أنكره الفقهاء... ورفعه إلى الملك الناصر فأمر بإشخاصه إلى القاهرة، وجمع القضاة والفقهاء بمجلس الملك الناصر، وتكلم شرف الدين الزواوي المالكي، وقال: «إنّ هذا الرجل قال كذا وكذا» وعدّد ما أنكر على ابن تيمية، وأحضر الشهود بذلك ووضعها بين يدي قاضي القضاة.

قال قاضي القضاة لابن تيمية: ما تقول؟ قال: لا إله إلا الله، فأعاد عليه فأجاب عليه بمثل قوله: فأمر الملك الناصر بسجنه، فسجن أعواماً وصنف في السجن كتاباً في تفسير القرآن سماه ب- «البحر المحيط».

ثم إن أمه تعرضت للملك الناصر، وشكت إليه فأمر بإطلاقه إلى أن وقع منه مثل ذلك ثانية، وكنت إذ ذاك بدمشق، فحضرته يوم الجمعة، وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: إنّ الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل درجة من درج المنبر، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزاهراء، وأنكر ما تكلم به، فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً. (١) سيوافيك في ترجمة جبير بن مُطعم، حديث الإمام الطاهر موسى بن جعفر عليه السلام حول نزول الربّ فانتظر.

١ . ابن بطوطة، الرحلة، ص ١١٢ طبع دار الكتب العلمية.

١٣. نقض سليمان حكم أبيه داود

أخرج البخاري، عن أبي الزناد، عن عبد الرحمن، حدّثه أنّه سمع أبا هريرة أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: ... كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها: إنّما ذهب بابنك وقالت الأخرى: إنّما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود ﷺ فأخبرته فقال: ائتوني بالسكين أشقّه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى، قال أبو هريرة: والله إن سمعت بالسكين إلاّ يومئذٍ وما كنا نقول إلاّ المدية. (١)

وفي الحديث تساؤلات:

الأول: أنّه سبحانه تبارك وتعالى يصف داود بقوله: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص/٢٦).
فهو ﷺ لا يحكم إلاّ بالحق ولا يحكم بالباطل وإلاّ فيكون ضالاً عن سبيل الله، وقد بين سبحانه حكم الضال عن سبيله في ذيل الآية، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا الْحِسَابَ﴾ (ص/٢٦).

فحكمه ﷺ بأنّ الولد للكبرى لم يكن يخلو من أحد وجهين: إمّا كان حقاً أو كان باطلاً، فلو كان حقاً فليس لسليمان أن ينقضه ويحكم على خلافه، ولو كان باطلاً فإمّا يكون عن عمد أو عن سهو.

١ . صحيح البخاري: ١٦٢/٤، باب قول الله (وهبنا لداود سليمان)؛ وأخرجه مسلم في صحيحه: ١٣٣/٥ عن أبي زناد عن الأعرج عن أبي هريرة، في باب اختلاف المجتهدين من كتاب الأفضية.

فعلى الأوّل: يكون ضالاً محكوماً بما جاء في الآية - نعوذ بالله - و على الثاني فيلزم أن لا يحكم بالحقّ مع أنّه سبحانه أمره بالحكم بالحقّ، ومن أمره به فيجّهزه بما يوصله إليه. إلاّ أن تُفسّر-ر الآية: بما رآه حقاً، وإن كان في الواقع باطلاً، وهو كما ترى.

الثاني: اتّحّم داود بأنّ الولد للكبرى إمّا أن يكون مستنداً إلى بيّنة شرعية فليس للقاضي الآخر نقض حكمه إذا كان المستند صالحاً للقضاء، وإن كان غير مستند إليه بل مستنداً إلى علمه غير الخاطى فهو غير قابل للنقض أيضاً لاستحالة تخلف علمه عن الواقع لعصمته.

الثالث: ما في ذيل الرواية من أنّ أبا هريرة لم يسمع بالسكّين إلاّ في هذه الواقعة يعرب عن إعراضه عن الذكر الحكيم، فقد جاء فيه قوله: ﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سَكِينًا﴾ (يوسف/ ٣١) و السورة مكّية نزلت قبل إسلامه بأعوام.

كيف وقد روى هو نفسه عن الرسول الرواية التالية:

أخرج أحمد، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال: قال ﷺ: من جعل قاضياً بين الناس فقد ذبح بغير سكين. (١)

ولعل أبا هريرة قد نسج هذه القصة الخيالية لتفسير قوله سبحانه:

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخُكِّمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ* فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (الأنبياء/ ٧٨-٧٩).

وما ذكره من القصة الخيالية لا تنطبق على الآية فإنّه سبحانه يصف كلا الحكمين صدقاً وصواباً ويقول: ﴿وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ ، فلا بدّ أن يكون للآية سبب نزول آخر ينطبق عليه وقد ورد على لسان أئمّة أهل البيت ﷺ

١ . مسند أحمد: ٢/ ٢٣٠.

سبب نزولها واتكلاً من الرأيين كان حقاً غير مخالف للواقع.

وحاصله: أنّ على صاحب الحرث أن يحفظه بالنهار وليس على صاحب الماشية حفظها بالنهار إنّما رعيها بالنهار وإرزاقها، فما أفسدت فليس عليها. وعلى صاحب الماشية حفظ الماشية بالليل عن حرث الناس فما أفسدت بالليل فقد ضمنوا وهو النفس، ثمّ إنّ داود حكم للذي أصاب زرعه رقاب الغنم. وحكم سليمان عليه السلام بأنّ له اللبن والصوم في ذلك العام. ^(١)

ولعلّ القيمة السوقية لهما في ذلك اليوم كانت متساوية، فلذلك يكون كلّ من القضائين خروجاً عن الغرامة التي يجب على صاحب الماشية دفعها إلى صاحب الحرث.

١٤. ظهور موسى عريانياً أمام الملأ

أخرج البخاري في صحيحه، عن الحسن، ومُجّد، وخلاس، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ موسى كان رجلاً حياً سِتيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلاّ من عيب بجلده أمّا برص، وأمّا أذرة، وأمّا آفة، وأنّ الله أراد أن يُبرئه ممّا قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر، ثمّ اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإنّ الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانياً أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إنّ بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو

١ . البرهان في تفسير القرآن: ٦٦/٣ في تفسير قوله: وداد وسليمان نقلاً عن الكليني.

خمساً، فذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ (الأحزاب/٦٩).^(١)

وفي الحديث عدّة تساؤلات:

الأول: إذا أراد سبحانه أن يبرئ موسى من العيب الملصق به فله أساليب أخرى أكثر معقولة من هذا الأسلوب الذي انتهى فيه إلى وقوف موسى أمام الناس وهم ينظرون إليه عرياناً مكشوف العورة.

الثاني: لو افترضنا أنّ الحجر ذهب بثوبه، فكان عليه الوقوف في مكانه وطلب الثوب كي يُوتى بثيابه أو بساتر غيره كما هو الحال فيمن ابتلى بهذه القصة، لا أن يخرج من مكانه ويتابع الحجر فلا يصل إليه إلاّ عندما وجد نفسه عرياناً بين الناس.

الثالث: إنّ حركة الحجر وذهابه بالثوب كان أمراً من الله سبحانه فلماذا غضب عليه موسى؟! ثمّ أيّ أثر لغضبه حيث جعل يضرب الحجر كما هو حال المجانين وفاقدى الشعور؟!

الرابع: إنّ الابتلاء بالأذرة ليس عيباً منقراً للطبائع، خصوصاً فيمن طعن في السن، وإتّما المستحيل ابتلاء الأنبياء بالعيوب المنقّرة، أو ما يورد النقص في مشاعرهم ومداركهم.

فأيّ حاجة لظهور براءة موسى من هذا النقص غير المنقّر بهذه الكيفية التي انتقصت من شخصيته؟

والعجب أنّ الشيخين أخرجوا هذا الحديث في باب فضائل موسى، وأيّ

١ . صحيح البخاري: ١٥٦/٤، باب حدثني إسحاق بن نصر بعد حديث الخضر مع موسى «عاشراً» ؛ وأخرجه مسلم في صحيحه: ٩٩/٧ في باب فضائل موسى، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة.

منقبة في إبداء العورتين للناظرين، بل يكفي لموسى ما صدع به الذكر الحكيم من معجزاته ومواقفه المحمودة امام الكفر والشرك وصبره في السراء والضراء.

١٥. اتهام أولي العزم من الأنبياء بالعصيان

أخرج البخاري في صحيحه، في تفسير سورة الاسراء في تفسير قوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ أخرج فيه عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة في حديث طويل نذكر خلاصته:

وهو ان الله سبحانه يجمع الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، وما لا يتملون، فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون: أنت أبو البشر خلقك الله بيده، اشفع لنا إلى ربك، فيقول آدم: إن ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وأنه نهاني عن الشجرة فعصيته، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح إنك أول الرسل إلى أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك فيقول: إن ربّي عزوجل غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم فيسألونه مثل ما سألا آدم ونوحاً، وهو يجيب أنّي قد كنت كذبت ثلاث كذبات اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى فيسألونه مثل ما سألا السابقين وهو يردهم بقوله: إن ربّي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وانّي قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى فيسألونه الشفاعة كما سألا السابقين وهو يجيبهم بقوله: إن ربّي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله اذهبوا إلى

محمد ﷺ فيأتونه فيشفع لهم عند الله ... (١) الخ.

وفي الحديث نظر

أولاً: أنّ الأنبياء لا سيما أولو العزم منهم معصومون عن العصيان قبل البعثة وبعدها ، فما معنى ما جاء فيه «أنه سبحانه غضب على آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله»!؟

ثانياً: أنّ آدم وإن خالف نهيّه سبحانه عن أكل ثمر الشجرة، ولكن النهي لم يكن نهيّاً مولوياً مورثاً للعقاب، بل كان نهيّاً إرشادياً إلى ما يترتب على المخالفة من المضاعفات كالخروج من الجنة، كما هو ظاهر من قوله سبحانه: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَزَوْجُكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ الْأَلْتَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى* وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ (طه/١١٧-١١٩).

فالآيات صريحة في أنّ النهي عن الأكل كان نهيّاً صحيحاً إرشادياً إلى ما يترتب على المخالفة من الشقاء، المفسّر في الآية بالابتلاء بالوعي والظمأ والجوع، ولو افترضنا أنّ النهي كان مولوياً تلازم مخالفته العصيان، فقد تاب الله عليه، في الحياة الدنيا حيث قال: ﴿فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة/٣٧) فصار كمن لا ذنب له، فما وجه الغضب عليه؟ ونظيره كليم الله، فقد غفر الله له، قال سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي - فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (القصص/١٦) أفصح بعد ذلك غضب الله عليه وعلى أبيه آدم يوم القيامة؟

١ . صحيح البخاري: ٨٤/٦ - ٨٥ في تفسير سورة بني إسرائيل ذكرنا موضع اللزوم من الرواية، و من أراد التفصيل فعليه الرجوع إلى نفس المصدر؛ صحيح مسلم: ١/١٢٧ - ١٢٨، باب أدنى أهل الجنة منزلة من كتاب الإيمان.

ثالثاً: ثَمَّيَّته لم يذكر الذنب الذي صدر من شيخ الأنبياء نوح والمسيح ابن مريم مع أنه أشار في حَقِّغيرهما إلى العثرة التي ابتلوا بها.

رابعاً: أنّ الكذبات الثلاث التي كذب بها إبراهيم لم تكن - في الواقع - كذباً، وسنحيل توضيحه إلى دراسة أحاديث أبي سعيد الخدري.

إنّ الرواية تحط من شأن الأنبياء العظام الذين هم في الذروة والسنام من الفضائل والمكارم، وقد وصفهم سبحانه بقوله: ﴿عَنِّي-رَالْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فكيف يغضب عليهم الرب؟ خامساً: ثمّ كيف يتسنى لأهل المحشر أن يأتمروا ويتفحصوا عن الأنبياء واحداً تلو الآخر على الترتيب المذكور في الرواية، مع أنّ هول المحشر يمنع عن الائتمار والاستشارة؟ وهذا هو الذكر الحكيم يصفه بقوله: ﴿يَوْمَ تَرُؤْنَهَا تَدْهَلُكُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُكُلَّذَاتِ حَمَلٍ حَمَلَهَا وَتَرَى النَّاسُ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج/٢).

سادساً: إنّ هؤلاء الذين رجعوا إلى أنبيائه سبحانه: أمّا أن يكونوا من أمتهم أو من أمة محمد ﷺ، فإن كانوا من أمة نبينا ﷺ فما الذي دعاهم إلى أن يسألوا آدم فنوحاً وإبراهيم فموسى فعيسى فمحمدًا ﷺ؟

وإن كانوا من غيرهم، فلماذا خيَّبهم سبحانه من شفاعة نبينا إذا كانت فيهم قابلية للشفاعة؟ كما هو الظاهر من آخر الرواية بأنّه لا يشفع إلاّ لأُمَّتِهِ، حيث يخاطبه سبحانه بقوله: يا مُجْدِّ ارفع رأسك سل تُعْطَهُ، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أُمَّتِي يا ربّ، أُمَّتِي يا ربّ، فيقول: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنّة وهم شركاء الناس... الخ.

١٦. شك الأنبياء وتفضيل يوسف على نبينا

أخرج البخاري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة أنّ رسول الله، قال: نحن أحقّ من إبراهيم، إذ قال: ﴿رَبِّيَ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد.

ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبتُ الداعي. (١)

أقول: الحديث يتضمن أموراً ثلاثة:

الأول: نسبة الشك إلى إبراهيم في إمكان إحياء الموتى، وأنه إذا شكَّ إبراهيم فعامة الأنبياء ومنهم النبي أولى منه بالشك.

الثاني: التنديد بلوط مع طلب الرحمة له، لأنّه كان يأوي إلى ركن شديد.

الثالث: تفضيل يوسف على جميع الأنبياء حتى نفسه ﷺ حيث إنّ يوسف لما طُلب بالخروج من السجن لم يسرع إلى الإجابة وأتمّ قدّم طلب البراءة فخرج بعد ثبوت براءته بخلاف غيرهم، فإنّهم لو كانوا بمكانه يلبّون الداعي إلى الخروج قبل ثبوت براءتهم. والجميع من الوهن بمكان.

أمّا الأول: فلم يشك إبراهيم طرفة عين أبداً وربما طلب زيادة اليقين، فإنّ لليقين مراتب ودرجات مختلفة.

فيقيننا بأنّ نور القمر مستفاد من نور الشمس ليس مثل يقيننا بأنّ النار

١ . البخاري، الصحيح: ١٤٧/٥، باب قوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ، صحيح مسلم ٩٢/١، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة من كتاب الإيمان.

حارة، ولكن القضيتين كليهما من القضايا اليقينية، والشاهد على ذلك أنه سبحانه لما خاطبه بقوله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ ، أجاب بقوله: ﴿قَالَ بلى وَلَكِن لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾ فحاول تحصيل اليقين الأكيد المعبر عنه بقوله: ﴿لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾.

وعلى ذلك فنسبة الشك إلى إبراهيم أولاً ثم الأنبياء ثانياً والنبىثالثاً كذب محض لا يتفوه به من له عرفان بالأنبياء والرسول.

وأما الثاني: فلم يصدر من لوط أمر مكروه حتى يُندد به، ثم تُطلب له الرحمة فأنه لما بوغت بمجى الضيوف ضاق بمجيئهم ذرعاً، ولما كان عالماً من أن قومه يسارعون إلى أمثالهم بالفاحشة خاطب قومه أولاً بقوله: ﴿يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾.

فلما أجيب بقولهم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾.

وقف على أنهم لا يقبلون الموعدة وتأسف على فقدته المكنة من دفعهم بوجهين:

أ. قال: لو أنّ لي بكم قوة، أي منعة وقدرة أتقوى بها عليكم، فأدفعكم عن ضيوفي.

ب. أو آوى إلى ركن شديد وعشيرة منيعة تنصرتني لدفعكم عما تريدون.

فأي عمل صدر من لوط لا يليق بمنزلته وليس الاستنصار بالعشيرة والقبيلة ملازماً لقلّة الثقة بالله وإمّا هو توصل بالأسباب الظاهرية التي أمر بها سبحانه فهذا هو ذو القرنين يستنصر بمن حوله من الناس، و يقول: ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَلْجَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ (الكهف/٩٥).

وأما الثالث: فهو ظاهر في تفضيل يوسف على النبي الخاتم حيث إنّ

يوسف ما خرج من السجن حتى تجلت براءته ولكن رسول الله لو كان مكانه لما صبر وأجاب
الداعي بمجرد الدعوة إلى الخروج.

فهذا محض افتراء على أفضل الخليفة فإن رسول الله في الصبر و الأناة والحلم والحزم أسوة
للعالمين حتى وصفه سبحانه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم/٤) وقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ
فَقَطًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران/١٥٩).

ولقد وقف ابن حجر العسقلاني على ما في الرواية من الاشكال فالتجأ إلى عذر غير مقبول،
فقال: بأنه قاله ﷺ تواضعاً والتواضع لا يحطُّ مرتبة الكبير بل يزيده رفعة وجلالة. (١)
أقول: إن لسان الحديث آب عن التواضع وإنما يريد تفضيل يوسف وأنه كان أصبر من غيره
وعلى فرض صحته فالإشكالان الأولان باقيان بحالهما.

١٧. نبي من الأنبياء يحرق قرية النمل

أخرج البخاري في صحيحه، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة انّ أبا هريرة قال: سمعت رسول
الله ﷺ قال: قرصت نملة نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه أن
قرصتك نملة أحرقت أمة من الامم تُسبِّح. (٢)

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، عن رسول الله
ﷺ : انّ نملة قرصت نبياً من

١ . فتح الباري: ٤/٤١٣ باب قول الله عزوجل ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صِبْيَاهِمْ﴾.

٢ . صحيح البخاري: ٤/٦٢، باب حدثنا يحيى بن بكير من كتاب الجهاد والسير ؛ سنن أبي داود: ٤/٣٦٧ برقم
٥٢٦٦.

الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح. (١)

إنّ هذا النبي سواء أكان من أولي العزم أو من غيرهم، إنسان معصوم لا يأخذ البريء بذنب المجرم، فلو افترضنا أنّ النملة كانت مجرمة - مع أنّها ليست كذلك لأنّ عملها عمل غريزي - فما هو ذنب سائر النمل؟

إنّ المحرّق كان أقل شعوراً ورأفة من جنود سليمان فأنّهم ما كانوا يحطّون النمل عن شعور و لو كانوا يحطّون فأنّهم يفعلون ذلك دون أي شعور، قال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل/١٨).

وهذا النبي المزعوم كان أقلّ رأفة وعطفاً من جنود سليمان حيث أحرق وادي النمل عن علم وشعور، بجرم نملة واحدة وقد عرفت أنّ عملها لم يكن جنائية.

إنّ عليّاً عليه السلام لم يكن نبياً بل كان وصياً ولكنّه يقول: والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت وأنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلّي ولنعيّم يفنى، ولذة لا تبقى. (٢)

أضف إلى ذلك أنّ النبي قد نهى عن قتل أربعة من الدواب: النملة - النحلة - الهدهد - الصُّرْد. (٣)

١ . صحيح مسلم: ٤٣/٧، باب النهي عن قتل النمل من كتاب قتل الحيات وغيرها.

٢ . نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.

٣ . سنن أبي داود: ٣٦٧/٤ برقم ٥٢٧٦.

١٨ . أيوب يَحْثِي رجل جراد من ذهب في ثوبه

أخرج البخاري في صحيحه، عن معمر، عن حمام، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: بينما أيوب يغتسل عرياناً خرّ عليه رجل (١) جراد من ذهب فجعل يَحْثِي (٢) في ثوبه، فنادى ربّه «يا أيوب لم أكن أغنيت عما ترى، قال: بلى يا رب ولكن لاغنى لي عن بركتك». (٣)

أولاً: جرت سنة الله تبارك و تعالى على خلق الجراد على النحو المعلوم ولا تبديل لسنته، إلا إذا كان هناك داع إليه، كإثبات نبوة نبي أو وصاية وصي إلى غير ذلك، فعندئذ يسأل، فما هو السبب للعدول عن السنة الإلهية إلى خلق الجراد من ذهب مع أنّه لم يكن هناك أي حاجة إلى ذلك؟ فخلقها من الذهب عبث وجزاف ولم يكن امتحان أيّوب واستظهار مدى ثقته بما أغناه الله، متوقفاً على العدول عن السنة الإلهية.

ثانياً: لو افترضنا أنّ أيّوب خرّ على جمعه في ثوب فليس ذلك بمعنى عدم الثقة بالله تبارك و تعالى أو الانكباب على الدنيا بل لأجل أن يستعين في أمر دنياه وأخراه وينفقه في سبيله وابتغاء مرضاته وأتمّ الأعمال بالنيات فلا عتب على عمله.

والباحث في روايات أبي هريرة يقف على أنّه كان يحطّ من مقام الأنبياء بنقل هذه الأساطير الخرافية التي سمعها من كعب الأحبار وغيره كما هو معلوم من حاله، وقد عرفت أنّه كان يدّلس في نقل الروايات.

١ . رجل جراد أي جماعة جراد.

٢ . يحْثِي - بالثلثة - أي يأخذ بيديه جميعاً فكأنّ أيّوب ينشر طرف ثوبه ليأخذ الجراد.

٣ . صحيح البخاري: ١٥١/٤، باب قول الله تعالى: (وأيّوب إذ نادى ربّه) من كتاب بدء الخلق.

١٩. النبي يؤذي ويجلد ويسب ويلعن من لا يستحق

أخرج البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: فأَيُّ مَوْمن سببته فاجعل ذلك قرية إليك يوم القيامة. (١)

وأخرج مسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: « فَأَيُّ مَوْمن سببته فاجعلها له زكاة ورحمة. وفي رواية أخرى: فإِذَا أنا بشر فأَيُّ المومنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقرية تقربه بما إليك يوم القيامة. (٢) وقد أخرجها مسلم بطرق كثيرة. كما أخرجها أيضاً في صحيحه عن أبي سفيان عن جابر. (٣) وموردها لا يخلو عن صورتين:

الأولى: أن يصدر السب واللعن والجلد من النبي ﷺ عن مبرّر شرعي كما إذا قامت البينة على استحقاق شخص للّعن والسب والجلد ولكن كانت البينة كاذبة فعند ذلك يرجع التقصير إلى البينة لا إلى النبي الأعظم حتى يسأل الرب يجعله له زكاة - مضافاً - إلى أنّ هذه الصورة لا تناسب صدر الرواية على بعض صورها، لأنّه يقول: اللَّهُمَّ إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرَ، ومعناه أنّه ربما يستفزه الغضب إلى جلد من لا يستحق الجلد، بلا مبرّر شرعي، وهكذا الحال في اللعن والسب.

الثانية: أن يصدر كلّ ذلك بلا مبرّر شرعي كما هو الظاهر من قوله: «إِنَّمَا

١ . صحيح البخاري: ٧٧/٨، باب قول النبي من آذيته فاجعله له زكاة رحمة من كتاب الدعوات.

٢ . صحيح مسلم: ٢٥/٨، باب من لعنه النبي أو سبّه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك.

٣ . صحيح مسلم: ٢٥/٨، باب من لعنه النبي أو سبّه أو دعا عليه.

مُحَدِّدٌ بَشَرٌ يَغْضَبُ» فَتَعَرَّفَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّهُ إِنْسَانٌ عَادِيٌّ رُبَّمَا يَغْضَبُ بِبَلَا مَبْرَرٍ وَيَلْعَنُ وَيَسْبُ كَذَلِكَ، وَعِنْدَهُ تَكُونُ الرَّوَايَةُ مُرَدُّوَةٌ لَوْجُوهُ:

١. لو صحَّ الفرض يكون النبي عندئذٍ عاصياً في فعله غير معصوم من الذنب في هذه الحالة، ومرتكباً (العياذ بالله) للقبیح وخارجاً عن طاعة الله سبحانه، فهل يجوز لمسلم أن ينسب إليه تلك الفرية الشائنة؟

كيف وهو أفضل الخليفة وأشرف أنبياء الله ورسله الذين وصفهم الله سبحانه بقوله: ﴿عَبْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ، ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء/٦٩).

٢. كيف تصف الرواية النبي ﷺ بأنه بشر يغضب كما يغضب البشر مع أن المروري عن طريق عبد الله بن عمرو خلافه.

روى عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا:

أتكتب كل شيء أسمع، ورسول الله يتكلم في الرضا والغضب، فأمسكت عن الكتابة، وذكرت ذلك لرسول الله، فأوماً بأصبعه إلى فيه، وقال: اكتب فوالذي نفسي بيده لا يخرج عنه إلا حق.

وفي رواية أخرى: قلت: يا رسول الله أكتب كل ما أسمع منك؟ قال: نعم. قلت: في الرضا والغضب؟ قال: نعم، فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقاً. ^(١)

٣. كيف يسب النبي ﷺ أو يلعن أو يجلد أو يؤذي، وقد قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَقَدْ

١ . مختصر جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، باب الرخصة من كتاب العلم، ص ٣٦.

اَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ (الأحزاب/٥٨).

كيف يمكن وصف النبي ﷺ بما جاء في هذه الرواية من أنه ربما يشتم ويسب وهو القائل:
«سباب المؤمن فسوق»^(١).

والروايات في ذم السب و اللعن بغير مبرر كثيرة.

ولعلّ السبب من وضع هذا الحديث هو التقرب إلى آل أبي عاص و سائر بني أمية حتى يتدارك بذلك ما ثبت عن النبي ﷺ من لعنهم وسبهم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ الْإِنْفِتْنَةَ لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (الاسراء/٦٠).

والشجرة الملعونة هي الأُسرة الأموية أخبره الله تعالى بتقلبهم على الحكم وقتلهم ذريته، وعيشتهم في أمته، فما روي النبي ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى توفي كما رواه الحاكم في مستدركه^(٢).

فعند ذلك صار بنو أمية وبنو العاص كلّهم ملعونين إلاّ من ثبت إيمانه وقد أخرج الحاكم أنّ الحكم بن أبي العاص استأذن عليه مرّة فعرف ﷺ صوته وكلامه، وقال: ائذنوا له، عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلاّ المؤمن منهم^(٣).

وقال ﷺ: إذا بلغ بنو أمية أربعين، اتخذوا عباد الله خولاً، و مال الله نحلاً، وكتاب الله دغلاً^(٤).

وكان لا يولد لأحد مولود إلاّ أوتي به النبي ﷺ ، فدعا له، فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: هو الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون^(٥).

١ . صحيح مسلم: ٥٨/١، باب قول النبي: سباب المسلم فسوق.

٢ . المستدرک: ٤٨٠/٤، كتاب الفتن والملاحم.

٣ . الحاكم، المستدرک: ٤٨١/٤، كتاب الفتن والملاحم.

٤ . الحاكم، المستدرک: ٤٧٩/٤، كتاب الفتن والملاحم.

٥ . الحاكم، المستدرک: ٤٧٩/٤، كتاب الفتن والملاحم.

إلى غير ذلك من الروايات الصادرة في العهد النبوي عنهم حيث يلعن فيها النبي طائفة ، فأراد أبو هريرة بوضع هذا الحديث التقرب إليهم.

٢٠. التلاعب بحديث بدء الدعوة

أخرج البخاري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أنّ أبا هريرة قال:

قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء/٢١٤) ، قال: يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أعني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أعني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أعني عنك من الله شيئاً، ويا عمه رسول الله لا أعني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سلمي ما شئت من مال لا أعني عنك من الله شيئاً. (١)

نلفت نظر القارئ الكريم إلى أمور:

الأول: أنّ الآية نزلت في السنة الثالثة من البعثة في مكة المكرمة أي قبل ١٧ عاماً من إسلام أبي هريرة.

فكيف هو يقول: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وهل هذا إلاّ تدليس حيث يشهد على الرواية والسماع ولم يكن واحد منهما ؟ ولذلك قالوا: إنّ أبا هريرة كان يدلس.

الثاني: الظاهر ممّا رواه الطبري وغيره أنّ المدعويين كانوا رجال البيت الهاشمي ولم يشارك فيها أحد من النساء، فقد بلغ عدد القوم إلى ٤٥ رجلاً، فكيف يخاطب النبي عمته صفية وبنته فاطمة عليهما السلام؟!

الثالث: أنّ المشهور أنّ فاطمة عليها السلام قد ولدت في العام الخامس

١ . صحيح البخاري: ٤/٦٠٦ باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب من كتاب الوصايا.

من البعثة وقد كان بدء الدعوة في العام الثالث في مكة المكرمة فكيف يخاطب ابنته التي لم تولد. ولو افترضنا أنّها ولدت قبل ذلك العام فلم تكن في بدء الدعوة على مبلغ النساء الكبار حتى تخاطب بما جاء في الرواية، وقد تزوجت بعليّ عليه السلام في العام الثاني للهجرة أي بعد اثني عشرة سنة من قصة بدء الدعوة، فكيف تكون آنذاك على مبلغ النساء الكبار صالحة له لتلقي الخطاب الوارد فيه؟!

الرابع: أنّ الخطاب المناسب لبدء الدعوة هو الدعوة إلى توحيد سبحانه ورسالته وإلى الاعتقاد بيوم المعاد ليدخلهم في حضيرة الإيمان، والقوم بعد غير مؤمنين بتوحيده وجزائه، فكيف يخاطب واحداً بعد واحد بأيّ لا أغني عنكم من الله شيئاً؟ فإنّ هذا الخطاب يناسب دعوة المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله.

الخامس: أنّ أبا هريرة تصرف بالرواية فلم يذكر ما هو الواقع المهمّ في تلك الحادثة، وقد نقل المحدثون والمؤرخون ما خطبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحشد العظيم الذي كان يشكّل معظم رجال بني هاشم، فقال: مخاطباً إياهم بقوله: «إنّ الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو أيّ رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتنّ كما تنامون، و لتبعثنّ كما تستيقظون، ولتحاسبنّ بما تعملون، وأّها الجنة أبدأ والنار أبدأ». ثمّ قال:

«يا بني عبد المطلب أيّ واللّهما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به، أيّ قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله عزّوجلّ أن أدعوكم إليه، فأيتكم يؤمن بي ويؤازري على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟
ولما بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه - أمسك القوم وسكتوا عن آخرهم إذ كان واحد منهم يفكّر في ما يؤول إليه هذا الأمر العظيم، وما

يكتنفه من أخطار - قام علي عليه السلام فجأة وهو آنذاك في الثالثة أو الخامسة عشرة من عمره، وقال وهو يكسر بكلماته الشجاعة جدار الصمت والذهول:

أنا يا رسول الله أكون وزيرك على ما بعثك الله.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اجلس، ثم كرر دعوته ثانية وثالثة، وفي كلمة يجزم القوم عن تلبية مطلبه، ويقوم علي و يعلن عن استعداده لموازرة النبي، ويأمره رسول الله بالجلوس، حتى إذا كان في المرة الثالثة أخذ رسول الله بيده والتفت إلى الحاضرين من عشيرته الأقربين وقال: «إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم (أو عليكم) فاسمعوا له، وأطيعوا».

فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع وجعله عليك أميراً. ^(١)

ترى أنّ أبا هريرة أسقط ما هو المهم في تلك الواقعة من إضافة الوصاية والوزارة لعلي في بدء الدعوة، وقد أعرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ الإمامة والنبوة توأمان لا يتخلفان بمعنى أنّ لكل نبي خليفة.

٢١. إيقاع الفعل في وقت لا يسعه

أخرج البخاري عن همام، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

حُفِّفَ على داود القراءة، فكان يأمر بدابته لتُسرج، فكان يقرأ قبل أن يفرغ يعني القرآن. ^(٢)
وفي الحديث إشكالان واضحان:

١ . تاريخ الطبري: ٦٢/٢ و ٦٣؛ تاريخ الكامل: ٢/٤٠ و ٤١؛ مسند أحمد: ١/١١١ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٣/٢١٠ و ٢١١؛ وغيرها من المصادر المتوفرة.
٢ . صحيح البخاري: ٨٥/٦، باب تفسير سورة الإسراء من كتاب التفسير.

الأول: إنما نزل الزبور على داود والقرآن على محمد ﷺ قال سبحانه: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (الإسراء/ ٥٥) وقال سبحانه: ﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (الأنعام/ ١٩). فكيف يقرأ داود ما لم ينزل عليه؟ اللهم إلا إذا أريد من القرآن زيوره، لكنّه على خلاف الظاهر. والثاني: كيف يمكن قراءة القرآن أو الزبور في وقت لا يسعه؟ فإنّ إمكان إيقاع الفعل في زمان يسعه شرط عقلي لا مناص عنه، فكما يمتنع وضع الدنيا في البيضة، فهكذا يمتنع قراءة ما يستغرق زمناً طويلاً في مدة قصيرة مهما عجل في القراءة.

٢٢. أمة مُسخت فأراً

أخرج مسلم في صحيحه، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: فُقدت أمة من بني إسرائيل لا يُدرى ما فعلت ولا أراها إلاّ الفأر ألاّ ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربه، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربته.

قال أبو هريرة فحدثت هذا الحديث كعباً، فقال: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم، قال: ذلك مراراً.

قلت: أ فأقرأ التوراة، قال إسحاق في روايته لا ندري ما فعلت. ^(١)

١ . صحيح مسلم: ٢٢٦/٨، باب في الفار و أنّه مسخ؛ وأخرجه أيضاً البخاري في ١٢٨/٤، في باب، خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال من كتاب بدء الخلق والاستفهام في قوله: أ فأقرأ التوراة، استفهام انكار أي لا علم عندي إلاّ ما سمعت من النبي ﷺ .

أقول: إنّ نبي العظمة لا يتكلم إلاّ عن وحي فما جاء في الرواية من الاستدلال يخالف ذلك الأصل بالكلية، وذلك لأنّ حصيلة الاستدلال هو أنّ تلك الأمة المفقودة مُسخت فأراً بشهادة اشتراك الفأر مع الإنسان في خصيصة، وهي إذا وضع بين يدي الفأر لبن الشاة فتشربه وإذا وضع بين يديها لبن الإبل فلا تشربه.

وهذا النوع من الاستدلال لا يركن إليه إلاّ الإنسان المغفل.

أولاً: إنّ لازم ذلك أنّه لم يكن للفأر أي وجود قبل مسخ هذه الأمة وإتّما خلقه سبحانه حينما مسخت تلك الأمة، ولو قيل بوجودها قبله لبطل الاستدلال من رأس. وثانياً: أنّه لا مانع من أن يكون بين الإنسان وبعض أصناف الحيوان وجه اشتراك في بعض الأمور، فلا يدل ذلك على اشتقاق أحدهما من الآخر.

ولعمري إنّ الجبين يندى من هذه الخرافة التي تسرّبت إلى كتب الحديث.

٢٣. أبو طالب أبي النطق بالشهادتين عند الموت

أخرج مسلم عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم الأشجعي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ لعمه:

قل لا إله إلاّ الله أشهد لك بها يوم القيامة، قال: لولا أن تُعَيّرني قريش، يقولون: إنّما حمّله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (القصص/٥٦).

وأخرج أيضاً عن يزيد بن كيسان، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ لعمه عند الموت:

قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة، فأبى فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ .^(١)

أقول: إنّ ذلك الحديث ممّا تكذّبه القرائن الكثيرة الدالة على إسلام أبي طالب ويمكن أن نلخصها في ثلاثة طرق:

١ . دراسة ما خلف من الآثار العلمية و الأدبية.

٢ . الأسلوب العملي الذي نهجه في المجتمع.

٣ . آراء أقرائه وأصحابه.

ونحن نستطيع إثبات إيمان أبي طالب من خلال هذه الطرق.

فإنّ الأشعار^(٢) والخطب التي خلفها أبو طالب تدل بجلاء لا لبس فيه على إيمانه وإخلاصه.

كما اتّسبرت العملية وسلوكه المتميز في السنين العشر الأخيرة من عمره خير شاهد على إيمانه العميق وصلته الوثيقة بالله سبحانه.

وكم له من المواقف الجليلة مع رسول الله ﷺ ؟

فإنّ إيمانه بابن أخيه محمد ﷺ كان عميقاً إلى درجة أنّه أخذه إلى المصلّى واستسقى به،

مقسماً به على الله تعالى أن يكشف العذاب عن قومه، ويرسل رحمته عليهم فاستجاب الله دعاءه

وأنزل عليهم غيثاً وافراً ممرعاً، بقيت قصته في ذاكرة التاريخ.

وأيضاً كان إيمان أبي طالب برسول الله ﷺ راسخاً بمكان أنّه جازف بحياة أبنائه للحيلولة دون

تعرض رسول الله ﷺ

١ . صحيح مسلم: ٤١/١، باب أول الإيمان قوله لا إله إلا الله من كتاب الإيمان.

٢ . انظر ديوان أبي طالب : ٣٢ .

لخطر القتل والاعتقال ولثلاثا يمسه أعداءه بسوء، فكان يضيع ولده علياً في فراشه كي لا يصيب النبي ﷺ أيُّ مكروه.

ورغم ذلك كله، فقد أوصى أولاده حين وفاته قائلاً:

«أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش، وهو الجامع لكل من أوصيكم به، وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان، مخافة الشنثان، وأيم الله لكأني أنظر إلى صعاليك العرب، وأهل البر في الأطراف، والمستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته، وصدّقوا كلمته، وعظّموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، فصارت قريش وصناديدها أذناً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه، أحوّجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده». (١)

وأخيراً فيجدر بنا أن نسأل أقاربه المقربين حول إيمانه، لأنّ أهل البيت أدري بما في البيت. لما مات أبو طالب جاء علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ بموته، فتوجع توجعاً عظيماً وحزن حزناً شديداً، ثمّ قال له امض فتولّغسله، فإذا رفعته على سريره فاعلمني، ففعل فاعترضه رسول الله ﷺ وهو محمول على رؤوس الرجال، قال: «وصلتكم رحم يا عم، وجزيت خيراً! فلقد ربّيت وكفّلت صغيراً، ونصرت وآزرت كبيراً».

ثمّ تبعه إلى حفرة، فوقف عليه مخاطباً إياه، قائلاً:

«أما والله لا استغفرنّ لك، ولا شفّعنّ فيك شفاعة يعجب لها الثقلان». (٢)

وفي الختام انظر إلى صلافة الرجل كيف يحكي القصة، فكأنّه كان حاضراً في المجلس، فعرض النبي الشهادة على عمه فأبى، مع أنّ أبا طالب التحق بالرفيق الأعلى سنة ١٠ للبعثة قبل الهجرة بثلاث سنين، في حين أسلم أبو هريرة

١ . السيرة الحلبية: ٣٥١/١ - ٣٥٢.

٢ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤/٧٦.

في العام السابع من الهجرة، وبذلك يتحقق ما ذكرناه من أنّ أبا هريرة كان يدلس.
ولا شك أنّ ما رواه من الموضوعات لصالح الجهاز الأموي الحاكم للحطّ من شأن الإمام أمير
المؤمنين عليّ عليه السلام برمي أبيه بالكفر حين وفاته.

٢٤. أبو هريرة ينسب ما سمعه عن الفضل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
أخرج مسلم في صحيحه، عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمان، عن أبي بكر، قال:
سمعت أبا هريرة يقصّ يقول في قصصه: من أدركه الفجر جنباً فلا يصم.
فذكرت ذلك لعبد الرحمان بن الحارث (لأبيه) فأنكر ذلك، فانطلق عبد الرحمان وانطلقت معه
حتى دخلنا على عائشة وأُمّ سلمة - رضي الله عنهما ما - فسألتهما عبد الرحمان عن ذلك، قال: فكلتاهما
قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصبح جنباً من غير حلم ^(١) ثمّ يصوم.
قال: فانطلقنا حتى دخلنا على مروان فذكر ذلك له عبد الرحمان، فقال مروان: عزمت عليك
إلّا ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول. ^(٢)

قال: فجئنا أبا هريرة وأبو بكر حاضر ذلك كلّ، قال: فذكر له عبد الرحمان.
فقال أبو هريرة: أهما قالتاه لك، قال: نعم، قال: هما أعلم ثمّ ردّ أبو هريرة ما كان يقول في
ذلك إلى الفضل بن العباس، فقال أبو هريرة: سمعت ذلك من الفضل، ولم أسمع من النبي
صلى الله عليه وآله وسلم.

١ . أي مدرّكاً الفجر متيمماً وطاهراً بالطهارة الترابية.

٢ . يريد بذلك الإشفاق على أبي هريرة حتى لا يتسع خطؤه حيث ألزمهما بالذهاب إلى أبي هريرة وإعلامهما ما ذكرا
حتى يتدارك الرجل خطأه.

قال: فرجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك، قلت لعبد الملك: أقالنا في رمضان، قال: كذلك كان يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم. (١)

وعلى هذا لا يبقى أي اعتماد بأحاديثه إذ ينسب ما سمعه من كعب إلى الرسول ﷺ وما سمعه من الفضل إليه أيضاً، فهذه التدليسات الواضحة يخرج عن كونه ثقة في الحديث، أسوة في الرواية.

٢٥. إبراهيم يخاصم ربه

أخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

يلقى إبراهيم أباه فيقول: يا رب أنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين. (٢)

وفي الحديث تساؤلات وتأملات يجعلها في عداد الموضوعات:

الأول: يتضمن الحديث أنّ إبراهيم كان يتصور بأنّ عذاب أبيه يوم القيامة يعود عليه بالخزي، وذلك مما لا يتخيّله مسلم واع فكيف بإبراهيم خليل الرحمن، لأنّه سبحانه أعلن منذ بدء الخليقة أنّه خلق الجنة للمؤمنين والنار للكافرين.

الثاني: أنّه سبحانه: يحكي أنّ إبراهيم تبرأ من أبيه بعد ما تبين أنّه عدو لله قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَّ - رَأَىٰ مِنْهُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة/١١٣ - ١١٤).

١ . صحيح مسلم: ١٣٧/٣، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب من كتاب الصوم.

٢ . صحيح البخاري: ١١١/٦، باب تفسير سورة الشعراء من كتاب التفسير.

وسياق الآية يكشف عن أنّ التبري كان في الحياة الدنيا، ومع ذلك فكيف يطلب له النجاة يوم القيامة ويشتكى إلى الله تبارك وتعالى؟!^(١)

وللعسقلاني كلام نذكره بنصه: اختلفوا في الوقت الذي تبرأ فيه إبراهيم من أبيه فقيل: كان ذلك في الحياة الدنيا لما مات آزر مشركاً، وهذا أخرجه الطبري من طريق حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس و اسناده صحيح، وفي رواية: «فلما مات لم يستغفر له»، و من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نحوه، قال: «استغفر له ما كان حياً فلما مات أمسك» و أورده أيضاً من طريق مجاهد وقتادة و عمرو بن دينار نحو ذلك، وقيل إنّما تبرأ منه يوم القيامة لما بئس منه حين مسخ على ما صرح به في رواية ابن المنذر التي أشرت إليها.^(٢)

وضعف الوجه الثاني واضح، لأنّه على خلاف سياق الآية، والآية بصدد تعليم أصحاب الرسول من أنّه ليس لهم الاستغفار للمشركين اقتداءً بإبراهيم حيث إنّّه بعد ما تبين أنّ أباه عدو لله تبرأ منه ولم يستغفر إلى آخر حياته فيجب أن يقتدوا به، فجعل ظرف التبري يوم القيامة مخالف لسياق الآية.

قال الرازي في تفسيره في وصف إبراهيم عليه السلام بالأواه والحليم ما لفظه:

اعلم أنّّه تعالى إنّما وصفه بمهذين الوصفين في هذا المقام، لأنّه تعالى وصفه بشدة الرقة والشفقة والخوف والوجل، ومن كان كذلك فأنّه تعظم رفته على أبيه وأولاده، فبينّ تعالى أنّه مع هذه العادة، تبرأ من أبيه وغلظ قلبه عليه لما ظهر له إصراره على الكفر فأنتم بهذا المعنى، أولى ولذلك وصفه أيضاً بأنّه حليم، لأنّ أحد أسباب الحلم رقة القلب وشدة العطف لأنّ المرء إذا كان حاله هكذا، اشتد حلمه عند الغضب.^(٣)

١ . فتح الباري: ٨/٥٠٠ - ٥٠١ .

٢ . مفاتيح الغيب: ٢١١/١٦، في تفسير الآية ١١٤ من سورة التوبة.

وربما يقال إن الله إذا أدخل أباه النار فقد أخزاه لقوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (آل عمران/١٩٢).

وخزي الوالد خزي الولد فيلزم الخلف في الوعد. ^(١)

وما ذكره أخيراً توهم باطل، لأنّه سبحانه قطع الصلة بين الكافر و المسلم قال سبحانه: ﴿وَنَادِنُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ أَلْ-حَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴿هود/٤٥-٤٦﴾. فلا يعود خزي الوالد إلى الولد، بعد انقطاع الصلة، كما لا يعود خزي أبي لهب إلى النبي الأعظم.

٢٦. دخول امرأة في النار بسبب هرة

أخرج البخاري في صحيحه، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تُطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض. ^(٢)

وأخرج مسلم أيضاً في صحيحه، عن هشام، عن أبيه، عن أبي هريرة، أنّ رسول الله ﷺ

قال:

عُذِّبَتْ امرأة في هرة لم تُطعمها ولم تُسقى ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض. ^(٣)

١ . فتح الباري: ٥٠١/٨، نقلاً عن الكرماني في شرحه على صحيح البخاري.

٢ . صحيح البخاري: ١٣٠/٤، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم من كتاب بدء الخلق.

٣ . صحيح مسلم: ٤٤/٧، باب تحريم قتل الهرة من كتاب قتل الحيات وغيرها.

أقول: إنّ قوله: في هرة بمعنى بسبب هرة.

وقد استشهد الأدباء بهذا الحديث على أنّ «في» تأتي بمعنى «اللام» وعلى هذا فيجب أن تكون المرأة مسلمة مؤمنة حتى يكون الحبس هو السبب الوحيد لدخولها في النار ولا يصح حملها على الكافرة، لأنّها تدخل النار سواء حبست أم لا، وعلى ذلك فكيف يُدخل سبحانه عبداً مؤمناً النار بسبب قتل هرة؟

أخرج أحمد في مسنده، عن الشعبي، عن علقمة، قال: كنّا عند عائشة فدخل أبو هريرة فقالت: أنت الذي تحدث أنّ امرأة عذبت في هرة لها ربطتها فلم تطعمها ولم تسقها؟ فقال: سمعته منه، يعني النبي ﷺ.

قال عبد الله بن أحمد: كذا قال أبي.

فقالت: هل تدري ما كانت المرأة؟ إنّ المرأة مع ما فعلت كانت كافرة، و إنّ المؤمن أكرم على الله عزّ وجلّ من أن يعذبه في هرة، فإذا حدثت عن رسول الله ﷺ فانظر كيف تحدّث. (١)

وكلام السيدة عائشة لا يخلو عن نقاش، فإنّ ظاهر الحديث أنّ سبب الدخول هو الحبس لا الكفر، فلو كانت كافرة فهي تدخل النار على كل حال سواء حبست الهرة أم لم تجسها، فالحديث رواية مصطنعة اختلقها يد الدّس لا سيما أنّ أبا هريرة كان له شغف كبير بالهرة حيث كان يلعب بها، فلما وقف أنّ امرأة قامت بهذا العمل عزّ عليه قتل الهرة فصنع ذلك الحديث.

٢٧. في جناحي الذبابة داء وشفاء

أخرج البخاري في صحيحه عن عبيد بن حنين، قال: سمعت أبا هريرة،

١ . مسند أحمد: ٢/٥١٩.

يقول: قال النبي ﷺ : إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإنّ في إحدى جناحيه داءً والأخرى شفاءً. (١)

ومعنى الحديث: فليغمسه كلّهُ حتى يغسل كلا الجناحين بالماء ويقابل الداء بالدواء، وقوله: ثمّ لينزعه إشارة إلى اتّناء سيشرب و المرق يوكّل بعد طرحها.
وعلى ذلك فأحد جناحي الذباب داء وفي الجناح الآخر دواء فيزول ذلك الداء بفضل الدواء عند غمس كلا جناحيه.

هذا هو المفهوم من الرواية.

والاعتقاد بصحة الحديث مشكل جداً وقد كشف العلم من أنّ الذباب يحمل في جناحيه الجراثيم المهلكة والمضرة، ولم أر أحداً من العقلاء، يتفوّه بهذه المقالة.
مضافاً إلى أنّ الذباب قدر تتنفر القلوب من رويته، فكيف يأمر النبي ﷺ بغمسه إذا سقط في الماء الذي فيه طعام أو شراب، ثمّ أكل أو شرب ما في ذلك الإناء؟!

هذه إلمامة عابرة بروايات أبي هريرة التي تركت مضاعفات خطيرة على الحديث النبوي.
ومن تفحص ما رواه في الجنة والنار و ما يقصه من بني إسرائيل لوقف على أنّ أبا هريرة كان قصاصاً ذا خيال واسع يخلق أساطير في أبواب مختلفة ويسوقها في قالب الحديث، فمن أراد التفصيل فلیدرس رواياته في الصحيحين.

١ . صحيح البخاري: ١٣٠/٤، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، فإنّ في إحدى جناحيه داء وفي الأُخرى شفاء من كتاب بدء الخلق.

٢٠- عقبة بن عامر الجهني

(... - ٥٨هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. النبي يلعن المحلل والمحلل له

٢. النبي يلبس الحرير

٣. كل ميت يختم على عمله إلا المرابط

٤. أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص

٥. حق الضيافة يؤخذ عنوة

عقبة بن عامر بن عباس بن عمرو الجهني، يكنى أبا حماد، روى عنه أبو عثانة، أنه قال: قدم رسول الله ﷺ وأنا في غنم لي أرهاها فتركتهما ثم ذهبت إليهما، فقلت: تباعني يا رسول الله، قال: فمن أنت، فأخبرته، فقال: أيما أحب إليك، تباعني ببيعة أعرابية، أو ببيعة هجرة؟ قلت: ببيعة هجرة، فباعني.

وكان من أصحاب معاوية بن أبي سفيان، وولي مصر وسكنها، وتوفي بها سنة ٥٨ هـ، وروى عنه من الصحابة: ابن عباس، وأبو أيوب، وأبو امامة وغيرهم.

ومن التابعين: أبو الخير، وعلي بن رباح، وأبو قبيل، وسعيد بن المسيب وغيرهم، وشهد صفين مع معاوية، وشهد فتوح الشام، وكان هو البريد إلى عمر بفتح دمشق، وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن.

قال الذهبي: له في مسند بقي خمسة وخمسون حديثاً^(١) ولكن جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١١٢ حديثاً^(٢)

نذكر من روائع رواياته التي يدل سمو معانيها على صحّة مضمونها شيئاً ثم نعرض إلى أحاديثه السقيمة.

روائع أحاديثه:

١. أخرج أحمد في مسنده، عن أبي عُشانة، أنّه سمع عقبة بن عامر، يقول: لا أقول اليوم على رسول الله ﷺ ما لم يقل. سمعت رسول الله ﷺ يقول:
من كذب قال ما لم أقل فليتبوأ بيتاً من جهنم.^(٣)
٢. أخرج مسلم في صحيحه، عن مرثد بن عبد الله اليزني، عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ أحقّ الشرط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج.^(٤)
٣. أخرج أحمد في مسنده، عن الحسن، عن عقبة بن عامر أنّ نبي الله ﷺ، قال: إذا أنكح وليان فهو للأول منهما، وإذا باع من رجلين فهو للأول منهما.^(٥)
٤. أخرج أحمد في مسنده، عن قيس الجذامي، عن عقبة بن عامر

١ . طبقات ابن سعد: ٣٤٣/٤؛ أسد الغابة: ٤١٧/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٤٦٧/٢ برقم ٩٠.

٢ . المسند الجامع: ٨٣/١٥.

٣ . مسند أحمد: ١٥٩/٤.

٤ . صحيح مسلم: ١٤٠/٤، باب الوفاء بالشروط في النكاح.

٥ . مسند أحمد: ١٤٩/٤.

- الجهني، أنّ رسول الله ﷺ ، قال: من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار. (١)
٥. أخرج مسلم في صحيحه، عن عبد الرحمان بن شماسه أنّه سمع عقبة بن عامر على المنبر، يقول: إنّ رسول الله ﷺ ، قال: المؤمن أخو المؤمن، فلا يحلّ للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر. (٢)
٦. أخرج ابن ماجه، عن عبد الرحمان بن شماسه، عن عقبة بن عامر، قال: سمعت رسول الله ﷺ ، يقول: المسلم أخو المسلم، ولا يحلّ لمسلم باع من أخيه بيعاً فيه عيب، إلاّ بيّنه له. (٣)
٧. أخرج ابن ماجه، عن أبي سعيد الرعيّي أنّ عبد الله بن مالك اليحصبي أنّ عقبة بن عامر أخبره: أنّ أخته نذرت أن تمشي حافية، غير محتمة، وأنّه ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: مرها فلتركب ولتختمر ولتصم ثلاثة أيام. (٤)
٨. أخرج النسائي، عن ابن مجيرة، عن عقبة بن عامر: أنّ رسول الله ﷺ « قال: خمس من قبض في شيء منهنّ فهو شهيد: المقتول في سبيل الله شهيد، والغرق في سبيل الله شهيد، و المبطون في سبيل الله شهيد، و المطعون في سبيل الله شهيد، و النفساء في سبيل الله شهيد. (٥)
٩. أخرج أحمد في مسنده، عن فروة بن مجاهد اللخني، عن عقبة بن عامر، قال: لقيت رسول الله ﷺ ، فقال: لي: يا عقبة بن عامر، صل من قطعك، واعط من حرّمك، واعفو عن ظلمك. (٦)

١ . مسند أحمد: ١٤٧/٤ .

٢ . صحيح مسلم: ١٣٩/٤ ، باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه .

٣ . سنن ابن ماجه: ٧٥٥/٢ برقم ٢٢٤٦ .

٤ . سنن ابن ماجه: ٦٨٩/١ برقم ٢١٣٤ .

٥ . سنن النسائي: ٣٧/٦ .

٦ . مسند أحمد: ١٥٨/٤ .

١٠. أخرج مسلم في صحيحه عن مرثد، عن عقبة بن عامر، قام على قتلى أحد، ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات، فقال: إني فرطكم على الحوض وأنّ عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة، إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم، قال عقبة: فكانت آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر. (١)

هذا شيء من روائع رواياته، وإليك نزرًا من رواياته السقيمة التي تعزى إليه ولا تمتلك الضوابط التي أومأنا إليها في صدر الكتاب، وإليك بيانها.

١. النبي يلعن المحلل والمحلل له

أخرج ابن ماجة في سننه عن أبي مصعب مشرح بن هاعان، قال: قال عقبة بن عامر: قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هو المحلل، لعن الله المحلل والمحلل له. (٢)

وروى عكرمة، عن ابن عباس: قال: لعن رسول الله المحلل والمحلل له.

أقول: ورد النص في القرآن الكريم على أنّ من طلق زوجته ثلاثاً لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، قال سبحانه: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَ -رَهْ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ (البقرة/٢٣٠).

وعلى ضوء ذلك فمن تزوج مطلقة ثلاثاً لم يرتكب أمراً محرماً ولا مكروهاً، غاية الأمر لو طلقها يجوز للزوج المطلق نكاحها من بعد طلاق المحلل وإلا فتبقى الزوجة في حبالته.

١. صحيح مسلم: ٦٨/٧.

٢. سنن ابن ماجة: ٦٢٢/١ برقم ١٩٣٦.

وإذاً فما هو المبرّر لعن المحلّل؟! وأوضح منه لعن المحلّل له، فإنا لعن رهن ارتكاب أمر محرم أو مبعوض من قبل الشارع.

نعم لو شرطت الزوجة طلاقها في العقد الثاني بعد المسّ فالنكاح باطل إذا قلنا بأنّ الشرط الفاسد مفسد، أو الشرط باطل والنكاح صحيح، فلا يحلّللزوج الثاني إلاّ إذا ذاق الزوج الثاني عُسيلتها، وذقت الزوجة عُسيلته فلو طلق عن رضا واختيار فتحل للزوج الأوّل فما هو وجه اللّعن؟

وتعليل اللّعن بارتكاب فعل مكروه ممنوع موضوعاً وحكماً.

٢. النبي يلبس الحرير

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي الخير، عن عقبة بن عامر، أنّه قال: أهدى لرسول الله ﷺ فروج^(١) حرير فلبسه، ثمّ صلى فيه، ثمّ انصرف فنزعه نزعاً شديداً كالكاره له، ثمّ قال: لا ينبغي هذا للمتقين.^(٢)

إنّ لبسه الفروج، إمّا كان قبل تحريم الحرير على الرجال أو بعده، فالثاني لا يصحّ أن ينسب إلى النبي ﷺ لأنّه ينافي عصمتهص.

وأما الأوّل فلبسه وصلاته كانت جائزة وعندئذ فما هو وجه التعبير عن ذلك العمل الحلال بقوله: «ثمّ انصرف فنزعه نزعاً شديداً كالكاره له، ثمّ قال: لا ينبغي هذا للمتقين»؟! فأنّه لا يناسب مكانة العمل الحلال، ويحتمل أن يكون ذيل الحديث من تصورات الراوي.

ويؤيده ما رواه مسلم، عن جابر بن عبد الله، أنّ النبي ﷺ لبس يوماً قباءً من ديباج أهدى له ثمّ أوشك أن نزعه، فأرسل به إلى عمر

١ . الفروج هو قباء له شق من خلفه.

٢ . صحيح مسلم: ١٢٣/٦، باب إباحة لبس الحرير للرجل إذ كان به حكة أو نحوها.

بن الخطاب، فقيل له: قد أوشك ما نزعته يا رسول الله؟ فقال: نهاني عنه جبرئيل، فجاءه عمر
بيكي، فقال: يا رسول الله كرهت أمراً وأعطيتنيهِ فمالي؟ قال: إني لم أعطكهُ لتلبسه إنما أعطيتكهُ
تبيعه، فباعه بألفي درهم. (١)

والظاهر وحدة الواقعة ولكن ليس في الحديث الثاني ما في الحديث الأول من أن النبي
ﷺ نزعهُ نزعاً شديداً كالكاره له.

٣. كل ميت يختم على عمله إلا المرابط

أخرج الدارمي عن مشرح، قال: سمعت عقبة بن عامر، يقول: سمعت رسول الله ﷺ،
يقول: كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه يجزي له عمله حتى يبعث. (٢)
الحديث ظاهر في الحصر، ولكنه يخالف ما نقل عنه ﷺ من أنه إذا مات ابن آدم انقطع
عمله إلا من ثلاث.

أخرج ابن ماجه، عن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: خير ما
يخلف الرجل من بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرها، وعلم يعمل به من
بعده. (٣)

والحديث يدل على أن غير المرابط أيضاً لا يختم على عمله.

نعم لو حاولنا الجمع بين الرويتين فلا محيص من حمل الحصر الأول على الحصر الإضافي لا
الحقيقي، وإن كان الحمل على خلاف الظاهر.

١. صحيح مسلم: ١٤١/٦.

٢. سنن الدارمي: ٢١١/٢، باب فضل من مات مرابطاً؛ وأخرجه أحمد في مسنده: ١٥٠/٤.

٣. سنن ابن ماجه: ٨٨/١ برقم ٢٤١ باختلاف يسير في اللفظ.

٤. أسلم الناس و آمن عمرو بن العاص

أخرج الترمذي، عن مشرح بن هاعان، عن عقبه بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ :
أسلم الناس و آمن عمرو بن العاص. (١)

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي لهيعة عن مشرح بن هاعان
وليس اسناده بقوي.

أقول: تشير الرواية إلى أنّ عمرو بن العاص آمن بلسانه وقلبه و الآخرون أسلموا بلسانهم لا
بقلبيهم، وهذا ممّا يخالف الواقع، إذ قد آمن قبله أناس من المهاجرين الذين اتفق المسلمون على
إيمانهم وتصديقهم، كعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وجندب بن جنادة (أبي ذر) وجعفر
الطيبار، وحمزة بن عبد المطلب، ولفيف من الأنصار كأبي بن كعب وأسعد بن زرارة وخزيمة بن
ثابت ذو الشهادتين، وعندئذٍ فلو صحت الرواية فلا بدّ أن يحمل الناس على طائفة خاصة من
قريش وغيرهم الذين آمنوا مع عمرو بن العاص، فهؤلاء أسلموا - إسلام الأعراب - و عمرو بن
العاص آمن، فلاحظ.

٥. حقّ الضيافة يؤخذ عنوة

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي الخير، عن عقبه بن عامر، أنّه قال: قلنا يا رسول الله أنّك
تبعثنا فننزل بقوم فلا يقروننا، فما ترى؟ فقال لنا رسول الله ﷺ : إن نزلتم بقوم فأمرؤا لكم بما
ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حقّ الضيف الذي ينبغي لهم. (٢)

١ . سنن الترمذي: ٥/٦٨٧ برقم ٣٨٤٤.

٢ . صحيح مسلم: ٥/١٣٨، باب الضيافة ونحوها من كتاب اللقطة.

أقول: الضيافة سيرة عقلائية قامت على أساس تكريم الضيف الوارد وتبجيله واحترامه عن طيب نفس.

وأما إذا لم تكن مصحوبة بطيب النفس فتفقد الضيافة معناها، وتزيد في الطين بلّة إذا قام الضيف بأخذ حقه من المضيف جبراً وعنفاً فهذا يثبت العداوة والبغضاء بينهما، فلا يصلح للإسلام الداعي إلى الأخاء والتسامح أن يأمر الضيف بأخذ حقه من المضيف.

ولما كانت الرواية على خلاف الأصل الثابت في الإسلام، أعني قوله ﷺ: «لا يحلّ مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه» أو قوله: «الناس مسلّتون على أموالهم»، ذهب شراح الحديث إلى تأويله بتأويلات مجانفة عن الحق.

من حمله على المضطرين، أو تأويله بأنّ المراد من أخذ الحقّ هو الأخذ من أعراضهم بالاكسنة وذكر لومهم وبخلهم للناس والعيب عليهم وذمهم إلى غير ذلك من الوجوه المؤوّلة.

والتأويل الأوّل وإن كان لا بأس به في ذاته، لكنّه يخالف ظاهر الحديث، وأما الثاني فبعيد عن روح الإسلام وهو أن يسوّغ للضيف ذكر أخيه باللوم، والأخذ من عرضه بحجة أنّه لم يضيفه، وقد ذكر الإمام النووي تأويلات أخرى.^(١)

أضف إلى ذلك أنّه يخالف ما رواه مسلم في صحيحه، عن أبي شريح العدوي، قال: سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلم رسول الله ﷺ، فقال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام، قال: قال: فما وراء ذلك فهو صدقة عليه.

١ . شرح صحيح مسلم، للنووي: ٢٧٥/١٢.

وقال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت. ^(١)
ومعنى الحديث أنه ليس وراء دينك الأمرين شيء آخر وهو أخذ حقّ الضيافة من المضيف.

١ . صحيح مسلم: ١٣٨/٥، باب الضيافة ونحوها من كتاب اللقطة.

٢١- جبير بن مُطعم

(... - ٥٩هـ-)

سيرته و أحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. لعرشه سبحانه اطيح كاطيح رحل الإبل

٢. نزول الله في كليلة إلى السماء الدنيا

ابن عديّ بن نوفل بن عبد مناف بن قصي، شيخ قريش في زمانه، أبو مُجّد، ويقال أبو عدي

القرشي النوفلي، ابن عمّ النبي ﷺ.

من الطلقاء الذين حُسن إسلامهم، وقد قدم المدينة في فداء الأسارى من قومه.

وكان أبوه هو الذي قام في نقض صحيفة القطيعة، وكان يحنو على أهل الشّعب ويصلهم في

السّر، ولذلك يقول النبي ﷺ يوم بدر:

«لو كان مُطعم بن عديّ حيّاً وكلمني في هؤلاء التّتي لتركتمهم له» وهو الذي أجاز النبي

ﷺ حين رجع من الطائف حتى طاف بعمرة.

روى عنه: ولداه مُجّد ونافع، وسليمان بن صرد، وسعيد بن المسيب،

وأبو سلمة بن عبد الرحمان، وعبد الرحمان بن أزهر، وعبد الله بن باباه، ويحيى بن عبد الرحمان بن حاطب، وإبراهيم بن عبد الرحمان بن عوف.
توفي جبير بن مطعم سنة تسع و خمسين. (١)
وقد جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ثلاثين حديثاً. (٢) عزيت إليه روايات رائعة وأخرى سقيمة.

فمن روائع رواياته
أخرج أبو داود في سننه، عن عبد الله بن أبي سليمان، عن جبير بن مطعم، أن رسول الله ﷺ قال:
«ليس منّا من دعا إلى عصبية، وليس منّا من قاتل على عصبية، وليس منّا من مات على عصبية». (٣)

وقد رويت عنه ما لا تستقيم مع الضوابط التي تلونها في صدر الكتاب.

١. للعرش اطيح كاطيح الرجل

أخرج أبو داود، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جدّه، قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابي، فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس، وضاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلك الأنعام فاستسق الله لنا، فإننا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك.

١ . سير أعلام النبلاء: ٩٥/٣ برقم ١٨ .

٢ . المسند الجامع: ٤٦١/٤ برقم ٨٥ .

٣ . سنن أبي داود: ٢٣٢/٤ برقم ٥١٢١ .

قال رسول الله ﷺ : ويحك، أتدري ما تقول؟ وسبح رسول الله ﷺ ، فما زال يسبح حتى عُرفَ ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: ويحك، انه لا يستشفع بالله، على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟ إنَّ عرشه على سماواته هكذا - و قال بأصابعه: مثل القبَّة عليه، و إنَّه ليئط به أطيظ الرجل بالراكب. ^(١)

قال الطيبي في عون المعبود:

١. «لهكذا» بفتح اللام الابتدائية دخلت على خبر «إنَّ» تأكيداً للحكم.
 ٢. «قال بأصابعه» أي أشار بها.
 ٣. «مثل القبَّة عليه» قال القاري: حال من العرش أي مماثلاً لها على ما في جوفها. قال الطيبي: هو حال من المشار به، و«في قال» معنى الإشارة، أي أشار بأصابعه إلى مشابهة هذه الهيئة وهي الهيئة الحاصلة للأصابع الموضوعة على الكف، مثل حالة الإشارة.
 ٤. و«انه» أي العرش.
 ٥. «ليئطُ» بكسر الهمزة وتشديد المهملة أي يُصوِّت.
 ٦. «به» أي بالله تعالى.
 ٧. «أطيظ الرجل» أي كصوته، والرجل كور الناقة.
 ٨. «بالراكب» أي الثقيل.
- وفي النهاية: أي انالعرش ليعجز عن حمله وعظمته، إذ كان معلوماً ان

١ . سنن أبي داود: ٢٣٢/٤ برقم ٤٧٢٦.

أطيح الرجل بالراكب إنّما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتمالها. ^(١) ووصفه سبحانه بهذا النحو لأجل افهام الأعرابي بأنّه من له هذه العظمة لا يكون شفيحاً، لدى الغير. هذا هو مفاد الحديث وهو كما ترى نص في التجسيم وذلك: أولاً: أثبت لله مكاناً، وهو العرش وأخلى العالم كلّه من وجوده المحيط القيوم. ثانياً: أثبت أنّ الله مماس للعرش مماسّة الراكب بالرحل. ثالثاً: أثبت له الثقل الذي هو من خصائص المادة، وإنّ العرش يعنّ من حملة، كما يعنّ الرجل من ثقل الراكب.

هذا هو التجسيم الواضح الذي عليه اليهود و الوثنيون . تعالى عن ذلك علواً كبيراً. وقد انقسم المحدثون وغيرهم في تفسير هذه الرواية ونظائرها التي يعبر عنها في علم الكلام بالصفات الخبريّة إلى طوائف. الأولى: المشبهة: وهم الذين يجرون هذه الصفات على الله سبحانه بنفس المعاني المرتكزة في أذهان الناس دون أيّ تصرف، ولذلك قالوا: إنّ لله يدين ورجلين وعينين مثل الإنسان. ويعرفهم الشهرستاني في ملله و نحلّه بقوله: أمّا ما ورد في التنزيل من الاستواء، والوجه واليدين والجنب، والمجيء والإتيان والفوقية وغير ذلك فأجروها على ظاهرها، أعني ما يفهم عند إطلاق هذه الألفاظ على الأجسام، وكذلك ما ورد في الأخبار من الصورة وغيرها في

١ . عون المعبود في شرح سنن أبي داود: ١٣/١٤.

قوله عليه الصلاة والسلام: «خلق آدم على صورة الرحمن» و قوله: «حتى يضع الجبار قدمه في النار» و قوله: «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» وقوله: «حَمَّرَ طِينَةَ آدَمَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا» وقوله: «وضع يده أو كفه على كتفي» وقوله: «حتى وجدتُ بردَ أنامله على كتفي» إلى غير ذلك، أجروها على ما يتعارف في صفات الأجسام، وزادوا في الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي ﷺ، وأكثرها مقتبسة من اليهود، فإن التشبيه فيهم طباع، حتى قالوا: اشتكت عيناه (الله) فعادته الملائكة، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه، و أنّ العرش ليئط من تحته كاطيط الرجل الجديد، و أنّه ليفضل من كلّ جانب، أربع أصابع، وروى المشبهة عن النبي ﷺ «لقيني ريّ فصافحي وكافحي ووضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله». (١)

ولا أظن لمسلم أن يعتنق التشبيه والتجسيم فأنه كفر وضاح مخالف للذكر الحكيم، لأنّه سبحانه ليس كمثله شيء.

الثانية: المفوضة: وهم طائفة من الأشاعرة اختاروا مسلك التفويض، وحاصله: الإيمان بكلّ ما جاء من القرآن والسنة من الصفات التي وصف الله سبحانه نفسه بها إجمالاً، وتفويض ما يراد منها إليه، وربما يظهر ذلك من الرازي، حيث يقول: إنّ هذه المتشابهات يجب القطع بأنّ مراد الله منها غير ظاهري، كما يجب تفويض معناها إلى الله ولا يجوز الخوض في تفسيرها. (٢)

يلاحظ عليه: أنّ معنى التفويض تعطيل العقول عن التفكير في المعارف والأصول، فكأنّ القرآن الغاز نزلت على قلب النبيوليس كتاب هداية وتعليم وإرشاد، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل / ٨٩) فإذا كان

١ . الملل والنحل: ١/١٠٥ - ١٠٦.

٢ . أساس التقديم، ص ٢٢٣ كما في علاقة الاثبات، ص ١٠٢.

تبيانا لكلشيء، فلماذا لا يكون تبيانا لنفسه أيضاً؟
وكيف يكون الواجب، الاعتقاد من دون فهم معناه؟ وما فائدة ذلك الاعتقاد إذا لم يعلم واقع
المعتقد ومفهومه؟

ومذهب التفويض يلزم ترك البحث في قسم من الآيات الواردة في القرآن الكريم فكأنها وردت
للقراءة والتلاوة لا للفهم والدراية ولا للتدبر والتفكير.

قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (مُحَمَّد/ ٢٤).

الثالثة: المثبتة للصفات بلا تكيف: أنّ هذه الطائفة تجري الصفات الخبرية على الله سبحانه
بالمعنى المتبادر منها، لكن مع التنزيه عن التشبيه والتجنب عن التكيف.

قال الإمام الأشعري في الإبانة: «وإنّ الله استوى على عرشه»، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى
الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١) إنّ له وجهاً بلا كيف، كما قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٢)
وإنّ له يدين بلا كيف، كما قال: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾^(٣) وكما قال: ﴿بَلِيدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(٤)
وإنّ له عيناً بلا كيف، كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾^(٥).

يلاحظ عليه: أنّ هذا المذهب جمع بين الضدين أو النقيضين، فمن جانب يحاول أن يجري
الصفات بالمعنى المتبادر منها في العرف، ومن جانب آخر ينفي الكيفية، ومن المعلوم أنّ الجمع
بينهما جمع بين الوجود والعدم، و ذلك لأنّ واقع اليد بالمعنى العرفي و هكذا العين بالمعنى اللغوي،
يتقوم بالكيفية فنفيها في مورده سبحانه نفي لهذه الصفات بمعانيها العرفية، فكيف يُثبتها بما لها من
المعاني العرفية مع نفي الكيفية، لآلئد مثلاً حقيقة في اليد بما لها من

١ . طه: ٥ .

٢ . الرحمن: ٢٧ .

٣ . ص: ٧٥ .

٤ . المائدة: ٦٤ .

٥ . القمر: ١٤ .

الكيفية فنفي الكيفية في الحقيقة نفي للأمر المقوم بما لها من المفهوم العرفي.
وبعبارة أخرى إنّ إجراء هذه الصفات على الله سبحانه بنفس معانيها العرفية لا ينفك عن
إثبات الكيفية والسمات البشرية لها، لأنّ المفروض أنّها وضعت لمعان بكيفيات خاصة، فإثبات
العين بالمعنى العرفي، و نفي الكيفية إثبات للشيء حين نفيه، و بذلك يظهر أنّ عقيدة الأشعري
أعني الإثبات بلا كيف يلازم التعقيد و الإبهام في العقيدة.

ولو صحّ إثبات هذه المعاني على الله بقيد نفي كيف، فليصح أن يقال: إنّ الله جسم لا
كالأجسام، عرض لا كسائر الأعراض.
وبطلانه من الواضح بمكان.

الرابعة: المؤولة

المراد من المؤولة من يحملون هذه الصفات على المعاني الكنائية، مثلاً يفسرون اليد بالنعمة،
والقدرة، والاستواء على العرش بالاستيلاء، وإظهار القدرة، وهؤلاء هم المعتزلة، وربما يوجد بين
المحدثين من يعتقد بذلك.

قال الخطابي في تفسير الحديث الذي نحن بصدده:

هذا الكلام إذا أُجري على ظاهره كان فيه نوع من الكيفية، والكيفية عن الله تعالى وعن
صفاته منفية، فعُقل ليس المراد منه تحقيق هذه الصفة ولا تحديده على هذه الهيئة، وإنّما هو كلام
تقريب أريد به تقرير عظمة الله وجلاله جلّ جلاله، وإنّما قصد به افهام السائل بقدر فهمه إذ كان
أعرابياً جلفاً لا علم له بمعاني ما دق من الكلام و ما لطف منه عن إدراك الافهام. ^(١)

١ . عون المعبود: ١٣/١٥.

أقول: إذا أريد من التأويل: هو صرف ظاهر القرآن والسنة عن معناه الجُملي والمضمون التصديقي لأجل كونه مخالفاً للعقل، فهو أمر غير صحيح وذلك لأنّ الكتاب العزيز والسنة الصحيحة منزّهان عمّا يخالف صريح العقل ولا أظنّ أنّ مسلماً واعياً يتفوه بذلك. فالتأويل بغية رفع التعارض بين العقل و النقل، أمر مرفوض لامتناع وجود التعارض بين النقل القطعي والعقل الصريح حتى نعالجه بالتأويل، فأحد الأمرين باطل، أمّا النقل، وأمّا العقل.

وأما إذا أريد من التأويل: هو صرف الكلام عن معناه التصوري والمضمون الابتدائي والتأكد من معناه التصديقي والجُملي، فهذا أمر معقول جدّاً عملاً بما دعا إليه القرآن الكريم بالتدبّر في آياته وليس هذا تأويلاً في الحقيقة.

وعليه فتفسير آية الاستواء واليد والعين بما ذكر في الكلام السابق إنّما هو تأويل بالنسبة إلى الظهور الابتدائي الإفرادي لكلّ من العين و اليد و الاستواء، بأفرادها. وأمّا بالنسبة إلى الظهور التصديقي والمضمون الجملي لهذه الآيات فليس تأويلاً، وإنّما هو حمل على المعنى العربي لا على خلافه.

مثلاً قولنا: زيد كثير الرماد، له ظهور تصوري وهو أنّ لزيد رماداً كثيراً وظهور تصديقي وهو أنّه جواد، فلو صحّ التأويل فإنّما هو بالنسبة إلى المعنى الإفرادي لكلّ من لفظي الرماد و الكثير وأمّا بالنسبة إلى المعنى الجملي فليس تأويلاً بل من قبيل حمل اللفظ على ظاهره.

وهذا هو الحقّ القراح في تفسير الصفات الخيرية الواردة في القرآن الكريم، وإنّه يجب على المفسر التفتيش عن الظهور الابتدائي أو الإفرادي، ثمّ الظهور النهائي و الجُملي، بالامعان في القرائن الموجودة في نفس الآيات أمّا قبلها أو بعدها، فتفسيرها اعتماداً عليها، ليس تأويلاً، ولو أطلق عليه فإنّما هو

باعتبار ظهوره البدائي لا النهائي. نعم ما ذكرنا إنّما يتمشّي في آيات الذكر الحكيم لا في مثل الرواية فإنّه نصّ في التجسيم غير قابل للتأويل المقبول عند العقلاء، وإنّما يصلح الكلام له إذا كان المعنى الثاني ملازماً للمعنى الأوّل في نظر العرف كالجود في كثير الرماد، والمراقبة في العين، والتدبير في الاستواء على العرش، لا في مثل الرواية فهي ساقطة من رأس.

والعجب أنّ القوم طرّقوا في تفسير الرواية كلّ باب ولم يطرّقوا باب القرآن والعقل. وهذا هو مصنّف عون المعبود قد بسط الكلام في نقل الحديث واسناده وما ذكره المحدثون حول سنده فانتهى إلى تسويد عشرين صفحة في هذا المورد وغفل عن أنّ مفتاح حلّ تلك المعضلة بيد القرآن والعقل، لا في الرجوع إلى كلمات المحدثين ولا المناقشة في الاسناد. ثمّ إنّ البيهقي - من الأشاعرة التي تميل إلى التنزيه - ناقش في سند الحديث، وقال: هذا حديث ينفرد به مُحمّد بن إسحاق بن يسار، عن يعقوب بن عتبة. وصاحبها الصحيح لم يحتجأ به، وإنّما استشهد مسلم بن الحجاج بمحمد بن إسحاق في أحاديث معدودة اظنهنّ خمسة قد رواهنّ غيره إلى آخر ما ذكر. ^(١)

٢. نزول الله في كلّيلة إلى السماء الدنيا

أخرج أحمد في مسنده، عن نافع بن جبير، عن أبيه، عن النبيّ قال: ينزل الله عزّ وجلّ في كلّيلة إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من سائل فأعطيّه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر. ^(٢)

١. عون المعبود: ٩/١٣، ولاحظ الأسماء و الصفات للبيهقي.

٢. مسند أحمد: ٤/٨١.

ويكفي في كون الحديث مندرجاً في الأحاديث الإسلامية أنه يثبت النقلة والحركة لله تبارك و تعالى أولاً، كما يثبت له مكاناً ثابتاً مستقراً فيه ثانياً، ونداءً ثالثاً.

و من الواضح أنّ كلّ ذلك من صفات الممكن لا الواجب، فليس له سبحانه مكان خاص حتى ينتقل منه إلى السماء الدنيا وليس له صوت و نداء، ومع غض النظر عن ذلك، فما هي فائدة هذا النزول إلى السماء الدنيا؟ إذ في وسعه أن يغفر لكلّ المستغفرين من دون أن يتحمل أعباء الحركة. وما فائدة هذا النداء الذي لا يسمعه أحد من العباد؟

كلّ ذلك يجعل الحديث في عداد الموضوعات التي تسرّبت إلى الأحاديث الإسلامية.

نعم ربّما يوول الحديث بأنّه كناية عن نزول رحمته في الليل إلى طلوع الفجر، ولكنه تأويل باطل لا يصار إليه بلا قرينة، فإنّ الكناية بلفظ عن معنى إنّما يصحّ إذا كانت بين المعنيين ملازمة عرفية، بحيث ينتقل العرف من المعنى الأوّل إلى المعنى الثاني كقولنا: زيد طويل النجاد، الملازم لكونه شجاعاً، لا ما إذا لم يكن كذلك، فلا يكتفى بالنزول إلى السماء الدنيا، عن نزول رحمته ولم يلتزم القائل بهذا المعنى إلّا لرفع التعارض بين النقل و العقل.

وللامام الطاهر موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام كلام حول هذه الرواية: روى يعقوب بن جعفر الجعفري عنه عليه السلام قال: ذكر عنده قوم يزعمون أنّ الله تبارك و تعالى ينزل إلى السماء الدنّيا، فقال: إنّ الله تبارك و تعالى لا ينزل، ولا يحتاج إلى أن ينزل، إنّما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتاج بل يحتاج إليه، وهو ذو الطول، لا إله إلّا هو العزيز الحكيم، أمّا قول الواصفين: إنّ الله تبارك و تعالى ينزل فإتّما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة، وكلّ متحرك محتاج إلى من يحركه أو

يتحرك به، فظن بالله الظنون فهلك، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حدِّ تحدّوه بنقص أو زيادة أو تحرك أو زوال أو نهوض أو قعود، فإنّ الله جلّ عن صفة الواصفين و نعت الناعتين وتوهم المتوهمين، وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين.^(١)

١ . الصدوق، التوحيد، ١٨٣، باب نفي المكان برقم ١٨ .

٢٢- سمرة بن جندب

(... - ٥٩هـ -)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. الميت يعذب بالنياحة عليه.

٢. لا عبرة بأذان بلال.

٣. خلق المرأة من ضلع.

٤. جواز حلب الماشية بغير إذن أصحابها.

٥. الإذن في شرب النبيذ بعد ما نهي عنه.

٦. الدجال يبرئ الأكمه و الأبرص.

٧. وحي الشيطان إلى حواء.

هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري.

يعرفه الذهبي في تاريخه و يقول: له صحبة و رواية و شرف، ولي إمرة الكوفة و البصرة خلافة

لزياد، و كان شديداً على الخوارج وقتل منهم جماعة، فكان الحسن وابن سيرين يثنيان عليه. ^(١)

وقال أيضاً في سير اعلام النبلاء: أنه من علماء الصحابة، نزل البصرة، له أحاديث صالحة،

روى عنه: ابنه سليمان، والحسن البصري، وابن سيرين، وجماعة.

١ . الذهبي: تاريخ الإسلام، في الجزء المختص بحوادث عهد معاوية، ص ٢٣١.

هذا ما يذكره الذهبي في بدء ترجمته و يصرّح بأنّه من علماء الصحابة، والصحابة عنده كلّهم عدول، و لكنّه يذكر في حقّه ما يدلّ على فسقه حيث يقول: عن أنس بن حكيم، قال: كنت أمرّ بالمدينة فألقى أبا هريرة فلا يبدأ بشيء حتى يسألني عن سمرة، فإذا أخبرته بحياته فرح، فقال: إنّنا كنّا عشرة في بيت فنظر رسول الله ﷺ في وجوهنا ثمّ قال: «آخركم موتاً في النار» فقد مات منّا ثمانية فليس شيء أحبّ إليّ من الموت».

وروي أيضاً عن أوس بن خالد قال: كنت إذا قدمت على أبي محذورة سألني عن سمرة، وإذا قدمت على سمرة سألني عن أبي محذورة، فقلت لأبي محذورة في ذلك، فقال: إنّني كنت أنا و هو وأبو هريرة في بيت فجاء النبي ﷺ فقال: آخركم موتاً في النار، فمات أبو هريرة ثمّ مات أبو محذورة.

وروي عن ابن طاووس وغيره قال النبي لأبي هريرة وسمرة بن جندب وآخر: «آخركم موتاً في النار» فمات الرجل قبلهما، فكان إذا أراد الرجل أن يُغيض أبا هريرة، يقول: مات سمرة، فيُغشى عليه ويصعق، فمات قبل سمرة.

ثمّ قال: وقتل سمرة بشراً كثيراً. ونقل عن عامر بن أبي عامر، قال: كنّا في مجلس يونس بن عبيد فقالوا: ما في الأرض بقعة نشفت من الدم مثل ما نشفت هذه - يعنون دار الأمانة - فقتل بها سبعون ألفاً فسألت يونس، فقال: نعم من بين قتيل و قطع، قيل من فعل ذلك؟ فقال: «زياد و ابنه وسمرة».

ثمّ نقل عن أبي بكر البيهقي أنّه قال: نرجو له بصحبته. (١)

وذكر ابن الأثير ما نقلناه عن الذهبي و قال: سكن البصرة و كان زياد يستخلفه عليها إذا صار إلى الكوفة، ويستخلفه على الكوفة إذا صار إلى البصرة فكان يكون في كلّ واحدة منهما ستة أشهر إلى آخر ما ذكر. (٢)

١ . سير أعلام النبلاء: ٣/١٨٣-١٨٥.

٢ . الجزري، أسد الغابة: ٢/٣٥٤.

روى الطبري في حوادث سنة ٥٠، قال: عن مُجَدِّ بن سليم قال: سألت أنس بن سيرين، هل كان سمرة قتل أحداً؟ قال: وهل يحصى من قتله سمرة بن جندب، استخلفه زياد على البصرة، وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس فقال له: هل تخاف أن تكون قد قتلت أحداً بريئاً؟ قال: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت.

وروى أيضاً عن أبي سوار العدوي قال: قتل سمرة من قومي في غداة سبعة وأربعين رجلاً قد جمع القرآن. ^(١)

ونقل ابن أبي الحديد عن أستاذه أبي جعفر أنه قال: و قد روي أنّ معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أنّ هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (البقرة/٢٠٤-٢٠٥).

وإنّ الآية الثانية نزلت في ابن ملجم. وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ (البقرة/٢٠٧) فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل وروى ذلك. ^(٢)

هذه الروايات التي يعضد بعضها بعضاً، تعرب عن عدم صلاحه وفلاحه على خلاف ما ذكره الذهبي، و ذلك لأ مور :

أولاً: إنّ الرجل كان خليفة زياد بن أبيه السقّاح الذي ارتكب جرائم كثيرة

١ . تاريخ الطبري: ١٧٦/٣ .

٢ . ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٧٣/٤ .

في حقّ المسلمين وقتل الأبرياء منهم بلا ذنب اقترفوه، أمثال حجر بن عدي وأصحابه فكيف يكون خليفته رجلاً صالحاً؟!

ولا نريد هاهنا تعريفك بزياد بن عبيد، و يكفي في حقّه أنّه ولد على فراش عُبيد، وكان أبو سفیان قد أتى الطائف قبل ذلك فسكّر وطلب بغياً فواقع سمّية وكانت مزوجة بعبيد فولدت زياداً من جماعة، فلما رآه معاوية استلحقه بأنّه أخوه، وكانت سمّية مولاة للحارث بن كلدة الثقفي طيب العرب.

فهو ابن زانية ولد على فراش عُبيد، وإنّ معاوية ألحقه بأبي سفیان، مع أنّ الرسول ﷺ قال: الولد للفراش وللعاهر الحجر. ^(١)

وكفى في كونه سقاً قول جابر بن زيد: كان زياد أقتل لأهل دينه ممن يخالف هواه من الحجاج، و كان الحجاج أعلم بالقتل.

وقال ابن شوذب: بلغ ابن عمر أنّ زياداً كتب إلى معاوية أنّي قد ضبطت العراق بيمينني، و شمالي فارغة، وسأله أن يولّيه الحجاز، فقال ابن عمر: اللهمّ انك إنّ تجعل في القتل كفارة فموتاً لابن سمّية لا قتلاً.

فخرج في إصبه طاعون، فمات.

وقال الحسن البصري: بلغ الحسن بن علي أنّ زياداً يتتبع شيعة علي بالبصرة فيقتلهم، فدعا عليه.

وروى ابن الكلبي: أنّ زياداً جمع أهل الكوفة ليعرضهم على البراءة من علي، فخرج خارج من القصر فقال: أمّا الأمير فمشغول، فانصرفوا، فإذا الطاعون قد ضربه سنة ثلاث و خمسين ومات علي أثرها. ^(٢)

١ . سير أعلام النبلاء: ٣/٤٩٤ برقم ١١٢.

٢ . تاريخ الإسلام للذهبي، في الجزء المختص بعهد معاوية، ص ٢٠٩.

ثانياً: أنّ سمرة كان سقّاكاً، وقد بلغ سفكه الدماء بمكان أنّه بعد ما قتل ثمانية آلاف من أهل البصرة لما خشى أن يقتل مثلهم أيضاً كما مرّ في حديث أنس ابن سيرين.
وثالثاً: أنّ سمرة ردّ طلب النبي ﷺ وأمره و خالفه حتى أسماه النبي بأنّه رجل مضار ، وإليك الحديث:

أخرج أبو داود عن واصل مولى أبي عيينة قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يحدث عن سمرة، أنّه كانت لسمرة عضد من نخل في حائط رجل من الأنصار، قال: ومع الرجل أهله، قال: فكان سمرة يدخل إلى نخله فيتأذى به ويشق عليه، فطلب إليه أن يبيعه، فأبى، فطلب إليه أن يناقله، فأبى، قال: فهبه له ولك كذا وكذا أمراً رغبة فيه، فأبى، فقال: أنت مضار، فقال رسول الله ﷺ: اذهب فاقلع نخله. (١)

وعلى ضوء ذلك فالرجل فاسق و لم تصدّه صحبته عن اقرار الجرائم والآثام . ولو كان مجرد الصحبة منقذاً، لما كان مصير امرأتي نوح و لوط هو النار كما قال سبحانه: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ نُوحٍ وَامْرَأَةٌ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾.

والعجب أنّه روى عنه أصحاب الصحاح والمسانيد، و مع غض النظر عن مناقشة السند نذكر بعض أحاديثه الرائعة التي لها عقب من أنوار النبوة ثمّنأتي ببعض رواياته السقيمة التي لا تصحّ نسبتها إلى النبي ﷺ لمخالفتها للأصول المسلمة التي أشرنا إليها في مقدمة الكتاب.

١ . سنن أبي داود: ٣/٣١٥ برقم ٣٦٣٦، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

روائع أحاديثه

١. أخرج أبو داود، عن الهياج بن عمران، أن عمران أبق له غلام فجعل الله عليه لئن قدر عليه ليقطعن يده، فأرسلني لأسأل له: فأتيت سمرة بن جندب فسألته، فقال: كان نبي الله ﷺ يحننا على الصدقة و ينهاننا عن المثلة. ^(١)
٢. أخرج الترمذي عن الحسن، عن سمرة بن جندب: أن رسول الله ﷺ قال: أي امرأة زوّجها وليّان، فهي للأول منهما، و من باع بيعاً من رجلين فهو للأول منهما. ^(٢)
٣. أخرج الإمام أحمد، عن الحسن، عن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ قال: البيعان بالخيار ما لم يفترقا. ^(٣)
٤. أخرج الإمام أحمد، عن الحسن، عن سمرة أن رسول الله ﷺ أن يخطب الرجل على خطبة أخيه أو يتتاع على بيعه. ^(٤)
٥. أخرج الإمام أحمد، عن الحسن، عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ «: الرجل أحق بعين ماله إذا وجدته و يتبع البائع من باعه. ^(٥)
٦. أخرج الإمام أحمد، عن الحسن، عن سمرة، عن النبي ﷺ قال: من أحاط حائطاً على أرض فهي له. ^(٦)

١ . سنن أبي داود: ٥٤/٣ برقم ٢٦٦٧؛ مسند أحمد: ٤/٤٢٨.

٢ . سنن الترمذي: ٤١٨/٣ برقم ١١١٠، وأخرجه أبو داود في سننه برقم ٢٠٨٨.

٣ . مسند أحمد: ٥/٢٢.

٤ . مسند أحمد: ٥/١١.

٥ . مسند أحمد: ٥/١٣.

٦ . مسند أحمد: ٥/١٢؛ سنن أبي داود: ١٧٩/٣ برقم ٣٠٧٧.

٧. أخرج أبو داود، عن الحسن، عن سمرة، عن النبي قال: على اليد ما أخذت حتى تؤدي. (١)
٨. أخرج مسلم في صحيحه عن عبد الرحمان بن أبي ليلى، عن سمرة بن جندب أن رسول الله قال: من حدث عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين. (٢)
٩. أخرج ابن ماجه، عن ابن سمرة بن جندب، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: من قتل فله السلب. (٣)
١٠. أخرج ابن ماجه، عن الحسن، عن سمرة بن جندب، قال: قال رسول الله ﷺ: الحسب المال، والكرم التقوى. (٤)
- هذه جملة من أحاديثه التي يؤيد مضمونها الكتاب والسنة و اتفاق المسلمين والعقل الحصيف، استعرضناها في مقابل ما نستعرضه من رواياته السقيمة وما أكثرها ونقتصر على قسم منها.
١. الميت يعذب بالنياحة عليه
- أخرج أحمد، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة، عن النبي ﷺ قال: الميت يعذب بما نوح عليه. (٥)

هذه الرواية رواها غيره أيضاً، و قد سبق منا أنّها تخالف الكتاب العزيز

-
- ١ . سنن أبي داود: ٢٩٦/٣ برقم ٣٥٦١؛ مسند أحمد: ٨/٥.
- ٢ . صحيح مسلم: ٧/١، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكاذبين.
- ٣ . سنن ابن ماجه: ٩٤٧/٢ برقم ٢٨٣٨.
- ٤ . سنن ابن ماجه: ١٤١٠/٢ برقم ٤٢١٩؛ مسند أحمد: ١٠/٥.
- ٥ . مسند أحمد: ١٠/٥.

والعقل الحصيف، وذكرنا أنّ الرواية لم تنقل على وجه صحيح، وذكرنا كلام السيدة عائشة في هذا المضمار وما فيه من الإشكال.

٢. لا عبرة بأذان بلال

أخرج الترمذي، عن سودة بن حنظلة، عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال و لا الفجر المستطيل و لكن الفجر المستطير (١) في الأفق. (٢)
وأخرج أحمد في مسنده، عن سمرة قال: لا يغزّنكم أذان بلال و لا هذا البياض لعمود الصبح حتى يستطير. (٣)

أقول: لولا أنّ الرواية تضمنت حكماً صحيحاً، و هو عدم الاعتداد بعمود الصبح، وإثماً العبرة باعتراض البياض كان في وسع الباحث أن يتردد في صحّة الرواية، ويقول إذا كان النبي ﷺ هو الذي نصب بلالاً للأذان وكان بلال يؤدّن قبل الوقت، فلماذا نصب إنساناً لانهماز عمل غير عارف به؟

أضف إلى ذلك أنّه إذا كان بلال يؤدّن قبل الوقت في أغلب الأحيان على وجه يفسد عبادات الناس و صلواتهم كان على النبي ﷺ إرشاده.

٣. خلق المرأة من ضلع

أخرج أحمد في مسنده، عن عون قال: و حدّثني رجل، قال: سمعت سمرة يخطب على منبر البصرة و هو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ

١ . يريد من المستطير الذي ينتشر ضوءه ويعترض في الأفق ويقابله المستطيل.

٢ . سنن الترمذي: ٨٦/٣ برقم ٧٠٦؛ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٩/٥.

٣ . مسند أحمد: ١٣/٥.

المرأة خلقت من ضلع واثك إن ترد إقامة الضلع تكسرهما فدارها تعش بها. (١)
 إن الحديث - مع إرساله - من الإسرائيليات المندسة في أحاديث المسلمين وهو موجود في
 التوراة المحرف في سفر التكوين. قال: وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم، امرأة واحضرها
 إلى آدم. فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي.... (٢)
 إن مضمون الحديث يخالف القرآن الكريم حيث يرى للمرأة خلقاً مستقلاً ماثلاً مع خلق
 الرجل، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
 زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء/١).
 والمراد من قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي خلق من جنسها زوجها فالذكر و الأنثى من جنس
 واحد و إن كانا يختلفان صنفاً.

ولفظه «من» في «منها» لبيان الجنسية كقولك: خاتم من فضة.

٤. جواز حلب الماشية بغير إذن صاحبها

أخرج أبو داود، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال: إذا أتى
 أحدكم على ماشية فإن كان فيها صاحبها فليستأذنه، فإن أذن له فليحلب وليشرب، فإن لم يكن
 فيها فليصوت ثلاثاً، فإن أجابه فليستأذنه، وإلا فليحلب و ليشرب ولا يحمل. (٣)
 ورواه الترمذي في باب ما جاء في احتلاب المواشي بغير إذن مالِكها، ثم قال: حديث سمرة
 حديث حسن غريب، والعمل على هذا عند بعض أهل

١ . مسند أحمد: ٨٥/٥.

٢ . التوراة، سفر التكوين، الاصحاح الثاني برقم ٢٣-٢٤.

٣ . سنن أبي داود: ٣٩/٣ برقم ٢٤١٩.

العلم، و به يقول أحمد و إسحاق. (١)

ولنا معه وقفة قصيرة وذلك أنّه مخالف لما اتّفق عليه المسلمون من أنّه لا يجوز التصرف في مال الغير دون إذنه، ورووا عن رسول الله ﷺ أنّه قال: لا يَحْلَمال امرئ مسلم إلا يطيب نفس منه. (٢)

وقال الرسول ﷺ في خطبته المعروفة في حجّة الوداع: «إنّ الله قد حرّم عليكم دماءكم و أموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحرمة بلدكم هذا». (٣) و الحديث وإن كان يحتمل أن يكون مخصوصاً للعموم لكن لسان العموم آبي عن التخصيص ولذلك يكون المضمون منكراً غير مطابق للأصول.

٥. الإذن في شرب النبيذ بعدما نُهي عنه

أخرج الإمام أحمد، عن منذر أبي حسان، عن سمرة بن جندب أنّ النبي ﷺ: أذن في النبيذ بعدما نُهي عنه. (٤)

أقول: اجتمعت الأمة الإسلامية على تحريم الخمر، وهي عصير العنب الذي اشتد وأسكر، وأما غيرها المتخذ من الزبيب أو التمر أو الشعير أو الدّرة ففيها اختلاف وتفصيله لا يسع المقام. والذي يمكن أن يقال: إنكّل شراب كان بجنسه مسكراً فهو حرام، سواء صار سبباً للإسكار أو لا، و يدلّ على ذلك ما أخرجه البخاري عن عائشة، قالت:

١ . سنن الترمذي: ٥٩٠/٣ برقم ١٢٩٦.

٢ . مسند أحمد: ٧٢/٥.

٣ . السيرة النبوية لابن هشام: ٢٥٢/٤.

٤ . مسند أحمد: ١٢/٥.

سئل رسول الله ﷺ عن البتع، فقال: كل شراب أسكر فهو حرام. (١)
وفي رواية أخرى عنها: سئل رسول الله عن البتع وهو نبيذ العسل وكان أهل اليمن يشربونه،
فقال رسول الله ﷺ: كل شراب أسكر فهو حرام. (٢)
والمراد من قوله: أسكر، أي ما كان بجنسه مسكراً لا ما يكون مسكراً لنفس الشارب، و إلاّ
يلزم أن يكون حراماً لشخص إذا أسكره و غير حرام لشخص آخر إذا لم يسكره لوجود الاختلاف
في الأمزجة و غيرها.

وعلى ضوء ذلك فما رواه سمرة من نهي النبي ﷺ عن النبيذ ثم تحويزه يجب أن يتوارد المنع
والجواز على موضوع واحد، فلا يخلو إما أن يكون الموضوع هو النبيذ المسكر أو غيره، أما الثاني
فيبعد ورود النهي عليه ثم رفعه، و قد كان أهل المدينة ينبذون تمرّاً في المياه المعدة للشرب في أول
الليل لإذهاب مرّها ثم يشربونها صباحاً، فلا وجه لورود المنع والإباحة على مثله، فينحصر الموضوع
بالمسكر منه، وهذا يعني أنّه ﷺ نهى عنه ثمّ رخص فيه مع أنّه مناف لما رواه البخاري عن
السيدة عائشة أنّه حرم كلّ مسكر.

مضافاً إلى أنّه كيف يمكن للنبي ﷺ أن يرخص ما يزيل العقل ويسكره؟!

وللكلام صلة، فمن أراد فليرجع إلى الخلاف للشيخ الطوسي. (٣)

٦. الدجال يبرئ الأكمه والأبرص

أخرج الإمام أحمد، عن الحسن، عن سمرة بن جندب أنّ نبي الله ﷺ « كان يقول: إنّ
الدجال خارج و هو أعور عين الشمال، عليها

١ . البخاري، الصحيح: ١٠٥/٧، كتاب الأشربة.

٢ . البخاري، الصحيح: ١٠٥/٧، كتاب الأشربة.

٣ . الخلاف: ٤٧٣/٥ - ٤٨٨.

ضفرة غليظة، و أنه يبرى الأكمه و الأبرص ويحيى الموتى، ويقول للناس: أنا ربكم، فمن قال: أنت ربّي فقد فتن، و من قال: ربّي الله حتى يموت فقد عصم من فتنه ولا فتنة بعده عليه ولا عذاب، فيلبث في الأرض ما شاء الله، ثم يجيئ عيسى ابن مريم عليه السلام من قبل المغرب مصداقاً بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملته فيقتل الدجال، ثم إنّما هو قيام الساعة. (١)

أقول: إنّ مضمون الحديث يخالف العقل و النقل.

أما العقل فلاّنه يستقل بقبح منح القدرة الخارجة عن العادة للكذابين الموجب لافتتان الناس، والظاهر من الرواية أعني قوله: «فيلبث في الأرض ما شاء الله» انه يعيش في الأّمة الإسلاميّة سنين متمادية، و يقوم بما يقوم به المسيح من إبراء الأكمه والأبرص و إحياء الموتى، فيضلّ الناس بمعاجزه وكراماته التي أعطهاها الله سبحانه له . هذا من جانب و من جانب آخر أنّ الناس بطبيعتهم مفتونون بمن يصدر عنه المعاجز حيث يجعلون قدرته على أمور خارقة للعادة دليلاً على صدق مدّعاه أعني قوله: «أنا ربكم» فيضلّون واحد بعد آخر، وعندئذٍ فما ذنبهم إذا آمنوا به مع وجود أرضية خصبة للإيمان به؟!

وأما النقل، فإنّه سبحانه يقول: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة/ ٤٤ - ٤٧).

يستدل سبحانه على صدق كلام النبي صلى الله عليه وسلم بأنّه لو تقوّل علينا هذا الرسول (الذي زوّدناه بمعاجز من أهمها القرآن الكريم) و نسب إلينا ما لم نقله لانتقمنا منه بشدة وقتلناه، فما منكم من أحد عنه حاجزين، و ما ذلك إلّا لأنّ تسليط الإنسان الكاذب المفترى، على قوّة خارقة يوجب افتتان الناس به، و يصير سبباً لإضلالهم، فمقتضى حكمته أن لا يمهل بل يأخذه باليمين.

١ . مسند أحمد: ١٣/٥ .

وعلى ضوء ذلك فالدجال إذا قام بما يقوم به المسيح عليه السلام من الإبراء والإحياء مع تقوله بأنه «رَبِّكُمْ» يكون ذلك سبباً لإضلال الناس، فمقتضى الحكمة عدم تزويده بهذه القدرة منذ أول الأمر إذا كان متقوِّلاً به، أو عدم إمهاله إذا صار سبباً لإضلالهم.

٧. وحي الشيطان إلى حواء

أخرج الترمذي، عن الحسن، عن سمرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سمّيه عبد الحارث، فسَمّته بعبد الحارث، فعاش ذلك، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره. ^(١)

وثمة تساؤلات:

أولاً: أنه سبحانه يصف إبليس بأنه عدو لآدم و زوجته، يقول سبحانه: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِرِزْقِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (طه/١١٧). ومع ذلك كيف أسدى لها النصح، وقال: لها سمّيه عبد الحارث فسَمّته به، فصار سبباً لحياته، وهذا أشبه بكلام الناصح لا العدو؟! العدو؟!!

ثانياً: أنّ معنى الحديث أنّ تسمية حواء ابنها بعبد الحارث - الذي فيه شائبة الشرك والوثنية- كانت مؤثرة في بقاء طفلها، وهل يصح ذلك؟ إذ معناه أنّ التسمية لو تغيرت إلى عبد الله لما أثمر في بقاء الطفل.

ثالثاً: لم يذكر في التاريخ أبداً أنّه كان لحواء ابن اسمه عبد الحارث، سوى ولدين ذكرين: قابيل و هابيل، فمن أين هذا الولد مع اسمه؟!!

١ . سنن الترمذي: ٢٦٧/٥ برقم ٣٠٧٧؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده: ١١/٥.

٢٣ - عبد الله بن مُغفَل المزني

(... - ٦٠هـ -)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. المرأة والكلب والحمار تقطع الصلاة

٢. ترك البسملة في الصلاة

ابن عبد نهم بن عفيف المزني، يكتب أبا سعيد وقيل أبا عبد الرحمان. سكن المدينة ثم البصرة، وله عدة أحاديث.

حدّث عنه: الحسن البصري، ومطرف بن الشَّحِير، وابن بريدة، وسعيد بن جبير، ومعاوية بن قرة، وحميد بن هلال، وثابت البناني، وغيرهم.

وكان أبوه من الصحابة، فتوفي عام الفتح في الطريق.

وكان أحد العشرة الذين بعثهم عمر إلى البصرة يفتقهن الناس، وهو أوّل من دخل من باب مدينة «تستر» لما فتحها المسلمون.

توفي عبد الله بن مغفل بالبصرة سنة ستين للهجرة أيام أمانة ابن زياد بالبصرة، وصلى عليه أبو برزة الأسلمي بوصية منه. ^(١)

١ . أسد الغابة: ٢٦٤/٣؛ سير أعلام النبلاء: ٤٨٣/٢ برقم ٩٩.

وهو من المقلّين في الرواية، وقد أُحصيت رواياته في المسند الجامع فبلغت ٢٦. (١)
من روائع رواياته:

١. أخرج مسلم في صحيحه، عن مطرف، عن عبد الله بن مغفل، قال:
أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، قال: ما باهم وبال الكلاب، قال: ورخص في كلب
الصيد وكنب الغنم، وقال: إذا ولغ الكلب في الإناء فاغسلوه سبعة مرات وعقروا الثامنة بالتراب. (٢)

٢. أخرج أبو داود، عن الحسن، عن عبد الله بن مغفل، عن النبي ﷺ، قال:

إنّ الله رفيق يحب الرفق و يرضاه، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف. (٣)
وقد عزّي إليه بعض مالا يصلح، نذكر منها ما يلي:

١. المرأة والكلب والحمار تقطع الصلاة:

أخرج ابن ماجة، عن الحسن، عن عبد الله بن مغفل، عن النبي ﷺ، قال:

«يقطع الصلاة المرأة والكلب والحمار». (٤)

إنّ التتبع في الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ يرشدنا إلى ظاهرة «الخط من شأن المرأة»

فتارة تعرّف المرأة بأنّها مما يتطير بها،

١ . المسند الجامع: ١٢/ ٢٥٠ برقم ٣٩٨.

٢ . صحيح مسلم: ١/ ١٦٢، باب حكم ولوغ الكلب.

٣ . سنن أبي داود: ٤/ ٢٥٤ برقم ٤٨٠٧.

٤ . سنن ابن ماجة: ١/ ٣٠٦ برقم ٩٥١.

فقد روي عن سعد بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال: و إن تكن الطيرة في شيء ففي الفرس و المرأة والدار. (١)

وأخرى بمنعها من التصرف في مالها، فروى أبو داود في سننه، عن عمرو ابن شعيب، عن جده أنّ رسول الله ﷺ قال: لا يجوز لامرأة أمر في مالها، إذا ملك زوجها عصمتها. (٢)

وثالثة بكونها ممنوعة التصرف في ما لها بالعطية، كما جاء في رواية أخرى أنّ رسول الله ﷺ قال: لا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها. (٣)

ورابعة بأنّها أكثر أهل النار، أخرج الإمام أحمد، عن عبد الله بن مسعود، أنّ رسول الله ﷺ قال: تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكنّ فانكنّ أكثر أهل النار. (٤)

وخامسة بأنّها تشارك الكلب والحمار في قطع الصلاة أثناء المرور بين يدي المصلي كما في هذه الرواية.

وأيّن هذا من قول النبي ﷺ: «حبّ إليّ من الدنيا: النساء والطيب وجعل قرّة عيني في الصلاة»؟ (٥)

وتتكرس ظاهرة الخط من شأن المرأة أكثر إذا علمنا أنّ بعض الروايات تجوّز قتال المارّ بين يدي المصلي.

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري، أنّ رسول الله ﷺ قال: إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحداً يمر بين يديه،

١ . سنن أبي داود: ١٩/٣ برقم ٣٩٢١.

٢ . سنن أبي داود: ٢٩٢/٣ برقم ٣٥٤٦.

٣ . نفس المصدر: برقم ٣٥٤٧.

٤ . مسند أحمد: ١/٣٧٤.

٥ . مسند أحمد: ٣/١٢٨.

وليدراًه ما استطاع، فإن أبي فليقاتله فإنما هو شيطان. (١)

وعلى ذلك فيجوز قتل المرأة بلا محاباة كقتل الكلب و الحمار.

كلّ ذلك يجعل الرواية من الموضوعات المندسة في الروايات الإسلامية، وقد أوضحنا مفاد المنع من عبور المار بين يدي المصلّي عند دراسة روايات أبي سعيد الخدري، فلاحظ.

٢. ترك البسمة في الصلاة

أخرج أحمد في مسنده، عن ابن عبد الله بن مغفل يزيد بن عبد الله، قال:

سمعتني أبي وأنا أقول: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: أي بني إياك، قال: ولم أر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كان أبغض إليه حدثاً في الإسلام منه، فإني قد صليت مع رسول الله ﷺ ومع أبي بكر و عمر و مع عثمان، فلم أسمع أحداً منهم يقولها، فلا تقلها، إذا أنت قرأت فقل: «الحمد لله رب العالمين». (٢)

والرواية لا تخلو من إشكالات:

الأول: أنّها تخالف الذكر الحكيم، يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ

الْعَظِيمَ﴾ (الحجر/٨٧).

والمراد من السبع المثاني هو فاتحة الكتاب، وآياته سبع إذا عُذت بالبسمة آية مستقلة وإلا تعود

ست، قال سبحانه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ * غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

١ . صحيح مسلم: ٥٧/٢، باب منع المار بين يدي المصلي، من كتاب الصلاة.

٢ . مسند أحمد: ٨٥/٤.

الثاني: أنه يخالف ما روي عن أنس بن مالك، قال: صَلَّى معاوية بالمدينة صلاة، فجهر فيها بالقراءة، فقرأ فيها بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِأُمِّ الْقُرْآنِ، ولم يقرأ بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ للسورة التي بعدها حتى قضى تلك القراءة، فلما سلّم، ناداه من سمع ذلك من المهاجرين والأنصار من كل مكان يا معاوية أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فلما صَلَّى بعد ذلك قرأ بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ للسورة التي بعد أمّ القرآن. (١)

وأخرجه غير واحد من أصحاب المسانيد كالإمام الشافعي في مسنده. (٢)
وَرُوِيَ أَيْضاً عَنْ أَنَسٍ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَجْهَرُ بِالصَّلَاةِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. (٣)

وهناك روايات تدل على أنّ البسملة جزء من الفاتحة.

١. ما أخرجه الحاكم، عن ابن جريج، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي) قال: فاتحة الكتاب، ثم قال: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وقرأ السورة، قال ابن جريج: فقلت لأبي: لقد أخبرك سعيد عن ابن عباس أنّه قال: بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ آية؟ قال: نعم.

وقد أخرجه الحاكم في المستدرک وصححه، كما أورده الذهبي في تلخيصه وصححه. (٤)

٢. ما صحّ عن ابن عباس أيضاً، قال: إنّ النبي ﷺ كان إذا جاء جبرائيل فقرأ بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ علم أنّها سورة.

١ . الحاكم، المستدرک: ١/٢٣٣.

٢ . لاحظ مسند الشافعي: ٤٧.

٣ . الحاكم، المستدرک: ١/٢٣٣، وقال: رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات.

٤ . المستدرک: ٢/٢٥٧، تفسير سورة الفاتحة.

- وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. (١)
٣. ما صحَّ عن ابن عباس أيضاً، قال: كان النبي ﷺ لا يعلم ختم السورة حتى نزل بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وقد صرح الحاكم والذهبي في تلخيص المستدرك بصحته. (٢)
٤. ما صحَّ عنه أيضاً قال: كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة، حتى تنزل: بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فإذا نزلت بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ علموا أنّ السورة قد انقضت. (٣)
- قال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وقد أقرّه الذهبي في تلخيصه.
٥. ما صحَّ عن أم سلمة، قالت: كان النبي ﷺ يقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقطعها حرفاً حرفاً (٤) وقد صرح بصحّته على شرط الشيخين.
٦. وعن أم سلمة أيضاً من طريق آخر قالت: إنّ رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فعدّها آية، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ آيتين، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثلاث آيات، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أربع آيات، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وجمع خمس أصابعه. (٥)
٧. ما صحَّ عن نعيم المجرم، قال: كنت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ثمّ قرأ بأمّ القرآن حتى بلغ (ولا الضّالّين) قال: آمين، وقال الناس: آمين ... ويقول إذا سلم: والذي نفسي بيده إنّّي لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ. (٦)
٨. وعن أبي هريرة أيضاً، قال: كان رسول الله يجهر في الصلاة بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. (٧)

١ . المستدرك: ١/٢٣١.

٢ . المستدرك: ١/٢٣١.

٣ . المستدرك: ١/٢٣٢.

٤ . المستدرك: ١/٢٣٢.

٥ . المستدرك: ١/٢٣٢.

٦ . المستدرك: ١/٢٣٢.

٧ . المستدرك: ١/٢٣٢-٢٣٣.

٩. ما صحَّ عن أنس من طريق آخر، قال: سمعت رسول الله يجهر في الصلاة بيسم الله الرحمن الرحيم. (١)

١٠. ما صحَّ عن مُجَدِّ بن السري العسقلاني، قال: صليت خلف المعتمر ابن سليمان ما لا أُحصي، صلاة الصبح و المغرب فكان يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها و سمعت المعتمر ، يقول: ما آلو أن اقتدي بصلاة أبي، وقال أبي: ما آلو أن اقتدي بصلاة أنس بن مالك، و قال أنس: ما آلو أن اقتدي بصلاة رسول الله . (٢)

هذه عشرة كاملة من الروايات الدالة على أنّ البسملة جزء من أمّ الكتاب، بل من سائر السور أيضاً، وقد نقلها الحاكم أبو عبد الله في المستدرك.

وقد نقل الرازي في تفسيره الكبير أنّ البيهقي روى الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم في سننه عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن عمر، و ابن الزبير، ثمّ قال الرازي ما هذا لفظه:
وأما أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام كان يجهر بالبسملة فقد ثبت بالتواتر، و من اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، قال والدليل عليه: قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «اللهم أدر الحق معه حيث دار». (٣)

ثمّ إنّّه أورد حجج المخالفين و قال: والجواب عنها من وجوه:
الأوّل: قال الشيخ أبو حامد الاسفرايني: روى عن أنس في هذا الباب ست روايات:
أما الحنفية، فقد رووا عنه ثلاث روايات:
إحداها: قوله: صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخلف أبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا يستفتحون الصلاة بالحمد لله ربّ العالمين.

١ . المستدرك: ١/٢٣٣، باب الحمد بالبسملة.

٢ . المستدرك: ١/٢٣٤.

٣ . الرازي، مفاتيح الغيب: ١/٢٠٥.

وثانيتها قوله : إنهم ما كانوا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم.

وثالثتها قوله: لم أسمع أحداً منهم قال: بسم الله الرحمن الرحيم.

فهذه الروايات الثلاث تقوي قول الحنفية - قال - : وثلاث أخرى تناقض قولهم.

إحداها: ذكر أنّ أنساً روى أنّ معاوية لما ترك بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة أنكر عليه المهاجرون والأنصار، و قد بينا أنّ هذا يدل على أنّ الجهر بالبسملة كان كالأمر المتواتر عندهم المسلم فيما بينهم.

وثانيتها: روى أبو قلابة عن أنس أنّ رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يجهرون بسم الله الرحمن الرحيم.

وثالثتها: أنّه سئل عن الجهر بسم الله الرحمن الرحيم والاسرار به فقال: لا أدري هذه المسألة - قال - : فثبت أنّ الرواية عن أنس في هذه المسألة قد عظم فيها الخبط والاضطراب فبقيت متعارضة فوجب الرجوع إلى سائر الدلائل .^(١)

وأيضاً ففيها تهمة أخرى، وهي أنّ عليّاً ؑ كان يبالي في الجهر بالتسمية، فلما تسلم بنو أمية زمام الحكم بالغوا في المنع من الجهر بها سعياً في إبطال آثار عليّ ؑ - قال - : فلعل أنس خاف منهم، ولهذا السبب اضطربت أقواله - ونحن مهما شككنا في شيء فلا نشك في أنّه إذا وقع التعارض بين قول أمثال أنس و ابن المغفل و بين قول علي بن أبي طالب « ؑ » الذي بقي عليه طول عمره فإنّ الأخذ بقول عليّ أولى (قال) فهذا جواب قاطع في المسألة إلى أن قال: و من اتخذ عليّاً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه و نفسه إلى آخر كلامه.^(٢)

وبذلك تعلم قيمة خبر عبد الله بن مغفل، وقد أورده ابن رشد عند التكلم في البسملة ونقل عن ابن عبد البر أنّ ابن مغفل رجل مجهول.^(٣)

١ . إلى هنا انتهى ما نقله عن أبي حامد الاسفرائيني.

٢ . مفاتيح الغيب: ١/٢٠٦ - ٢٠٧، وقد اقتصرنا في نقل أجوبته على وجه واحد.

٣ . بداية المجتهد: ١/١٢٤.

٢٤- بريدة بن الحصيب الأسلمي

(... - ٦٢ أو ٦٣هـ -)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. خمس لا يعلمهن إلا الله

٢. القضاة ثلاثة

٣. الملك لا يدخل بيتاً فيه كلب

٤. غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة

٥. تحرك الجبل والأمر بثباته

٦. ضرب الدف عند رأس الرسول

٧. خير القرون قرني

٨. سبق بلال النبي إلى الجنة

بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن عامر الأسلمي، يُكنى أبا حصيب، و«أسلم» فيمن انزع من بطون خزاعة، قيل: لما هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة فانتهى إلى الغميم أتاه بريدة بن الحصيب فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم هو ومن معه، وكانوا زهاء ثمانين بيتاً، فصلّى رسول الله ﷺ العشاء الآخرة فصلّوا خلفه. وأقام بأرض قومه ثم قدم على رسول اللّٰه بعد أحد فشهد معه مشاهده، وشهد الحديبية، وبيعة الرضوان تحت الشجرة، وكان من ساكني المدينة ثمّ تحوّل إلى البصرة وابتنى بها داراً، ثمّ خرج منها غازياً إلى خراسان فأقام بمرور حتى مات و دفن بها وبقي ولده بها. (١)

١ . طبقات ابن سعد: ٤/٢٤١ - ٢٤٢؛ أسد الغابة: ١/١٧٥.

روى عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: بعث رسول الله علياً إلى خالد بن الوليد ليقبض الخمس، وقال روح مرة ليقبض الخمس، قال: وأصبح علي ورأسه يقطر، قال: فقال خالد لبريدة: ألا ترى إلى ما يصنع هذا؟ قال: فلما رجعتُ إلى النبي ﷺ أخبرته بما صنع عليّ عليه السلام، قال: و كنت أبغض علياً، فقال يا بريدة: أتبغض علياً؟ قال: قلت: نعم، قال: فلا تبغضه، وقال «روح مرة: فأحبه فإن له في الخمس أكثر من ذلك. أخرجه الثلاثة. (١)

أقول: لو صحَّ الحديث فقد استأثر عليّ عليه السلام بما استأثره من باب أنّ خمس الغنائم لله سبحانه وللرسول ولذي القربى وعليّ عليه السلام منهم، فلم يكن استثثاراً بمال المسلمين، فأعظم ذنب اقترفه «بريدة»، هو بغضه لصديق الأمة وأوّل من آمن بالله ورسوله في الأمة وجاهد بنفسه ونفيسه إلى أن لقي الله سبحانه وتعالى في محراب عبادته.

هذا هو الذنب العظيم الذي اقترفه بريدة، لا ما ينقله الذهبي عنه، حيث قال: شهدت خيبر و كنت فيمن صعد الثلثة فقاتلت حتى رُئي مكاني وعليّ ثوب أحمر، فما أعلم أنّي ركبت في الإسلام ذنباً أعظم عليّ منه - أي الشهرة - (٢).

إنّ ما يحكيه الرجل عن مكانه في خيبر لا يعدُّ ذنباً إذا كانت النية صادقة، وأمّا إذا كانت النية غير صادقة فلا يترتب عليها ثواب لا أنّه يعدّ ذنباً، وهذا يكشف عن قلة فهمه للدين آنذاك. وعلى أية حال فقد توفي بريدة سنة ٦٢ أو ٦٣ هـ، و روي لبريدة نحواً من ١٥٠ حديثاً. (٣)

١ . أسد الغابة: ١٧٦/١. و«روح» من رواة الحديث واقع في اسناده.

٢ . سير أعلام النبلاء: ٢/٤٧٠.

٣ . المصدر السابق.

وقد جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت مائة حديث ^(١). وله روايات يحكي سمّوها عن صحّة نسبتها إلى الرسول ﷺ ، وله روايات شاذة عن القواعد الصحيحة، وإليك نزرًا من روائع أحاديثه.

روائع أحاديثه:

١. أخرج ابن ماجة في سننه، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ : العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر. ^(٢)

الظاهر أنّضمير في «بينهم» يرجع إلى العباد بقريضة رواية جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ : بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة، وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ ، قال: ليس بين العبد والشرك إلا ترك الصلاة، فإذا تركها فقد أشرك. ^(٣)

ثم لو كان ترك الصلاة دليلاً على إنكار وجوبها، فالتارك كافر كفر جحود، وأما لو كان الترك، ترك تساهل وتسامح، فالكفر كفر النعمة، مثل قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران/٩٧). فقد فسّر الكفر فيها بكفر النعمة بترك الحج تساهلاً، لا عناداً وإنكاراً.

٢. أخرج أبو داود في سننه، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما ، عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل فأخذهما، فصعد بهما المنبر،

١ . المسند الجامع: ٣/١٨٦-٢٤٦.

٢ . سنن ابن ماجة: ١/٣٤٢ برقم ١٠٧٩.

٣ . المصدر السابق: برقم ١٠٧٨ و١٠٨٠.

ثم قال: صدق الله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ رأيت هذين فلم أصبر. ثم أخذ في الخطبة. (١)

٣. أخرج النسائي في سننه، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: خطب أبو بكر وعمر، فاطمة، فقال رسول الله ﷺ: إنها صغيرة فخطبها عليٌّ فزوجها منه. (٢)

نعم كانت فاطمة عليها السلام صغيرة ومع ذلك كان تزويجها بعليٍّ ثمّة مرجحات وموهلات توّهلها للزواج منه عليه السلام.

٤. أخرج الترمذي في سننه عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: يا عليّ لا تتبع النظرة، النظرة، فإنّ لك الأولى وليست لك الآخرة. (٣)

والخطاب في قوله: لا تتبع من قبيل قوله: إياك أعني و اسمعي يا جارة، قال سبحانه مخاطباً للنبي ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر/٦٥).

٥. أخرج أحمد في مسنده، عن ابن عباس، عن بريدة، قال: غزوت مع عليّ اليمن فرأيت منه جفوة، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت عليّاً فتنقصته، فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير، فقال: يا بريدة أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قلت: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه. (٤)

هذا هو واقع الحديث، وقد لعب البخاري به وذكره بنحو آخر يخلو من الفقرة الأخيرة، أعني قوله: «أأنت أولى...» حيث قال: عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: بعث النبي ﷺ عليّاً إلى خالد ليقبض الخمس،

١ . سنن أبي داود: ٢٩٠/١ برقم ١١٠٩؛ وأخرجه ابن ماجة في سننه: ١١٩٠/٢ برقم ٣٦٠٠.

٢ . سنن النسائي: ٦٢/٦ باب تزوج المرأة مثلها في السن.

٣ . سنن الترمذي: ١٠١/٥ برقم ٢٧٧٧.

٤ . مسند أحمد بن حنبل: ٣٤٧/٥.

وكنت أبغض عليّاً وقد اغتسل، فقلت لخالد: ألا ترى إلى هذا، فلمّا قدمنا على النبيّ صلى الله عليه وآله ذكرت ذلك له، فقال: يا بريدة أتبغض عليّاً، فقلت: نعم، فقال: لا تبغضه فإنّ له في الخمس أكثر من ذلك. ^(١)

٦. أخرج الترمذي عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله أمرني بحبّ أربعة، وأخبرني أنّه يحبّهم، قيل: يا رسول الله سيّمهم لنا، قال: عليّ منهم، يقول ذلك ثلاثاً، وأبو ذرّ، والمقداد وسلمان، أمرني بحبّهم، وأخبرني أنّه يحبّهم. ^(٢)

٧. أخرج أحمد في مسنده، عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له، ثمّ أخذه من الغد فخرج فرجع ولم يفتح له وأصاب الناس يومئذ شدة وجهه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني دافع اللواء غداً إلى رجل يحبّه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح له، فبتنا طيبة أنفسنا أنّ الفتح غداً، فلما ان أصبح رسول الله صلى الغداة، ثمّ قام قائماً فدعا باللواء و الناس على مصافّهم، فدعا عليّاً وهو أرمد فتفل في عينيه، ودفع إليه اللواء وفتح له.

قال بريدة: وأنا فيمن تناول لها. ^(٣)

ولعلّ الفاعل في قوله: «ثمّ أخذه من الغد» هو عمر دون أبي بكر أي أخذ عمر الراية من الغد بشهادة أنّ الإمام أحمد نقله أيضاً عن بريدة في موضع آخر بهذا النحو.
أخرج أحمد في مسنده عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: لما نزل

١ . صحيح البخاري: ١٦٣/٥، باب بعث علي بن أبي طالب و خالد بن الوليد إلى اليمن.

٢ . سنن الترمذي: ٦٣٦/٥ برقم ٣٧١٨؛ وأخرجه ابن ماجة في سننه: ٥٣/١ برقم ١٤٩.

٣ . مسند أحمد بن حنبل: ٣٥٤/٥.

رسول الله ﷺ بحسن أهل خير أعطى رسول الله ﷺ اللواء عمر بن الخطاب ونهض معه من نهض من المسلمين فلقوا أهل خير، فقال رسول الله ﷺ: «لأعطينا اللواء غداً...» (١).
هذه نخبة من روائع أحاديثه تلونها لتكون نموذجاً لما لم نذكر.

نعم عزيت إليه روايات لا تستقيم مع الضوابط و الموازين التي حررناها في صدر الكتاب.

١. خمس لا يعلمهنّ إلا الله

أخرج الإمام أحمد في مسنده، عن عبيد الله بن بريدة، عن أبيه، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خمس لا يعلمهنّ إلا الله، إنّ الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأيّ أرض تموت إنّ الله عليم خير». (٢).

لا شك أنّ النبي ﷺ إذا أخبر بأنّ ثمة أموراً خمسة لا يعلمها إلا الله يحتم علينا القبول لأنّه خير صادق مصدق.

إنّما الكلام إذا حاولنا استخراج هذا الخبر الغيبي من الآية الواردة في آخر سورة لقمان، فالظاهر أنّ الآية لا تدل على الانحصار إلّا في موارد ثلاثة.

أ. علم الساعة: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾.

ب. العلم بما يكسبه الإنسان في غده: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾.

١ . مسند أحمد بن حنبل: ٣٥٨/٥.

٢ . مسند أحمد بن حنبل: ٣٥٣/٥.

ج. العلم بالأرض التي تموت فيها: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ هذه الأمور الثلاثة مما استأثر الله سبحانه علمها لنفسه، وأما الأمران الباقيان فلا دلالة في الآية على الاستئثار. أما الأوّل أعني قوله: ﴿وَيُنزَّلُ الْغَيْثَ﴾ فهو اخبار عن كونه سبحانه منزل الغيث، ولا دلالة في قوله على استئثار علم النزول بنفسه، ويشهد لذلك تغيير الصيغة بين المعطوف عليه و المعطوف.

فالمعطوف عليه جملة اسمية أعني قوله: (عنده علم الساعة). والمعطوف جملة فعلية أعني قوله: (وينزل الغيث) فلو كانت الجملة الثانية هادفة لبيان الانحصار كان الأنسب أن يقول: «ونزول الغيث»، فتكون الآية بالشكل التالي: اتّالله عنده علم الساعة ونزول الغيث.

وأما الثاني: أعني قوله «ويعلم ما في الأرحام» فهو بصدد إثبات العلم لله سبحانه لا بصدد النفي عن غيره، واستفادة النفي منه يحتاج إلى دليل قاطع.

٢. القضية ثلاثة

أخرج الترمذي، عن ابن بريدة، عن أبيه، أنّ النبي ﷺ قال: القضية ثلاثة: قاضيان في النار وقاض في الجنة، رجل قضى بغير الحقّ فعلم ذلك، فذاك في النار، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاض قضى بالحقّ فذلك في الجنة. (١)

والوارد عن أئمة أهل البيت أنّ القضية أربعة:

أخرج الكليني عن أحمد، عن أبيه (٢) رفعه عن أبي عبد الله، قال: القضية

١ . سنن الترمذي: ٦١٣/٣ برقم ١٣٢٢.

٢ . المراد، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ووالده هو محمد بن خالد.

أربعة ثلاثة في النار وواحد في الجنة، رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النار، ^(١) غافاً فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة. ^(٢)

٣. الملك لا يدخل بيتاً فيه كلب

أخرج أحمد في مسنده، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه، قال:

احتبس جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: ما حبسك؟ قال: اتانا لا ندخل بيتاً فيه كلب. ^(٣)

والحديث من دلائل القول باحتباس الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر المفسرون تبعاً لأصحاب الحديث، احتباس الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله سبحانه: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (الضحى/٣) وقد اختلفوا في مدة الاحتباس وسببه اختلافاً كثيراً، يعرب عن كون الحديث منقولاً على غير الوجه الصحيح، أو موضوعاً على لسان النبي ونقل القرطبي ^(٤)

والطبرسي ^(٥) ما نشير إليه من الاختلافات.

أما مدة الاحتباس فقليل: كان اثني عشر يوماً.

قال ابن عباس: خمسة عشر يوماً.

وقيل: خمساً وعشرين يوماً.

١ . وهذا القسم سقط من الحديث النبوي.

٢ . الوسائل: ١٨، الباب الرابع، من أبواب صفات القاضي، الحديث ٦.

٣ . مسند أحمد: ٣٥٣/٥.

٤ . تفسير القرطبي: ٩٢/٢٠-٩٤.

٥ . مجمع البيان: ٧٦٤/١٠.

وقال مقاتل: أربعين يوماً.

فقال المشركون: إنّ محمداً ودّعه ربُّه وقلاه، ولو كان أمره من الله لتاب عليه كما كان يفعل بمن كان قبله من الأنبياء.

وفي البخاري عن جندب بن سفيان، قال: اشتكى رسول الله ﷺ ليّتين أو ثلاث فجاءت امرأة (زوج أبي لهب) فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليّتين أو ثلاث، فأنزل الله عزّوجلّ: ﴿وَالصُّحى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجى * مَا ودَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قلى﴾.

وأما سبب الاحتباس ففيه الأقوال التالية:

١. أنّ جرواً دخل البيت، فدخل تحت السرير فمات، فمكث نبي الله ﷺ أياماً لا ينزل عليه الوحي، فقال: يا خولة ما حدث في بيتي؟ ما لجبرئيل لا يأتيني؟ قالت خولة: فقلت: لو هيأت البيت وكنسته، فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا جرو ميت، فأخذته فألقيته خلف الجدار، فجاء نبي الله ﷺ ترعد لحياه وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة، فقال: يا خولة: دثريني، فأنزل الله هذه السورة، ولما نزل جبرئيل سأله النبي ﷺ عن التأخر، فقال: أما علمت أنّنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة.

٢. سأله اليهود عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف، قال ﷺ: سأخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله فاحتبس عنه الوحي إلى أن نزل جبرئيل عليه بقوله: ﴿ولا تقولنّ لشيءٍ إنيّ فاعلٌ ذلك غداً* إلاّ أن يشاء الله﴾ (الكهف ٢٣ - ٢٤). فأخبره بما سأل عنه وفي هذه القصة نزلت (ما ودّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قلى).

٣. أنّ المسلمين قالوا: يا رسول الله ما لك لا ينزل عليك الوحي؟

فقال: وكيف ينزل عليّ وأنتم لا تنقون رواجبكم.

ولا تقصون أظفاركم ولا تأخذون من شواربكم، فنزل جبرئيل بهذه السورة، فقال النبي ﷺ: ما جئت حتى اشتقت إليك، فقال جبرئيل: وأنا كنت أشدّ إليك شوقاً ولكي عبد مأمور.

٤. عن جندب البجلي قال: كنت مع النبي ﷺ في غار فدميت اصبعه، فقال النبي ﷺ: «هل أنت إلا اصبع دميت، وفي سبيل الله ما لقيت» وابطأ عليه جبرئيل، فقال المشركون قد ودع محمد، فأنزل الله تبارك و تعالی: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

هذا ما رواه المحدثون وتبعهم المفسرون في تفسير الآية، وفي الجميع تأملات: الأول: اختلف في المدة والسبب خير دليل على أنّ الحديث موضوع على لسان الرسول ﷺ، فلو كان السبب موت الجرو تحت السرير فيرجع زمان الاحتباس إلى أوائل البعثة. ولو كان السبب هو عدم الاستثناء، فيرجع زمنه إلى السنة السابعة أو الثامنة من البعثة.

الثاني: كيف يمكن أن تتصور أنّ الجرو مات ومكثت جيفته تحت السرير دون أن يشعر بها النبي ﷺ، ولا أهل بيته، مع أنّ طبيعة الحال تقتضي أن تكون منتنة في هذه المدة، فيشعر بها كل من مرّ على البيت فضلاً عن من يقطن فيه لا سيما في أجواء حارة كأجواء الجزيرة العربية التي سرعان ما يفسد فيها كلشيء؟!!

الثالث: كيف يكون عدم قصّ الأظفار وأخذ الشوارب سبباً لاحتباس الوحي، وهل هذا إلاّ أخذ البريء بذنب المجرم؟! قال سبحانه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام/١٦٤). فعلى ضوء ذلك يجب أن لا ينزل الوحي على أيّ نبيّ طيلة عمره، لأنّ

الأنبياء والمرسلين كانوا على مقربة من المشركين والعصاة الذين لم يكونوا يقصون أظفارهم ولا يأخذون شواربهم بل يقتفون أشد المعاصي.

والحق أنه لم يكن هناك أي احتباس، بل تعلقت مشيئته تبارك و تعالی بإنزال الوحي بالتدرج حسب طرود الأسباب والحوادث التي تقتضي نزوله.

قال سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (الفرقان/٣٢).

وقد أشارت الآية إلى سبب من أسباب نزول الوحي تدريجاً وهو تثبيت فؤاد النبي ﷺ، لأنه ﷺ مهما كان إنساناً مثالياً، فهو بحاجة ماسة إلى إمدادات غيبية من قبل الله سبحانه و تعالی في خضم الحياة المليئة بالطوارئ، والحوادث العصبية، فاتصاله بعالم الغيب تدريجاً يخلق في روحه نشاطاً دؤوباً للعمل، يزيح عنها غبار التعب والهموم وبذلك يثبت قلب النبي ﷺ بصلته بعالم الوحي.

وهذا الأثر الإيجابي رهن نزول الوحي تدريجاً، وأما نزوله دفعة واحدة وإقبال بابه إلى آخر عمره فهو يخلو عن ذلك الأثر. (١)

هذا، ولنزول الوحي تدريجاً آثار إيجابية أخرى، أشار إليها الذكر الحكيم في بعض آياته، ولنقتصر على هذا المقدار.

وعلى ضوء ما ذكرنا فلم يكن أي احتباس وانقطاع للوحي، وإن زعم المشركون خلافه. وبالتالي لم يكن هناك سبب غير ما ذكرنا وبذلك يظهر وهن الرواية وعدم صحتها.

١ . ما ذكرناه في تفسير الآية ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ هو الأولى بالأخذ، وقد ذكر السيد الطباطبائي وجهاً آخر ومثله السيد قطب، فراجع الميزان: ٢١٠/١٥ - ٢١١؛ وفي ظلال القرآن: ٣٤/١٩ - ٣٥ في تفسير سورة الفرقان.

٤. غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة

أخرج مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: غزا رسول الله تسع عشرة غزوة، قاتل في ثمانٍ منهم^(١).

أقول: إنّ غزوات الرسول أكثر مما ذكره، فقد بسط الواقدي الكلام في مغازي النبي وسراياه في الجزء الأول ثم استنتج مما ذكره ما يلي:

فكانت مغازي النبي ﷺ التي غزا بنفسه تسعاً وعشرين غزوة، وكان ما قاتل فيها تسعاً: بدر القتال، وأحد، والمريسيع، والخذق، وقريظة، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف. وكانت السرايا سبعمائة وأربعين سرية، واعتمر ثلاث عُمَر، ويقال: قد قاتل في بني النضير ولكن الله جعلها له نفلًا خاصة، وقاتل في غزوة وادي القرى في منصرفه عن خيبر وقتل بعض أصحابه، وقاتل في الغابة حتى قتل محرز بن نظلة، وقتل من العدو ستة^(٢).

وقد سرد الواقدي أسماء غزواته ﷺ في كتاب المغازي:

١. غزوة الأبواء. ٢. غزوة بواط. ٣. غزوة بدر الكبرى. ٤. غزوة ذات العُشيرة. ٥. غزوة القينقاع. ٦. غزوة السويق. ٧. غزوة قرارة الكُدرة. ٨. غزوة غطفان. ٩. غزوة بني سليم. ١٠. غزوة أحد. ١١. غزوة حمراء الأسد. ١٢. غزوة بئر معونة. ١٣. غزوة الرجيع. ١٤. غزوة بني النضير. ١٥. غزوة بني الموءذ. ١٦. غزوة ذات الرقاع. ١٧. غزوة دومة الجندل. ١٨. غزوة المريسيع.

١. صحيح مسلم: ٥/٢٠٠. باب عدد غزوات النبي ﷺ من كتاب الجهاد والسير.

٢. الواقدي، المغازي: ٧/١.

١٩. غزوة الخندق ٢٠. غزوة بني قريظة ٢١. غزوة القرطاء ٢٢. غزوة بني لحيان ٢٣. غزوة الغابة ٢٤. غزوة الحديبية ٢٥. غزوة خيبر ٢٦. غزوة القضية ٢٧. غزوة موتة ٢٨. غزوة ذات السلاسل ٢٩. غزوة الفتح.

وقد ذكر ابن هشام قصيدة حسّان الذي عد فيها المغازي، ومطلعها:
ألست خير معد كلّها نفرأً ومعشراً أن هم عموا وإن حصلوا
قوم هم شهدوا بدرأً بأجمعهم مع الرسول فما آلوا وما خذلوا^(١)
كلّ ذلك يعرب عن أنّ غزوات النبي ﷺ أكثر من تسع عشرة غزوة ويُحتمل أن يكون المراد الغزوات التي شارك فيها بريدة مع النبي ﷺ فهي عبارة عن تسع عشرة غزوة.
ولكنّه احتمال ضعيف، لأنّه روي عن بريدة في موضع آخر من صحيح مسلم، أنّه قال:
غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة^(٢)
وعلى كلّ تقدير فالرواية مضطربة.
٥. تحرك الجبل والأمر بثباته

أخرج أحمد في مسنده، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، أنّ رسول الله ﷺ كان جالساً على حراء ومعه أبو بكر وعمر و عثمان، فتحرك الجبل، فقال رسول الله ﷺ: أثبت حراء، فإنّه ليس عليك إلاّ نبي و صديق وشهيد.^(٣)

١ . سيرة ابن هشام: ٢٠٠/٢.

٢ . مسند أحمد: ٣٤٦/٥.

٣ . صحيح مسلم: ٢٠٠/٥ باب عدد غزوات النبي ﷺ من كتاب الجهاد والسير.

لا شك أنّ الأنبياء والأولياء يمتلكون قدرة خارقة للعادة يتصرفون في الكون بإذنه ومشيعته سبحانه ولا غرو في ذلك، فقد قال سبحانه مخاطباً عيسى ابن مريم: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَظْفَارِهِ فَتَفْخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِأَذْنِي﴾ (المائدة/١١٠).

ولكنهم لا يقومون بخوارق العادات إلا لغايات خاصة استدعت الضرورة ذلك، وهي إثبات نبوتهم واتصالهم بالغيب، وعند ذلك تطرح الاستفسارات التالية، فأى غاية كانت في تثبيت جبل حراء؟

فهل كان ثمة شك في نبوة النبي وأراد ﷺ بهذا العمل أن يزيل الشك عن قلبه؟! أو كان وراء حركة الجبل خسف وزلزال مهلك لمن كان عليه؟! ثمهل كانت الحركة مختصة بالجبل دون سائر الجبال والأراضي المتاخمة؟ وبما أنّ «حراء» كان جبلاً من جبال مكة وكان النبي ﷺ يأوي إليه في أشهر معدودات قبل البعثة فهل كان هؤلاء الثلاثة موحدين يومذاك حتى يكونوا مع النبي ﷺ على الجبل؟ ولو افترضنا أنّ النبي يأوي إليها بعد البعثة، فقد أسلم عمر بن الخطاب في السنة السادسة من البعثة، فهل كان هناك اجتماع في هذه السنة أو بعدها؟ وأسلم بريدة عند مسير النبي ﷺ إلى المدينة، فكيف ينقل تلك الحادثة وهي ترتبط بما قبل إسلامه؟!

كلّ هذه الاستفسارات تزيد الشك في صحّة الرواية وتجعلها من الموضوعات، وقد لعبت العاطفة الدينية دورها في جعل هذه الرواية.

كما وأخرجها مسلم عن أبي هريرة بنحو آخر، قال: إنّ رسول الله ﷺ

كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة.
 فقال رسول الله ﷺ : اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد. ^(١)
 وتنتهي الرواية إلى أبي هريرة مع أنه أسلم بعد الهجرة عام سبع، وقد اضيف فيها علي وطلحة
 والزبير، وابدل الجبل بالصخرة، كما رواه أيضاً الترمذي عن أبي هريرة في باب مناقب عثمان. ^(٢)
 ٦. ضرب الدفّ عند رأس النبي ﷺ
 أخرج الترمذي في سننه، عن عبد الله بن بريدة، قال: سمعت بريدة، يقول: خرج رسول الله
 ﷺ في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سوداء، فقالت: يا رسول الله، إنّي كنت
 نذرت إن ردّك الله صالحاً أن أضرب بين يديك بالدفّ وأتغّى.
 فقال لها رسول الله ﷺ : إن كنت نذرت فاضري، وإلّا فلا، فجعلت تضرب، فدخل أبو
 بكر وهي تضرب، ثمّ دخل عليّ وهي تضرب، ثمّ دخل عثمان وهي تضرب، ثمّ دخل عمر فألقت
 الدفّ تحت إستها، ثمّ قعدت عليه، فقال رسول الله ﷺ : إنّا لشيطان ليخاف منك يا عمر،
 إنّي كنت جالساً وهي تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثمّ دخل عليّ وهي تضرب، ثمّ دخل
 عثمان وهي تضرب، فلمّا دخلت أنت يا عمر ألقت الدفّ. ^(٣)
 وقد نقله أحمد على اختلاف.

١ . صحيح مسلم: ١٢٨/٧، باب فضائل طلحة والزبير .

٢ . سنن الترمذي: ٥/٦٢٤ برقم ٣٦٩٦ .

٣ . سنن الترمذي: ٥/٦٢٠ - ٦٢١ برقم ٣٦٩٠ .

فتارة نقل دفّ الجارية على رأس النبي ﷺ فقط دون أن يذكر شيئاً من دخول أبي بكر وعمر و عثمان عليه. (١) وأخرى نقل دفّ الجارية مع دخول أبي بكر ثمّ عمر دون أن يذكر دخول علي عليه و عثمان. (٢)

وعلى آية حال فقد اتفق الفقهاء على لزوم كون المنذور أمراً راجحاً لا محرماً ولا مكروهاً، فلا ينعقد النذر إذا كان المنذور مكروهاً فضلاً عن كونه حراماً.

والضرب بالدفّ أمّا مكروه أو حرام، فكيف أجازها النبي بالضرب بالدفّ عند رأسه؟! وقد أخرج أحمد عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ : قال تبيت طائفة من أمتي على أكل وشرب وهو ولعب ثمّ يصبحون قردة وخنازير ، فيبعث على أحياء من احيائهم ريح فتنسفهم كما نسفت من كان قبلهم باستحلالهم الخمر وضربهم بالدفوف واتخاذهم القينات. (٣)

على أنّ الظاهر من الحديث أنّ الضرب بالدفّ كان أمراً قبيحاً ولذلك لما دخل عمر ألفت الجارية الدفّ تحت إستها ثمّ قعدت عليه لتخفيه عن عمر، فالنبي ﷺ أولى بأن ينهاها عن ذلك الأمر القبيح ولا يسمح لها بالدفّ على رأسه.

ثمّ إنّ ظاهر الرواية أنّ عثمان دخل وهي تضرب وجلس دون أن تمسك الجارية، وهي تخالف ما رواه ابن أبي أوفى، قال: استأذن أبو بكر على النبي ﷺ وجارية تضرب الدفّ فدخل، ثمّ استأذن عمر فدخل، ثمّ استأذن عثمان فامسكت، قال: فقال رسول الله ﷺ : إنّ عثمان رجل حيي. (٤)

ومن البعيد أن تكون الواقعة متعددة.

١ . مسند أحمد: ٣٥٦/٥ .

٢ . مسند أحمد: ٣٥٨/٥ .

٣ . مسند أحمد: ٢٥٩/٥ . وأخرجه مسلم عن أبي هريرة ج ١٨٥/٧ ، باب فضل الصحابة .

٤ . مسند أحمد: ٣٥٣/٤ .

ذلك، لا سيما من تصفح في التاريخ والحديث.

فهذا هو الإمام البخاري يروي في حق الصحابة.

أخرج البخاري عن ابن أبي مليكة، قال: قالت أسماء عن النبي قال: أنا على حوضي أنتظر من يرد عليّ، فيؤخذ بناس من دوبي فأقول أمّتي، فيقول: لا تدري مشوا على القهقري. قال ابن أبي مليكة: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن.

وأخرج أيضاً عن أبي وائل، قال: قال عبد الله، قال النبي ﷺ: أنا فرطكم على الحوض، ليرفعنَّ إليّ رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوبي، فأقول: أي ربأصحابي، يقول: لا تدري ماأحدثوا بعدك. (١)

والرواية الثانية دليل على أنّ المراد من قوله: «بناس» في الرواية الأولى هم الصحابة.

أضف إلى ذلك أنّ قوله: هم الذين يلونهم: يهدف إلى التابعين، وفيهم الأمويون، فهل يمكن أن نعد عصر الأمويين خير القرون وقد خضبوا وجه الأرض بدماء الأبرياء وقتلوا سبط النبي ﷺ في كربلاء عطشاناً وذبحوا أولاده وأصحابه وهتكوا حرمة الكعبة؟!

وهذا هو الحجاج صنيعاً أيديهم اقتترف من الجرائم البشعة ما يقشعر لها جبين الإنسانية، ولا أطيل الكلام في ذلك والتاريخ خير شاهد على كذب هذه الرواية ووضعها من قبل سماسرة الحديث لتطهير الجهاز الأموي الحاكم ممّا ارتكبه. وقد مضى الكلام حول الحديث عند دراسة أحاديث عمران بن الحصين (٢).

١ . صحيح البخاري: ٤٦/٩، كتاب الفتن.

٢ . لاحظ ص ٢٤٩.

٨. سبق بلال النبي ﷺ إلى الجنة

أخرج الترمذي، عن عبد الله بن بريدة، قال حدثني أبي بريدة، قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً، فقال: يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟ ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي، دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لرجل من العرب، فقلت: أنا عربي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش، قلت: أنا قرشي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد، قلت: أنا مُجَد، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب. فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أنّ الله عليّ ركعتين، فقال رسول الله ﷺ : بهما. (١)

إنّ أبا أمامة الباهلي نقل نظير هذه الرواية عن النبي ﷺ وأضاف بعد عمر، عبد الرحمن بن عوف الثريّ المعروف (٢) وبين الروایتين من حيث المضمون اختلاف فاحش، فحلّ فيها محل القصر وضع الميزان وترجيح كفة كلّم النبي صومر وأبي بكر على جميع الأئمة، ونذكر الرواية عند دراسة رواياته.

والمقارنة بين الروایتين تعرب أنّ يد الدس تصرفت في الرواية سواء أصحت أم لم تصح.
وبعد ذلك فكيف سمع النبي ﷺ خشخشة بلال وهو حيّ يُرَزَق في المدينة؟!
ثمّ إنّ جواب المجيب لسؤال النبي ﷺ بأنّ القصر

١ . سنن الترمذي: ٥/٦٢٠ برقم ٣٦٨٩.

٢ . مسند أحمد: ٥/٢٥٩.

لرجل من العرب ثمّ الإجابة ثانياً - بعد سؤال النبي - بأنه لعربي قرشي يعرب عن غلبة روح الطائفية و العنصرية على صانع الحديث، فإنّ معيار الفضل عنده سبحانه هو التقوى والعمل الصالح، وسيوافيك بعض ما في الرواية من الإشكالات عند دراسة أحاديث أبي أمامة الباهلي. ودراسة هذه الروايات دراسة مقارنة تعرب عن أنّ يد الوضع والتحريف قد نالت من هذه الروايات بغية رفع منزلة الخلفاء لدى المسلمين عبر القرون.

هذه دراسة ما عزي إلى أبي بريدة الأسلمي من الروايات ولا تُحمّل مسؤولة هذه الروايات على بريدة وإثما عهدة ذلك على الرواة الذين نقلوا عنه أمثال هذه الروايات، ومع ذلك لا نبرئ ساحة بريدة عنها، والمهم في المقام هي دراسة ما روي عن النبي دراسة منزهة عن كل رأي مسبق.

٢٥- عبد الله بن عمرو بن العاص

(٨ق. هـ - - ٦٥هـ -)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. الفراغ من الأمر: الجبر

٢. منع المرأة من التصرف في مالها

٣. عدم توارث ملتين

٤. وجوب الوفاء بنذر المعصية

٥. لا يركب البحر إلا ثلاث

٦. الفرقة الناجية أنا وأصحابي

٧. قلوب بني آدم بين اصبعين

٨. عدم اضرار الخطيئة مع الايمان

هو ابن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن عمرو، يكتى أبا مُجَّد، وقيل أبا عبد الرحمان.

أمه هي رائطة بنت الحجاج بن منبّه السهمية.

وقد أسلم قبل أبيه، ويقال كان اسمه العاص، وسمي في الإسلام بعبد الله.^(١)

وهو ممن كتب حديث النبي ﷺ ولم يُعر أهمية

١ . سير أعلام النبلاء: ٣/٧٩ برقم ١٧.

للحظر الذي فرضه الخليفة الثاني على تدوين الحديث، روى ابن سعد في طبقاته عن عبد الله بن عمرو: قال: استأذنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب ما سمعت منه، قال: فأذن لي فكتبته، فكان عبد الله يسمى صحيفته تلك «الصادقة».

وروى أيضاً عن مجاهد، قال: رأيت عند عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفة وسألت عنها، فقال: هذه الصادقة، فيها ما سمعت من رسول الله «ﷺ» ليس بيني وبينه فيها أحد. (١)

ويظهر مما نقله ابن سعد في طبقاته أنه كان في حياة الرسول كثير الصوم فينقل هو ويقول: قال لي رسول الله: ألم أنبأ أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟ قال: قلت إني أقوى، قال: فانك إذا فعلت ذلك هجمت العين وتنفه النفس، صم من كل شهر، ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر. (٢)

وهذا يعرب عن أنه لم يكن متزناً في سلوكه، يروي طاووس قال: رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عبد الله بن عمرو ثوبين معصفرين، فقال: أمك أمرتك بهذا؟ فقال: أغسلهما يا رسول الله؟ فقال رسول الله: حرّقهما.

وروى ابن سعد أيضاً عن رشدين بن كريب، قال: رأيت عبد الله بن عمرو يعتم بعمامة حرقانية ويُرخيها شبراً.

وروى أيضاً عن العريان بن الهيثم، قال: وفدت مع أبي يزيد بن معاوية، فجاء رجل طوال أحمر عظيم البطن فسلم ثم جلس، فقال أبي: من هذا؟ فقيل: عبد الله بن عمرو. (٣)
والرجل وإن كان راوية الحديث، ولكن لم يكن واعية له وذا بصيرة في

١ . طبقات ابن سعد: ٢/٣٧٣.

٢ . طبقات ابن سعد: ٤/٢٦٢.

٣ . المصدر السابق: ٤/٢٦٥-٢٦٦.

الدين، فقد زلت قدمه في حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث شارك في قتاله وحمل الراية ضده. قال الجزري: وشهد مع أبيه فتح الشام، وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك، وشهد معه أيضاً صفين وكان على الميمنة، قال له أبوه: يا عبد الله: أخرج فقاتل، فقال: يا أبتاه أأمرني أن أخرج فأقاتل وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعهد إليّ ما عهد؟! قال: أنشدك الله يا عبد الله، ألم يكن آخر ما عهد إليك رسول الله أن أخذ بيدك فوضعها في يدي، وقال: أطع أباك؟ قال: اللهم بلى. قال: فإني أعزم عليك أن تخرج فتقاتل، فخرج فقاتل وتقلد بسيفين، وندم بعد ذلك فكان يقول: مالي ولصفين، مالي و لقتال المسلمين لوددت اني مت قبله بعشرين سنة. وقيل انه شهدها بأمر أبيه له ولم يقاتل، قال ابن أبي مليكة: قال عبد الله بن عمرو: «أما والله ما طعنتُ برمح ولا ضربتُ بسيف ولا رميتُ بسهم، وما كان رجل أجهد مني من رجل لم يفعل شيئاً من ذلك».^(١)

أقول: لو افترضنا صحة عهد الرسول بلزوم إطاعة أبيه، فلا يرمي الحديث إلا إلى إطاعته في الأمور المباحة، كيف! وقد روى هو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: لا نذر ولا يمين فيما لا يملك ابن آدم ولا في معصية الله عز وجل.^(٢) فلاحترج بقول رسول الله «أطع أباك» كأنه واجهه لما ارتكب من الموبقات حيث شارك في حرب إمام تعد حربه حرباً لرسول الله وسلمه سلماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: أنا حرب لمن حاربتهم و سلم لمن سالمتم.^(٣)

١ . أسد الغابة: ٣/٢٣٤.

٢ . مسند أحمد: ٢/٢١٢.

٣ . كفاية الطالب ، ص ٢٩٥؛ سنن الترمذي: ٢/٣١٩؛ مستدرک الصحيحين : ٣/١٤٩؛ أسد الغابة : ٥/٥٢٣؛ كنز العمال: ٦/٢١٦.

ولكنه أظهر الندم فيما لا ينفع الندم فيه.

كيف استجاب عبد الله بن عمرو لدعوة أبيه، وهو يعلم أنّ الخليفة الذي أصفق المهاجرون والأنصار على خلافته وإمامته قد صار واجب الطاعة، والخروج عليه معصية وإثم مبین؟ قال سبحانه: ﴿وَأَنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي - رِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ (لقمان ١٥) ولا خصوصية للشرك في هذه الآية بل الملاك معصية الله سبحانه.

وعلى كلّ تقدير فقد توفي عبد الله بن عمرو في الشام سنة ٦٥، وهو يومئذ ابن ٧٢ سنة. (١) وقال ابن حجر نقلاً عن أبي عمر الكندي في تاريخه أنّه توفي في نصف جمادى الآخرة سنة ٦٥ بمصر، فلم يستطع أن يخرج بجنازته لشغب الجند على مروان فدفن في داره. (٢) وهذا يعرب عن تعاطفه مع الأُمويين إلى نهاية عمره.

وعلى أية حال فقد بلغ ما اسند إليه سبعمائة حديث اتفقا له على سبعة أحاديث، وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بعشرين (٣) وقد بلغت رواياته في المسند الجامع أربعمائة وتسع وخمسين حديثاً (٤)

فلنذكر من روائع أحاديثه نماذج.

١ . الطبقات الكبرى: ٢٦٨/٤ .

٢ . تهذيب التهذيب: ٣٣٧/٥ برقم ٥٧٥ .

٣ . سير أعلام النبلاء: ٧٩/٣ برقم ١٧ .

٤ . المسند الجامع: ٥/١١ برقم ٣٨٧ .

روائع أحاديثه

١. أخرج البخاري في صحيحه، عن الشعبي، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».^(١)
٢. أخرج الإمام أحمد في مسنده، عن عمرو بن شعيب، عن جدّه عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «مُرُوا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً وفرّقوا بينهم في المضاجع».^(٢)
٣. أخرج الإمام أحمد في مسنده، عن شعيب، عن جدّه عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «من بنى لله مسجداً، بُني له بيت أوسع منه في الجنة».^(٣)
٤. أخرج الترمذي عن ربحان بن يزيد، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ، قال: «لا تحل الصدقة لغني ولا ذي مرة سوي».^(٤)
٥. أخرج أحمد عن مسروق، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً، وإذا كانت فيه خصلة من الأربع، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».^(٥)
٦. أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو أنّ رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة».^(٦)

١ . البخاري، الصحيح: ٧/١، كتاب الإيمان؛ مسند أحمد: ٢/٢٠٥.

٢ . مسند أحمد: ٢/١٨٠.

٣ . مسند أحمد: ٢/٢٢١.

٤ . سنن الترمذي: ٣/٤٢ برقم ٦٥٢.

٥ . مسند أحمد: ٢/١٨٩.

٦ . صحيح مسلم: ٤/١٧٨، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة.

٧. أخرج ابن ماجة، عن مسروق، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: خياركم، خياركم لنسائهم. (١)
٨. أخرج أبو داود في سننه، عن عمرو بن شعيب، عن جدّه عبد الله بن عمرو أنّ النبي ﷺ قال: «لا طلاق إلاّ فيما تملك، ولا عتق إلاّ فيما تملك، ولا بيع إلاّ فيما تملك» زاد ابن الصباح «ولا نذر إلاّ فيما تملك». (٢)
٩. أخرج ابن ماجة عن عمرو بن شعيب، عن جدّه عبد الله بن عمرو أنّ رسول الله ﷺ قال: ما أسكر كثيره فقليله حرام. (٣)
١٠. أخرج أبو داود في سننه، عن الوليد بن عبدة، عن عبد الله بن عمرو، إنّ نبي الله ﷺ نهى عن الخمر والميسر والكوبة (٤) والعبّراء (٥)، وقال: كلُّ مسكرٍ حرام. (٦)
١١. أخرج الإمام أحمد في مسنده، عن عمرو بن شعيب، عن جدّه عبد الله بن عمرو أنّه سمع النبي ﷺ يقول: ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؟ فسكت القوم، فأعادها مرتين أو ثلاثاً، قال: القوم: نعم يا رسول الله، قال: أحسنكم خلقاً. (٧)
١٢. أخرج البخاري في الأدب المفرد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص يبلغ به النبي ﷺ قال: من لم يرحم صغيرنا ويعرف حقّ كبيرنا فليس منّا. (٨)
١٣. أخرج الإمام أحمد في مسنده، عن أبي قلابة، عن عبد الله بن عمرو،

١ . سنن ابن ماجة: ١/٦٣٦ برقم ١٩٧٨.

٢ . سنن أبي داود: ٢/١٥٨ برقم ٢١٩٠.

٣ . سنن ابن ماجة: ٢/١١٢٤ برقم ٣٣٩٤.

٤ . الكوبة بضم الكاف، قيل: الرد، وقيل: الطبل الصغير، وقيل: البربط.

٥ . العبّراء: ضرب من الشراب يتخذة الأحباش من الذرة.

٦ . سنن أبي داود: ٣/٣٢٨ برقم ٣٦٨٥.

٧ . مسند أحمد: ٢/١٨٥.

٨ . البخاري: الأدب المفرد، ص ١٣٠ برقم ٣٥٦.

عن النبي ﷺ قال: من قتل دون ماله مظلوماً فهو شهيد.^(١)
هذه نماذج من روائع أحاديثه، وكم لها من نظير، وإليك ما أسند إليه من الأحاديث السقيمة،
وقبل عرض نماذج منها، نسلط الاضواء على أحاديثه.
يظهر من غير واحد من الروايات أنّ الرجل كان معجباً بالعهدين وغيرهما فيروى عنهما كثيراً،
ويشهد على ذلك الأمور التالية:

١. روى الإمام أحمد عن أبي سعد، قال: جاء رجل إلى عبد الله بن عمرو، فقال: إنّما أسألك
عما سمعت من رسول الله ﷺ ولا أسألك عن التوراة، فقال: سمعت من رسول الله ﷺ
يقول: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده...^(٢) ولولا أنّه كان يروي عن العهدين بكثرة،
وبنحو يشتهه مصدر الرواية على السامع لما قال له: «أسألك عما سمعت من رسول الله ولا
أسألك عن التوراة».

٢. روى واهب بن عبد الله، عن عبد الله بن عمرو، أنّه قال: رأيت فيما يرى النائم لكأنّ في
إحدى اصبعي سمناً وفي الأخرى عسلاً فأنا ألعقهما، فلما أصبحت ذكرت ذلك لرسول الله
ﷺ فقال: تقرأ الكتابين التوراة والفرقان فكان يقرؤهما.^(٣)

ولذلك لا تعجب إذا وقفت على أنّه كان يروي عن النبي ﷺ قوله: «بلغوا عني ولو آية
وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج...»^(٤)

وقد فسر أبو جعفر الطحاوي التحديث عن بني إسرائيل بنقل ما جرى عليهم من العقوبات
لينتفع به المسلمون، وأضاف أنّ التحديث عنهم إختياري وليس بإيجاب^(٥)
أقول: لو كان المراد ما ذكره فقد سبق الكتاب العزيز إلى نقله فلم يكن

١ . مسند أحمد: ٢/٢٢١ و ٢٠٢ و ٢٢٢.

٢ . مسند أحمد: ٢/٢٢١ و ٢٠٢ و ٢٢٢.

٣ . مسند أحمد: ٢/٢٢١ و ٢٠٢ و ٢٢٢.

٤ . صحيح البخاري: ٤/١٧٠، باب ما ذكر عن بني اسرائيل من كتاب الأنبياء.

٥ . مشكل الآثار : ٣٠/١.

مجهول الحكم حتى يبين الرسول حكمه، على أن كون النقل غير إيجابي لا يدفع الإشكال، فإنه يكمن في فسح المجال لهذه النقول سواء أكان إختيارياً أم إيجابياً.

وقد جاءت الأخبار بأن عبد الله بن عمرو أصاب يوم اليرموك زاملتين من علوم أهل الكتاب فكان يحدث منهما بأشياء كثيرة من الإسرائيليات، وقد قال فيهما الحافظ ابن كثير: إنَّ منها المعروف و المشهور والمنكور والمردود. (١)

وعلى ضوء ذلك فلا عجب أن يروى عنه ما لا يفارق عقيدة اليهود من الجبر والتشبيه، وإليك نماذج من رواياته السقيمة.

١. الفراغ من الأمر: الجبر

أ. روى الإمام أحمد عن شفيّ الاصبحي، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال: أتدرون ما هذان الكتابان؟ قال: قلنا لا، إلا أن تخبرنا يا رسول الله. قال - للذي في يده اليمنى - : هذا كتاب من رب العالمين تبارك و تعالى بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً، ثم قال - للذي في يسار - : هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً.

فقال أصحاب رسول الله ﷺ : فلاي شيء إذاً نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه؟ قال رسول الله ﷺ : سدودا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة وان عمل أيّ عمل، وإن صاحب النار ليختم له بعمل أهل النار وان عمل أيّ عمل، ثم قال بيده فقبضها، ثم قال: فرغ ربكم عزّ وجلّ من العباد، ثم قال باليمنى: فنبذ بها، فقال: فريق في الجنة ونبذ باليسرى، فقال: فريق في السعير. (٢)

١ . أضواء على السنة المحمدية، ص ١٥٥ .

٢ . مسند أحمد: ١٦٧/٢ .

ب. أخرج الترمذي، عن عبد الله بن الديلمي، قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأ ضلّ، فلذلك أقول: جفّ القلم على علم الله. ^(١)

ج. أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله ابن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء. ^(٢)

هذه الأحاديث التي رواها عبد الله بن عمرو بن العاص لا تفارق الجبر قيد شعرة، وتعرب عن أنّه تمّ القضاء على الناس منذ الأزل وجعلهم صنفين فكلّ ميسّر لما خلق له، لا لما لم يخلق له، فأهل السعادة ميسّرون للأعمال الصالحة فحسب، وأهل الشقاء ميسّرون للأعمال الطالحة فحسب.

هذه المرويات التي تكتظّ بها الصحاح والمسانيد، تناقض الأصول العقلية والنقلية المسلمة، وحاشا رسول الله وخيرة أصحابه أن ينسوا بما بينت شفة، وإتّما حيكت على منوال عقيدة الجهاز الأمويّ الحاكم، ولذلك لا تعجب عمّا يقوله إمام الحنابلة في رسائله:

والقدر خيره وشره، وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، وحلوه ومرّه، ومحجوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وأوله وآخره من الله. قضاء قضاءه، وقدر قدره عليهم، لا يعدو واحد منهم مشيئة الله ولا يجاوز قضاءه، بل هم كلّهم صائرون إلى ما خلقهم له واقفون فيما قدر عليهم لأفعاله وهو عدل منه عزّ ربّنا

١ . الترمذي : السنن : ٢٦/٥ رقم الحديث ٢٦٤٢ .

٢ . صحيح مسلم : ٥١/٨ ، باب حجاج آدم و موسى ﷺ .

وجلل. والزنا والسرقه وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك بالله والمعاصي كلها بقضاء وقدر. (١)

أقول: لا يكتب هذا القدر الجاف الجاني على الانسان المسكين إلاّ متعتّ حق، قاس، حقوق بلا سبب ولا مبرر، وبذلك ابتلي الكفار والعصاة بشقاء أبدي، ولا مجال - بعد ذلك - لرأفته ورحمته وإحسانه بل قدر كل ذلك لآخرين بلا جهة ولا سبب، كما يقول الله تعالى - في زعمهم - في بعض رواياتهم: خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالي. (٢)

أخرج مسلم في صحيحه، عن جابر قال: سراقه بن مالك بن جعشم قال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن فيما العمل اليوم؟ أفيما جئت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: لا، بل فيما جئت به الأقلام وجرت به المقادير. قال: فقيم العمل؟ فقال ﷺ: اعملوا فكل ميسر. (٣)

إنّ قول الرسول في الرواية الأولى، أعني: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً» أثار سؤالاً لبعض الصحابة، حيث قال: وفيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟ فأجاب رسول الله بقوله: سدّدوا وقاربوا. ولكنّ الجواب لا صلة له بالسؤال، فإنّ السائل يقول: إذا قُضي على أحد بالجنة فمصيره لا محالة إلى الجنة بصورة قضية ضرورية، فعند ذلك يصير تكليفه لغواً والعمل باطلاً بلا حاجة إلى التسديد والتقارب اللذين ركز عليهما النبي ﷺ بقوله: «سدّدوا وقاربوا» خصوصاً بالنظر إلى ما

١ . طبقات الحنابلة: ٢٥/١.

٢ . بحوث مع أهل السنة والسلفية، ص ٤٧.

٣ . صحيح مسلم: ٤٨/٨. باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه من كتاب القدر.

بعده، حيث قال: «فإنَّ صاحب الجنة يَحْتَم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أيَّ عمل، وإنَّ صاحب النار يَحْتَم له بعمل أهل النار وإن عمل أيَّ عمل».

فعلى هذا تكون الهداية في آخر لحظات العمر مدعاة للفوز بالجنة مع أنه سبحانه يَخْطِي تلك الفكرة، ويردّ على تلك المزعمة بأنّ فرعون حينما أظهر الإيمان في آخر لحظات حياته وقال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُؤِ إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ، فردّ عليه سبحانه بقوله: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس/ ٩٠-٩١).

إنّ الحديث الثاني الذي رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو من أنه سبحانه «خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأ ضلّ»، يثير سؤالاً و هو ما هو المراد من خلق الناس في ظلمة مع أنه سبحانه، يقول: خلق الناس على فطرة التوحيد قال سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم/ ٣٠) فهل يصحّ أن نعبر عن فطرة التوحيد بالظلمة؟

ثمّ ما هو ذنب من لم يسطع النور على قلبه فمكث في ظلمته وصار شقيماً؟! فعلى ضوء تلك الأحاديث لا يقدر الإنسان على اضلال نفسه وهدايتها كما لا يقدر على إدخال نفسه في الجنة أو النار، فكلما أراد من شيء يكون الكتاب السابق حائلاً بينه وبين إرادته.

ثمّ إنّ الكتاب الذي سبق، حاكم على الإنسان فلا يزيد ولا ينقص، وهو يخالف النصوص الثابتة من القرآن والسنة من تغيير المصير بالأعمال الصالحة أو الطالحة كما أنّ القول بأنّه جفّ القلم على ما كان لا يتغير ولا يتبدل فكرة يهودية كشف عنها القرآن حيث نقل عنهم قولهم ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (المائدة/ ٦٤).

بقيت هنا كلمتان:

الأولى: وهي أنّ المسلمين تبعاً للقرآن الكريم متفقون على التقدير في أفعال العباد إلاّ أنّه لا بدّ أن يفسر بنحو لا يعارض اختيار الإنسان فيجعله مكتوف اليدين وتكون بعثة الأنبياء أمراً لغواً شبيهاً بقول القائل:

ألقاه في اليمّ مكتوفاً وقال له إياك إيّ--ك أن تبت---لّ بالم-اء

الثانية: دلت الآيات والأحاديث الصحيحة على أنّ الإنسان قادر على تغيير مصيره بحسن أفعاله وصلاح أعماله وتهديب أخلاقه بمثل الصدقة والإحسان وصلة الأرحام وبرّ الوالدين، والاستغفار والتوبة، وشكر النعمة إلى غير ذلك من الأمور المغيرة للمصير، الموجبة لتبدّل القضاء السيء إلى القضاء الحسن، كما أنّه قادر على تغيير مصيره الحسن، إلى المصير السيء بالأعمال التي تقابلها، فليس الإنسان محكوماً بمصير واحد ومقدّر غير قابل للتغيير، ولا أنّه يصيبه ما قدر له، شاء أم لم يشأ، بل المصير والمقدر يتغير ويتبدل بالأعمال الصالحة أو الطالحة بشكر النعم أو كفرانها، وبالتقوى أو المعصية إلى غير ذلك من الأمور.

تغيير المصير بالأعمال الصالحة أو الطالحة

١. قال الله سبحانه حاكياً عن شيخ الأنبياء نوح، قوله: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً* يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ (نوح/١٠-١٢).

فإنك ترى أنّه ﷺ يجعل الاستغفار سبباً مؤثراً في نزول المطر، وكثرة الأموال، وجريان الأنهار إلى غير ذلك من الآثار.

وأما كيفية تأثير العمل الإنساني كالأستغفار في الكائنات فبيانه خارج عن

إطار بحثنا هذا، وإنكار التأثير يُشبهه بكلمات الملاحظة وموقفهم، فهذا الوحي الإلهي يدل على تأثير الدعاء والاستغفار في الكائنات، والعلل الطبيعية، وقد تواتر عن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت  انّ الدعاء وما شابهه من الأعمال ممّا يرد به القضاء.

٢. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد/١١).

٣. وقال عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الأنفال/٥٣).

٤. وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف/٩٦).

٥. وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق/٢-٣).

٦. وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم/٧).

٧. وقال سبحانه: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (الأنبياء/٧٦).

٨. وقال سبحانه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ إِنَِّّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضررٍ ﴿ (الأنبياء/٨٣-٨٤).

٩. وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال/٣٣).

١٠. وقال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فنبذناهم بالعراء وهو سقيم * وأنبتنا عليه شجرة من

يَقْطِينِ ﴿الصافات/١٤٣-١٤٤﴾.

١١. وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء/٨٨).
١٢. وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (يونس/٩٨).

هذه طائفة من الآيات القرآنية التي تحكي عن ترتب آثار معينة على الدعاء والاستغفار والإيمان والعمل الصالح مما يكشف عن تأثير هذه الأعمال في الكائنات والحوادث الطبيعية. ومع هذه الآيات و البراهين الواضحة، لا يقام وزن ولا قيمة لما نسب إلى عبد الله بن عمرو، من الروايتين الدالتين على خلافها.

٢. منع المرأة من التصرف في مالها

أخرج أبو داود في سننه، عن عمرو بن شعيب، عن جدّه، أنّ رسول الله ﷺ قال: لا يجوز لامرأة أمر في مالها إذا ملك زوجها عصمتها. (١)

وفي رواية أخرى أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا يجوز لامرأة عطية إلاّ بإذن زوجها». (٢)

لقد سبق منّا القول في المقدمة أنّ من شرائط حجّية الخبر الواحد أن لا يكون مبايناً للقرآن الكريم، وأمّا المخالفة بصورة العام والخاص وإن كانت

١ . سنن أبي داود: ٢٩٢/٣ برقم ٣٥٤٦ - ٣٥٤٧؛ وأخرجه أيضاً ابن ماجه في سننه ٧٩٨/٢ برقم ٢٣٨٨؛ وأحمد في مسنده: ٢٢١/٢.

٢ . سنن أبي داود: ٢٩٢/٣ برقم ٣٥٤٦ - ٣٥٤٧؛ وأخرجه أيضاً ابن ماجه في سننه ٧٩٨/٢ برقم ٢٣٨٨؛ وأحمد في مسنده: ٢٢١/٢.

جائزة لشيوع تلك المخالفة في التقنين حيث يذكر العام بلا خاص ثم يعقبه الخاص بعد فاصل زمني، إلا أنه لا يمكن تخصيص الذكر الحكيم بخبر الواحد إلا إذا ورث الاطمئنان بصحته بنحو يقدم على الذكر الحكيم.

وبعبارة أخرى المخالفة الكليّة ممنوعة مطلقاً يرفض الخبر ويأخذ بالكتاب، وأما المخالفة بنحو العموم والخصوص أو المطلق و المقيد وإن كانت جائزة بأن يكون مخصّصاً أو مقيداً، لكن ليس كلّ خبر صالحاً لذلك حتى وإن كان المخبر ثقة، بل إذا احتفّ بالقرائن المفيدة للعلم أو أفاد اطمئناناً تسكن إليه النفس.

وعلى ضوء ذلك فلنتناول الآيات الواردة في استقلال المرأة في أموالها بالبحث ثم نعرج إلى الروايتين المذكورتين ونبيّن نسبتها إليه.

إنّ القرآن الكريم منح للمرأة استقلالاً مالياً في أموالها إذا بلغت وأونس منها الرشد على الرغم من أنّه جعل الرجال قوامين على النساء، وإليك بعض الآيات:

قال سبحانه: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ (النساء/ ٦).

فالجارية اليتيمة إذا بلغت وأونس منها الرشد تدخل تحت تلك الآية وتكون من مصاديقها ويجب على الولي دفع مالها إليها، وهو يلازم استقلالها في التصرف في الأموال، وإلا لكان الدفع بلا نتيجة أو أثر.

وقال سبحانه: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ (النساء/ ٣٢).
والمراد من الاكتساب في الآية ما يُكتسب عن طريق الحِرْف والمِهْن وغيرها من أسباب الاكتساب، وهو يدل على نفوذ تصرف المرأة بعد البلوغ

وإيناس الرشد، وانه لا يصحّ منعها بعد هذا الاستقلال.

فعلى ضوء هاتين الآيتين فالمرأة البالغة الرشيدة رفع عنها الحجر، فتنفذ تصرفاتها في أموالها دون فرق بين الاكتساب وغيره قبل الزواج و بعده، فالحكم بالحجر عليها بعد تلك المرحلة بحاجة إلى دليل معتبر يخص عموم الكتاب أو يقيد إطلاقه. والحكم بالحجر عليها لا يخلو من صورتين: الأولى: الحكم بالحجر عليها قبل زواجها فهو يخالف الذكر الحكيم، وإن حكي الحجر عن الإمام أحمد حيث روي عنه «لا يدفع إلى الجارية ما لها بعد بلوغها حتى تتزوج وتلد أو يمضي عليها سنة في بيت الزوج».

كما حكي أيضاً عن الإمام مالك «بأنه لا يدفع إليها ما لها حتى تتزوج ويدخل عليها زوجها، لأنّ كالحالة جاز للأب تزويجها من غير إذنها لم ينفك عنها الحجر كالصغيرة»^(١).
يلاحظ عليه: أولاً: المنع من جواز تزويجها بلا إذنها، كيف و قد تضافر الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: البكر تستأمر.^(٢)

وثانياً: لو افترضنا بقاء ولاية الأب على الجارية في مورد التزويج، فلا يكون دليلاً على حجرها في كلشيء مع أنّ القرآن يصرح باستقلالها وخروجها عن الحجر ويأمر الأولياء بدفع المال إليها. وما روي عن شريح أنّه قال: عهد إليّ عمر بن الخطاب أن لا أجزى لجارية عطية حتى تحول في بيت زوجها حولاً أو تلد ولدًا.^(٣) على فرض الصحة حكم ولائي يختص بمورده و زمنه، ولا يكون دليلاً على حجر المرأة على وجه

١ . المغني: ٤/٥١٧.

٢ . بلوغ المرام: برقم ١٠١٢.

٣ . المغني: ٤/٥١٧.

الإطلاق قبل التزويج، فالقول بالحجر في هذه الصورة لا يخلو عن تعسف.
الثانية: الحكم بالحجر عليها بعد زواجها مطلقاً كما هو مفاد الرواية الأولى المنقولة عن عمرو بن شعيب، أو في خصوص عطيتها كما هو مقتضى الرواية الثانية.
فالمروي عن أبي حنيفة والشافعي وابن المنذر جواز تصرفها في مالها بالتبرع والمعاوضة، والمنقول عن أحمد في إحدى الروايتين. أنه ليس لها أن تتصرف في مالها لزيادة على الثلث بغير عوض إلا بإذن زوجها، واستدل على هذا القول بما روي أنّ امرأة كعب بن مالك أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحليّ لها، فقال لها النبي ﷺ: لا يجوز للمرأة عطية حتى يأذن زوجها، فهل استأذنت كعباً؟ فقالت: نعم، فبعث رسول الله ﷺ إلى كعب، فقال: هل أذنت لها أن تتصدق بحليّها؟ قال: نعم، فقبله رسول الله ﷺ. (١)
يلاحظ عليه: أنه من المحتمل أن تكون الحليّ ملكاً لزوجها وقد دفع إليها لتتزين بها، فلا يعد دليلاً على عدم الجواز فيما كان ملكاً لها، والرواية إنّما وردت في واقعة شخصية لا يمكن استفادة العموم منها.

فلم يبق دليل سوى رواية عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ، ومن المحتمل أن يكون المراد أنه لا يجوز عطيتها من ماله من غير إذنه.
فإن قلت: نعم، ما ذكرنا من التأويل والحمل إنّما يجري في روايته الثانية أعني قوله: «لا يجوز لامرأة عطية إلاّ بإذن زوجها» فيحتمل أن يكون المال المعطى من مال زوجها.

١ . سنن ابن ماجه: ٢/٧٩٨ برقم ٢٣٨٩.

وأما الحديث الأول فلا يصح فيه ذلك التأويل لقوله: «لا يجوز لامرأة أمر في مالها» الظاهر في كون المال مالها.

قلت: إنّ الحديثين - في الواقع - حديث واحد فلا نعلم ما هو الصادر عن النبي ﷺ خصوصاً أنّ الأحاديث منقولة بالمعنى فلذلك يصعب الاعتماد على قوله «في مالها» و قد صرح العلماء أنّ الصحابة كانوا يسمعون الأحاديث ولا يكتبونها ولا يكررون عليها، ثمّ يروونها بعد السنين الكثيرة. فلذلك اختلفت عبارات الحديث الواحد.

ثمّ إنّ الأمر دائر بين الجواز وعدمه، فالتحديد بالثلث تحكّم جداً، وقياسها على المريض الذي لا يجوز له التصرف في أزيد من ثلث ماله قياس مع الفارق. وعلى أيّ حال فالمرجع هو الآية، ولا يمكن الاستناد بهاتين الروايتين حتى يخصص الذكر الحكيم أو يقيّد بهما.

فخرجنا بالنتيجة التالية: أنّ المرأة في الإسلام ذات شخصية تساوي شخصية الرجل في حرية الانتخاب والتصرف في الأموال دون أيّ فرق لإلّا فيما يقتضيه كيانها الروحي والنفسي الجيّد بالعاطفة والإحساس.

٣. عدم توارث ملتين

أخرج ابن ماجة، عن عمرو بن شعيب، عن جدّه أنّ رسول اللّه قال: لا يتوارث أهل ملتين. (١) والرواية بحاجة إلى تفسير وتوضيح، إذ أنّ أكثر أهل السنّة حملوها على عدم وراثته كلّ ملة عن ملة أخرى مع أنّ المقصود نفي التوارث بينهما، و يكفي

١ . سنن ابن ماجة: ٩١٢/٢ برقم ٢٧٣١.

في صدقه عدم الوراثة من جانب دون جانب آخر. فهناك مسألتان:

الأولى: في أنه لا يرث الكافر المسلم. هذه المسألة مما اتفقت عليه كلمة المسلمين.

قال ابن قدامة: أجمع أهل العلم على أنّ الكافر لا يرث المسلم. ^(١)

الثانية: في وراثة المسلم الكافر. وهذه المسألة مما وقع فيها الاختلاف.

فقد قال علي عليه السلام، و معاذ بن جبل، ومعاوية بن أبي سفيان من الصحابة، ومسروق، وسعيد وعبد الله بن معقل و محمد بن الحنفية و محمد بن علي الباقر وإسحاق بن راهويه من التابعين، بأنه يرث المسلم الكافر، لأنّ الإسلام لم يزد إلاّ عزّاً وكرامةً، فلو افترضنا أنّ الأب والولد كانا كافرين فلو مات الوالد والحال هذه يرثه الولد، فكيف لا يرثه إذا أسلم قبل وفاة والده؟ وإلاّ يلزم أن يكون الإسلام سبباً لنقصان حظه و زوال عزه.

ومع ذلك فقد قال جمهور الصحابة و التابعين: لا يرث المسلم الكافر، يروى هذا عن: أبي بكر و عمر و عثمان، وعلي، و أسامة بن زيد، وجابر بن عبد الله، و به قال: عمرو بن عثمان، و عروة، والزهري، وعطار، وطاووس، والحسن، وعمر بن عبد العزيز، وعمرو بن دينار، والثوري، و أبو حنيفة وأصحابه، ومالك، والشافعي، و عامة الفقهاء.

والحق الحرمان في الصورة الأولى، وعدمه في الصورة الثانية، تبعاً لإطلاقات القرآن، أعني قوله سبحانه: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ (النساء/١١-١٢) وقوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ (النساء/٧).

١ . ابن قدامة، المغني: ٣٤٠/٦.

فإن إطلاقها يعم ما إذا كان المورث كافراً والوارث مسلماً خرج منها عكس المسألة بالاتفاق. وفي روايات أئمة أهل البيت إلماعات إلى ردّ من زعم أنّ المسلم لا يرث الكافر، مثل قولهم عليه السلام : «نحن نرثهم ولا يرثونا، إنّ الله عزّ وجلّ لم يزدنا بالإسلام إلاّ عزّاً». (١)

وفي رواية أخرى: «نرثهم ولا يرثونا إنّ الإسلام لم يزد في ميراثه إلاّ شدة». (٢)

ومعنى نفي التوارث هو أن يرث كلّمّن الآخر، فهذا هو الذي تنفيه لسان الرواية، وهو صادق على ما إذا كانت الوراثة من جانب دون آخر فلا يرث الكافر المسلم ويرث المسلم الكافر، فيصدق أنّه لا توارث بينهما.

وبهذا المعنى فسّر الإمام أبو جعفر عليه السلام الرواية، روى عبد الرحمان بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لا يتوارث أهل ملتين نحن نرثهم ولا يرثونا، إنّ الله عزّ وجلّ لم يزدنا بالإسلام إلاّ عزّاً». (٣)

وفي صحيحة جميل وهشام، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: فيما روى الناس عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا يتوارث أهل ملتين» قال: «نرثهم ولا يرثونا إنّ الإسلام لم يزد في حقّه إلاّ شدة». (٤)

وروى أبو العباس قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا يتوارث أهل ملتين، يرث هذا هذا ويرث هذا هذا، إلاّ أنّ المسلم يرث الكافر، والكافر لا يرث المسلم». (٥)

-
- ١ . الوسائل: ١٧، الباب ١ من أبواب موانع الإرث، الحديث ١٧٥ و١٧٦.
 - ٢ . الوسائل: ١٧، الباب ١ من أبواب موانع الإرث، الحديث ١٧٥ و١٧٦.
 - ٣ . الوسائل: ١٧، الباب ١ من أبواب موانع الإرث، الحديث ١٥٦ و١٤ و١٥.
 - ٤ . الوسائل: ١٧، الباب ١ من أبواب موانع الإرث، الحديث ١٥٦ و١٤ و١٥.
 - ٥ . الوسائل: ١٧، الباب ١ من أبواب موانع الإرث، الحديث ١٥٦ و١٤ و١٥.

٤ . وجوب الوفاء بنذر المعصية

أخرج أبو داود في سننه، عن عمرو بن شعيب، عن جدّه أنّ امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنّّي نذرت أن أضرب على رأسك بالدف، قال: أوفي بنذرك قالت: إنّّي نذرت أن أذبح بمكان كذا وكذا، مكان كان يذبح فيه أهل الجاهلية قال: «لصنم؟» قالت: كلا، قال: «لوثن؟» قالت: كلا، قال: «أوفي بنذرك»^(١).

يلاحظ على الحديث:

إنّ الضرب بالدف إمّا حرام أو أمر مرجوح أو مباح، قال الشيخ الطوسي: إنّ الضرب بالدف في الأعراس والختان مكروه، وقال الشافعي: ضرب الدفّ في الختان و الأعراس مباح^(٢) وعلى جميع التقادير لا يصح ابتغاء وجه الله به، وقد روى عبد الله بن عمرو، أنّ رسول الله أدرك رجلين وهما مقترنان يمشيان إلى البيت، فقال رسول الله: ما بال القران، قالوا: يا رسول الله نذرنا أن نمشي إلى البيت مقترنين، فقال رسول الله ﷺ: ليس هذا نذراً فقطع قراخهما، وقال: إنّما النذر ما ابتغى به وجه الله عزّ وجلّ^(٣).

وفي رواية أخرى عنه، عن النبي ﷺ أنّه نظر إلى أعرابي قائماً في الشمس وهو يخطب فقال: ما شأنك؟ قال: نذرت يا رسول الله أن لا أزال في الشمس حتى تفرغ، فقال رسول الله ﷺ: ليس هذا نذراً، إنّما النذر ما ابتغى وجه الله عزّ وجلّ^(٤).

وعلى ضوء ذلك فالرواية مندسّة في الروايات النبويّة ونجّل رسول الله ﷺ أن يسوّغ لمرأة أجنبية أن تضرب على رأسه بالدفّ . وقد مضى الكلام فه أيضاً^(٥).

١ . سنن أبي داود: ٢٣٧/٣ - ٢٣٨ برقم ٣٣١٢.

٢ . الخلاف: ٦، كتاب الشهادات، المسألة ٥٥.

٣ . مسند أحمد: ١٨٣/٢.

٤ . سنن أبي داود: ٢٣٤/٣، باب ما جاء في النذر في المعصية برقم ٣٣٠٠ باختلاف يسير في اللفظ.

٥ . لاحظ ترجمة بريدة بن الحصيب: ٤٢٤.

٥. لا يركب البحر إلا ثلاث

أخرج أبو داود، عن بشير بن مسلم، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز في سبيل الله، فإنّ تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً. (١)

يلاحظ عليه: أنّ الرواية إمّا بصدد الإخبار عن الواقع، أو بصدد انشاء النهي، فعلى الأوّل يلزم الكذب فإنّه يركب البحر التاجر والسائس والسائح إلى غير ذلك من الطوائف، وعلى الثاني يلزم حرمة أو كراهة السفر البحري لغير هؤلاء الثلاثة، وهل يصحّ الحكم بحرمة أو كراهته؟

قال ناصر الدين الألباني: «ولا يخفى ما في هذا الحديث من المنع من ركوب البحر في سبيل طلب العلم و التجارة ونحو ذلك من المصالح التي لا يعقل أن يصدّ الشارع الحكيم، الناس عن تحصيلها بسبب مظنون إلاّ وهو الغرق في البحر، كيف والله يمتنّ على عباده بأنّه خلق لهم السفن وسهل لهم ركوب البحر بها؟ فقال:

﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ* وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ (يس)

٤١/ - ٤٢).

ففي هذا دليل على ضعف هذا الحديث وكونه منكراً والله أعلم. (٢)

أقول: ما ذكره في صدر كلامه متين، وأمّا الاستدلال بالآية على نكارة الحديث فليس بتام، لأنّها بصدد بيان نعم الله سبحانه على عباده، لا في مقام بيان كيفية الاستفادة وشروطها حتى يتمسك بالإطلاق على جواز الاستفادة في

١ . سنن أبي داود: ٦/٣ برقم ٢٤٨٩.

٢ . سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ١/٤٩.

جميع الظروف والحالات.

والاستدلال بالآية على حلية ركوب السفينة لغايات شتى، كالاستدلال بقوله سبحانه: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ (الرحمن/١٠) على جواز التصرف في أرض الغير التي أحيها، أو التمسك بمثل قوله: «الغنم حلال» على حلية الغنم المغصوب وهذا أصل بيّنه الأصوليون في باب المطلق و المقيد. والكاتب محدّث وليس بفقيه.

أضف إلى ذلك أنه ما المراد من النار تحت البحر ، والبحر تحت النار؟ ولماذا لم يكتشف أحد ممّن سير أغوار البحار ذلك؟ إلاّ أن يكون الحديث كناية عن الأخطار المحدقة بركّاب البحر.

٦. الفرقة الناجية أنا و أصحابي

أخرج الترمذي، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ : ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإنّ بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار، إلاّ ملة واحدة، قالوا: و من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه و أصحابي. (١)

البحث حول هذا الحديث الذي رواه الفريقان في كتبهم ذو شجون، وقد أشبعنا الحديث عنه في كتابنا « بحوث في الملل والنحل». (٢) غير أنّنا نعلّق على الحديث وهو: أنّه ﷺ عرف الفرقة الناجية بقوله: «ما أنا عليه وأصحابي» وهذا لا يخلو من غموض.

١ . سنن الترمذي: ٢٦/٥ برقم ٢٦٤١.

٢ . بحوث في الملل والنحل: ١/٢٣-٣٢.

أولاً: أنّ هذه الزيادة غير موجودة في بعض نصوص الرواية، ولا يصحّ أن يقال أنّ الراوي ترك نقلها لعدم الأهمية.

وثانياً: أنّ المعيار الوحيد للهلاك والنجاة هو شخص النبي ﷺ وأما أصحابه فلا يمكن أن يكونوا معياراً للهداية والنجاة إلاّ بقدر اقتدائهم برسول الله ﷺ، وإلاّ فلو تخلفوا عنه قليلاً أو كثيراً لا يكون الاقتداء بهم موجباً للنجاة، وعلى ذلك فعطف أصحابي على النبي عطف زائد لا حاجة إليه.

وثالثاً: أنّ المراد أمّا صحابته كلّهم، أو الأكثرية الساحقة، فالأول مفروض العدم لاختلاف الصحابة في مسائلهم ومشارهم السياسية والدينية بعد رسول الله ﷺ، وأدل دليل على ذلك ما وقع من الخلاف في السقيفة وبعدها. والثاني ممّا لا يلتزم به أهل السنّة فإنّ الأكثرية الساحقة من الصحابة خالفوا الخليفة الثالث، وقد قتله المصريون والكوفيون في مرأى ومسمع من بقية الصحابة، الذين كانوا بين مؤلّب أو مهاجم أو ساكت.

على أنّ حمل أصحابي على الأكثرية خلاف الظاهر، ويظن أنّ هذه الزيادة من رواة الحديث لدعم موقف الصحابة، وجعلهم المحور الوحيد الذي يدور عليه فلك الهداية بعد النبي الأعظم، والمتوقع من رسول الهداية هو أن يحدد الفرقة الناجية بسمات واضحة تستفيد منها الأجيال اللاحقة، فإنّ كلّ الفرق يدعون أنّهم على ما عليه النبي ﷺ.

وكلّ يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا
كيف تكون صحابته ملاكاً للحق والباطل مع أنّه ﷺ يتنبأ في حياته عن ارتداد صحابته
بعده؟

١. أخرج البخاري، عن أبي وائل قال: قال عبد الله: قال النبي ﷺ:

أنا فَرَطُكُمْ على الحوض، ليرفعنَّ إليّ رجال منكم حتى إذا أهويت لأُناولهم اختلجوا دوني، فأقول أي ربِّ أصحابي، يقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك.

٢. أخرج البخاري، عن يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبي حازم، قال: سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه، و من شرب منه لم يظماً بعده أبداً، ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثمَّ يُحالُّ بيني و بينهم.

قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلاً؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه، قال: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول سحقا سحقا لمن بدل بعدي. (١)

أفهل يمكن أن يكون أهل البدع كما يحكي عنه قوله: «ما أحدثوا بعدك» والمبدلون دين الله كما يحكي عنه قوله «وما بدلوا بعدك» أو من دعا عليه النبي ﷺ بقوله: «سحقا سحقا لمن بدل بعدي» ملاكاً للحق والباطل ومعياراً لمعرفة الفئة الناجية عن غيرها؟!

لا شكَّ أنه كان بين الصحابة أشخاص يستدرّ بهم الغمام، ويضرب بهم الأمثال في التقوى ومكارم الأخلاق، ولكن أين هذا من أن يكون كلَّ صحابي محوراً للحقِّ والباطل؟

وبذلك تعرف انَّ أول من كَفَّر بعض الصحابة هم الذين يروون هذه الروايات في صحاحهم لا سيما صحيح البخاري الذي هو أصحَّ الكتب عندهم بعد القرآن الكريم، ومع ذلك يرمون غيرهم بتلك الفرية مع أنَّهم منه بُراء براءة يوسف من الذنب الذي ألصق به.

١ . صحيح البخاري: ٤٦/٩، كتاب الفتن.

وثمة نكتة جديرة بالبحث وهي أنه إذا راجعنا الصحاح والمسانيد نجد أنّ أصحابهم أفردوا باباً بشأن فضائل الصحابة، إلا أنّهم لم يفردوا باباً في مثالبهم، بل أقحموا ما يرجع إلى تلك الناحية في أبواب آخر، ستراً لمثالبهم وقد ذكرها البخاري في الجزء التاسع من صحاحه في باب الفتن، وأدرجها ابن الأثير في جامعه في أبواب القيامة عند سرد روايات الحوض، والترتيب المنهجي لجمع الأحاديث وترتيبها، كان يقتضي عقد باب مستقل للمثالب إلى جنب المناقب حتى يطلع القارئ على قضاء السنة حول صحابة النبي ﷺ.

والعجب أنّ ابن حجر في شرحه على البخاري مرّ على هذه الروايات مرور الكرام مع أنّها تخالف ما عليه السنّة من عدالة الصحابة برمتهم، بل جاء بكلمة أذعن فيها بأنّ الأمر دائر بين ارتداد بعض الصحابة أو معصيتهم حيث قال: وحاصل ما حمل عليه حال المذكورين أنّهم إن كانوا ممن ارتد عن الإسلام فلا إشكال في تبري النبي ﷺ منهم وإبعادهم، وإن كانوا ممن لم يرتد لكن أحدث معصية كبيرة من أعمال البدن أو بدعة من اعتقاد القلب، فقد أجاب بعضهم بأنّه يحتمل أن يكون أعرض عنهم ولم يشفع لهم اتباعاً لأمر الله فيهم يعاقبهم على جنائهم، ولا مانع من دخولهم في عموم شفاعته لأهل الكبائر من أمته فيخرجون عند اخراج الموحدين من النار. (١)

٧. قلوب بني آدم بين اصبعين

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي عبد الرحمان الحبليّ، أنّه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص، يقول: إنّ سمع رسول الله ﷺ يقول: إنّ قلوب بني آدم كلّها بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد

١ . فتح الباري: ٥/١٣، كتاب الفتن.

بصرّفه حيث يشاء، ثمّ قال رسول الله ﷺ: اللهمّ مصرّف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك. (١)

هذه الرواية من الروايات التي يفوح منها التجسيم حيث أثبت لله سبحانه أصابع أولاً، ثمّ أثبت أنّ قلوب بني آدم بين اصبعين من أصابعه، فلو أخذنا بظاهره فهو تجسيم وكفر وإلحاد، ولو أولناه لصرنا جهيمين مطرودين عند السلف.

يقول النووي: هذا من أحاديث الصفات وفيها القولان السابقان قريباً أحدهما: الإيمان بها من غير تعرض لتأويل ولا لمعرفة المعنى بل يؤمن بأنّها حقّ وإنّ ظاهرها غير مراد، قال الله تعالى: (ليس كمثله شيء).

والثاني: يُتأول بحسب ما يليق بما فعلى هذا المراد، المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي كفي لا يراد به أنّه حالّ في كفه بل المراد تحت قدرتي، و يقال: فلان بين اصبعي أقلّبه كيف شئت، أي أنّه متّ على قهره و التصرف فيه كيف شئت فمعنى الحديث: أنّه سبحانه و تعالى متصرّف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شيء ولا يفوته ما أراد، كما لا يمتنع على الإنسان ما كان بين اصبعيه، فخاطب العرب بما يفهمونه و مثله بالمعاني الحسية تأكيداً له في نفوسهم. (٢)

يلاحظ عليه: أنّ التعبير الرائج في اللغة العربية عن القدرة القاهرة هي القبضة واليمين، قال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر/٦٧) فالأرض بسعتها في قبضته سبحانه أي قدرته القاهرة عليها كما أنّ السماوات بسعتها تنطوي بقدرته.

١ . صحيح مسلم: ٥١/٨، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء.

٢ . شرح النووي على صحيح مسلم: ٤٤٣/١٦ برقم ٢٦٥٤ باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء.

وأما التعبير عن القدرة القاهرة بأنها بين الاصبعين فليس برائج، نعم ربما يقال أرفعه باصبعي.
وعلى أية حال فهذه الروايات هي التي رُوِّجت نزعة التجسيم بين أوساط المسلمين.

٨. عدم إضرار الخطيئة مع الإيمان

أخرج أحمد عن إبراهيم بن مُجَّد بن المنتشر، عن أبيه هذا في حديث أبي أحمد الزبيري، قال: نزل رجل على مسروق، فقال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، يقول: سمعت رسول الله، يقول: من لقي الله وهو لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ولن تضره معه خطيئة، كما لو لقيه وهو مشرك به دخل النار، ولم ينفعه معه حسنة. ^(١)

أقول: احتدم النقاش في معنى الإيمان منذ منتصف القرن الأول، فذهبت طائفة بأنه عبارة عن مجرد الاعتقاد بالجنان والاقرار باللسان وإن لم يكن مصاحباً مع العمل، فأخذوا من الإيمان جانب القول والاعتقاد، وطرّدوا جانب العمل والقيام بالأركان، فقليل لهم «المرجئة» أي «المؤخّرة» لأنهم قدّموا الأولين وأخروا العمل، واشتهروا بقولهم: «لا تضر مع الإيمان المعصية، كما لا تنفع مع الكفر الطاعة»، وهو قريب ممّا روي عن عبد الله بن عمرو.

وفي مقابلهم من يجعل العمل جزءاً من الإيمان، فمنهم من كَفَّر مرتكب الكبيرة كالخوارج أو جعله في منزلة بين المنزلتين فهو عندهم لا مؤمن ولا كافر كالمعتزلة.
وأما جمهور المسلمين فإمّا يعتبرونه مؤمناً فاسقاً، أمّا كونه مؤمناً فلكونه

١ . مسند أحمد: ٢/١٧٠.

معتقداً بما يجري على لسانه من الشهادتين وليس الإيمان إلا الإذعان بهما وأما كونه فاسقاً فلخروجه عن طاعة الله، فيما أنّ الإيمان ذو مراتب فقد تحقق فيه الإيمان بأدنى درجاته، وحُرْمَ لأجله دمه وعرضه وماله، وبما أنّه خرج عن طاعة الله، فقد افتقد الدرجة العليا التي انيطت بها النجاة في الآخرة فهو مع كونه مؤمناً يُعذَّب حسب ما قدر له من العذاب.

هذه هي أقوال المفكرين من متكلمي الإسلام، إنّما المهم هو الوقوف على ما هو العامل المؤثر لظهور فكرة الارجاء في الساحة الإسلامية؟ والسبب المؤثر لرفض العمل وفق الإيمان و الاقتصار على القول فقط أو مع ضميمة الاعتقاد؟ يبدو أنّ أحد أسبابه هو تبرئة عثمان من الأحداث المنسوبة إليه من نفي صلحاء الصحابة من ديارهم وضربهم و شتمهم، وتأسيس حكومة أموية، وصرف بيت المال على أقرابه والمنتمين إليه، إلى غير ذلك من الأمور الموبقة، فقالوا: إنّ المهم هو القول والإذعان، ولا تضر الخطيئة معه.

ومن الأسباب الباعثة إلى تفشي فكرة الارجاء هو تنزيه الناكثين وأمهات المؤمنين عن نقض البيعة والخروج على الإمام المفترض الطاعة.

وكان للجهاز الحاكم دور في تنمية الفكرة و إرسائها، وبذلك حال بين الأمة والخوض في البحوث الخطيرة، والمعارك المدهمة مما نقم به على عثمان، و أصحاب الفتن من الجمل وصفين، وبذلك عُذِّر كلٌّ من خالف الشريعة.

إنّ تجريد الإيمان عن العمل في عامة مراتبه تقود المجتمع - لا سيما الشباب - إلى الخلاعة والانحلال الخلقي وترك القيم، بذريعة أنّ المهم هو الإقرار باللسان و الإذعان بالقلب، ولا يضرّ معه، ترك الفرائض واقتراف المحرّمات، ولو سادت تلك الفكرة لم يبق من الإسلام إلا اسمه، و من الدين إلا رسمه، ويكون المتظاهر بذلك كافراً ملحداً واقعاً اتخذ تلك الفكرة ستاراً لما يكنّ في ضميره.

ولقد وقف أئمة أهل البيت فحدّروا شيعتهم منهم وقالوا: «بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم المرجئة»^(١).

وبذلك تقف على قيمة ما روي عن عبد الله بن عمرو، فهو نص في الإرجاء، و أنّ الإيمان بالله و عدم إشراك أحد معه، يكفي في النجاة ولا تضرّ معه الخطيئة وإن زنا و سرق، أو قتل وأحرق، لأنّه أقر بلسانه و استكمل إيمانه و إن فعل ما فعل.

فالرواية مكذوبة على لسان النبي ﷺ ، لا يتفوّه بها من نزل على قلبه قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات/١٥) وقوله:

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ (العصر/١-٣). إلى غير ذلك من الآيات المتعددة، لمن ترك العمل بالفرائض وارتكب الموبقات.

فقد حيكت الرواية ووضعت دعماً للإرجاء، ولسان الرواية وصياغتها، يشهد على أنّها من كلمات العلماء والمناظرين في مسألة حدّ الإيمان والكفر.

ولما اتخذت المرجئة الرواية سنداً لمذهبهم، جاء الخوارج ومن لفّ لفهم - من القائلين بدخول العمل بالشريعة في واقع الإيمان في عامة درجاته - فاتخذوا، رواية أخرى سنداً لمذهبهم، فكان النبي الخاتم ﷺ لم يكن له عمل سوى دعم كلّ مسلك سيظهر بعده بدليل. وقد تمسك الآخرون برواية تنافي الحديث السابق.

روي البخاري في صحيحه عن أبي هريرة: أنّ النبي ﷺ

١ . الكافي: ٤٧/٦ .

قال: لا يزني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن. (١)

والحديث أيضاً كالحديث السابق يدعم فكرة الخوارج والمعتزلة، وقد سئل أبو حنيفة عن مدى صدق الحديث فأجاب بعدم صحته، وإليك السؤال والجواب.

قال المتعلم:

فما قولك في أناس رووا أنّ المؤمن إذا زنا خلع الإيمان من رأسه كما يخلع القميص ، ثم إذا تاب أعيد إليه إيمانه أتشكُّ في قولهم أو تصديقهم؟

فإن صدقت قولهم دخلت في قول الخوارج، وإن شككت في قولهم، شككت في قول الخوارج، ورجعت عن العدل الذي وصفت، وإن كذبت قولهم، قالوا: أنت تكذب بقول النبي ﷺ ، فأنهم رووا ذلك عن رجال حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ . (٢)

فأجاب العالم (أبو حنيفة): أكذب هؤلاء، ولا يكون تكذبي هؤلاء وردّي عليهم تكذيباً للنبي ﷺ ، إنّما يكون التكذيب لقول النبي «ﷺ» : أن يقول الرجل أنا مكذب لقول نبي الله ﷺ ، فأما إذا قال الرجل: أنا مؤمن بكلّ شيء تكلم به النبي، غير أنّ النبي لا يتكلم بالجور، ولم يخالف القرآن، فإنّ هذا القول منه هو التصديق بالنبي وبالقرآن، وتنزيهه له من الخلاف على القرآن، ولو خالف النبي القرآن وتقول على الله غير الحقّ، لم يدعه الله حتى يأخذه باليمين، ويقطع منه الوتين، كما قال الله عزّوجلّ:

١ . صحيح البخاري: ١٠٤/٧، كتاب الأشربة.

٢ . يريد بذلك ما روى أنّه لا يشرب الخمر حين يشربها و هو مؤمن ولا يزني حين يزني وهو مؤمن.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ* فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة/٤٤-٤٧) ونبي الله لا يخالف كتاب الله تعالى، ومخالف كتاب الله لا يكون نبي الله، وهذا الذي رووه خلاف القرآن، لأنه قال الله تعالى في القرآن في الزانية والزاني: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ﴾ (النساء/١٦) فقلوه: (منكم) لم يعن به اليهود و لا النصرارى، إنما عني به المسلمون، فردُّ كلِّ رجل يحدث عن النبي ﷺ بخلاف القرآن، ليس ردًّا على النبي ﷺ ولا تكذيباً له، ولكن ردُّ على من يحدث عن النبي ﷺ بالباطل، والتهمة دخلت عليه، ليس على نبيِّ الله ﷺ وكذلك، كلُّ شيء تكلم به النبي ﷺ سمعنا به أو لم نسمعه فعلى الرأس والعين، قد آمننا به، ونشهد أنه كما قال نبي الله ﷺ، ونشهد أيضاً على النبي ﷺ أنه لم يأمر بشيء نهى الله عنه، ولم يقطع شيئاً وصله الله، ولا وصف أمراً وصف الله ذلك الأمر بغير ما وصف به النبي، و نشهد أنه كان موافقاً لله في جميع الأمور، لم يبتدع ولم يتقول على الله غير ما قال الله عزَّوجلَّ. ولا كان من المتكلفين، ولذلك قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء/٨٠).^(١)

١ . العالم والمتعلم، ص ١٠٠ - ١٠٣.

٢٦- ابن عباس

(٣ق. هـ - - ٦٨هـ -)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة

١. جواز التيمم مع إمكان العثور على الماء

٢. لعن زائرات القبور

٣. معاوية أول من نهى عن التمتع في الحج

٤. تزوج النبي و هو محرم

٥. رأى النبي ﷺ ربه مرتين

٦. ثلاثة اقتراحات لأبي سفيان

٧. خويلد يزوج خديجة ثملاً

٨. تردد ابن عباس في جملة أمها من القرآن

٩. الروافض على لسان النبي ﷺ

١٠. أخذ الأجرة على تعليم كتاب الله

حبر الأمة وفقه العصر وإمام التفسير تلميذ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ولد في شعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين، صحب النبي نحواً من ثلاثين شهراً وحدث عنه وعن: علي بن أبي طالب ، ومعاذ، و عبد الرحمان بن عوف، و أبي ذر، وأبي بن كعب، إلى غير ذلك.

قرأ عليه: مجاهد، وسعيد بن جبير، وطائفة.

روى عنه خلق كثير، منهم: ابنه علي، و مواليه عكرمة، ومقصم، و كريب،

وأبو معبد نافذ، وأنس بن مالك، وأبو الطفيل، وأبو امامة بن سهل، وأخوه كثير ابن العباس، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله و... .

انتقل ابن عباس مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح وقد أسلم قبل ذلك. وكان فقيهاً مفتياً محدثاً عالماً بالتفسير، وهو أول من أملى في تفسير القرآن ناقلاً عن الإمام علي عليه السلام ، وكان يسمّى البحر والحبر لغزارة علمه.

روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسح رأسه و دعا له بالحكمة، كما روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا في حقّه، وقال: اللهم علمه تأويل القرآن.

ثو في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وله من العمر خمس عشرة سنة، أو ثلاث عشرة سنة. عدّ من المكثرين في الفتيا من الصحابة. مسنده ألف وستمائة وستون حديثاً، له من ذلك في الصحيحين ٧٥، وتفرد البخاري بمائة وعشرين حديثاً، وتفرد مسلم بتسعة أحاديث.

وقد جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١١٨٥ حديثاً. ^(١) وشهد ابن عباس مع الإمام علي عليه السلام حروبه كلّها: الجمل وصفين والنهروان، وولاه أمير المؤمنين البصرة بعد ظفره بأصحاب الجمل، وكان يُعدّه لمهام الأمور. وكان بين ابن عباس، ومعاوية وابن الزبير منافرات شديدة، رواها المؤرّخون في كتبهم، ولما دعا ابن الزبير لنفسه بالخلافة، أبا ابن عباس أن يبايعه، فأخرجه من مكة إلى الطائف فتوفي بها سنة ثمان و ستين، ولما دفن قال مُجدد بن الحنفية: اليوم مات ربّائِي هذه الأمة. ^(٢)

١ . انظر المسند الجامع: ج ٨ و ج ٩ .

٢ . انظر أسد الغابة: ٣/٢٩٠؛ طبقات ابن سعد: ٢/٣٦٥؛ سير أعلام النبلاء: ٣/٣٣١ برقم ٥١ .

روائع أحاديثه

١. أخرج البخاري في صحيحه، عن نافع بن جبير، عن ابن عباس، أنّ النبي ﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حقّ ليهريق دمه»^(١).
٢. أخرج البخاري في الأدب المفرد، عن عبد الله بن المساور، قال: سمعت ابن عباس يخبر ابن الزبير، يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «ليس المؤمن الذي يشيع وجاره جائع»^(٢).
٣. أخرج الترمذي، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»^(٣).
٤. أخرج الترمذي، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبوني بحبّ الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي»^(٤).
٥. أخرج الترمذي في سننه، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ حامل الحسن بن علي على عاتقه، فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبي ﷺ: «ونعم الزاكب هو»^(٥).
٦. أخرج عبد بن حميد في مسنده، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي جلسائنا خير؟ قال: «من

١. صحيح البخاري: ٦٧/٩، باب من طلب دم امرئ بغير حق.

٢. الأدب المفرد: ٥٤ برقم ١١٢.

٣. سنن الترمذي: ١٧٥/٤ برقم ١٦٢٩.

٤. سنن الترمذي: ٦٦٤/٥ برقم ٣٧٨٩.

٥. سنن الترمذي: ٦٦١/٥ برقم ٣٧٨٤.

- ذَكَرَكُمْ بِاللَّهِ رَوَيْتَهُ، وَزَادَ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقَهُ، وَذَكَرَكُمْ بِالْآخِرَةِ عَمَلُهُ».^(١)
٧. أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَةَ فِي سَنَنِهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَإِنَّ خُلُقَ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ».^(٢)
٨. أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بَرَأْيَهُ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».^(٣)
٩. أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قَالُوا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِللَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ».^(٤)
١٠. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَلُمَّ، اكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا، لَا تَضَلُّونَ بَعْدَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَقَدَ غَلْبَ عَلَيْهِ الْوَجْعَ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابَ اللَّهِ، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ فَاخْتَصَمُوا... فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالِاخْتِلَافَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَوْمُوا عَنِّي وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ. فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرِّزْيَةَ كَالرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ وَلِغَطِّهِمْ».^(٥)

١ . مسند عبد بن حميد: برقم ٦٣١.

٢ . سنن ابن ماجه: ١٣٩٩/٢ برقم ٤١٨٢.

٣ . مسند أحمد بن حنبل: ٢٣٣/١.

٤ . مسند أحمد: ٣٥١/١.

٥ . صحيح مسلم: ٧٦/٥، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، من كتاب الوصية.

وقد عزيت إليه أحاديث سقيمة لا تستقيم مع الضوابط التي ذكرناها في صدر الكتاب.

١ . جواز التيمم مع إمكان العثور على الماء

أخرج أحمد، عن حنش، عن ابن عباس

أن رسول الله كان يخرج و يهريق الماء و يتمسح بالتراب، فأقول: يا رسول الله إن الماء منك

قريب، فيقول: فما يدريني لعلّي لا أبلغه. ^(١)

وفي الحديث تساؤل وهو:

إنّ الفقهاء اتفقوا على أنّ فاقد الماء إذا تمكّن من تحصيله بلا مشقة أو تغرير بالنفس يجب

عليه تحصيله، قال في المغني:

إذا وجد بئراً وقدر على التوصل إلى مائه من غير ضرر أو الاغتراف بدلو أو ثوب يبلّه ثمّ

يعصره لزم ذلك. ^(٢)

ولكن الظاهر من الحديث عدم وجوب تحصيل الماء مع التمكن العربي منه، بحجة أنّه لا يدري

لعله لا يبلغ إلى الماء، ومن المعلوم أنّ مثل هذا الاحتمال مخالف لما عليه العقلاء من استصحاب

الصحة وبقاء التمكّن.

٢ . لعن النبيّ زائرات القبور

أخرج أبو داود في سننه، عن أبي صالح يحدث عن ابن عباس، قال: لعن رسول الله ﷺ

زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد و الشُروج. ^(٣)

١ . مسند أحمد: ٢٨٨/١ و ٣٠٣.

٢ . المغني: ٢٤٠/١.

٣ . سنن أبي داود: ٢١٨/٣ برقم ٣٢٣٦.

إنّ الحديث تضمن أحكاماً ثلاثة:

الأول: منع النساء عن زيارة القبور.

الثاني: منع اتخاذ القبور مساجد.

الثالث: منع إضاءة القبور بالسروج.

أما الأول: فلو افترضنا صحته فأنّه منسوخ بما قام به النبي ﷺ في أخريات حياته، فقد زار البقيع مع زوجته عائشة، حيث روت عن النبي ﷺ أنّه قالص: إنّ جبرئيل أتاه، فقال له: إنّ ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم، قال: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي: السّلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون. (١)

وأما الثاني: فهو يخالف القرآن الكريم حيث إنّ التأمل في قصة أصحاب الكهف يكشف لنا أنّ بناء المسجد بجوار القبر كان سنة متبعة عند الأمم وفي الشرائع السماوية السابقة، وقد أشار إليها القرآن من دون أي ردّ أو نقد، بل ربّما يظهر منه الإمضاء وذلك أنّ أصحاب الكهف عندما انكشف خبرهم بعد ثلاثمائة وتسع سنين، اختلف الناس في كيفية تكريمهم إلى طائفتين، فقالت طائفة: (ابنوا عليهم بُنياناً) تخليداً لذكراهم. وقالت أخرى: (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً) حتى يكون محلاً لعبادة الله تعالى بجوار قبور هؤلاء الذين رفضوا عبادة غير الله، وخرجوا من ديارهم هاربين من الكفر إلى طاعة الله. وقد أجمع المفسرون على أنّ الاقتراح الأوّل كان من المشركين، والاقتراح

١ . صحيح مسلم: ٦٤/٣، باب ما يقال عند دخول القبور.

الثاني من المؤمنين الموحدين، فعندئذ يثار هذا السؤال.

إذا كان بناء المسجد على قبور الصالحين أو بجوارها أمراً محرماً في الشريعة الإسلامية، وكان المباشر للعمل مستحقاً لللعن، فلماذا ذكر القرآن اقتراحهم من دون أي نقد أو ردع؟ أليس ذلك دليلاً على الجواز؟ بل يدل على أنسيرة المؤمنين الموحدين كانت جارية على هذا الأمر و كانت بمثابة التبرك بصاحب القبر.

هذا وإنّ مسجد النبي ﷺ يحتضن القبر الشريف للنبي ﷺ، والمسلمون يصلّون فيه طيلة ١٤ قرناً ولم يخطر ببال أحد منهم أنّ النبي ﷺ لعن المتخذين على القبور المساجد. إذ لو صحّ الحديث فهو محمول على ما إذا كانت القبور قبلة المصلّين أو مسجودة لهم. وأمّا الثالث: فلا يعلم له وجه إذا كان الإسراج لغاية عقلائية كالصلاة وقراءة الدعاء والقرآن أو غير ذلك ممّا لا يعدّ إسرافاً ولا عبادة لصاحب القبر.

٣. معاوية أوّل من نهى عن التمتع في الحجّ

أخرج الترمذي، عن طاووس، عن ابن عباس، قال: تمتع رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر و عثمان، وأوّل من نهى عنها معاوية. (١)

والحديث مخالف لما اتفق عليه قاطبة المسلمين من أنّ أوّل من نهى عن التمتع في الحج هو عمر بن الخطاب، ووضوح الأمر يغنيننا عن ذكر المصدر.

أضف إلى ذلك ما رواه نفس الترمذي عقيب هذا الحديث عن مجّد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل أنّه سمع سعد بن أبي وقاص والضحاك بن قيس

١ . سنن الترمذي: ١٨٥/٣ برقم ٨٢٢. ولاحظ أيضاً رقم ٨٢٤.

وهما يذكران التمتع بالعمرة إلى الحجّ، فقال الضحاك بن قيس: لا يصنع ذلك إلا من جهل أمر الله.

فقال سعد: بئس ما قلت يا ابن أخي.

فقال الضحاك بن قيس: فأنعم بن الخطاب قد نهي عن ذلك.

فقال سعد: قد صنعها رسول الله ﷺ وصنعناها معه.

ثم قال الترمذي: وهذا حديث صحيح. (١)

٤. تزوج النبي ﷺ وهو محرم

أخرج البخاري، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس: أنّ النبي ﷺ تزوّج ميمونة وهو محرم. (٢)

وفي الحديث عدّة احتمالات:

الأول: أن يكون المراد من التزويج هو الجماع ويكون عندئذٍ مخالفاً لصريح القرآن الكريم، يقول سبحانه: ﴿مَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقًا وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة/١٩٧) ومعنى الآية أنّ أئمة أئمة أنفسهم بالشروع في الحجّ بالنية قصداً باطنياً، وبالإحرام فعلاً ظاهراً، وبالتلبية نطقاً مسموعاً، يحرم عليه الجماع.

قال القرطبي: قال ابن عباس وابن جبير والسدي وقتادة والحسن و عكرمة و الزهري ومجاهد ومالك: الرفث الجماع، أي فلا جماع لأنّه يفسده. (٣)

١ . المصدر السابق برقم ٨٢٣.

٢ . صحيح البخاري: ١٥/٣، باب تزويج المحرم ؛ مسند أحمد: ٢٨٥/١؛ سنن النسائي: ١٩١/٥ الرخصة في النكاح للمحرم.

٣ . تفسير القرطبي: ٤٠٧/٢، تفسير آية ١٩٧ من سورة البقرة.

الثاني: أن يكون المراد منه إجراء صيغة العقد، وهذا ما ينافي ما رواه عثمان، يقول: قال رسول الله ﷺ: لا يَنْكحُ المحْرِمُ ولا يُنكحُ ولا يُنْطَبُ.

قال البيهقي: رواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن يحيى عن مالك. ^(١)
وقال الشيخ الطوسي في الخلاف: إذا كان الولي أو وكيله أو الزوج أو وكيله في القبول، أو المرأة محرمة أو واحد منهم محرماً، فالنكاح باطل، وبه قال في الصحابة علي بن أبي طالب وعمر وابن عمر وزيد بن ثابت ولا مخالف لهم في الصحابة.

وإليه ذهب في التابعين سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والزهري، وفي الفقهاء مالك والشافعي والأوزاعي وأحمد وإسحاق. ^(٢)

وقال ابن حجر: اختلف العلماء في هذه المسألة (أي عقد المحرم).
فالجمهور على المنع لحديث عثمان لا ينكح المحرم ولا ينكح أخرجه مسلم.
وأجابوا عن حديث ميمونة بأنه اختلف في الواقعة كيف كانت، ولا تقوم بها الحجّة، ولأنّها تحتمل الخصوصية فكان الحديث في النهي عن ذلك أولى بأن يؤخذ به. ^(٣)

أضف إلى ذلك أنّ الحجّ هو الوفود إلى الله سبحانه بترك العلائق الدنيوية ونسيانها والخروج إليه سبحانه بقلب طاهر، والحاجّ الوافد إليه سبحانه يمثّل بلبس ثوبي الإحرام أنّه لا يملك من الدنيا إلاّ الثوب، ففي هذه الحالة إذا حرم الطيب على المحرم، فأولى أن يكون التزويج، محرماً عليه.
فالرواية إمّا موضوعة أو محمولة على مورد خاصّ.

١ . السنن الكبرى للبيهقي: ٦٥/٥ .

٢ . الطوسي، الخلاف: ٣١٥/٢ .

٣ . فتح الباري: ٥٢/٤ .

أضف إلى ذلك ما أخرجه غير واحد من المحدثين أنّ النبي تزوج ميمونة وهو حلال.
أخرج الترمذي عن سليمان بن يسار عن أبي رافع قال: تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو
حلال، و بنى بها و هو حلال، وكنت أنا الرسول فيما بينهما. ^(١)

٥. رأى النبي ﷺ ربّه مرتين

أخرج الترمذي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: رأى محمد ربّه.
قلت: أو ليس الله يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾؟

قال: ويحك، ذاك إذ تجلّى بنوره الذي هو نوره، وقال: أَرِيه مرتين. ^(٢)

تُعلّق على الحديث بالقول:

إنّ الرواية من مستوردات الأحبار، وقد وردت في العهد القديم، وإليك مقتطفات منها:

١. رأيتُ السيد جالساً على كرسي عال...، فقلت: ويل لي لا تعينيّ قد رأتا الملك ربّ
الجنود (اشعيا: ٦/١/٦) والمقصود من السيد هو الله جلّ ذكره.

٢. كنت أرى أنّه وضعت عروش وجلس القديم الأيام، لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه
كالصوف النقي وعرشه هيب نار. (دانيال: ٩/٧).

٣. أما أنا فبالبرّ أنظر وجهك. (مزامير داود: ١٧/١٥).

وما جاء في الرواية أنّ محمداً ﷺ رأى ربّه مرتين مخالف للقرآن أولاً، والعقل الصريح ثانياً.

١. سنن الترمذي: ٢٠٠/٣ برقم ٨٤١.

٢. سنن الترمذي: ٣٩٥/٥ برقم ٣٢٧٩.

أما القرآن، فقال سبحانه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام/١٠٣) والآية صريحة في أنه ليس للأبصار أن تدركه فهو فوق الإدراك، وتفسير الإدراك في الآية بالإحاطة لأجل تصحيح العقيدة، مهزلة لا توافقه اللغة.

وما نقل عن ابن عباس في تخصيص مفاد الآية بما إذا تجلّى بنوره، فهو تفسير بالرأي ولو قام به غيره لرمي بالجهمية.

والذي يوقفك على جلّية الحال أنّه سبحانه كلما ذكر موضوع رويته ذكره بتنديد واستنكار، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة/٥٥).

وقال سبحانه: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ (النساء/١٥٣).
كذلك يدفع الإنسان إلى أنّ روية الله من الأمور المنكرة لدى الوحي.

وثمة كلمة قيمة للإمام الطاهر أبي الحسن علي بن موسى الرضا «عليه السلام» - كلم بها أبا قرة أحد المحدثين في عصره - قال أبو قرة: إنا رويناه أنّ الله عزّ وجلّ قسّم الروية والكلام بين اثنين، فقسّم لموسى «عليه السلام» الكلام، ولمحمد «صلى الله عليه وآله وسلم» الروية؟

فقال أبو الحسن «عليه السلام»: فمن المبلّغ عن الله عزّ وجلّ إلى الثقلين: الجنّ والإنس: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (الأنعام / ١٠٣) و ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (طه / ١١٠) و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى / ١١) أليس محمداً «صلى الله عليه وآله وسلم»؟ قال: بلى، قال: فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند الله، وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله، ويقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ و ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ثمّ

يقول : أنا رأيته بعيني، وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر؟ أما تستحيون؟ ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا: أن يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر. (١)
وأما العقل، فإنّ روية الله مستحيلة عقلاً لوجوه:

الأول: إنّ الروية البصرية لا تقع إلا أن يكون للمرئيّ جهة ومكان وأن يكون المرئيّ مقابلاً لعين الرائي، وكذلك ممتنع على الله سبحانه، والقول بحصول الروية الحسيّة بلا هذه الشرائط أشبه بالجمع بين الفرضين المتضادين، والروية بلا كيف، نفى للروية الحسية التي تحكي عنها الرواية، والروية القلبية خارجة عن مدلولها.

الثاني: إنّ الروية إمّا أن تقع على الله كلّه فيكون مركباً محدوداً متناهيّاً محصوراً، وإمّا أن تقع على بعضه فيكون مبعّضاً مركباً، وكلّ ذلك ممّا لا يلتزم به أهل التنزيه.

الثالث: إنّ كالمُرئيّ بجارحة العين يشار إليه بحدقتها، وأهل التنزيه كالأشاعرة وغيرهم ينزّهونه سبحانه عن الإشارة إليه باصبع أو غيره.

الرابع: إنّ الروية بالعين الباصرة لا تتحقق إلاّ بوقوع النور على المرئي وانعكاسه منه إلى العين، والله سبحانه منزّه عن كلّ ذلك.

وعلى ذلك فالرواية من الموضوعات، حتى أنّ السيدة عائشة قد كذّبت روية النبي ﷺ ربه في غير واحد من رواياتها، وقد أدخله الموضوعون في الحديث النبوي عن طريق حبر الأئمة ووضعوا للحديث سنداً.

إنّ مسألة التجسيم وبالأخص روية الله تبارك و تعالی حازت على أهمية

١ . التوحيد للصدوق: ١١٠-١١١، الحديث ٩.

بالغة في الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ ، ولو قام الباحث بجمع ما جاء من الروايات حول هذا الموضوع ربما ألف رسالة، وإليك نماذج:

١. ما أخرجه الدارمي في سننه عن خالد بن اللجلاج، وسأله مكحول أن يحدثه، قال: سمعت عبد الرحمان بن عائش، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

رأيت ربي في أحسن صورة، قال: فيم يختصم الملائة الأعلى؟

فقلت: أنت أعلم يا رب، قال: فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي، فعلمت ما في السماوات والأرض، و تلا ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ (الأنعام/٧٥).^(١)

٢. أخرج ابن ماجة، عن وكيع بن حدس، عن عمه أبي رزين، قال: قلت يا رسول الله:

نرى الله يوم القيامة؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال: يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر مخلباً به؟ قال: قلت: بلى. قال: فالله أعظم و ذلك آية في خلقه.^(٢)

٣. أخرج ابن ماجة، عن وكيع بن حدس، عن عمه أبي رزين، قال: قال رسول الله ﷺ:

ضحك ربنا من قنوط عباده و قرب غيره، قال: قلت: يا رسول الله أو يضحك الرب؟ قال: نعم، قلت: لن نعلم من رب يضحك خيراً.^(٣)

٤. ثلاثة اقتراحات لأبي سفيان

أخرج مسلم عن أبي زميل قال: حدثني ابن عباس، قال:

كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي ﷺ:

١ . سنن الدارمي: ١٢٦/٢، باب في رواية الرب تعالى في النوم برقم ٢١٥٥.

٢ . سنن ابن ماجة: ١/٦٤ برقم ١٨٠.

٣ . سنن ابن ماجة: ١/٦٤ برقم ١٨١.

يا نبي الله ثلاث أعطينهنّ، قال: نعم، قال: عندي أحسن العرب وأجمله أمّ حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها. قال: نعم.

قال: و معاوية تجعله كاتباً بين يديك، قال: نعم.

قال: وتومرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين، قال: نعم.

قال أبو زميل: ولولا أنّه طلب ذلك من النبي ﷺ ما أعطاه ذلك لأنّه لم يكن يُسأل شيئاً إلاّ قال: نعم. (١)

وقد بيّنا حال الحديث في مقدمة الكتاب وأوضحنا أنّ التاريخ الصحيح يشهد على كذب الرواية وإنّ أمّ حبيبة أسلمت مع زوجها في مكة المكرمة وهاجرت معه إلى الحبشة، وتزوج بها النبي قبل الفتح بعد مجيئها منها إلى المدينة وقد مات زوجها، فكيف يطلب أبو سفيان من النبي تزويجها منه بعد فتح مكة عام ٨ هـ - ٩!

٧. خويلد يُزوج خديجة ثملاً

أخرج أحمد في مسنده، عن عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس:

إنّ رسول الله ﷺ ذكر خديجة وكان أبوها يرغب أن يزوجها، فصنعت طعاماً وشراباً، فدعت أباهاً وزمراً من قريش، فطعموا وشربوا حتى ثملوا، فقالت خديجة لآبيها: إنّ محمد بن عبد الله يخطبني، فزوّجني إياه، فزوّجها إياه، فخلعته وألبسته حلّة، وكذلك كانوا يفعلون بالأبائه فلما سُرى عنه سكره، نظر، فإذا هو مخلّق وعليه حلّة، فقال: ما شأني، ما هذا؟ قالت: زوّجتي محمد بن عبد الله، قال: أنا أزوّج يتيم أبي طالب؟! لا لعمرى. فقالت خديجة: أما تستحي؟ تريد أن تسوّه نفسك عند قريش. تخبر الناس أنّك

١. صحيح مسلم: ١٧١/٧، باب فضائل أبي سفيان بن حرب.

كنت سكران؟ فلم تنزل به حتى رضي. (١)

لا يخفى أنّ الحديث عليل من جهات:

الأولى: أنّ صدر الحديث يشعر برغبة والدها في التزويج، ولذلك قامت خديجة فصنعت شراباً وطعاماً ودعت أباه وزمراً من قريش.

ولكن ذيل الحديث يعرب أنّه ما كان راضياً بالتزويج منذ بدء الأمر، لأنّه يعلل عدم رضاه بقوله: «أنا أزوج يتيم أبي طالب؟ لا لعمرى».

الثانية: أنّه لو أخذنا بذيل الحديث يلزم أن نرمي السيدة خديجة بإعمال الحيلة بغية الزواج من رسول الله ﷺ حيث صنعت طعاماً و شراباً لأبيها و زمراً من قريش وأتملتهم كي تتوصل بذلك إلى رضا أبيها بالزواج مخاطبة إياه، وهو ثمل بقولها: إنّ محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني إياه، فزوجها إياه فخلعته وألبسته الحلة.

والسيدة خديجة من أعفّ النساء و من سيدات نساء الجنة. روى مسلم عن عبد الله بن جعفر يقول: سمعت علياً بالكوفة يقول: سمعت رسول الله يقول: خير نساءها مريم بنت عمران و خير نساءها خديجة بنت خويلد ، قال أبو كريب: وأشار وكيع إلى السماء والأرض. (٢) فهي أجل من أن تتوصل إلى مطلوبها بهذه الحيلة الشيطانية.

الثالثة: أنّ غير واحد من أصحاب السير ذكروا أنّ أبا طالب ولفيفاً من أعمام النبي ﷺ حضروا المجلس وتقدم أبو طالب بإيراد الخطبة بقوله: ثمّ إنّ ابن أخي محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلّا رجح به شرفاً

١ . مسند أحمد: ١/٣١٢.

٢ . صحيح مسلم: ٧/١٣٢، باب فضائل خديجة.

ونبلاً وفضلاً وعقلاً، وإن كان في المال، فإنّ المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة، له في خديجة رغبة ولها فيه رغبة، والصدّاق ما سألتهم عاجله وآجله من مالي، و محمد من قد عرفتم قرابته. فأجاب ورقة بن نوفل بن أسد الذي كان من أقارب خديجة بقوله: لا تُنكر العشيرة فضلکم، ولا يرد أحد فخرکم وشرفکم، وقد رغبتنا في الاتصال بجلکم وشرفکم. ثمّ أجري عقد النكاح ومهرها النبي ﷺ أربعمئة دينار وقيل أصدقها عشرين بكرة. (١) هذه الأمور تعرب عن أنّا لمجلس كان مجلس عقل ووعي وصلاح وفلاح، وإنّ التزويج كان على ملاك الشرف والفضل وعن رغبة ورضاً. وأين هذا مما جاء في الرواية من أنّ السيدة خديجة تُقدّم كووس الشراب إلى أبيها وزمراً من قريش إلى آخر ما جاء في الرواية؟! وقد روي عن ابن عباس في تاريخ الخميس ما يخالف المروي هنا فقد جاء فيه: قالت خديجة لأبيها: إنّ محمد بن عبد الله يخطبني، فزوجها إياه، فخلعته وألبسته حلّة، وكذلك كانوا يصنعون إذا زوجوا نساءهم. (٢)

٨. تردّد ابن عباس في جملة أنّها من القرآن أخرج مسلم في صحيحه، عن عطاء، يقول: سمعت ابن عباس، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لو أنّ لابن آدم ملء وادّمالاً، لأحبّ أن يكون إليه

١ . تاريخ الخميس: ٢٦٤/١؛ السيرة الخلبية: ١٣٩/١؛ مناقب آل أبي طالب: ٣٠/١.

٢ . الديار بكرى، تاريخ الخميس: ٢٦٤/١.

مثله ولا يميلاً نفس ابن آدم إلا التراب، والله يتوب على من تاب. قال ابن عباس: فلا أدري أمن القرآن هو أم لا؟^(١) إن هذا الحديث يحطّ من شأن القرآن الكريم كما يحطّ من مقام حبر الأمة، فقد بلغ القرآن من الفصاحة والبلاغة بمكان جعله متميزاً بجوهرة عمّا سواه فلا يشتبه القرآن بغيره، وإلّا لزم بطلان الاحتجاج به. كما أنّ حبر الأمة وإمامها أجل من أن لا يُميّز حديث الرسول عن القرآن، فلو صحّ فإنّما يصحّ صدر الحديث لا ذيله، إلّا إذا أريدت منه المبالغة في علوّ المضمون. ٩٠. الروافض على لسان النبي ﷺ أخرج عبد بن حميد، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: يكون في آخر الزمان قوم ينبزون: الرافضة يرفضون الإسلام و يلفظونه، اقتلوهم فاتّهم مشركون.^(٢) إنّ الحديث موضوع على لسان ابن عباس، والغاية من الوضع التنديد بشيعة آل البيت من أبناء الرسول، ولكن الواضع غفل عن أنّ الرافضة في عهد الرسول وبعده إلى قرن لم يكن يستعمل إلّا في من يرفض الحكومات السائدة، لا في المواليين لعلي وأهل بيته عليهم السلام ولذلك أطلق اصطلاح الرافضة على طلحة والزبير ومروان بن الحكم ممّن قاموا في وجه علي عليه السلام وحكومته.

-
- ١ . صحيح مسلم: ٣/١٠٠، باب لو ان لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً؛ صحيح البخاري: ٨/٩٢ باب ما يتقى من فتنة المال، نقله باسنادين يشتمل النقل الثاني على قوله قال ابن عباس: «فلا أدري من القرآن هو أم لا».
 - ٢ . مسند عبد بن حميد برقم ٦٩٨، رواه في المسند الجامع: ٩/٥٩٦ برقم ١١٧٦.

هذا وقد كتب معاوية إلى عمرو بن العاص وهو في البَيْع. أمّا بعد: فأنّه كان من أمر عليّ وطلحة والزبير ما قد بلغك، وقد سقط إلينا^(١) قى مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة...^(٢) ويؤيد ذلك أنّ ابن منظور يفسر الروافض بجنود تركوا قائدهم وانصرفوا، وقال: فكلّ طائفة منهم رافضة والنسبة إليهم رافضيّون. فلم يكن في عهد الرسول ولا في عهد الخلفاء أيّ اصطلاح خاص في لفظ الرافضة، سوى ما ذكرناه، أعني: من يخالف السلطة الحاكمة، من غير فرق بين شيعيّ وسنيّ، علويّ أو أمويّ. ١٠. أخذ الأجر على تعليم كتاب الله أخرج البخاري في صحيحه، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس: أنّ نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مروا بماء فيهم لديغ أو سليم، فعرض لهم رجل من أهل الماء، فقال: هل فيكم من راق؟ إنّ في الماء رجلاً لديغاً أو سليماً، فانطلق رجل منهم فقراً بفاتحة الكتاب على شاء فبراً فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك، وقالوا: أخذت على كتاب الله أجراً، حتى قدموا المدينة فقالوا: يا رسول الله أخذ على كتاب الله أجراً، فقال رسول الله ﷺ: إنّ أحقّ ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله.^(٣) قال ابن الجوزي: قال ابن عدي: روى عمر بن المحرم البصري، عن ثابت الحفار عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: سألت رسول الله ﷺ:

١ . سقط إلينا أي نزل إلينا.

٢ . وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري، ص ٣٩.

٣ . صحيح البخاري: ١٣٢/٧، باب الشرط في الرقية بقطع من الغنم من كتاب الطب، ورواه أيضاً: ٩٣/٣، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب، من كتاب الاجارة.

عن كسب المعلمين فقال: إنّ أحقّ ما أخذ عليه الأجر كتاب الله. قال ابن عدي: لعمرو
أحاديث مناكير، وثابت لا يعرف والحديث منكر.^(١) قال ابن حجر: وقال الحنفية: لا يجوز أخذ
الأجرة في تعليم الكتاب وأجازوه في الرقى كالدواء، قالوا: لأنّ تعليم القرآن عبادة والأجر فيه
على الله. وادّعى بعضهم نسخه بالأحاديث الواردة في الوليد على أخذ الأجرة على تعليم القرآن
وقد رواها أبو داود وغيره.^(٢) وعلى آية حال فأخذ الأجرة على تعليم كتاب الله أمر مرغوب عنه،
ولو جاز فليس قطعاً من أحقّ ما يؤخذ عليه الأجر، فالرواية ضعيفة جداً أو مكذوبة.

١ . الموضوعات: ٢٢٩/١، باب أخذ الأجرة على التعليم.

٢ . فتح الباري: ٣٤٥٣/٤؛ وانظر كتاب الموضوعات لابن الجوزي: ٢٢٨/١، فقد نقل الأحاديث المجوزه والناهية.

٢٧- زيد بن أرقم الأنصاري

(... - ٦٨ هـ -)

سيرته وأحاديثه الرائعة

حديثه السقيم:

سحر اليهود النبي ﷺ

هو ابن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن الحارث بن الخزرج.

قال ابن سعد: يكتى أبا سعد، وقيل: أبا أنيس، أول مشاهده مع النبي، المريسيع، ونزل الكوفة

وابتني بها داراً في كندة وتوفي بها أيام المختار سنة ٦٨. (١)

قال الجزري: روى عنه: ابن عباس، وأنس بن مالك، وأبو إسحاق السبيعي، وابن أبي ليلى،

ويزيد بن حبان، شهد مع رسول الله سبع عشرة غزوة، واستصغر يوم أحد وكان يتيماً في حجر

عبد الله بن رواحة وسار معه إلى موتة، وشهد مع عليّ صفيين، وهو معدود في خاصة أصحابه،

روى حديثاً كثيراً عن النبي ﷺ أخرجه الثلاثة. (٢)

يذكر المفسرون في تفسير قوله سبحانه: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى

١ . طبقات ابن سعد: ٦/١٨ .

٢ . أسد الغابة: ٢/٢١٩ .

مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ﴿المنافقون/٧﴾ قصة ملخصها مايلي:

قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي، فذكره عمي لرسول الله ﷺ، فدعاني النبي ﷺ فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ، فأصابني شيء لم يصيبني قط مثله، فجلست في البيت، فقال عمي: ما أردت إلى ان كذبتك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾، فبعث إلي رسول الله ﷺ فقرأها عليّ، ثم قال: إنّ الله قد صدّقك. (١)

وقيل أنّه توفي بعد قتل الحسين بقليل، وقد ترجمه ابن عساكر ترجمة مفصلة. (٢)
وجمعت أحاديثه في المسند الجامع فناهزت ٥٢ حديثاً (٣) ولكن هذا العدد بالنسبة إلى ما ذكره الجزري قليل، لأنّه قال: روى حديثاً كثيراً عن النبي ﷺ.
وإليك شيئاً من روائع أحاديثه وما أكثرها.
روائع أحاديثه:

١. أخرج أحمد في مسنده، عن العزيز بن حكيم، قال: صليت خلف زيد ابن أرقم على جنازة فكبر خمساً، ثمّ التفت، فقال: هكذا كبر رسول الله ﷺ «أَوْ نَبِيِّكُمْ ﷺ». (٤)

١ . أسد الغابة: ٢/٢١٩.

٢ . انظرتاريخ ابن عساكر: ٦/٢٦٨ - ٢٧٨.

٣ . المسند الجامع: ٥/٤٧٩ برقم ٢١٤.

٤ . مسند أحمد: ٤/٣٧١.

وهذا هو المروي أيضاً عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من أنّ التكبيرة على الجنازة هي الخمس .
نعم روى مسلم، عن عبد الرحمان بن أبي ليلى، قال: كان زيد يكبر على جنازتنا أربعاً واثم كبر على جنازة خمساً، فسألته، فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكبرها. ^(١)
أقول: الرواية الثانية لا يمكن تصديقها، لآته لو كان الاقتصار بالتكبيرات الأربع جائزاً، فالمصلي يخرج من الفريضة بالتكبيرة الرابعة وتكون الخامسة ذكراً زائداً على الصلاة لا تمت لها بصلة فلا يصح القول بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تارة يكبر أربعاً وأخرى خمساً.
نعم يعارض الأولى ما رواه أحمد عن أبي سليمان المؤذن، قال: توفي أبو سريح فصلى عليه زيد بن أرقم، فكبر عليه أربعاً وقال: كذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم. ^(٢)
فالرواية الأولى تفرض الخمس، والثانية تخير بين الأربع والخمس، والثالثة تفرض الأربع. والعجب أنّ الصحابة لم يحتفظوا بسنة نبيهم في مسألة بسيطة كانت محلاً للابتلاء.
٢. أخرج النسائي، عن الشعبي، عن عبد الله بن أبي الخليل، عن زيد بن أرقم، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعليّ (رض) يومئذ باليمن، فأتاه رجل، فقال: شهدت علياً أتي في ثلاثة نفر ادعوا ولد امرأة، فقال عليّ لأحدهم: تدعه لهذا؟ فأبي، وقال لهذا: تدعه لهذا؟ فأبي، وقال لهذا: تدعه لهذا؟ فأبي.

١ . صحيح مسلم: ٥٦/٣، باب القيام للجنازة.

٢ . مسند أحمد: ٣٧٠/٤.

قال علي (رض) أنتم شركاء متشاكسون، وسأقرع بينكم فأيكُم أصابته القرعة فهو له وعليه
ثلثا الدية، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه. (١)
ولا غرو فاعلياً باب علم النبي ﷺ وقد وصفه النبي بقوله: أنا مدينة العلم وعليّ باهما. (٢)
٣. أخرج أحمد في مسنده عن قطبة بن مالك، قال: سبَّ أمير من الأُمراء علياً (رض)، فقام
زيد بن أرقم، فقال:

أما علمت أن رسول الله ﷺ نهي عن سبِّ الموتى فلمَ تسبُّ علياً، وقد مات؟! (٣)
كان في وسع الصحابي الجليل زيد بن أرقم أن يحتج على الأمير السابِّ بما روى عنه
ﷺ غير واحد من الصحابة من أنّ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، فالأمير بسبه هذا قد
فسق سواء أكان المسبوب حياً أم ميتاً، ولكن الظروف العصبية حالت دون أن يحتج «زيد» عليه
بهذا الحديث، ولذلك التجأ إلى الاحتجاج عليه بأسلوب آخر.

٤. أخرج الترمذي في سننه، عن أبي عثمان، عن زيد بن أرقم، قال: كان النبي ﷺ يقول:
اللهم إني أعوذ بك من الكسل والعجز والبخل. (٤)
٥. أخرج مسلم في صحيحه، عن يزيد بن حيان، قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن
مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه، قال له حصين، لقد

١ . سنن النسائي: ١/١٨٣، باب القرعة في الولد إذا تنازعا فيه.

٢ . أخرجه غير واحد من الحفاظ ناهز ١٤٢ محدثاً وعالمًا، وقد جاء في كتاب الغدير مصادر الحديث مفصلاً، راجع
الغدير: ١٦١/٦ - ١٧٧.

٣ . مسند أحمد: ٤/٣٦٩.

٤ . سنن الترمذي: ٥/٥٦٦ برقم ٣٥٧٢.

لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد، ما سمعت من رسول الله ﷺ .

قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سنيّ وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ ، فما حدثتكم فأقبلوا، وما لا، فلا تكلفوني، ثم قال: قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً بماء يدعى خمأً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ، وذكر، ثم قال: أما بعد: ألا يا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه.

ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي ، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال ومن هم؟ قال: هم آل عليّ وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم. (١)

هذا ما أخرجه مسلم و من الواضح أنه لم ينقل على وجه دقيق وذلك لوجهين:
الأول: أنّ مقتضى قوله : أولهما، أن يقول النبي ﷺ ، ثانيهما أهل بيتي مع أنه لم يذكر كلمة ثانيهما.

وقد رواها الإمام أحمد بصورة أفضل مما سبق كما رواه النسائي في فضائل الصحابة كذلك.
أخرج أحمد في مسنده عن أبي الطفيل، عن زيد بن الأرقم، قال: لما رجع

١ . صحيح مسلم: ١٢٢/٧، باب فضائل علي عليه السلام .

رسول الله عن حجّة الوداع ونزل غدیر خم، أمر بدوحات فقممن، ثمّ قال: كأني قد دُعيت فأُجبت: إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما، فاتّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. ثمّ قال: إنّ الله مولاي، وأنا ولي كلّ مؤمن، ثمّ أخذ بيد عليّ، فقال: من كنت وليه فهذا وليه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه. (١)

الثاني: فسر أهل البيت في الحديث بالبيوت الأربعة: آل علي، آل عقيل، آل جعفر، آل عباس، وجعل حديث الغدير هادفاً إلى تكريم أهل بيته، ومن المعلوم أنّه خلاف المراد، لأنّ النبي جعل أهل بيته عدلاً لكتاب الله عز وجلّ، فيجب أن يُفسر بيت يكون عدلاً للقرآن وملجأً للمسلمين بعد كتاب الله، وهل لهذه البيوت الثلاثة: آل عباس، آل عقيل، آل جعفر هذه المنزلة والمرتبة؟

نعم إذا تفحصنا سائر مصادر الحديث نقف على أنّ الرواة لعبوا بالحديث، وتصرفوا فيما نقله ذلك الصحابي الجليل، وإليك بعض ما روي في هذا المضمار عن زيد.

روى الإمام أحمد، عن ميمون أبي عبد الله، قال: قال زيد بن أرقم، وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله بواد يقال له وادي خم، فأمر بالصلاة فصلاها «بمجير» ثمّ قال: فخطبنا، وظلّل لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال النبي ﷺ: أستم تعلمون، أولستم تشهدون، إني أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فإنّ علياً مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه. (٢)

وأخرج أيضاً في فضائل الصحابة شعبة، عن سلمة بن كهيل، قال: سمعت

١ . المسند الجامع: ٥/٥٠٥، رقم ٣٨٢٨، نقلاً عن مسند أحمد: ١/١١٨.

٢ . مسند أحمد: ٤/٣٧٢؛ و فضائل الصحابة: ٢/٥٩٧، الحديث ١٠١٧.

أبا الطفيل يحدث عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم - شك شعبة - عن النبي ﷺ أنه قال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه.

قال سعد بن جبير وأنا سمعت مثل هذا عن ابن عباس، قال مُجَّد: أظنه قال وكنتمته. (١)
كلّ ذلك يدل على أنّ الرواة كانوا ينقلون الحديث مع الخوف والوجل، ولأجل ذلك لم تنقل الخطبة في الروايتين الأخيرتين، ولكن نقل نص النبي ﷺ على ولاية عليّ عليه السلام عكس ما رواه مسلم حيث نقل الخطبة دون التنصيص على الولاية.

هذه نزر من روائع رواياته، وقد عزى إلى ذلك الصحابي ما لا يصح وفقاً للموازن المذكورة.

سحر اليهود النبي ﷺ

أخرج النسائي، عن يزيد بن حيّان، عن زيد بن أرقم، قال:

سحر النبي ﷺ رجل من اليهود، فاشتكى لذلك أياماً، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إنّ رجلاً من اليهود سحرك عقد لك عُقداً في بئر كذا وكذا، فأرسل رسول الله ﷺ ليهفها فخرجوها فجاء بها، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال، فما ذكر ذلك لذلك اليهودي ولا رآه في وجهه قط. (٢)

أقول: إنّ السحر حسب ما جاء في الذكر الحكيم لا يضرّ إلاّ بإذن الله تبارك و تعالی، قال سبحانه: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة/١٠٢).

إنّ سحر النبي ﷺ ليس كسحر الآخرين، إذ ربّما

١ . فضائل الصحابة: ٥٦٩/٢، الحديث ٩٥٩.

٢ . سنن النسائي: ٧/١١٢-١١٣، باب سحرة أهل الكتاب.

يكون الساحر قادراً على أن يسحر إنساناً عادياً ويضرب به بإذن الله سبحانه، ولكن لا سبيل له إلى سحر النبي ﷺ ، وإلا لوجب تسلطه وهيمته عليه ﷺ ، ولربما يسفر عن تزلزل عقيدة الناس الذين آمنوا به، فحكمته سبحانه تصده عن أن يأذن لأحد بالهيمنة على النبي ﷺ .

أنه سبحانه يحكي عن موسى مخاطباً سحرة فرعون، بقوله: ﴿ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُظِلُّهُ ﴾ (يونس/ ٨١).

فإذا كان هذا حال موسى، فالنبي ﷺ أولى به منه، فبإمكانه أن يبطل السحر في أول لحظاته، لا أن يتأثر به أياً ما ويتخلص منه بعد معونة جبرئيل له، كل ذلك يعرب عن وهن الحديث وضعفه بل كذبه على لسان زيد بن أرقم - رضى الله عنه - .

٢٨- البراء بن عازب الأنصاري

(١٠ق.هـ - - ٧٢هـ-)

سيرته و أحاديثه الرائعة

حديثه السقيم:

نزول الوحي عند رغبة ابن أم مكتوم

البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة الأنصاري الأوسي الحارثي، يُكنى أبا عمار، رده رسول الله ﷺ عن بدر استصغره، وأول مشاهده أحد، وقيل: الخندق، وغزا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة، غزوة وهو الذي افتتح الري سنة ٢٤هـ-، كما شهد فتح «تستر».

وشهد البراء مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين والنهروان هو وأخوه عبيد ابن عازب، و نزل الكوفة وابتنى بها داراً ومات أيام مصعب بن الزبير. (١)

قال الذهبي: البراء بن عازب الأنصاري نزيل الكوفة من أعيان الصحابة روى حديثاً كثيراً، حدّث عنه: عبد الله بن يزيد الخطمي، وأبو جحيفة السوائي، وعدي بن ثابت، وسعد بن عبيدة، وأبو عمر زاذان، وأبو إسحاق السبيعي.

١ . أسد الغابة: ١/١٧١.

مسنده ثلاثمائة وخمسة أحاديث، له في الصحيحين اثنان وعشرون حديثاً، وانفرد البخاري بخمسة عشر حديثاً ومسلم بستة. (١)

وهو أحد رواة حديث غدیر خم من الصحابة، رواه عنه غير واحد من التابعين مفصلاً. (٢)
قال الخطيب البغدادي: وكان رسول عليّ بن أبي طالب إلى الخوارج بالنهروان يدعوهم إلى الطاعة وترك المشاقة، ثمّ روى بسنده عن أبي الجهم، قال: بعث عليّ البراء بن عازب إلى أهل النهروان يدعوهم ثلاثة أيام فلما أبوا سار إليهم. (٣)

وقد بلغت أحاديثه في المسند الجامع ١٣٦ حديثاً (٤) وإليك شيئاً من روائع أحاديثه.
روائع أحاديثه

١. أخرج الترمذي في سننه، عن عبد الرحمان بن أبي ليلى، عن البراء بن عازب، قال: قال رسول الله ﷺ: حَقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَغْتَسِلُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَلِيَمْسَسَ أَحَدُهُمْ مِنْ طَيْبِ أَهْلِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَالْمَاءَ لَهُ طَيْبٌ. (٥)

٢. أخرج أحمد في مسنده، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: خرج رسول الله ﷺ وأصحابه، قال: فاحرمنا بالحجّ فلما قدمنا مكة، قال: اجعلوا حجكم عمرة، قال: فقال الناس يا رسول الله قد أحرمنا بالحجّ، فكيف نجعلها عمرة؟ قال: انظروا، ما أمركم به فافعلوا، فردوا عليه القول، فغضب ثمّ انطلق حتى دخل على عائشة غضبان، فرأت الغضب في وجهه،

١ . سير أعلام النبلاء: ١٩٤/٣ برقم ٣٩.

٢ . الغدير: ٢٩٤/١.

٣ . تاريخ بغداد: ١٧٧/١.

٤ . المسند الجامع: ١٨٥/٣.

٥ . سنن الترمذي: ٤٠٧/٢ برقم ٥٢٨.

فقلت من أغضبك أغضبه الله؟ قال: ومالي لا أغضب وأنا أمر بالأمر فلا أتبع. ^(١)

وفي الحديث دلالة واضحة على أنّ لفيماً من أصحابه ربما كانوا يخالفونه ويغضبونه ويؤذونه، قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة/٦١). وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾ (الأحزاب/٥٧).

ويظهر من غير واحد من التواريخ أنّ العرب لم تكن تجمع بين العمرة والحج وإنما يأتون بالعمرة في غير أشهر الحج، ولما كان أمر النبي ﷺ مخالفاً لما كانوا عليه في العصر الجاهلي استغربوه، وقالوا: كيف نجعلها عمرة وقد أحرمنا للحج؟

وعلى آية حال فهؤلاء هم الذين يصفهم الله سبحانه في سورة الحجرات بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات/١).

٢. أخرج ابن ماجة في سننه، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجته التي حج، فنزل في بعض الطريق، فأمر الصلاة جامعة، فأخذ بيد علي، فقال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألست أولى بكلمة من من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فهذا وليّ من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه. ^(٢)

٣. أخرج الترمذي عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: بعث النبي ﷺ جيشين وأمر على أحدهما علي بن أبي طالب، وعلى الآخر خالد بن الوليد، وقال: إذا كان القتال فعلي، قال: فافتتح عليّ حصناً،

١ . مسند أحمد: ٢٨٦/٤ .

٢ . سنن ابن ماجة: ٤٣/١ برقم ١١٦ .

فأخذ منه جارية، فكتب معي خالد كتاباً إلى النبي ﷺ يشي به، قال: فقدمت على النبي ﷺ ، فقرأ الكتاب فتغير لونه، ثم قال: ما ترى في رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله؟ قال: قلت: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، وإنما أنا رسول، فسكت. (١)

٤. أخرج البخاري في صحيحه، عن شعبة، قال أخبرني عدي، قال: سمعت البراء، قال: رأيت النبي ﷺ والحسن على عاتقه يقول: اللهم إني أحبه، فأحبه. (٢)

٥. أخرج البخاري في صحيحه عن المسيب بن رافع، قال: لقيت البراء بن عازب، فقلت: طوبى لك، صحبت النبي ﷺ وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا ابن أخي، أنك لا تدري ما أحدثنا بعده. (٣)

ويؤيده ما رواه البخاري في كتاب الفتن من إحداه لفييف من أصحابه بدعاً وتبديلهم لدينه سبحانه، أخرج البخاري عن أبي وائل، قال: قال عبد الله: قال النبي ﷺ : أنا فرطكم على الحوض ليرفنن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم، اختلجوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي، يقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك.

أخرج البخاري عن أبي حازم، قال: سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: أنا فرطكم على الحوض، من ورد شرب منه، و من شرب منه لم يظماً بعده أبداً، ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم. قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلاً؟ فقلت: نعم، قال: وأنا اشهد على أبي سعيد

١ . سنن الترمذي: ٥/٦٣٨ برقم ٣٧٢٥.

٢ . صحيح البخاري: ٥/٢٦، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام .

٣ . صحيح البخاري: ٥/١٢٥، باب غزوة الحديبية.

الخدري لسمعته يزيد فيه، قال: إهمم مّي، فيقال: إتك لا تدري ما بدّلوا بعدك، فأقول: سحفاً سحفاً لمن بدّل بعدي. (١)

أخرج مسلم عن الأعمش، عن شفيق، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: أنا فرطكم على الحوض ولأنزعن أقواماً ثم لأغلبن عليهم، فأقول: يا رب أصحابي، أصحابي، فيقال: إتك لا تدري ما أحدثوا بعدك. (٢)

والعجب أنّ الذين يروون هذه الأحاديث من الصحيحين - اللذين يُعدان عندهم من أصحّ الكتب بعد كت-اب الله - يحكمون بلزوم الاقتداء بكلّ صحابي وأخذ الحديث منه، ولا يجوزون رمي واحد منهم بالجرح مع أنّ بينهم من بدّل دين الله وغيره وأحدث وقال في حقّه النبي ﷺ: سحفاً، سحفاً.

هذه طائفة من روائع أحاديثه، وإليك هذا الحديث المنسوب إليه والذي يخالف القواعد السالفة الذكر.

نزول الوحي عند رغبة ابن أمّ مكتوم

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي إسحاق، أنّه سمع البراء يقول في هذه الآية: «لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله» فأمر رسول الله ﷺ زيداً فجاء بكتف يكتبها، فشكا إليه ابن أمّ مكتوم ضرارته، فنزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾. (٣)

ومعنى ذلك أنّ الوحي نزل لرغبة ابن أمّ مكتوم ولولا شكايته لكان الوحي مثل ما نزل أولاً، وقد مرّ الكلام فيه عند دراسة أحاديث زيد بن ثابت.

١ . صحيح البخاري: ٤٦/٩، كتاب الفتن.

٢ . صحيح مسلم: ٦٨/٧، باب إثبات حوض نبيّنا.

٣ . صحيح مسلم: ٤٢/٦، باب سقوط فرض الجهاد على المعذورين؛ صحيح البخاري: ٢٤/٤ - ٢٥، باب قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ (النساء/٩٥).

٢٩- عبد الله بن الزبير

(٢- ٥٧٣هـ-)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. تقديم صلاة الجمعة على الخطبتين

٢. خطبة علي بنت أبي جهل

عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي، كنيته أبو بكر، وأمّه أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة، وهو أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة للمهاجرين.

ولد بالمدينة على رأس سنتين من الهجرة، أحضره أبوه الزبير عند رسول الله ﷺ ليبايعه وعمره سبع سنين.

وروى عن النبي ﷺ أحاديث، روى عنه: أخوه «عروة» وابناه «عامر» و«عباد»، وعبدة السلماني، وعطاء بن أبي رباح، والشعبي، وغيرهم.

شهد الجمل مع أبيه الزبير مقاتلاً لعليّ، فكان عليّ عليه السلام يقول: مازال الزبير ممّا أهل البيت حتى نشأ له عبد الله، وامتنع من بيعة يزيد بن معاوية بعد موت معاوية فأرسل إليه يزيد، مسلم بن عقبة «المزني»، فحصر المدينة

وأوقع بأهلها وقعة الحرة المشهورة، ثمّ سار إلى مكة ليقاتل ابن الزبير فمات في الطريق، ثمّ استخلف الحصين بن نمير السكوني وحاصر ابن الزبير بمكة، ودام الحصر إلى أن مات يزيد، وبويع عبد اللّهب الزبير بالخلافة وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان. ^(١)

كان ابن الزبير يسوس الحجاز والعراق وفيهما عمّاله إلى ان استولى عبد الملك على العراق عام إحدى وسبعين من الهجرة وانحصرت امارة ابن الزبير بالحجاز ، وعند ذاك وجّه عبد الملك، الحجاج بن يوسف الثقفي في جيش كثيف من أهل الشام لقتال عبد الله بن الزبير، وقدم مكة وحصر ابن الزبير، والتجأ هو وأصحابه إلى المسجد الحرام، ونصب الحجاج المنجنيق على «جبل أبي قبيس» ورمى به الكعبة إلى ان خرج أصحابه إلى الحجاج بالأمان، وقتل ابن الزبير يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة عام ثلاث و سبعين من الهجرة. ^(٢)

قال الذهبي: مسنده نحو من ثلاثة وثلاثين حديثاً، اتفقا له على حديث واحد، وانفرد البخاري بستة أحاديث ومسلم بحديثين.

وقبل ان نتناول أحاديثه بالبحث والتمحيص نذكر لمحة خاطفة عن سيرته والدور الذي لعبه في حرب الجمل.

التاريخ يصرح بأنّه هو الذي أشعل نائرة الحرب بين علي عليه السلام وأبيه، وكان أبوه على عتبة الندم والرجوع إلى المدينة وترك الحرب، ولكن ابنه عبد الله حال دون ذلك والجأ أباه إلى الاستمرار في موقفه المتصلّب ضد علي عليه السلام الذي كانت تربطه به أواصر القرابة، فقد كان علي عليه السلام ابن خاله وكان الزبير ابن عمّة علي عليه السلام ، وكانت الأواصر الودية مستوثقة إلى ان شبّ ابنه عبد الله فتعكّر صفو تلك الروابط.

١ . أسد الغابة: ١٦١/٣ .

٢ . الطبري، التاريخ: ٢٤/٥؛ الكامل لابن الأثير: ٣٢٩/٤ - ٣٥٦ .

قال الطبري: فلما توافقوا خرج عليّ فرسه، فدعا الزبير، فتواقفا، فقال علي للزبير: ما جاء بك؟ قال: أنت، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً، ولا أولى به منّا.
فقال علي عليه السلام: لست له أهلاً بعد عثمان! قد كنا نعدُّك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرّق بيننا وبينك، وعظّم عليه أشياء، فذكر أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرّ عليهما، فقال لعليّ: «ما يقول ابن عمّتك؟ ليقاتلنك وهو لك ظالم».
فانصرف عنه الزبير، وقال: فيّ لا أقاتلك. فرجع إلى ابنه عبد الله، فقال: مالي في هذه الحرب بصيرة.

فقال له ابنه: إنّك قد خرجت علي بصيرة، ولكنك رأيت رايات ابن أبي طالب، وعرفت أنّ تحتها الموت، فجنّبت، فأحفظه حتى أردد وغضب.
وقال: ويحك! إنّ-ي قد حلفت له ألا أقاتله.
فقال له ابنه: كثر عن يمينك بعثت غلامك سرجس، فأعتقه وقام في الصف معهم.
وكان علي قال للزبير: أتطلب مني دم عثمان وأنت قتلتته؟! سلط الله على أشدنا عليه اليوم ما يكره. ^(١)

وعلى هذا فقد شبّ الرجل وشاب علي عداء عليّ وحمل الضغن عليه.
ومما يكشف عن عدائه المتأصل ما نقله ابن الأثير ما هذا لفظه بتلخيص: أنّ ابن الزبير دعا محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وشيعته وسبعة عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة منهم أبو الطفيل عامر بن واثلة الذي له صحبة لبيابعه. فامتنعوا، وقالوا: لا نبايع حتى تجتمع الأئمة، فأكثر الواقعة بابن الحنفية

١ . تاريخ الطبري: ٤١/٣، حوادث سنة ٣٦، ونقله أيضاً ابن الأثير في الكامل، لاحظ ٢٣٩/٣.

وذمه، فأخبروا ابن الحنفية بما كان منهم، فأمرهم بالصبر، ولم يلحّ عليهم ابن الزبير. فلما استولى المختار على الكوفة وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفية، خاف ابن الزبير أن يتداعى الناس إلى الرضا به، فألحّ عليه وعلى أصحابه في البيعة له، فحبسهم بزمزم وتوعدهم بالقتل والإحراق، وإعطاء الله عهداً إن لم يبايعوه أن ينقذ ما توعدّهم به، وضرب لهم في ذلك أجلاً. ولما اطلع المختار على حقيقة الأمر بعث ظبيان بن عُمارة أخا بني تميم ومعه أربعمئة وبعث معه لابن الحنفية أربعمئة ألف درهم، فساروا نحو مكة حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الرايات وهم ينادون: يا لثارات الحسين، حتى انتهوا إلى زمزم وقد أعدّ ابن الزبير الحطب ليُحرقهم وكان قد بقي من الأجل يومان، فكسروا الباب ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا: خلّ بيننا وبين عدو الله ابن الزبير.

فقال لهم: إني لا أستحل القتال في الحرم إلى آخر ما ذكره. ^(١) فإذا كان هذه هي شيمة الرجل و سيرته مع آل علي، فهل يصحّ أن يعتمد على ما يرويه في حقّهم كما سيوافيك؟!

وعلى أية حال فهو من المقلّين في نقل الحديث، ومن روائع رواياته ما يلي:
روائع أحاديثه:

١. أخرج أحمد في مسنده، عن عطاء، عن عبد الله بن الزبير، قال: قال رسول الله ﷺ: صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلّا

١ . الكامل في التاريخ: ٢٤٩/٤ - ٢٥١.

المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في هذا. (١)

٢. أخرج النسائي في سننه، عن يوسف بن الزبير، عن عبد الله بن الزبير، قال:

جاء رجل من خثعم إلى رسول الله ﷺ، فقال: إنَّ أبي شيخ كبير، لا يستطيع الركوب

وأدركته فريضة الله في الحج، فهل يجزي أن أحج عنه؟

قال: أنت أكبر ولده؟ قال: نعم، قال: أرايت لو كان عليه دين، أكنت تقضيه؟ قال: نعم.

قال: فحج عنه. (٢)

ثمَّ إنَّ هنا روايات رويت عنه، تخالف الضوابط المذكورة في صدر الكتاب.

١. تقديم صلاة الجمعة على الخطبتين

أخرج أحمد في مسنده، عن وهب بن كيسان مولى ابن الزبير، قال:

سمعت عبد الله بن الزبير في يوم العيد، يقول، حين صلَّى قبل الخطبة، ثمَّ قام يخطب النَّاس: يا

أيُّها النَّاس، كلاًَّ سنَّة الله وسنَّة رسول الله ﷺ. (٣)

الظاهر أنَّ الرواية موقوفة، لأنَّ ابن الزبير ولد في السنة الثانية من الهجرة، وتوفي النبي ﷺ

وله ثمان سنين.

فيبدو أنَّه لم ير واقعة تقديم الصلاة على الخطبتين من قبل النبي ﷺ فتكون الرواية

موقوفة وليست بحجة.

على أنَّ الظاهر من كلمات الفقهاء شرطية تقدّم الخطبة.

قال في المغني: الرابع من الشروط أن يتقدمها خطبتان من شرط

١ . مسند أحمد : ٥/٤ .

٢ . سنن النسائي : ١١٧/٥ ، تشبيه قضاء الحج بقضاء الدين .

٣ . مسند أحمد : ٤/٤ .

صحتها، وقد كان عمل النبي ﷺ على تقديم الخطبة بينهما فصل من جلوس، وقد قال: صلوا كما رأيتُموني أصلي، فالعكس يحتاج إلى الدليل. (١) وقال العلامة الحلبي: الثاني من الشروط تقديمهما على الصلاة لأنهما شرط فيها، والشرط مقدم ولأن النبي ﷺ داوم على ذلك، وقال: صلوا كما رأيتُموني أصلي، ولقول الباقر عليه السلام وقد سئل عن خطبة رسول الله ﷺ قبل الصلاة أو بعدها، قال: قبل الصلاة ثم يصلي (٢) وأغلب الظن أن المصلحة الشخصية دفعته إلى تقديم الصلاة على الخطبتين فلما اعترض عليه، اضطر إلى عزو ذلك إلى النبي ﷺ لينخرج من هذا المأزق.

٢. خِطْبَةُ عَلِيِّ بِنْتِ أَبِي جَهْلٍ

أخرج الترمذي، عن ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن الزبير؛ أنّ عليّاً ذكر بنت أبي جهل، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: إنّما فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما آذاها، وينصبي ما أنصبها. (٣) ولكن البخاري نقله في غير واحد من الأبواب عن مسنور بن مخزّمة، وإليك صور ما نقله:

١. ما نقله في «باب ما ذكر من درع النبي ﷺ» بسند ينتهي إلى ابن شهاب أنّ علي بن الحسين عليه السلام حدثه أنّهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية، بعد مقتل الحسين بن علي «عليه السلام»، لقيه المسور بن مخزّمة، فقال له: هل لك إليّ من حاجة تأمرني بها؟ فقلت له: لا، فقال له: فهل أنت مُعطيّ سيف رسول الله ﷺ؟ فإني أخاف أن يغلبك القوم عليه، وأيم الله لئن أعطيتنيه لا يُخلص إليهم أبداً، حتى تبلغ نفسي.

١ . المغني، ابن قدامة ومعه الشرح الكبير: ١٨١/٢ .

٢ . التذكرة: ٤/٦٩ .

٣ . سنن الترمذي: ٥/٦٩٩ برقم ٣٨٦٩؛ ورواه أحمد في مسنده: ٤/٥ .

انّ علي بن أبي طالب عليه السلام خطب ابنة أبي جهل على فاطمة عليها السلام، فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يخطب الناس في ذلك على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ فاطمة مني، وأنا أتخوف أن تفتن في دينها، ثمّ ذكر صهرأ له من بني عبد شمس فأثنى عليه في مصاهرته إياه.

قال: حدّثني فصدقني، ووعدني فوفى لي، وإني لست أُحرّم حلالاً ولا أحلّ حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبنت عدو الله أبداً. ^(١)

٢. ما أخرجه عن الزهري، قال: حدّثني علي بن الحسين عليهما السلام : انّ المسور ابن مخزومة، قال: إنّ علياً خطب بنت أبي جهل، فسمعتُ بذلك فاطمة، فأنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالت: يزعم قومك أنّك لا تغضب لبناتك، وهذا عليّنا كح بنت أبي جهل.

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسمعته حين تشهد، يقول: أمّا بعد، أنكحْتُ أبا العاص بن الربيع فحدّثني وصدقني، وإنّ فاطمة بضعة منّي وإني أكره أن يسوأها، والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبنت عدو الله عند رجل واحد. فترك عليّ الخطبة . و زاد مُحمّد بن عمرو بن حلحلة، عن ابن شهاب، عن علي، عن مسور : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر صهرأ له من بني عبد شمس فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن. قال: حدّثني فصدقني ووعدني فوفى لي. ^(٢) ٣. ما نقله أيضاً مرسلأ وقال: قال المسور: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر صهرأ له فأثنى عليه في مصاهرته فأحسن، قال: حدّثني فصدقني ووعدني فوفى لي. ^(٣)

-
- ١ . صحيح البخاري: ٨٣/٤، باب ما ذكر من درع النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
 - ٢ . صحيح البخاري: ٢٢/٥-٢٣، باب ذكر اصهار النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
 - ٣ . صحيح البخاري: ٢٠/٧، باب الشروط في النكاح.

٤. مانقله أيضاً في باب الغيرة، عن المسور بن مخرمة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول و هو على المنبر: إنَّ بني هشام بن المغيرة استأذنوا أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن، ثمَّ لا آذن، ثمَّ لا آذن، إلَّا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنَّما هي بضعة مني يربيني ما أربها، ويؤذيني ما آذاها. ^(١) هذه هي صور أربع لرواية واحدة، وأنت ترى أنَّ البخاري كيف يلعب بالرواية سنداً و متنأً، فتارة يذكره مسنداً إلى مخرمة، وأخرى ينقله مراسلاً، وثالثة يضم إلى قصة الخطبة قصة أخرى وهي طلب المسور سيف النبي ﷺ، وأخرى يجردها عنها. وأمَّا الاختلاف في اللفظ فحدّث عنه ولا حرج، ومع ذلك فالرواية مكذوبة وموضوعة على لسان النبي ﷺ، وضعها الأمويون في عهدهم للحطّ من شأن عليّ ؑ، وإليك بيانها. أمَّا ما رواه الترمذي و أحمد مسنداً إلى ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن الزبير فلا يصحّ الاحتجاج به لما عرفت من أنّ الرجل كان من أعداء عليّ ؑ «إنيلا» ، فلا يمكن الاعتماد على قوله، وقد عرفت شيئاً من عدائه. وأمَّا ما أخرجه البخاري عن المسور، ففيه وجوه من الاشكال: الأوّل: أنّ الصلة بين القصتين في الصورة الأولى مقطوعة، حيث إنّ ابن مخرمة يطلب سيف رسول الله ﷺ، ولما يواجه امتناع علي بن الحسين يتبعه بقصة أخرى ويقول: إنّ علي بن أبي طالب خطب ابنة أبي جهل، فأبيّ صلة بين القصتين؟ وان

١ . صحيح البخاري: ٣٧/٧، باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والانصاف من كتاب النكاح.

أتعب ابن حجر نفسه في شرحه على البخاري حتى يوضح الصلة بينهما. (١) الثاني : أنّ المسور بن مخزومة ولد بمكة بعد الهجرة بعامين وله من العمر عند وفاة النبي ﷺ ثمان سنين، فكيف يقول في الصورة الأولى ممّا نقلها البخاري: فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب الناس في ذلك على منبره، وأنا يومئذٍ محتلم. ولا يطلق على من له ثمان سنين أنّه محتلم، بل ولا كالمحتلم؟ فما ذكره الذهبي أنّ المسور كان كبيراً محتملاً يوم ذاك فهو غفلة عن سنة مولده، وقد أرخ هو ميلاده بما ذكرنا. (٢) الثالث : كيف ينقل علي بن الحسين عليه السلام - حينما قفل راجعاً من كربلاء إلى المدينة المنورة وقلبه مثقل بالهموم والمصائب - تلك القصة الموهنة التي تحطّ من شخصية جدّه عليه السلام ، للزهريّ فهل يقوم بذلك إنسان عادي فضلاً عن علي بن الحسين عليه السلام ؟ حتى ولو افترضنا أنّه سمعه من المسور بن مخزومة. الرابع: أنّ جميع صور الرواية التي رواها البخاريّ تنتهي إلى المسور بن مخزومة، الذي كان منحرفاً عن عليّ، ويشهد على ذلك ما نقله الذهبي. قال: قدم دمشق يريداً من عثمان يستصرخ بمعاوية. وقال أيضاً: كانت الخوارج تغشاه وينتحلونه. وقال أيضاً: قال عروة: فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلاّ صلّى عليه. وذكر أنّ ابن الزبير لا يقطع أمراً دون المسور بمكة. (٣) كلّ ذلك يشهد على أنّه قد نصب العداء لأمير المؤمنين عليه السلام

١ . لاحظ فتح الباري: ٢١٤/٦ فذكر أنّ الصلة هي أنّ رسول الله كان يحب رفاهية فاطمة فأنا أيضاً أحب رفاهية خاطر ككونك ابن ابنها فعاطني السيف حتى أحفظه لك. وهو كما ترى.

٢ . سير أعلام النبلاء: ٣/٣٩٣ برقم ٦٠.

٣ . سير أعلام النبلاء: ٣/٣٩٠-٣٩٤ برقم ٦٠.

واتخذ عداءه بطانة له حتى بلغ به الأمر إلى أنه لا يذكر معاوية إلا صلى عليه، و إن الزبير لا يقطع أمراً دونه. كلمة لأبي جعفر الاسكافي حول الرواية وثمة كلمة قيمة لأبي جعفر الاسكافي، لا بأس بنقلها هنا نقلها ابن أبي الحديد عنه: قال: إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه؛ وجعل لهم على ذلك جُعلاً يُرْعَبُ في مثله؛ فاختلفوا ما أرضاه، منهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين: عروة بن الزبير. روى الزهري أن عروة بن الزبير حدثه، قال: حدثتني عائشة، قالت: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل العباس وعلي، فقال: يا عائشة، إتهذين يموتان على غير ملتي، أو قال: غير ديني. وروى عبد الرزاق، عن معمر، قال: كان عند الزهري حديثان، عن عروة، عن عائشة في علي عليه السلام؛ فسألته عنهما يوماً؟ فقال: ما تصنع بهما وبحديثهما! الله أعلم بهما؛ إنني لأتشمهما في بني هاشم. قال: فأما الحديث الأول؛ فقد ذكرناه؛ وأما الحديث الثاني فهو أن عروة زعم أن عائشة حدثته، قالت: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل العباس وعلي، فقال: «يا عائشة؛ إن سرك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا»، فنظرت، فإذا العباس وعلي بن أبي طالب. وأما عمرو بن العاص، فروى عنه الحديث الذي أخرجه البخاري و مسلم في صحيحيهما مسنداً متصلاً بعمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول: «إنَّ آلَ أبي طالب ليسوا لي بأولياءٍ إنّما وليّ الله وصالح المؤمنين». وأمّا أبو هريرة، فروي عنه الحديث الذي معناه أنّ عليّاً عليه السلام خطب ابنة أبي جهل في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأسخطه، فخطب على المنبر، وقال: لاها الله! لا تجتمع ابنة وليّ الله وابنة عدو الله أبي جهل! إنفاطمة بضعة مّيّ يؤذيني ما يؤذيها؛ فإن كان علي يريد ابنة أبي جهل فليفارق ابنتي، وليفعل ما يريد، أو كلاماً هذا معناه، والحديث مشهور من رواية الكرابيسي. قلت: هذا الحديث أيضاً مخرج في صحيحي مسلم والبخاري عن المسور ابن مخزوم الزهري؛ وقد ذكره المرتضى في كتابه المسمى «تنزيه الأنبياء و الأئمة»، وذكر أنّه رواية حسين الكرابيسي، وأنّه مشهور بالانحراف عن أهل البيت عليهم السلام ، وعداوتهم والمناصبه لهم، فلا تقبل روايته. ولشيعاء هذا الخبر وانتشاره ذكره مروان بن أبي حفصة في قصيدة يمدح بها الرشيد، ويذكر فيها ولد فاطمة عليها السلام ويُنحي عليهم، ويذمهم، وقد بالغ حين ذمّ عليّاً عليه السلام ونال منه، وأولها: سلامٌ على جُمُلٍ، وهيهاتَ من جملٍ * ويا حبذا جملٌ وإن صرمتَ حُبلي يقول فيها: عليّ أبوكم كان أفضلَ منكم * أباه ذوو الشورى وكانوا ذوي الفضلِ وساء رسول الله إذ ساء بنته * بحطبتَه بنتَ اللعين أبي جهل فذمَّ رسول الله صهر أبيكم * على منبرٍ بالمنطق الصادع الفصلِ وحكمٍ فيها حاكمين أبوكم * هما خلعاها خلَعَ ذي النعلِ للنعلِ وقد باعها من بعده الحسنُ ابنُه * فقد أبطلت دعواكم الرثةُ الحبلِ وخليتموها وهي في غير أهلها * وطالبتموها حين صارت إلى أهلِ

وقد رُوي هذا الخبر على وجوه مختلفة، وفيه زيادات متفاوتة؛ فمن الناس من يروي فيه: «مهما ذمنا من صهر فإننا لم نذم صهر أبي العاص بن الربيع»، ومن الناس من يروي فيه: «ألا إن بني المغيرة أرسلوا إلى عليٍّ ليزوجه كريمتهم»؛ وغير ذلك. ^(١) وفي الختام نقول: إن قصارى ما بذله ابن حجر في كتابه فتح الباري ^(٢) في غير واحد من أجزاء كتابه، لا يخرج عن تبرير عمل عليّ عليه السلام و أنه لم تكن خطبته مخالفة للإسلام و أنه انتهى عن العمل بعدما وقف على أنّ الزواج بينت أبي جهل سينتهي إلى إيذاء بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وكان عليه أن يبذل جهوده في تقييم الرواية وعرضها على التاريخ الصحيح في سيرة عليّ عليه السلام وقربه من النبي و أنه كان يتبعه اتباع الظل لذي الظل وكان واقفاً على ما يبغض النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو يرضيه، فهل يتصور منه عليه السلام أن يخاطب بنت أبي جهل - الذي هو من ألد أعداء الإسلام - على فاطمة الزهراء من دون استئذان النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟! نعم لا نقول إن تزويج بنت أبي جهل المسلمة كان حراماً، ولكن ليس كل حلال يعمل به، خصوصاً مثل عليّ عليه السلام بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبضعته. ولعل في هذا البحث غنى وكفاية. فقد بان من هذا أنّ عليّاً عليه السلام لم يُغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وها أنا أعرف لك من أغضب الرسول و آذاه. فهذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: فاطمة بضعة مني

١ . شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤/٦٣ - ٤/٦٥

٢ . فتح الباري: ٦/٢١٤؛ ٧/٨٥؛ ٩/٣٢٧.

فمن أغضبها أغضبي. ^(١) ومن جانب آخر يروي البخاري أنّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه. فقال لها أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لا نُورث ما تركناه صدقة. فغضبت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرت أبا بكر فلم تنزل بها هاجرته حتى توفيت. ^(٢) وروى البخاري أيضاً أنّ فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما يبقى من خمس خيبر - إلى ان قال: - فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته، فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي ستة أشهر، فلمّا توفيت دفنها زوجها عليّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها. ^(٣) وروى البخاري أيضاً: أنّ فاطمة عليها السلام والعباس عليهما السلام أتيا أبا بكر يلتمسان من ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فدك و سهمهما من خيبر، فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله يقول: لا نورث ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمد من هذا المال. قال أبو بكر: والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيه إلاّ صنعته قال: فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت. ^(٤) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق/٣٧).

١ . صحيح البخاري: ٥١/٥ في كتاب مناقب قرابة الرسول.

٢ . صحيح البخاري: ٧٩/٤، باب فرض الخمس.

٣ . صحيح البخاري: ١٣٩/٥، باب غزوة خيبر؛ وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه: ١٥٣/٥، كتاب الجهاد، باب قول النبي لا نورث ما تركناه صدقة؛ وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: ٩/١.

٤ . صحيح البخاري: ١٤٩/٨، كتاب الفرائض.

٣٠- أبو سعيد الخدري

(١٠ ق.هـ - - ٧٤هـ-)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. ثلاثمائة وخمس عشرة شريعة

٢. نزول النبي ﷺ عند رغبة عمر

٣. احتجاج آدم على موسى بالقدر

٤. قتال المارّ بين يدي المصلي

٥. النبي يغفل عن صلواته

٦. الوقوع على السبايا قبل الاستبراء

٧. الصوم في السفر

٨. سلطان إبليس على النبي ﷺ

٩. كذب إبراهيم ثلاث مرّات

١٠. التحدث عن بني إسرائيل.

هو سعد بن مالك بن سنان الخزرجي وأخوه لأُمّه هو قتادة بن النعمان الظفري أحد البدرين، استشهد أبوه «مالك» يوم أحد، و شهد أبو سعيد الخندق وبيعة الرضوان.

قال أبو سعيد: غُرِضْتُ يوم أحد وأنا ابن ثلاث عشرة، فجعل أبي يأخذ بيدي و يقول: يا رسول الله إنّه عَـبَلُ العظام، و جعل نبيّ الله يصعّد في النظر ويصوّبه ثمّ قال: رُدّه فردّني.

قال الذهبي: مسند أبي سعيد ١١٧٠ حديثاً، ففي البخاري و مسلم ٤٣ وانفرد البخاري ب-

١٦ حديثاً و مسلم ب-٥٢ حديثاً. (١)

ولكن الموجود من أحاديثه في الصحاح و المسانيد لا يبلغ هذا المقدار

١ . سير أعلام النبلاء: ١٦٨/٣ برقم ١٨.

بل ينقص عنه بكثير، و قد جمعت في المسند الجامع رواياته فبلغت ٦٢٥ حديثاً^(١). ولعله لم يستوفها كما هو دأبه في غير مورد.

يقول ابن الأثير : أبو سعيد الأنصاري الخدري و هو مشهور بكنيته من مشهوري الصحابة و فضلائهم و هو من المكثرين من الرواية عنه، وأول مشاهده الخندق، و غزا مع رسول الله اثنتي عشرة غزوة، وروى عنه من الصحابة: جابر وزيد بن ثابت وابن عباس و أنس و ابن عمر وابن الزبير؛ ومن التابعين: سعيد بن المسيب وأبو سلمة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة و عطاء بن يسار و أبو أمامة بن سهل بن حنيف و غيرهم، توفي سنة ٧٤هـ - يوم الجمعة و دفن بالبقيع، وهو ممن له عقب من الصحابة، و كان يحفي شاربه و يصفر لحيته.^(٢)

وقال في قسم الكنى: و كان من الحفاظ لحديث رسول الله المكثرين ومن العلماء الفضلاء العقلاء.^(٣)

وقال ابن عبد البر: وكان ممن حفظ عن رسول الله ﷺ سنناً كثيرة وروى عنه علماء جماً، و كان من نجباء الأنصار و علمائهم و فضلائهم.^(٤)

وروى السيد نور الدين السمهودي في «جواهر العقدين» نقلاً عن الحافظ أبي نعيم الاصبهاني في حلية الأولياء عن أبي الطفيل، قال: إن علياً «عليه السلام» قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أنشد الله من شهد يوم غدیر خم إلا قام، ولا يقوم رجل يقول: إني نُبتت أو بلغني، إلا رجل سمعتُ أذناه و وعاه قلبه.

١ . المسند الجامع: ٥٧٥/٦.

٢ . أسد الغابة: ٢٨٩/٢.

٣ . المصدر نفسه: ٢١١/٥.

٤ . الاستيعاب: ٦٠٢/٢ تحقيق علي محمد البجاوي.

فقام سبعة عشر رجلاً منهم أبو سعيد الخدري. (١)

وقال ابن قتيبة - عند سرده لوقعة الحرّة لما أراد أهل الشام نهب المدينة وقتل رجالها الذين خلعوا بيعة يزيد عن أعناقهم - قال: ولزم أبو سعيد الخدري في بيته فدخل عليه نفر من أهل الشام، فقال: أيها الشيخ من أنت؟ فقال: أنا أبو سعيد صاحب رسول الله ﷺ، فقالوا: مازلنا نسمع عنك فبحظك أخذت في ترك قتالنا وكفك عنا ولزوم بيتك، ولكن أخرج إلينا ما عندك، قال: والله ما عندي مال فنتفوا لحيته و ضربوه ضربات، ثم أخذوا كلمًا وجدوه في بيته حتى الثوم و حتى زوج حمام كان له. (٢)

تعاطفه مع أهل البيت ﷺ

إنّ أبا سعيد الخدري من أجلاء الصحابة الذين كانت لهم مواقف مشرّفة مع أئمة أهل البيت ﷺ، و قد عرفت أنّه أحد من شهد لعلي «إبّيل» بالولاية يوم الغدير، وأخرج الإمام أحمد عنه، أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأتّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. (٣)

وقد أخرج هذا الحديث الترمذي في سننه، عن جابر بن عبد الله، قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة و هو على ناقته القصواء يخطب فسمعتة، يقول: يا أيّها الناس إني قد تركت فيكم ما إن

١ . الغدير: ١/١٧٦.

٢ . ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ١٩٥.

٣ . مسند أحمد: ٣/١٤.

أخذتم به لن تضلّوا؛ كتاب الله و عترتي أهل بيتي. (١)

هذه إمامة عابرة بترجمة ذلك الصحابي العظيم، و إليك استعراض ما روي عنه من روائع الأحاديث.

روائع أحاديثه

١. أخرج ابن ماجة في سننه، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ : من خرج من بيته إلى الصلاة، فقال: «اللهم إني أسألك بحقّ السائلين عليك، و أسألك بحقّ ممشي هذا فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة وخرجت اتقاء سخطك و ابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي إنّه لا يغفر الذنوب إلا أنت». أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك. (٢)

وبالرغم من أنّ المعلق على سنن ابن ماجة ضعّف الحديث لمكان عطية العوفي، لكنّه رجل ثقة، وما نعموا منه إلاّ تشييعه وحبّه لأهل البيت «عليهم السلام».

٢. أخرج ابن ماجة، عن جابر بن عبد الله، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: إذا قضى أحدكم صلاته فليجعل لبيته نصيباً، فإنّ الله جاعل في بيته من صلاته خيراً. (٣)

ولأجل ذلك كان النبي يودّي نوافل رمضان في بيته فرادى، و قلّمما يتفق أن يصلّيها في المسجد، و ما هذا إلاّ لأنّ للبيت نصيباً من الصلاة، و بذلك يعلم

١ . سنن الترمذي: ٥/٦٦٢ برقم ٣٧٨٦.

٢ . سنن ابن ماجة: ١/٢٥٦ برقم ٧٧٨؛ مسند أحمد: ٣/٢١، قوله «أقبل الله عليه بوجهه» خلاف قوله «صرف الله وجهه عنه» وكلاهما كتابتان عن شمول الرحمة وخلافه.

٣ . سنن ابن ماجة: ١/٤٣٨ برقم ١٣٧٦؛ مسند أحمد: ٣/١٥.

انَّ إقامة صلاة التراويح جماعة، إخلاء للبيت من إقامة الصلاة فيه، و قد أخرج ابن ماجة عن عبد الله بن سعد، قال: سألت رسول الله ﷺ أيهما أفضل، الصلاة في بيتي أو الصلاة في المسجد؟ قال: ألا ترى إلى بيتي؟ ما أقربه من المسجد! فلئن أصلي في بيتي أحبُّ إليمن أن أصلي في المسجد إلا أن تكون صلاة مكتوبة. (١)

ونقل المعلق عن الزوائد أنَّ اسناده صحيح و رجاله ثقات.

٣. أخرج البخاري في صحيحه، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: ما استخلف خليفة إلا له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، و بطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، و المعصوم من عصم الله. (٢)

٤. أخرج الترمذي عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾. (٣)

٥. أخرج أبو داود في سننه، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري: قال: قال رسول الله ﷺ: أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر. (٤)

٦. أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، ومن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه و ذلك أضعف الإيمان. (٥)

٧. أخرج أحمد في مسنده، عن أبي عيسى الأسواري، عن أبي سعيد

١ . سنن ابن ماجة: ٤٣٩/١ برقم ١٣٧٨.

٢ . صحيح البخاري: ١٢٥/٨، باب المعصوم من عصم الله.

٣ . سنن الترمذي: ٢٩٨/٥ برقم ٣١٢٧ والآية ٧٥ من سورة الحجر.

٤ . سنن أبي داود: ١٢٤/٤ برقم ٤٣٤٤.

٥ . صحيح مسلم: ٥٠/١، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان.

الخدري، عن النبي ﷺ ، قال: عودوا المريض، واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة. (١)

٨. أخرج الإمام مسلم في صحيحه، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي سعيد الخدري: أنّ ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثمّ سألوه فأعطاهم، حتى إذا نفذ ما عنده، قال: ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، و من يستعفف يعفّه الله و من يستغن يُغنّه الله و من يصبر يصبّـره الله، و ما أُعطي أحد من عطاء خيراً وأوسع من الصبر. (٢)

٩. أخرج البخاري في الأدب المفرد، وأحمد في مسنده، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: من لا يرحم الناس لا يرحمه الله. (٣)

١٠. أخرج الترمذي، عن عبد الله بن غالب الحرّاني، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: خصلتان لا تجتمعان في قومي: البخل وسوء الخلق. (٤)

١١. أخرج الترمذي، عن ابن أبي ليلى، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: من لم يشكر الناس لم يشكر الله. (٥)

هذه جملة من روائع أحاديثه اقتصرنا عليها، لأنّ المقصود عرض نماذج من أحاديثه التي علا هامتها نور النبوة، و إليك شيئاً ممّا نسب إليه والذي لا يوافق المعايير المذكورة في صدر الكتاب.

١ . مسند أحمد: ٢٢٣/٣.

٢ . صحيح مسلم: ١٠٢/٣، باب فضل التعفف والصبر.

٣ . البخاري: الأدب المفرد، ص ٩٥؛ مسند أحمد: ٤٠/٣.

٤ . سنن الترمذي: ٣٤٣/٤ برقم ١٩٦٢.

٥ . سنن الترمذي: ٣٣٩/٤ برقم ١٩٥٥.

١. ثلاثمائة و خمس عشرة شريعة

أخرج عبد بن حميد، عن عبد الله بن راشد مولى لعثمان بن عفان، قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: قال رسول الله ﷺ :

إنّ بين يدي الرحمن تبارك وتعالى لوحاً فيه ثلاثمائة و خمس عشرة شريعة، يقول الرحمن: وعزّي وجلالي لا يجيئني عبد من عبادي لا يشرك بي شيئاً فيه واحدة، وإحدى منكنّ إلاّ أدخلته الجنة.^(١) تتضمن الرواية أنّه سبحانه و تعالى أنزل شرائع كثيرة تربو على ٣١٥ شريعة ولكن الظاهر من الذكر الحكيم انحصار شرائعه في خمس، قال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى/١٣) فلو كان هناك شريعة قبل نوح أو شريعة في ثنايا شرائع السابقين لأشار إليها.

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (الأحزاب/٧).

فالمتبادر من الآيتين أنّ هؤلاء هم أصحاب الشرائع وأنّ الباقيين كانوا من الدعاة إلى شرائعهم، يقول ابن كثير في تفسير الآية الأولى: «فذكر أول الرسل بعد آدم و هو (نوح عليه السلام) وآخرهم و هو (محمد ﷺ) ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم: إبراهيم وموسى و عيسى بن مريم، وهذه الآية تضمنت ذكر الخمسة كما اشتملت آية الأحزاب عليهم في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾.^(٢)

١ . المسند الجامع: ١٥٨/٦ - ١٥٩، قال أخرجه عبد بن حميد برقم ٩٦٨.

٢ . مختصر تفسير ابن كثير: ٢٧٢/٣.

وقال جلال الدين السيوطي في تفسير آية الشورى الماضية: وأخرج ابن المنذر عن زيد بن رفيع، بقية أهل الجزيرة، قال: بعث الله نوحاً عليه السلام وشرع له الدين فكان الناس في شريعة نوح عليه السلام ما كانوا، فما أطفأها إلا الزندقة، ثم بعث الله موسى عليه السلام وشرع له الدين، فكان الناس في شريعة من بعد موسى، ما كانوا، فما أطفأها إلا الزندقة، ثم بعث الله عيسى «عليه السلام» وشرع له الدين، فكان الناس في شريعة عيسى عليه السلام ما كانوا فما أطفأها إلا الزندقة، قال: ولا يخاف على هلاك هذا الدين إلا الزندقة». (١)

يقول العلامة الطباطبائي: يستفاد من الآية (آية الشورى) أمور (نذكر مما ذكره أمرين):
الأول: أنّ الشرائع الإلهية المنتسبة إلى الوحي إنّما هي شريعة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى و محمد عليه السلام ، إذ لو كان هناك غيرها لذكر قضاء لحقّ الجامعة المذكورة، و لازم ذلك أولاً: ان لا شريعة قبل نوح «عليه السلام» بمعنى القوانين الحاكمة في المجتمع الإنساني الرافعة للاختلافات الاجتماعية. و ثانياً: أنّ الأنبياء المبعوثين بعد نوح كانوا على شريعته إلى بعثة إبراهيم وبعدها على شريعة إبراهيم إلى بعثة موسى و هكذا.

الثاني: أنّ الأنبياء أصحاب الشرائع وأولي العزم هم هؤلاء الخمسة المذكورون في الآية إذ لو كان معهم غيرهم لذكر ف هؤلاء سادة الأنبياء، ويدل على تقدمهم أيضاً قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ (الأحزاب/٧). (٢)
نعم ليس كل نبي ذا شريعة، ولأجل ذلك يربو عدد الأنبياء على الألوف

١ . الدر المنثور: ٣٤٠/٧. هكذا في المصدر و قد سقط من الرواية ذكر شريعة إبراهيم.

٢ . الطباطبائي، الميزان: ٢٩/١٨.

مع أنّ الشريعة لا تتجاوز الخمس.

ولو فرض إطلاق صاحب الشريعة على كلّ نبي باعتبار أنّه مروجّها ومبينها فلا تنحصر الشريعة في العدد المذكور في الرواية بل يزيد عددهم بكثير.

ثمّ أين هذه الشرائع الكثيرة التي تحكي عنها الرواية، ولا أثر لها في الكتب السماوية الموجودة؟
٢. نزول النبي ﷺ عند رغبة عمر

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد، قال: لما كان غزوة تبوك، أصاب الناس مجاعة، قالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرننا نواضحنا فأكلنا وادّهنا.
فقال رسول الله ﷺ: افعلوا.

قال فجاء عمر، فقال: يا رسول الله إن فعلت قلّ الظّهر ولكن ادعهم بفضل ازوادهم. ثمّ ادع الله لهم عليها بالبركة لعلّ الله أن يجعل في ذلك.

فقال رسول الله ﷺ نعم. (١)

أقول: إنّ سبجانه يصف نبيّه بقوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء/١١٣).

والمراد من الفضل هو علمه ومن وصف سبجانه علمه بالعظمة، فهل من المعقول أن يكون غير واقف على ما جاء في هذه الرواية وكان بعض أتباعه أعلم منه؟!
إنّ الحنكة السياسية والعسكرية تفرض على القائد أن يكون واقفاً على

١ . صحيح مسلم: ٤٢/١، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه، من كتاب الإيمان.

المصالح والمفاسد التي تحدى بعسكره، فإذا كان عمر قد اطلع على ذلك فالنبي ﷺ أولى بالاطلاع منه فكيف وقف الأول عليها دون أفضل الخليفة؟!

وثمة نكتة جديرة بالإشارة وهي أنّ ما جاء في تلك الرواية ليس فريداً من نوعه بل تكرر ذلك في موارد أخرى بنحو تُصوّر أنّ عمر كان أعلم من النبي ﷺ وهذا النوع من الروايات نابع عن الإفراط في العاطفة تجاه الخليفة، فلنذكر بعض الموارد.

المورد الأول: قتل الأسرى

أخرج الإمام أحمد عن أنس (رض) قال: استشار النبي الناس في الأُسارى يوم بدر، فقال: إنّ الله أمكنكم منهم.

فقام عمر بن الخطاب (رض) فقال: يا رسول الله، اضرب أعناقهم؟ فأعرض عنه النبي ﷺ فقال: يا أيها الناس إنّ الله قد أمكنكم منهم و إنّما هم إخوانكم بالأمس. فقام عمر، فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم؟

فأعرض عنه النبي ﷺ ثم عاد فقال مثل ذلك. فقام أبو بكر الصديق فقال: يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم و ان تقبل منهم الفداء. فعفا عنهم و قبل منهم الفداء، فنزل ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآية. (١)

يلاحظ عليه أولاً: أنّ هناك موضوعات عرفية ربما يستشير فيها النبي أصحابه لا لأجل الوقوف على ما هو الأصح بل لأجل منحهم الشخصية، يقول سبحانه: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران / ١٥٩). وربما تكون في المشاورة مصالح أخرى كتعليم أصحابه كيفية معالجة المشاكل

١ . الدر المشور: ١٠٤/٤ والآية ٦٨ من سورة الأنفال.

كما شاور ﷺ في غزوة أحد والأحزاب.

وأما الأحكام الشرعية التي يختص تشريعها بالله سبحانه وأمر النبي ﷺ بإبلاغها دون أي تصرف، فهي أمور لا تخضع للمشاورة بل على النبي أن يمكث حتى يوافيه الوحي بها، وقد تكرر ذلك فُسئِل النبي عن أشياء، فمكث حتى وافاه الوحي.

ومسألة الأسارى من المسائل الشائكة المهمة في الحياة الاجتماعية والسياسية للمسلمين فله سبحانه فيها تشريع كتشريعه في سائر الموضوعات ولا يسع النبي ﷺ المبلِّغ عن الله أحكامه، أن يشاور هذا أو ذاك حتى يشير أحدهم بالقسوة والآخر بالرأفة.

وعلى ذلك فليس هناك أي مسوغ للنبي للمشاورة حسب الموازين الشرعية.

ثانياً: كيف يكون الرسول غير واقف على الحكم الأصح في حق الأسارى ويكون غيره واقفاً عليه، والنبي ﷺ أكرم الخليقة وأفضل من أينما آدم الذي علّمه سبحانه الأسماء كلّها وصار بذلك خليفة لله ومعلماً للملائكة.

ثالثاً: أنّ ظاهر الحديث يعرب عن كون الخطاب في قوله: (لمسّكم فيه عذاب عظيم) - نعوذ بالله - عاماً شاملاً للنبي، لأنّه - صلوات الله عليه - اختار الأخذ و الفداء دون ضرب الأعناق، فيدخل - صلوات الله عليه - تحت قوله (لولا كتاب من الله سبق...) وفي الوقت نفسه ليس شاملاً لعمر، وهذا على طرف النقيض من القول بعصمته بعد البعثة التي اتفقت عليه عامة المسلمين. مع أنّ سياق الآية وما قبلها يشهد على خروج النبي ﷺ عن مصب الخطاب، لأنّه سبحانه يذكره بصيغة الغائب، و يقول: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى... ﴾ (الأنفال / ٦٧) وعندما يندد بهذا العمل يخص المجاهدين بالخطاب، ويقول: (ولولا كتاب من الله سبق لمسّكم...) والتغاير في التعبير آية عدم الشمول.

المورد الثاني : عدم إقامة الصلاة على المنافقين

أخرج البخاري في تفسير قوله سبحانه: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة/ ٨٠).

قال: لما توفي عبد الله (ابن أبي) جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يُكفّن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ليصل-ي، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ ، فقال: يا رسول الله تصلي عليه و قد نحاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ : إنما خيّرني الله فقال: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة)، وسأزيده على السبعين، قال: إنّه منافق، قال: فصلّى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ (البقرة/ ٨٤).^(١)

وفي الحديث تأملات وتساؤلات:

أولاً: المتبادر من الآية عند الناطقين بالضاد هو أنّ عدد السبعين فيها كناية عن الكثرة بمعنى أنّ الاستغفار لا يجدي لهم مهما بلغ عددها سواء أكان أقل من السبعين أو أزيد منه و هذا ما يفهمه العربيّ الصميم من الآية، ويؤيد ذلك أنّه سبحانه علّل عدم الجدوى بقوله: (بأنّهم كفروا بالله ورسوله) والكافر مادام كافراً لا يستحق الغفران أبداً، وإن استغفر النبي ﷺ في حقّه مائة مرة.

ولكن الظاهر من الرواية أنّ النبي ﷺ فهم من الآية أنّ عدد السبعين خصوصية وإنّه ﷺ ما أقدم على الصلاة على عبد الله بن أبي (وهو رأس المنافقين) إلاّ لأجل أن يستغفر له أزيد من السبعين الذي ربما تكون الزيادة نافعة لحاله ولا خفاء في أنّه على خلاف ما

١ . البخاري: الصحيح: ٦٧/٦، قسم التفسير.

يفهمه العربي الصميم من الآية فكيف بنبي الإسلام وهو أفصح من نطق بالضاد؟!
وثانياً: إنّ المتبادر من لفظة «أو» في الآية من قوله: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) أنّها
للتسوية أي الاستغفار وعدمه سيات، لأنّ المحل غير قابل للاستفاضة ولكن النبي
ﷺ حسب الرواية حملها على التخيير حيث قال: إنّما خيّرني الله وقال: (استغفر لهم أو لا
تستغفر لهم) فكيف خفي على النبي مفاد الآية؟!

نعم نقل ابن حجر في فتح الباري لفظة: «اخبرني» مكان «خيرني» و لكنه يخالف ما هو
المتضاهر من نسخ البخاري على أنه روى هذه الرواية بصورة أخرى وهي: «أخبر عني يا عمر فلما
أكثر عليه، قال: إنّما خيّر فاخترت لو أعلم أنّي زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها». (١)
وثالثاً: كيف قام النبي بالصلاة على المنافق، وهو يشتمل على الاستغفار مع أنّ المروي في
الصحيح أنّه سبحانه نهي النبي ﷺ عن الاستغفار للمشركين، وهو في مكة المكرمة وقال: ﴿مَا
كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ
أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (التوبة/١١٣).

قال ابن حجر: نزلت الآية في قصة أبي طالب حين قالص : لاستغفرتلك ما لم أنه عنك،
فنزلت الآية وكانت وفاة أبي طالب بمكة قبل الهجرة اتفاقاً (٢) وقصة عبد الله بن أبي كانت في
السنة التاسعة من الهجرة فكيف يجوز للنبي مع النهي المتقدم الاستغفار للمنافق مع الجزم
بكفره؟! (٣)

١ . فتح الباري: ٣٣٨/٨ .

٢ . توفي سيد الأباطح أبو طالب مؤمن قريش في العام العاشر من البعثة، وقد ثبت في محله إيمان أبي طالب ببراهين
ساطعة وقد نزلت الآية في حق غيره.

٣ . فتح الباري: ٣٣٩/٨ .

ورابعاً: أنه سبحانه نهي النبي عن الاستغفار في سورة المنافقين، وقد نزلت في غزوة بني المصطلق وغزاهم النبي في العام السادس من الهجرة، قال سبحانه: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (المنافقون/٦).

ومع هذا البيان الصريح كيف أقدم النبي ﷺ على الصلاة على المنافق والتي لم تكن إلا عملاً لغواً غير مفيد؟

وما ربما يتوهم من أنه ﷺ قدم على الصلاة استمالة لقلوب عشيرته فهو كما ترى، لأن القرآن يخبر بصراحة أنّ الصلاة والاستغفار لا تفيد بحاله، أفيكون عمل النبي بعد هذا التصريح سبباً للاستمالة.

وخامساً: أتمعني الحديث أنّ الخليفة كان أعلم من رسول الله بحكم الله تعالى بشهادة أنّ الوحي وافاه وصدّق قول الخليفة وخطأ قول الرسول ﷺ بالملازمة، وما هذا إلا قول عازب و رأي كاذب صدر عن عاطفة انجر القائل معها إلى ترجيح التابع على المتبوع «ما هكذا تورد يا سعدُ الابل».

وأخيراً أنّ الحديث بلغ من الشناعة بمكان أنكره جمع غفير من المحققين لا سيما أبو بكر الباقلاني، حيث قال في التقريب: هذا الحديث من أخبار الآحاد لا يعلم ثبوته، وقال إمام الحرمين في مختصره: هذا الحديث غير مخرج في الصحيح، وقال أيضاً في البرهان: لا يصححه أهل الحديث.

وقال الغزالي في المستصفى: الأظهر أنّ هذا الخبر غير صحيح.

وقال الداوودي الشارح: هذا الحديث غير محفوظ.

إلى غير ذلك من كلمات أعلام السنّة حول الحديث. (١)

١ . انظر فتح الباري: ٣٣٨/٨.

المورد الثالث: آية الحجاب

روى البخاري في تفسير سورة الأحزاب عن أنس قال: قال عمر: قلت يا رسول الله يدخل عليك البرّ و الفاجر، فلو أمرت أمّتهات المؤمنين بالحجاب، فأُنزل الله آية الحجاب. (١)

وهذا أحد الموارد الثلاثة التي نزل الوحي على وفق ما اقترحه الخليفة، ولكن في الحديث عدة تساؤلات.

أولاً: يخالفه ما رواه نفس أنس، في سبب نزول قوله: ﴿فَسَسَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ قال أنس: أنا أعلم الناس بهذه الآية: آية الحجاب، لما اهديت زينب إلى رسول الله ﷺ كانت معه في البيت صنعت طعاماً ودعا القوم فقعدوا يتحدثون فجعل النبي ﷺ يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون، فأُنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤَدِّنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ... مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ فضرب الحجاب و قام القوم. (٢)

ثانياً: يخالفه ما رواه السيوطي في الدر المنثور قال: وأخرج ابن جرير عن مجاهد أنّ رسول الله ﷺ كان يطعم و معه بعض أصحابه ، فأصابت يد رجل منهم يد عائشة، فكره ذلك النبي، فنزلت آية الحجاب. (٣)

ثالثاً: إنّ لازم تلك الرواية وما تقدمها أن يكون الخليفة أعلم وأكثر غيره من

١ . البخاري: الصحيح: ١١٨/٦، تفسير سورة الأحزاب. من هذا الفاجر الذي كان يدخل على بيت النبي

ﷺ! فهل كان من المسلمين (الصحابة) «وهم عدول» أو من غيرهم، فإذا كان من غيرهم فكيف يدخل بيت

رسول الله ﷺ و ليس بمسلم!؟

٢ . المصدر السابق: ١١٩/٦. والآية ٥٣ من سورة الأحزاب.

٣ . الدر المنثور: ٦/٤٤١.

رسول الله ﷺ ، وهذا ما أنكره الخليفة مصرحاً في مواطن عديدة بأنّ كلّ الناس أفقه من عمر .
 فعن مسروق بن أجدع - التابعي العظيم - قال ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله ﷺ ثمّ قال: «يا أيّها الناس ما إكثاركم في صداق النساء وقد كان رسول اللّه وأصحابه،
 والصدقات فيما بينهم أربعمئة درهم، فما دون ذلك ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو
 كرامة لم تسبقوهم إليها. فلا أعرف ما زاد رجل في صداق امرأة على أربعمئة درهم قال: ثمّ نزل،
 فاعترضته امرأة من قريش، فقالت: يا أمير المؤمنين نحييت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على
 أربعمئة درهم، قال: نعم، فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال: واي ذلك؟ فقالت: أما
 سمعت الله يقول: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ الآية؟ قال: فقال: اللهمّ غفرأ، كلّ الناس أفقه من
 عمر. ثمّ رجع فركب المنبر، فقال: أيّها الناس إليّ كنت نحييتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على
 أربعمئة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب. وقال اسناده جيد قوي. (١)

ورواه السيوطي في الدر المنثور عن عبد الله بن مصعب، قال: قال عمر: لا تزيدوا في مهور
 النساء على أربعين أوقية، فمن زاد القيت الزيادة في بيت المال، فقالت امرأة: ما ذاك لك، قال: و
 لم؟

قالت: لأنّ الله يقول: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ الآية.
 فقال عمر: امرأة أصابت و رجل أخطأ. (٢)

١ . تفسير ابن كثير: ٢/٢٣٠ . والآية ٢٠ من سورة النساء .

٢ . الدر المنثور: ٢/٤٦٦ .

المورد الرابع و الخامس: أخذ المصلي من مقام إبراهيم و...

أخرج السيوطي في الدر المنثور عن البيهقي، وغيره عن أنس بن مالك، قال: قال عمر بن الخطاب وافقت ربي في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى...﴾ واجتمع على رسول الله نساؤه في الغيرة، فقلت له: عسى ربه أن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت كذلك. (١) هذه الأمور الخمسة نماذج مما ادّعي فيها أنّ الوحي وافق رغبة عمر، وقد عرفت أنّ كثيراً منها لا يوافق الكتاب. والتشريع أجلّ من أن يكون خاضعاً لرغبة إنسان غير معصوم. احتجاج آدم على موسى بالقدر عن أبي هارون العبيدي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: احتج آدم و موسى ﷺ: فقال موسى: أنت خليفة الله، بيده أسكنك جنته، واسجد لك ملائكته، فأخرجت ذريتك من الجنة، وأشقيتهم. فقال آدم ﷺ: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه ورسالته، تلومني في شيء وجدته قد قدر عليّ قبل أن أخلق؟ قال: فحجّ آدم موسى. (٢) هذا الحديث رواه البخاري أيضاً، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة. فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله

١ . الدر المنثور: ١/٢٩٠. والآية ١٢٥ من سورة البقرة.

٢ . المسند الجامع: ٦/١٦٥ برقم ٤١٨٤ نقلاً عن عبد بن حميد برقم ٩٤٩.

برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قدر عليّ قبل أن أخلق. فقال رسول الله ﷺ : فحجّ آدم موسى مرتين. ^(١) أقول: إنّ الاحتجاج بالقدر في تبرير المعاصي فكرة جاهلية قد أشار إليها سبحانه في كتابه الكريم، فقال: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤَنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام/١٤٨). وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف/٢٨) فالآيتان تشيران إلى الفكرة الرائجة في العصر الجاهلي فاتهم كانوا يبرزون شركهم، وشرك آبائهم وتحريمهم الحلال واقترافهم الآثام بتقديره سبحانه و علمه بأفعالهم وهي نفس الفكرة التي طرحتها الرواية حيث احتج آدم على موسى وأفحمه بأنّه وجده قد قدر عليه قبل أن يخلق، و التقدير ليست إلاّ مشيته سبحانه و تعالى الواردة في الآية الأولى: (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا) أو أمره سبحانه الوارد في الآية الثانية «والله أمرنا بها». حتى أنّ الفكرة لم تحتث من أصولها بعد مجيء الإسلام، وهذا هو السيوطي ينقل عن عبد الله بن عمر أنّه جاء رجل إلى أبي بكر فقال: أرايت الزنا بقدر؟ قال: نعم: قال: فإنّ الله قدره عليّ ثمّ يعذبني؟! قال: نعم، يا ابن اللخناء أما والله لو كان عندي إنسان أمرته أن يجأ أنفك. ^(٢)

١ . صحيح البخاري: ١٥٨/٤، باب وفاة موسى.

٢ . السيوطي: تاريخ الخلفاء: ٩٥.

إنّ القضاء والقدر من المعارف الإلهية والتي لا يمكن لمسلم إنكارهما، غير أنّ تفسير القضاء والقدر بمثل ما جاء في الرواية أو أشير إليه في الآية السابقة يجعل الإنسان مكتوف اليدين لاحيلة له أمام الحوادث التي تعصف به، وهو مما ترغب عنه الفطرة السليمة، وينافي دعوة الأنبياء والمصلحين التي قامت أسسها على حرية الإنسان في اختيار مصيره. أظن أنّ هذه الأحاديث قد نسجت وفق العقائد التي روجها الجهاز الحاكم آنذاك حتى يُبرّر فكرة أنّ الوضع الاجتماعي لا يمكن تغييره أبداً بأي أسلوب من الأساليب، فالقوي يبقى قوياً، والضعيف يبقى ضعيفاً، وهكذا الحال في الظالم والمظلوم لكونه مسبوقاً في علم الله. ثمّ إنّ شرح الحديث مالوا يميناً وشمالاً حتى يجدوا له معنى صحيحاً يفارق الجبر، وأتّى لهم ذلك، فإنّه يساوي الجبر، وإلّا لم يصح احتجاج آدم على موسى، ولم يغلب عليه في مقام الحاجة حيث اقنعه بقوله بأنّه (ليس علي اللوم وإنّما سبق الكتاب على عملي)، وقد رواه البخاري أيضاً في كتاب القدر عن أبي هريرة^(١) باختلاف طفيف. ونقل ابن حجر، عن ابن عبد البر، أنّه قال: هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق في إثبات القدر وإنّ الله طوى أعمال العباد، فكلّ أحد يصير لما قُدّر له بما سبق في علم الله، قال: و ليس فيه حجة للجبرية وإن كان في بادئ الرأي ساعدهم. وقال الخطابي في «معالم السنن» يحسب كثير من الناس أنّ معنى القضاء والقدر يستلزم الجبر وقهر العبد و يتوهم أنّ غلبة آدم (على موسى) كانت من

١ . البخاري: ١٢٦/٨، باب في القدر.

هذا الوجه وليس كذلك، وإتّما معناه الإخبار عن إثبات علم الله بما يكون من أفعال العباد وصدورها عن تقدير سابق منه. ^(١) يلاحظ عليه: أنّ النزاع ليس في تقدم علمه سبحانه على ما يجري في العالم من حوادث وكوارث، إتّما الكلام في احتجاج آدم على موسى ورد اعتراضه، وعندئذٍ إمّا أن يكون علمه السابق سبباً للجبر والسير وراء العلم على وجه القطع أو لا، فعلى الأوّل يصحّ الجواب ولكن يستلزم الجبر. وعلى الثاني: لا يصحّ الجواب لافتراض أنّ علمه سبحانه لا يسلب الاختيار عن آدم و يمكن للإنسان السير على خلافه فيبقى اعتراض موسى بلا جواب . إذ كان بإمكان أيّنا آدم أن يخالف ما قدّر ولم يفعل. ٤. قتال المارّ بين المصلي أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ ، قال: إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحداً يمرّ بين يديه وليدراه ما استطاع فإنّ أبي فليقاتله فإنّما هو شيطان. ^(٢) والحديث مطلق يدل على جواز دفع المارّ سواء كان بين المصلي والمارّ سترة أو لا، ولكن الرواية الأخرى تقيّد القتال بصورة وجود السترة. روى مسلم عنه أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ ، يقول: إذا صلّى أحدكم إلى شيء يستره الناس، فأراد أحد أن يجتاز بين يديه، فليدفع في نحره، فإنّ أبي فليقاتله فإنّما هو شيطان.

١ . فتح الباري: ٥٠٩/١١ .

٢ . صحيح مسلم: ٥٧/٢ ، باب منع المارّ بين يدي المصلي من كتاب الصلاة.

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: كان طول رحل رسول الله ﷺ ذراعاً فإذا كان صلى وضعه بين يديه يستتر به بين يديه. ^(١) وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إذا صلى أحدكم بأرض فلاة فليجعل بين يديه مثل مؤخرة الرجل، فإن لم يجد فحجرًا، فإن لم يجد فسهماً، وإن لم يجد فليخط في الأرض بين يديه. ^(٢) وبهذه الروايات يعلم أنّ المنع مختص بما إذا استتر المصلي بشيء من المارّ كالرجل والحجر والخط والعصاء. روى الإمام الصادق عليه السلام قال: كان لرسول الله ﷺ عنزة في أسفلها عكاز يتوكأ عليها ويخرجها في العيدين يصلى إليها. ^(٣) وعلى ذلك فلو صلى المصلي من دون أن يجعل بينه وبين المار شيئاً يُعلم به منع المرور فليس له الدفع. نعم ربما يكون مرور المار مكروهاً مطلقاً وإن لم يكن بينه وبين المصلي حائل وساتر. هذا كله مما اتفقت عليه المذاهب الفقهية إجمالاً، إنّما الكلام في جواز المقاتلة في ردع المارّ عن العبور كما أشارت إليه رواية أبي سعيد، فالمدكور في رواية أئمة أهل البيت عليهم السلام هو درأ المارّ على القدر المستطاع. روى ابن أبي يعفور قال: سألت أبا عبد الله عن الرجل هل يقطع صلاته شيء مما يمر بين يديه؟ فقال: لا يقطع صلاة المؤمن شيء، ولكن ادراًوا ما

١ . الوسائل: ٣/٤٣٧، الباب ١٢ من أبواب مكان المصلي، الحديث ٢

٢ . الوسائل: ٣/٤٣٧، الباب ١٢ من أبواب مكان المصلي، الحديث ٤ و ٧.

٣ . الوسائل: ٣/٤٣٧، الباب ١٢ من أبواب مكان المصلي، الحديث ٤ و ٧.

استطعتم. ^(١) ومما لا شك فيه أنّ الدرء بالقدر المستطاع عبارة عمّا يمكن للمصلي من ردع المارّ في حال الصلاة كالإشارة باليد أو شيء آخر لا أن تصل إلى المقاتلة، فما تضمنته رواية أبي سعيد من جواز المقاتلة أمر ينكره الشرع والعقل. أمّا الشرع فلما عرفت من أنّ الوارد عن طريق أئمة أهل البيت هو الدرء على القدر المستطاع، وقد نقل عن علي عليه السلام أنّه قال: إنّ الصلاة لا يقطعها شيء، و لكن إدراؤا ما استطعتم هي أعظم من ذلك ^(٢) وأين هو من المقاتلة؟ وأمّا العقل فهل يجوز إراقة دم مسلم بمجرد مروره امام المصلي مع أنّه لا يبطل صلاته أبداً؟ واحترام دم المسلم أعظم من ذلك فلا يُقتل إذا زنى أو أكل الربا أو ترك الصلاة، فكيف يجوز قتله بمجرد المرور؟! وأظن أنّ الحديث نقل على غير وجهه الصحيح، لكن شرح الحديث تلقوه حقيقة راهنة فجوزوا القتل. قال النووي في تفسير قوله: «فإنّ أبي فليقاتله فإنّما هو شيطان» هذا الأمر بالدفع أمر ندب وهو ندب متأكد ولا أعلم أحداً من العلماء أوجبه بل صرح أصحابنا وغيرهم بأنّه مندوب غير واجب. قال القاضي عياض: وأجمعوا على أنّه لا يلزمه مقاتلته بالسلاح ولا ما يؤدي إلى هلاكه، فان دفعه بما يجوز فهلك من ذلك فلا قود عليه باتفاق العلماء، وهل تجب ديتة أم يكون هدرأ؟ فيه مذهبان للعلماء وهما قولان في مذهب مالك. والذي قاله أصحابنا: إنّ المصلي يردّه إذا أراد المرور بينه و بين سترته بأسهل الوجوه، فإنّ أبي فبأشدها وإنّ أدى إلى قتله فلا شيء عليه، وقد أباح له الشرع مقاتلته، والمقاتلة المباحة لا ضمان فيها. ^(٣)

١ . الوسائل: ٣/٤٣٥، الباب ١١ من أبواب مكان المصلي، الحديث ٨ و ٩.

٢ . الوسائل: ٣/٤٣٥، الباب ١١ من أبواب مكان المصلي، الحديث ٨ و ٩.

٣ . شرح مسلم للنووي: ٤/٤٧٠ - ٤٧١، باب منع المار.

وفي روايات أئمة أهل البيت تصريح بالإغماض عنه. روى أبو بصير المرادي عن الإمام الصادق عليه السلام : لا يقطع الصلاة شيء لا كلب ولا حمار ولا امرأة ولكن استتروا بشيء و إن كان بين يديك قدر ذراع رافع من الأرض فقد استترت والفضل في هذا أن تستتر بشيء بين يديك ما تتقي به المارّ، فإن لم تفعل فليس به بأس لأنّ الذي يصلّي له المصلّي أقرب إليه ممّن يمرّ بين يديه ولكن ذلك أدب الصلاة وتوقيرها. ^(١) فقلوه عليه السلام : «لا يقطع الصلاة شيء لا كلب و...» ورد لردّ الفكرة السائدة يوم ذاك وإلّا فهو أجل من أن يجمع بين المرأة والكلب والحمار. فتدبر. ونحن نحيل القضاء في تمييز ما صدر عن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى القارئ الكريم، فهل الصحيح هو ما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ، أو ما ورد في صحيح مسلم من تسويغ إراقة دم مسلم لأجل إصراره على المرور امام المصلي الذي لا يبطل صلاته؟. النبي يغفل عن صلاته أخرج الإمام أحمد ، عن عبد الرحمان بن سعيد الخدري، عن أبيه، قال: شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس وذلك قبل أن ينزل في القتال ما نزل، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ (الأحزاب / ٢٥) . فأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالآلا ، فأقام لصلاة الظهر، فصلاها كما كان يصلّيها لوقتها، ثمّ أقام للعصر، فصلاها كما كان يصلّيها في وقتها، ثمّ أذن للمغرب، فصلاها كما كان يصلّيها في وقتها. ^(٢)

١ . وسائل الشيعة: ٣/٤٣٥، الباب ١١، الحديث ١٠ .

٢ . مسند أحمد: ٣/٢٥. ومراده من قوله «وذلك قبل أن تنزل»... آية صلاة الخوف.

يلاحظ على مضمون الحديث أنّ في الفقه الإسلامي صلاة باسم صلاة الخوف والمطاردة وقد ورد فيها الذكر الحكيم والسنة الشريفة. أمّا القرآن فقد ورد قوله سبحانه: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْتَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِذَا خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (النساء/ ١٠١) وقوله سبحانه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/ ٢٣٩). أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ قال: يصلي الراكب على دابته والراجل على رجليه. وأخرج ابن المنذر و ابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله: إذا كانت المسابقة فليوم برأسه حيث كان وجهه فذلك قوله: ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾. وأخرج ابن المنذر، عن مجاهد في قوله: (فرجالاً): قال: مشاة أو ركباناً، قال: لأصحاب محمد على الخيل في القتال إذا وقع الخوف فليصل الرجل إلى كلّ جهة قائماً أو راكباً أو ما قدر على أن يوميّ إيماء برأسه أو يتكلم بلسانه. ^(١) وهذه الأحاديث التي نقلناها و التي لم نقلها تعيّن موقف المجاهد في ميدان القتال و أنّه ليس له ترك الصلاة بل له أن يوميّ برأسه ما استطاع، و قد روي عن الإمام الصادق عليه السلام هذا المضمون نفسه، و أنّه قال: إن خاف من سبع أو لصٍ كيف يصلي؟ قال: يكبّ -ر ويوميّ برأسه إيماءً. ^(٢) وعلى ضوء ذلك فما رواه أبو سعيد الخدري: حبسنا يوم الخندق على الصلوات حتى كان بعد المغرب. ناظر إلى غزوة الخندق في العام السادس،

١ . السيوطي، الدر المنثور: ١/٧٣٦.

٢ . الوسائل: ٤/٤٨٢، الباب ٣ من أبواب صلاة الخوف، الحديث ١، وانظر ما ورد في هذا المجال في ذلك الباب.

والآيات الواردة حول صلاة الخوف و المطاردة جاءت في سورة النساء، والمشهور أنّها أول سورة نزلت في المدينة (١) كما تحكي عنها مضامينها فكيف ترك النبي الصلاة بتاتا؟ إلا أن يقال بنزول غالب آياتها في السنة الأولى و استثناء ما دلّ على حكم صلاة الخوف. نعم على ما رواه أبو خالد الأحمر عن ابن أبي ذئب من أنّ ذلك كان قبل نزول قوله سبحانه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ يلزم نزول آية صلاة الخوف بعد غزوة الأحزاب وقد عرفت أنّ خلاف المشهور. وروى جلال الدين السيوطي ما روينا عن أبي سعيد مذيلاً بما في رواية ابن أبي ذئب، و قال: كنا مع رسول الله يوم الخندق فشغلنا عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء حتى كفيينا وذلك قوله: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ فأمر رسول الله بلالاً فأقام لكل صلاة إقامة وذلك قبل أن ينزل عليه ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾. (٢) ٦. الوقوع على السبايا قبل الاستبراء أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق وأصبنا سبياً من سبي العرب، فاشتبهنا النساء، واشتدّت علينا العزبة، وأحببنا العزل، فأردنا أن نعزل، وقلنا نعزل و رسول الله بين أظهرنا قبل أن نسأله، فسألناه عن ذلك، فقال: ما عليكم ألا تفعلوا، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة. (٣)

١ . الدر المنثور: ٤٦/١ .

٢ . الدر المنثور: ٧٣٧/١ .

٣ . صحيح البخاري: ١١٥/٥، باب غزوة بني المصطلق؛ ورواه أحمد في مسنده: ٨٢/٣ .

ويثار حول الحديث سؤالان: الأول: إنَّ النبي ﷺ لم يوجب عليهم العزل و معنى ذلك أنَّه ﷺ سوغ لهم الجماعة بعد السبي قبل استبائهنَّ وهو سبب لاختلاط الأنساب، وقد روي عن نفس أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنَّه قال: «لا توطأ حامل حتى تضع ولا غير ذات حمل حتى تحيض حيضة». (١) وروي أيضاً عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «لا يحل لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره» يعني إتيان الحبالى «ولا يحل لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها». (٢) ر الثاني: إنَّ النبي ﷺ نهى عن العزل واحتج بذلك بأنَّها «ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلاَّ وهي كائنة» ومعنى ذلك أنَّه قد تعلقت مشيئته سبحانه بوجود الكائن الحي في الرحم ثمَّ في الخارج، فالعزل يخالف التقدير. وعند ذلك يتوجه السؤال إذا تعلقت مشيئته بوجود الكائن فأما أن يكون التعلق قطعياً أو على تقدير عدم العزل. فعلى الأول يحرم العزل لأنَّه بعزله يتحكَّم على تقديره. وعلى الثاني: لا ينسجم تعليل المنع عن العزل بتعلق المشيئة، لأنَّها وإن تعلقت بوجود النسمة الكائنة ولكن تعلقاً مشروطاً بعدم عزل الإنسان، فإذا همَّ الإنسان بالعزل فليس هناك مشيئة متعلقة بوجود النسمة الكائنة حتى تكون مانعة عن العزل.

١ . سنن أبي داود: ٢٤٨/٢ برقم ٢١٥٧.

٢ . سنن أبي داود: ٢٤٨/٢ برقم ٢١٥٨.

٧. الصوم في السفر

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله (رض) قالاً: سافرنا مع رسول الله ﷺ فيصوم الصائم و يفطر المفطر فلا يعيب بعضهم على بعض. ^(١)

وسيوافيك الكلام في هذه الرواية عند التطرق إلى روايات أنس بن مالك، ويظهر فيها أنّ الصحابة تبعاً للنبي ﷺ نددوا بمن صاموا و عابوا عليهم حتى أنّ رسول الله سماهم عصاة. إلا أن ترجع الواقعة إلى الفترة التي لم يُحرّم الصوم فيها.

٨. سلطان إبليس على النبي

أخرج الإمام أحمد، عن أبي سعيد أنّ رسول الله ﷺ قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه، فقرأ فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته، قال: لو رأيتموني وإبليس، فأهويت بيدي، فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين اصبعي هاتين: الإبهام والتي تليها، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد، يتلاعب به صبيان المدينة، فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل. ^(٢)

وهذا الحديث لا يخلو عن نقاش.

الأوّل: هل يعرض السهو على النبي أو لا؟ وهل النبي بما أنّه إنسان تلتبس عليه القراءة أو لا؟ وهذا خارج عن موضوع الحديث.

١ . صحيح مسلم: ١٤٣/٣، باب جواز الصوم والفطر من شهر رمضان.

٢ . مسند أحمد: ٨٢/٣. ورواه أيضاً عن جابر بن سمرة في: ١٠٤/٥ لكن بتفاوت في اللفظ والمعنى؛ ورواه مسلم عن أبي هريرة في: ٧٢/٢. وقد مرّت دراسة رواية الأخير في محلها.

الثاني: هل يكون لابلis (لعنه الله) سلطان على النبي ﷺ بنحو تلبس عليه القراءة؟ وهذا أمر يرفضه القرآن الكريم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر/٤٢). وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل/٩٩). وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (الإسراء/٦٥).

مضافاً إلى أنّ الرواية تشير إلى أنّ إبليس موجود عنصري وله حلق و عنق ولعاب وأن النبي أمسك عنقه فخنقه فوجد برد لعابه بين اصبعيه، وهذه كلّها أمور لا تخلو من تأمل وإشكال.

الثالث: أنّ مفاد الرواية كون الشيطان موجوداً عنصرياً وله من الصفات ما للموجود المادي من كونه متحيزاً في مكان، و معه كيف يمكن له أن يوسوس الناس مع تشتتهم في الأمصار، قال سبحانه: ﴿الَّذِي يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (الناس/٥-٦). وكيف يمكن لمتحيز في مكان معين، أن يحصل له الحضور في أمكنة غير محصورة فيوسوس في صدور الناس.

الرابع: أنّ سبحانه يصرّح بأنّ الشيطان يرى الناس وهؤلاء لا يرونه، قال سبحانه: ﴿أَنَّهُ يَرَائِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف/٢٧) وعندئذ كيف يصح قوله: «بتلاعب به الصبيان»؟ و هل اللعب إلّا فرع الرواية؟

إلى غير ذلك من التأمّلات وقد مضى الكلام في أمثال هذه الرواية عند دراسة روايات أبي هريرة، فلاحظ.

٩. كَذِبَ إِبْرَاهِيمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

أخرج الترمذي، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وييدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ، آدم فمن سواه إلّا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا

فخر، قال: فيفزع الناس ثلاث فزعات، فيأتون آدم، فيقولون: أنت أبونا آدم فاشفع لنا إلى ربك فيقول: إني أذنبت ذنباً أهبطت عنه إلى الأرض ولكن ائتوا نوحاً، فيأتون نوحاً فيقول: إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ولكن اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقول: إني كذبت ثلاث كذبات - ثم قال رسول الله ﷺ: ما منها كذبة إلا ما حلَّ بها عن دين الله - ولكن ائتوا موسى، فيأتون موسى، فيقول: إني قد قتلت نفساً ولكن ائتوا عيسى، فيأتوا عيسى، فيقول: إني عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمداً قال: فيأتونني فانطلق معهم، قال ابن جدعان: قال أنس: فكأني انظر إلى رسول الله ﷺ قال: فأخذ بحلقة باب الجنة فأفقعها ^(١) فيقال: من هذا؟ فيقال مُجَّد، فيفتحون لي و يرحبون فيقولون مرحباً. ^(٢)

وأخرجه الإمام أحمد، عن ابن عباس على وجه التفصيل وبين المواضع التي كذب فيها إبراهيم، وقال: فيقول إني لست هنا، كم اتى كذبت في الإسلام ثلاث كذبات والله إن حاول (كذا في المصدر) بهنَّ إلا عن دين الله: قوله: (إني سقيم) ^(٣) وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْظُرُونَ﴾ ^(٤) وقوله لامرأته حين أتى على الملك «اخي» ^(٥) و أنه لا يهمني إلا نفسي. ^(٦)

وأخرجه الإمام أحمد عن أبي سعيد أيضاً وليس فيه حديث كذب إبراهيم: قال: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع يوم القيامة ولا فخر». ^(٧)

١ . فأفقعها: أي أحركها وأصلها حكاية صوت الشيء يسمع له صوت.

٢ . سنن الترمذي: ٣٠٨/٥ برقم ٣١٤٨.

٣ . الصفات: ٨٩.

٤ . الأنبياء: ٦٣.

٥ . التوراة ، سفر التكوين ١٢ و١٣، الاصحاح الثاني عشر.

٦ . مسند أحمد: ٢٨١/١.

٧ . مسند أحمد: ٢/٣.

كما أخرجه في الجزء الثاني في مسنده عن أبي هريرة ملخصاً، قال: أنا سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع. (١)

وأخرجه ابن ماجة في باب ذكر الشفاعة مثل ما أخرجه أحمد في الجزءين الأخيرين. (٢)

وأخرجه الإمام البخاري في باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾. (٣) وفي الحديث إشكالات واضحة تسقطها عن الاعتبار.

أولاً: إنّ الذكر الحكيم يصف إبراهيم بصفات لم يصف بها أحداً من أنبيائه العظام، فقد وصفه بالصفات التالية: حنيفاً (٤) خليلاً (٥) أوهاً منيباً (٦) أمة قانتاً لله (٧)، صديقاً نبياً (٨) أفيمكن أن يكون الموصوف بهذه الصفات يكذب في دين الله وإن كان للغاية المذكورة في الحديث؟

ثانياً: أنّه لا دليل على أنّه كذب في الموارد الثلاثة المعروفة.

١ . مسند أحمد: ٢/٥٤٠.

٢ . سنن ابن ماجة: ٢/١٤٤٠ برقم ٤٣٠٨.

٣ . صحيح البخاري: ٤/١٤٠، باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء/١٢٥).

٤ . آل عمران: ٦٧.

٥ . النساء: ١٢٥.

٦ . هود: ٧٥.

٧ . النحل: ١٢٠.

٨ . مريم: ٤١.

أما الأول: أعني قوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ* فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (الصفات / ٨٨ - ٨٩) .
فلا دليل لنا أنه لم يكن حين ذاك سقيماً، وقد أخرج القرآن بإخباره بأنه سقيم، وذكر سبحانه قبل ذلك أنه جاء ربه بقلب سليم.

فلا يصحّ عليه كذب ولا لغو في القول.

وأما ما هي الصلة بين قوله (فنظر نظرة في النجوم) وقوله: (إني سقيم)؟ فخرج عن موضوع بحثنا، ولو لم يظهر لنا وجه الصلة، فلا مسوغ لنا على حمل قوله على الكذب.

وأما الثاني أعني: قوله: ﴿قَالَ بَلْفَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَأْذَنُوا مِنْهُمْ يُنْتَظِرُونَ﴾ (الأنبياء / ٦٣) فليس بكذب قطعاً فإنّ الصدق والكذب من صفات الكلام الصادر عن جديّ. وأما الكلام الصادر لغاية أخرى كالهزل والاستهزاء الحق، فلا يوصف بالكذب ومما لا شك فيه أنّ إبراهيم تكلم بما تكلم و نسب كسر الأصنام إلى كبيرهم بغية الاستخفاف بعقول القوم حتى يهتبي الأرضية اللازمة لأن يقولوا له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ (الأنبياء / ٦٥) فتهيأ عندئذ أرضية مناسبة لإفحامهم و تفنيد مزاعمهم بألوهية تلك التماثيل، بقوله: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ* أَفْ لَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء / ٦٦-٦٧).

فالكلام الملقى لتسكيت الخصم و إفحامه لا يوصف بالكذب إذا كان هناك قرينة واضحة على أنه لم يصدر لغاية الجد، بل صدر لتكون مقدمة لاستنطاق الخصم واعترافه بعدم قابلية الأصنام على التكلم حتى يتابعه إبراهيم بالبرهان الدامغ والتنديد بعقيدتهم الساذجة بما عرفت.

وأما الثالث فليس له مصدر إلاّ التوراة المحرفة، فقد جاء فيها:

فحدث لما دخل ابرام إلى مصر أنّ المصريين رأوا المرأة أنّ-ها حسنة جداً

ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى ابرام خيراً بسببها وصار له غنم و بقر وحمير و عبید وإماء وأتن وجمال فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة ابرام.

فدعا فرعون أبرام و قال: ما هذا الذي صنعت بي، لماذا لم تخبرني أنّها امرأتك لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي، والآن هو ذا امرأتك خذها واذهب فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيّعوه وامراته وكل ما كان له. (١)

وثالثاً: نفترض أنّه كذب في هذه المواضع الثلاثة، ولكنّه ما كذب إلاّ تقيّة وصيانة لنفسه عن تعرض العدو الماكر، فقد امثل واجبه، قال سبحانه: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ (آل عمران/ ٢٨) وقال سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (النحل/ ١٠٦).

وعندئذ فما معنى قوله: ما منها كذبة إلاّ ما حلبها عن دين الله؟ أي خرج بها عن دين الله، يقال: حلّ الرجل أي خرج من إحرامه.

وربما يجعل فعلاً من ماحل بماحل أي دافع، يدافع بمعنى أنّه دافع عن دين الله ولكنّه لا يناسب سياق الكلام، فإنّه إذا دافع بهذه الكذبات عن دين الله فقد امثل المعروف فلم لا تقبل شفاعته، مع أنّ مثل هذا الكذب أفضل من صدق يترتب عليه مفسدة كبيرة.

ورابعاً: إنّ المسيح يعتذر بقوله: «إني عبّدت من دون الله» وأي ذنب للمسيح إذا عبّده غيره؟ قال سبحانه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام/ ١٦٤) وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾

١ . التوراة، سفر التكوين ١٢ و١٣، الاصحاح الثاني عشر.

إلى أن قال سبحانه: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (المائدة/ ١١٦ - ١١٩) فالمسيح هو من الصادقين الذين ينفعهم صدقهم، فله الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، فلماذا لا تقبل شفاعتهم؟

والعجب أن الترمذي بعدما نقل الحديث قال: هذا حديث حسن صحيح، وقد روى بعضهم هذا الحديث عن أبي نضرة عن ابن عباس الحديث بطوله.

١٠. جواز التحدّث عن بني إسرائيل

أخرج الإمام أحمد في مسنده، عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال: حدّثوا عني ولا تكذبوا عليّ، ومن كذب عليّ متعمداً فقد تبوأ مقعده من النار وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج. (١)

وهذا الحديث يكتنفه كثير من الغموض وذلك لأُمور:

أولاً: إنّ الإمام أحمد أخرجه عن أبي سعيد الخدري بلا زيادة قوله: «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» فقال: إنّ النبي ﷺ قال: لا تكتبوا عني شيئاً إلاّ القرآن، فمن كتب عني شيئاً فليمححه، وقال: حدّثوا عني و من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. (٢)

وثانياً: قد أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري بلا هذه الزيادة وقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمححه وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب عليّ - قال همام: احسبه قال متعمداً - فليتبوأ مقعده من النار. (٣)

١ . مسند أحمد: ٣/٤٦.

٢ . المصدر السابق: ٣/٣٩.

٣ . مسلم: الصحيح: ٨/٢٢٩، باب الثبوت في الحديث.

نعم أخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو أنّ النبي ﷺ قال: بلغوا عني ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذّب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. (١)

وفي سند البخاري أبي كبشة السلولي، قال ابن حجر: وليس له في البخاري سوى هذين الحديثين. (٢)

والذي يسيء الظن بصحة ما رواه البخاري هو أنّ الراوي هو عبد الله بن عمرو بن العاص الذي أكثر الرواية عن كتب بني إسرائيل والذي عثر على زاملتين من كتب أهل الكتاب فحدّث عنهما كثيراً.

ثمّ إنّ هنا رواية أخرى أخرجها البخاري عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم. (٣)

وظاهرها يعرب عن أنّ أبا هريرة شاهد الواقعة و رأى أنّ أهل الكتاب كانوا يقرأون بالعبرانية ويفسرون بالعربية، وعند ذلك قال النبي ﷺ ما قال مع أنّه أسلم بعد فتح خيبر و قد أُجليت اليهود من الجزيرة العربية كني قينقاع و بني النضير، واجتث جذورهم، فكيف شاهد هذه الواقعة؟ ولعلّه سمعها من غيره ولم يذكر اسمه، وقد مرّ في ترجمة أبي هريرة أنّه كان يُدلس في الاسناد.

وثالثاً: أنّ الإنسان لا يقتنع مهما أحسن الظن برواة الصحاح و المسانيد، إذ كيف يأمر النبي ﷺ بالتحديث عنهم مع أنّ كتابه يصفهم بأنّهم اقترفوا الكذب والتحريف والوضع في الكتب التي أنزلت على أنبياء بني

١ . البخاري: الصحيح: ١٧٠/٤، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

٢ . فتح الباري: ٤٩٨/٦، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

٣ . البخاري: الصحيح: ١١١/٩، باب قول النبي.

إسرائيل.

إنّ الاعتماد على هذه الأحاديث وأمثالها جرّ الويلات على المسلمين حيث حشّوا كتبهم بخرافات وأقاصيص بني إسرائيل لا يصدّقها العقل والنقل.

ثمّ إنّ التمسك بجواز النقل عن أهل الحديث بعمل الصحابة كما ترى، فإنّ الحجة هي قول المعصوم وفعله وتقريره لا قول الصحابي، فهم معذورون في نقل هذه الأحاديث.

قال ابن حجر في تفسير الحديث المروي في صحيح البخاري: «إنّ عمر أتى النبي بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه، فغضب، وقال: لقد جئتمكم بما بيضاء نقيّة لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أنّ موسى كان حياً ما وسعه إلاّ أن يتبعني»: إنّ رجاله موثقون إلاّ أنّ في مجالد ضعفاً وأخرج البزار أيضاً من طريق عبد الله بن ثابت الأنصاري أنّ عمر نسخ صحيفة من التوراة، فقال رسول الله ﷺ: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء و في سنده جابر الجعفي وهو ضعيف. (١)

وعلى أية حال فما روي عن بني إسرائيل في كتبنا بحاجة إلى تمحيص علمي كي يميز المخالف للكتاب عن موافقه، و ما لا يصدقه العقل عمّا يصدقه، وما يخالف اتفاق المسلمين عمّا يوافق.

وقد بلغ اعتماد الصحابة على مستسلمة الأخبار والرهبان بمكان أنّهم كانوا يسندون ما سمعوه من كعب الأخبار إلى النبي ﷺ ظناً منهم بصدق الخبر، وإنّ الخبر ينتهي إلى الوحي السماوي، وقد وضعنا أمامك نموذجاً واضحاً على ذلك عند دراسة روايات أبي هريرة، فلاحظ.

هذه دراسة إجمالية لبعض ما أسند إلى ذلك الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري، من الأخبار السقيمة، والأقاصيص الباطلة.

١ . فتح الباري: ٣٣٤/١٣، باب قول النبي لا تسألوا أهل الكتاب.

٣١- عبد الله بن عمر

(١٠ق.هـ - - ٧٤هـ -)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. ليس الأمر بيد الإنسان
 ٢. النبي ﷺ يمنع البكاء على حمزة
 ٣. طلب العلم لغير الله
 ٤. أفضل الناس بعد النبي ثلاثة
 ٥. أصحابي كالنجوم
 ٦. أول من تنشق عنه الأرض
 ٧. الخط من منزلة بعض الصحابة
 ٨. عدم وقوفه على أبسط المسائل
 ٩. نفي العدوى
 ١٠. النبي يأكل ممّا ذبح على الانصاب
- هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، أسلم بمكة ولم يكن بلغ يومئذ، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وكان يكتي أبا عبد الرحمان.
- عرض نفسه يوم بدر و أحد للمشاركة في الجهاد فلم يقبل رسول الله، وعرضها في غزوة الخندق و له من العمر ١٥ سنة، فقبله. (١)
- موقفه من نقل السنة النبوية
- قال ابن حزم في كتاب الأحكام في الباب الثامن والعشرين: المكثرون من

١ . طبقات ابن سعد: ٤/١٤٢.

الفتيا من الصحابة: عمر، وابنه عبد الله، علي، عائشة، ابن مسعود، ابن عباس، زيد بن ثابت فهم سبعة.

ولابن عمر في «مسند بقي» ألفان وستمائة وثلاثون حديثاً بالمكرر، واتفقا له على مائة وثمانية وستين حديثاً، وانفرد له البخاري بأحد وثمانين حديثاً، ومسلم بأحد وثلاثين حديثاً.^(١) وقد جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١١٤٥ حديثاً في مختلف الأبواب^(٢) ونقل ابن سعد في طبقاته عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: لم يكن من أصحاب رسول الله أحد إذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً إلا يزيد فيه ولا ينقص منه ولا ولا من عبد الله بن عمر.^(٣) ويدل على شدة تمسكه بالسنة شواهد:

منها: أنه كان يشترط على من صحبه في السفر الفطر والأذان والذبيحة، وكان يقول: ولئن أفطر في السفر فأخذ برخصة الله أحب إلي من أن أصوم. ونقل نافع أتبع الله بن عمر لم يكن يصوم في السفر.^(٤) ولقد أثبتنا في محله^(٥) ان السنة هي الإفطار في السفر و ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمى الصائم في السفر عاصياً. ومنها: ما أخرجه الترمذي في سننه، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، ان سالم بن عبد الله حدثه انه سمع رجلاً من أهل الشام، وهو يسأل عبد الله بن

١ . سير أعلام النبلاء: ٣/٢٣٧.

٢ . المسند الجامع، الجزء العاشر، وقد خصص هذا الجزء لرواياته.

٣ . طبقات ابن سعد: ٤/١٤٤.

٤ . طبقات ابن سعد: ٤/١٤٨.

٥ . البدعة على ضوء الكتاب والسنة: ٢٦٤ - ٢٩٦.

عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج.

فقال عبد الله بن عمر: هي حلال، فقال الشامي: إنَّ أباك قد نهي عنها، فقال عبد الله بن عمر: رأيت إن كان أبي نهي عنها و صنعها رسول الله ﷺ أ أمرَ أبي نتبع، أم أمر رسول الله ﷺ ؟ فقال الرجل: بل أمر رسول الله ﷺ ، فقال: لقد صنعها رسول الله ﷺ . (١)

ومنها: ما رواه نافع إنَّ ابن عمر كان يتبع آثار رسول الله ﷺ كلَّ مكان صلَّى فيه حتى إنَّ النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة، ويصبُّ في أصلها الماء لكي لا تيبس. (٢)

وكان إذا قدم بسفر بدأ بقبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فيقول: السَّلام عليك يا رسول الله. السَّلام عليك يا أبا بكر. السَّلام عليك يا أبتاه. (٣)

والعجب أنَّه مع زهده و تقشفه كان يتسامح مع الخلفاء الظالمين.

روى الثوري، عن عبد الله بن دينار ، قال: لما اجتمعوا على عبد الملك كتب إليه ابن عمر، أمَّا بعد: فإنَّ-ي قد بايعت لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت وإنَّ بنيَّ قد أقرّوا بذلك. (٤)

كما نقل عن زيد بن أسلم إنَّ ابن عمر كان في زمان الفتنة لا يأتي أمير إلاَّ صلَّى خلفه وأدى إليه زكاة ماله، ثمَّ نقل عن سيف المازني، قال: كان ابن عمر، يقول: لا أُقاتل في الفتنة وأصلِّي وراء من غلب. (٥)

١ . سنن الترمذي: ١٨٦/٣ برقم ٨٢٤.

٢ . سير أعلام النبلاء: ٢١٣/٣.

٣ . طبقات ابن سعد: ١٥٦/٤.

٤ . سير أعلام النبلاء: ٢٣١/٣؛ ورواه ابن سعد في طبقاته: ١٥٢/٤.

٥ . طبقات ابن سعد: ١٤٢/٤ - ١٤٩.

ولهذه الشخصية مواقف متناقضة فتارة يتعاطف مع أئمة أهل البيت ويشهد على ذلك أمور:
١ . يقول في سؤال السائل عن رأيه في عثمان وعلي: أما عثمان فقد عفا الله عنه وكرهتم أن يعفو الله عنه.

وأما علي: فابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأشار بيده هذا بيته حيث ترون. (١)
٢ . نقل البخاري عن محمد بن أبي يعقوب، سمعت ابن أبي نُعم سمعت عبد الله بن عمرو سأله عن الميحرِم - قال شعبة - أحسبه يقتل الذباب فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ وقال النبي ﷺ: هما ربحانتي من الدنيا. (٢)
٣ . أخرج ابن ماجة عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنَّة وأبوهما خير منهما. (٣)

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تكشف النقاب عن تعاطفه مع أهل البيت ﷺ في حين أنّه كانت له مواقف أخرى كعدم مبايعته لعليّ عند بيعة المهاجرين والأنصار له.
يقول الطبري: جاءوا بعبد الله بن عمر حتى يبايع علياً، فقال: بايع، قال: لا أبايع حتى يبايع الناس، قال علي: دعوه، أنّه لسيء الخلق صغيراً وكبيراً. (٤)
وقال أيضاً لما قتل عثمان: بايعت الأنصار علياً إلا نُفيراً يسيراً، منهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري،

١ . سير أعلام النبلاء: ٢٢٩/٣ .

٢ . صحيح البخاري: ٢٧/٥ .

٣ . سنن ابن ماجة: ٤٤/١ برقم ١١٨ .

٤ . تاريخ الطبري: ٤٥١/٣ .

و محمد ابن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، ورافع بن خديج، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة، كانوا عثمانية.

فقال رجل لعبد الله بن حسن: كيف أبي هؤلاء بيعة علي، و كانوا عثمانية؟ قال: أما حسن فكان شاعراً لا يبالي ما يصنع، وأما زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان و بيت المال،... فأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة «مزينة» وترك ما أخذ منهم له... الخ. (١) هذا يكشف عن أنّ الامتناع عن البيعة كان لغايات دنيوية.

هذا بعض ما يمكن أن يذكر في ترجمته، وقد ترجمه بإسهاب ابن سعد في طبقاته، وابن الأثير في أسد الغابة، والذهبي في سير أعلام النبلاء إلى غير ذلك. وقبل كل شيء نذكر أولاً نماذج من روائع أحاديثه.

روائع أحاديثه

١. أخرج الترمذي في سننه، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت. (٢)

٢. أخرج البخاري، عن واقد بن محمد، قال: سمعت أبي يحدث عن ابن عمر، أنّ رسول الله ﷺ قال: أمرت أن أقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّ الإسلام وحسابهم على الله. (٣)

١ . تاريخ الطبري: ٣/٤٥٢.

٢ . سنن الترمذي: ٥/٥ برقم ٢٦٠٩.

٣ . صحيح البخاري: ١/١٠، باب «فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم» من كتاب الإيمان.

٣. أخرج ابن ماجة في سننه، عن سالم، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: لا يُلدغ المؤمن من جُحْر مرتين. (١)
٤. أخرج الترمذي عن أبي اليقظان، عن زاذان، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة على كئيبان المسك - أراه قال يوم القيامة - : عبد أدّى حقّ الله وحقّمواليه ، ورجل أمّ قوماً و هم به راضون، ورجل ينادي بالصلوات الخمس في كئيبوم و ليلة. (٢)
٥. أخرج ابن خزيمة، عن نافع، عن ابن عمر: أنّ الشمس كسفت يوم مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ فظنّ الناس أنّها كسفت لموته، فقام النبي ﷺ فقال: «أيّها الناس إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يُكسفن موت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك، فافزعوا إلى الصلاة ، وإلى ذكر الله و ادعوا وتصدّقوا». (٣)
٦. أخرج ابن ماجة في سننه، عن محارب بن دثار، عن عبد الله بن عمر ، قال: قال رسول الله ﷺ: أبغض الحلال إلى الله الطلاق. (٤)
٧. أخرج ابن ماجة في سننه عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: التاجر الأمين الصدوق المسلم، مع الشهداء يوم القيامة. (٥)
٨. أخرج ابن ماجة في سننه، عن أبي شجرة كثير بن مرّة، عن ابن عمر ، أنّ رسول الله ﷺ قال: إقامة حدٍّ من حدود الله خير من مطر أربعين ليلة في بلاد الله عزّوجلّ. (٦)

-
- ١ . سنن ابن ماجة: ١٣١٨/٢ برقم ٣٩٨٣ .
 ٢ . سنن الترمذي: ٣٥٥/٤ برقم ١٩٨٦ .
 ٣ . المسند الجامع: ١٧٧/١٠ برقم ٧٣٩١ .
 ٤ . سنن ابن ماجة: ٦٥٠/١ برقم ٢٠١٨ .
 ٥ . سنن ابن ماجة: ٢٧٤/٢ برقم ٢١٣٩ .
 ٦ . سنن ابن ماجة: ٨٤٨/٢ برقم ٢٥٤٧ .

٩. أخرج البخاري في صحيحه، عن عمر بن محمد، عن أبيه، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه. (١)

١٠. أخرج أحمد في مسنده، عن خالد بن أبي عمران، عن نافع، عن ابن عمر: أنّ النبي ﷺ كان يقول: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله. ويقول: والذي نفس محمد بيده ما توادّ اثنان ففُرق بينهما إلاّ بذنب يحدثه أحدهما.

وكان يقول: للمرء المسلم على أخيه من المعروف ست: يسّمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، ويُصحّه إذا غاب، ويشهده و يسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويتبعه إذا مات، ونهى عن هجرة المسلم أخاه فوق ثلاث. (٢)

١١. أخرج مسلم في صحيحه، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، أنّه قال: ألا كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته. (٣)

١٢. أخرج أحمد في مسنده، عن محارب بن دثار، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: أيها الناس اتقوا الظلم فإنّه ظلّمات يوم القيامة. (٤) هذه نماذج من روائع أحاديثه، وإليك بعض ما عُزيت إليه من الروايات السقيمة التي لا يدعن بها الكتاب ولا السنة ولا العقل الحصيف.

١ . صحيح البخاري: ١٠/٨ ، باب الوصاة بالجار من كتاب البر والصلة.

٢ . مسند أحمد: ٦٨/٢ .

٣ . صحيح مسلم: ٨/٦ ، باب فضيلة الإمام العادل.

٤ . مسند أحمد: ٩٢/٢ .

١. ليس الأمر بيد الإنسان أخرج الإمام أحمد في مسنده، عن يحيى بن يعمر، قلت لابن عمر: إنَّ عندنا رجالاً يزعمون أنَّ الأمر بأيديهم فإن شاءوا عملوا و إن شاءوا لم يعملوا، فقال: أخبرهم إنِّي منهم بريء وإنَّهم مني بُرءاء. ثمَّ قال: جاء جبرئيل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: يا مُحَمَّد ما الإسلام؟ فقال: تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة، إلى أن قال: ... فما الإيمان؟ قال: تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله و البعث من بعد الموت والجنَّة والنار والقدر كلَّه، قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟ قال: نعم، قال: صدقت. ^(١) إنَّ المروي مؤلف من كلام ابن عمر وكلام الرسول ﷺ ، فالكلام في صحَّة ما استنبطه هو من كلام الرسول. لا يشكَّ أيُّ مسلم و مؤمن في أنَّ لله سبحانه تقديراً في عالم التكوين والتشريع وتدلَّ عليه طائفة من الآيات والروايات. قال سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا أَتَذْكُرَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد/٢٢). وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان/٤٣). كما لا شكَّ أنَّ هناك أموراً ليس للإنسان فيها دور شاء أم لم يشاء، فقد كتب على كلِّ إنسان عدم الخلود، قال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (الأنبياء/٣٤).

١ . مسند أحمد: ١٠٧/٢ .

إلى غير ذلك من الحوادث والنوازل التي تنهب نفس الإنسان ونفيسه ومن حسن الحظ أنّ تلك الأمور الخارجة عن إطار الاختيار ليست ملاكاً للثواب والعقاب ولا للحسن والقبح، فليس لمشيئة الإنسان أيّ دور فيها. إنّما الكلام فيما يقوم به الإنسان من الأعمال التي عليها يدور رحى الإيمان والكفر، والثواب والعقاب، وقد سئل ابن عمر عن هذا القسم من الأمور، حيث قال السائل: « إنّ عندنا رجالاً يزعمون أنّ الأمر بأيديهم فإن شاءوا عملوا وإن شاءوا لم يعملوا» و لا شك أنّ هذا القسم من الأفعال بيد الإنسان ومشيئته فعلاً وتركاً فهو بحول الله وقوته يقوم بهذا الأمر أو يتركه في ضوء الاختيار الذي فطر الله الإنسان عليه، فإنكار المشيئة في هذا النوع من الأفعال يلزم الجبر المطلق ويعارض الهدف الذي بعث لأجله الأنبياء. وبالتالي يكون الإنسان مكتوف اليدين في مسرح الحياة فما استنتجه ابن عمر من حديث الرسول فرض على الحديث وليس الحديث ناظراً إلى سلب الاختيار، بل تقديره سبحانه في حقّ الإنسان هو أن يكون إنساناً مختاراً، يعمل بما شاء وفق مشيئته واختياره. وبعبارة أخرى لا مانع أن يكون هذا القسم من الأفعال مقدرّاً من جانبه سبحانه، وفي نفس الوقت يكون فعله وتركه بيد الإنسان، وذلك لأنّ المقدر فيه هو كون الإنسان مختاراً، وأن يكون الفعل والترك باختياره، فالقول بالاختيار لا يخالف التقدير. فكما أنّ أصل الفعل مقدرّ من جانبه سبحانه، كذلك وصفه أي صدوره عن فاعل مختار باختياره أيضاً مقدرّ، فلو أنكرنا مشيئتهم ودورهم في أفعالهم فقد أنكرنا تقدير الله سبحانه في أفعال الإنسان.

٢. النبي ﷺ يمنع من البكاء على حمزة أخرج ابن ماجة في مسنده، عن نافع، عن ابن عمر: أنّ رسول الله ﷺ «مرّ بنساء عبد الأشهل يبكين هلکاهنّ يوم أحد، فقال رسول الله ﷺ: لكنّ حمزة لا بواکي له. فجاء نساء الأنصار يبکین حمزة، فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال: «ويجهنّ ما انقلبنّ بعد؟ مروهنّ فليقلبن ولا يبکین علی هالك بعد اليوم». (١) والحديث لا يخلو عن إشکالات: الأول: أنّ الإسلام دين الفطرة، وتشريعاته تطابق ما جُبل عليه الإنسان ولا شك أنّ الإنسان عند فقدان الأحبة يلعو قلبه وتدمع عينه ويعلو صوته بالبكاء، فالنهي عن مثل هذا الأمر، نهي عن مقتضى الفطرة والتي عليها بُني الدين، قال سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم/٣٠). لما أصيب النبي ﷺ بوفاة ولده إبراهيم، ذرفت عيناه ﷺ وقال: إنا بك يا إبراهيم لمحزونون، تبكي العين، و يحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب، ولولا أنّه وعد صادق وموعود جامع فإنّ الآخر منا يتبع الأوّل وجدنا عليك يا إبراهيم وجداً شديداً أشد من هذا، وانا بك يا إبراهيم لمحزونون. (٢) فإذا كان كذلك فالنهي عنه أمر غير معقول إلّا إذا تكلم بما فيه سخط الرب والإطاحة بتقديره سبحانه وقضائه، وأما إظهار حزنه بذرف الدموع على

١ . سنن ابن ماجة: ٥٠٧/١ برقم ١٥٩١.

٢ . السيرة الحلبية: ٣/٣١٠؛ سنن ابن ماجة: ٥٠٦/١ برقم ١٥٨٩ ولاحظ بحار الأنوار: ١٥٧/٢٢ إلى غير ذلك من المصادر المتوفرة.

صفحات الوجه، وإظهار اللوعة بالنوح فهذا ممّا لا شبهة في جوازه. وعلى ضوء ذلك رغب النبي ﷺ بالبكاء على حمزة لما دخل المدينة بعد غزوة أحد ورأى النساء يبكين على قتلاهنّ، بكى، وقال: أمّا حمزة فلا بواكي له. ^(١) وبذلك حرّض النساء على البكاء على حمزة. لما استشهد جعفر في موتة دخل النبي ﷺ بيت جعفر ليعزي أسماء بنت عميس، فلما أراد أن يخرج قال: على مثل جعفر فلتبكي البواكي. ^(٢) أخرج الحاكم بسنده، عن أبي هريرة، قال: خرج النبي على جنازة ومعه عمر ابن الخطاب فسمع نساءً يبكين، فضرهنّ عمر، فقال رسول الله ﷺ: يا عمر دعهنّ، فإنّ العين دامعة، والنفس مصابة، والعهد قريب. ^(٣) كل ذلك يعرب عن موقف الإسلام من البكاء على الميت وإنه لم يمه من البكاء وإنما نهي عن الكلمات التي تُسخط الرب. الثاني: أنّ ذيل الحديث يناقض صدره فإنّه ﷺ بقوله: «لكن حمزة لا بواكي له» يحرض النساء على البكاء على حمزة، وعلى ذلك فقد اجتمعت النساء للبكاء عليه بأمر الرسول ﷺ فما معنى لما جاء في ذيل الحديث «فاستيقظ رسول الله ﷺ وقال: ويجهنّ ما انقلبن بعدد، مروهنّ فلينقلبن ولا يبكين على هالك بعد اليوم»؟! الثالث: استشهد حمزة في غزوة أحد و هو في السنة الثانية من الهجرة مع أنّ الرسول بكى بعده مرات، حيث بكى على ابنه الذي توفي في العام العاشر من الهجرة، كما بكى عند قبر أمّه.

١ . مسند أحمد: ٢/٤٠؛ والاستيعاب بما مش الإصابة: ١/٢٧٥؛ إلى غير ذلك من المصادر.

٢ . أنساب الأشراف: ٢/٤٣.

٣ . الحاكم ، المستدرک: ١/٣٨١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين؛ ولاحظ سنن النسائي: ٤/١٩٠، إلى غير ذلك من المصادر.

روى الحاكم في المستدرک بسنده عن سليمان بن بريدة عن أبيه، قال: زار النبي ﷺ قبر أمه في ألف مقنع فلم ير باكياً أكثر من يومئذ. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ^(١) وأما ما أثار عن أئمة أهل البيت ﷺ في فضيلة البكاء على الحسين ﷺ وغيره من الأئمة المعصومين ﷺ فحدّث عنه ولا حرج.

٣. طلب العلم لغير الله أخرج ابن ماجة في مسنده، عن خالد بن دزيك، عن ابن عمر، أنّ النبي ﷺ قال: من طلب العلم لغير الله، أو أراد به غير الله، فليتبوأ مقعده من النار. ^(٢) يلاحظ عليه: أنّ مفاد الحديث هو أنّ طلب العلم فريضة عبادية لا تطلب إلاّ لوجه الله فلو طلب لغيره، فقد ترك الفريضة. توضيحه: أنّ الواجب على قسمين: تعبدية و توصلية، ويراد من الأوّل ما يوتى به لوجه الله تبارك و تعالی و امتثال أمره بحيث لو قصد به غيره لبطل العمل، كما إذا صلّى رياءً وسمعة. ويراد من الثاني ما يكون المطلوب نفس العمل سواء أتى به لوجه الله أو لغيره، وهذا كما في تطهير الثوب للصلاة فلو طهره لا للصلاة بل لغاية أخرى صحّ تطهيره وصحّت إقامة الصلاة فيه. وعلى ضوء هذا نقول: إنّ طلب العلم يوصف بالوجوب تارة والندب أخرى والإباحة ثالثاً والكرهية رابعاً والحرمة خامساً.

١ . الحاكم، المستدرک: ١/٣٧٥.

٢ . سنن ابن ماجة: ١/٩٥؛ رقم ٢٥٨؛ سنن الترمذي: ٥/٢٣؛ رقم ٢٦٥٥.

فطلب علم الشريعة وأحكامها واجب توصيلي لا تعبدى، فلو طلبه لغايات دنيوية فقد امتثل الواجب غاية الأمر لا يترتب عليه ثواب إذا لم يقصد به وجه الله لا أنه يوعد بالنار كما في الحديث. كما أنّ طلب العلم إذا كان مستحباً فهو مطلوب توصيلي يقصد به أن يقف الطالب على ما دعا إليه الشارع والغاية حاصلة وإن طلبها لأجل أمور أخرى ولا يحكم عليه بالفسق والعصيان. وأمّا ما في الرواية فمعناه أنّ طلب العلم فيما يرتبط بالواجبات والمستحبات يجب أن يقصد به وجه الله، فمن ترك الشرط وطلبه لغير الله فلم يأت بالفريضة، وهذا أمر لا يوافق عليه أحد. هذا حكم الواجب أو المستحب من طلب العلم وأمّا طلب العلم المباح وغيره فلا أظن أحداً يشترط فيه وجه الله على نحو لو طلب العلوم الرياضية أو الفيزيائية لرفاه حاله وحال عياله فقد ارتكب معصية موبقة يتبوأ مقعده من النار. ولعلّ المراد من العلم هو علم الشريعة والإيعاد بالنار يختص بما إذا كانت الغاية من تعلّمه، أمراً حراماً، فعندئذٍ عليه أن يتبوأ مقعده من النار، فتدبر. ٤٠. أفضل الناس بعد النبي ﷺ ثلاثة أخرج البخاري، عن نافع، عن ابن عمر، قال: كنا نخيّر بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخيّر أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان. (١) أخرج أحمد، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن ابن عمر، قال: كنّا

١ . صحيح البخاري: ٤/٥، باب فضل أبي بكر.

نعدّ ورسول الله ﷺ حيّ وأصحابه متوافرون أبو بكر وعمر و عثمان ثم نسكت. (١) أخرج أبو داود، عن سالم بن عبد الله، عن ابن عمر، قال: كُنَّا نقول و رسول الله ﷺ حيّ: أفضل أمة النبي بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم أجمعين. (٢) أخرج أبو داود عن نافع، عن ابن عمر، قال: كُنَّا نقول في زمن النبي ﷺ « وَاللَّهِ وَسَيِّدُهُ » : لا نعدّل بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم. (٣) يستفاد من الحديث أمران: الأوّل: أفضلية الثلاثة على غيرهم من الناس. الثاني: الناس بعد الثلاثة كلّهم في الفضل سواء . فيقع الكلام في مقامين: الأوّل: أفضلية الثلاثة على غيرهم: إنّ ما عُزِي إلى ابن عمر إنّما هو استنباط شخصي يعود إليه، و لم يعرج المستنبط فيه على دليل واضح وبرهان ساطع . إنّ تفضيل الثلاثة على غيرهم فرع وجود ملاكات توفرت فيهم دون غيرهم وعلى أساسها فُضِّلوا بها على غيرهم. إنّ هذه الملاكات لا تخرج عن أحد أمرين:

١ . مسند أحمد: ١٤/٢ .

٢ . سنن أبي داود: ٢٠٦/٤ برقم ٤٦٢٨ .

٣ . سنن أبي داود: ٢٠٦/٤ برقم ٤٦٢٧ .

أ. ملاكات روحية وفضائل نفسانية. ب. ملاكات عملية وسلوكية. وإليك الكلام في كلا الملاكين: أ. الملاكات الروحية والفضائل النفسانية لا شك أنّ الملاكات الروحية كالسابق إلى الإسلام والإيمان بالله والخشوع امامه و العلم الغزير الذي يفيد الناس تعد سبباً للتقدم، ولكن لا أظن سبق الخلفاء الثلاثة على غيرهم في هذا المضمار وفي الأمة مثل علي بن أبي طالب «عليه السلام» أول الناس إسلاماً وأتقاهم وأزهدهم وأقضاهم وأعلمهم. ويكفي في ذلك، الإمعان فيما نزل في حقّه في سورة الإنسان ، فقد اتفقت الأمة على نزولها في حقّه وزوجته وأولاده، قال سبحانه: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرِبَةً وَسُرُورًا﴾ (الإنسان/ ٨ - ١١). وقد ضحى بنفسه عندما نام على فراش النبي ﷺ فنزلت في حقّه الآية التالية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة/ ٢٠٧) وهذا غاية الزهد في الدنيا والتجاني عنها. وقد بلغ من الإيمان بمكان عُدد تأمينه لدعاء النبي موجباً لنزول العذاب حيث شارك النبي ﷺ في المباهلة مع زوجته وولديه، ونزل قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران/ ٦١).

فهذه الآيات وما ورد حولها من الكلمات تعرب عن وجود فضائل و مناقب فائقة لعلي عليه السلام أدت إلى تفضيله على غيره، فكيف يقول ابن عمر: «كنا نعدّ ورسول الله حيّ وأصحابه متوافرون أبو بكر وعمر و عثمان ثم نسكت». وقد بلغ في العلم بالعقيدة والشريعة مقاماً كان يربو بعلمه على جميع الصحابة وكانوا يرجعون إليه في القضايا والمشكلات دون غيره وإنّ أوّل من صرح له بالأعلمية نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم بقوله لفاطمة عليها السلام: «أما ترضين أنّي زوجتك أوّل المسلمين إسلاماً، وأعلمهم علماً. (١) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لها: زوجتك خير أمتي، أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأوّلهم سلماً. (٢) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لها: إنّه لأوّل أصحابي إسلاماً، وأقدم أمتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً. (٣) وقد اعترف ثلثة من الصحابة والصحابيات بفضيلته وهذه عائشة تقول: عليّ أعلم الناس بالسنة. (٤) ويقول عمر: عليّ أقضانا. (٥) وقد اشتهر قول عمر: لولا عليّ لهلك عمر اشتهاراً لا حاجة به إلى تخريج سنده. (٦)

١ . كنز العمال: ١١/٦٠٥ برقم ٣٢٩٢٤ - ٣٢٩٢٥.

٢ . أخرجه الخطيب في المتفق والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه: ٦/٣٩٨.

٣ . مسند أحمد: ٥/٢٦.

٤ . الاستيعاب: ٣/٤٠ هامش الاصابة، طبعة عام ١٣٥٨هـ-.

٥ . حلية الأولياء: ١/٦٥.

٦ . صحيح مسلم: ٧/١٢٠، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام.

ب. الملائكات العملية والسلوكية

ثمة ملائكات عملية يقوم بها المؤمن حال حياته وأفضلها الجهاد في سبيل الله قال سبحانه:
﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء/٩٥).

ولا شك أنّ عليّاً عليه السلام أكثر الناس جهاداً وقد شارك في جميع الغزوات إلاّ غزوة تبوك فخلف
النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة بأمره.

والعجب أنّ عبد الله بن عمر صاحب هذا الاجتهاد، استنتج خلاف ما جاء في هذا
الحديث، في حديث آخر أخرجه عنه الإمام أحمد في مسنده عن عمر بن أسيد، عن ابن عمر،
قال: كُنَّا نَقُولُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم رَسُولَ اللَّهِ خَيْرَ النَّاسِ ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ وَلَقَدْ أُتِيَ ابْنُ أَبِي
طَالِبٍ ثَلَاثَ خِصَالٍ لِأَنَّ تَكُونَ لِي وَاحِدَةً مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ زَوَّجَهُ رَسُولَ اللَّهِ
صلى الله عليه وآله وسلم ابنته وولدت له، وسدّ الأبواب إلاّ بابه في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر. ^(١)

ترى فيه تراجعاً عن رأيه في حقّ الشيخين، فمع أنّه يعترف في صدر الحديث بأفضليتهما،
ولكن يستدرك بأنّ ابن أبي طالب أُتي ثلاث خصال ليس له فيها نظير.

وأظن أنّ ابن عمر اقتبس ما استنبطه في حقّ علي عليه السلام من كلام سعد بن أبي وقاص على ما
أخرجه مسلم في صحيحه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، قال: ما منعك أن تسبّ أبا
التراب، فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً، قالهنّ له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلن أسبّه، لأنّ تكون لي واحدة
منهنّ أحبُّ إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه،
فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله: أما ترضى أن تكون
مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي.

١ . مسند أحمد: ٢/٢٦٠.

وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال: فتناولنا لها، فقال: ادعوا لي علياً عليه السلام ، فأتي به أرمذ، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه. ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام فقال: اللهم هؤلاء أهلي. ^(١)

إنّ ما استنتجه عبد الله بن عمر إنّما يصحّ إذا لم يكن بين الصحابة من هو أفضل منهم، وهل يتصور أن يكون الثلاثة أفضل من أبي ذر الذي عرفه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبيه عيسى»؟ ^(٢) لقد كان بين الصحابة من ملئ إيماناً إلى مشاشه و ما عرض عليه أمران إلاّ اختار الأرشد منهما و اتّرسول الله أمر بحبه.

أخرج ابن ماجة، عن علي بن أبي طالب، قال: كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذن عمّار بن ياسر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ائذنوا له مرحباً بالطيب المطيب. ^(٣) وروي أيضاً أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: ملئ عمارة إيماناً إلى مشاشه. ^(٤) وروي عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

-
- ١ . صحيح مسلم: ١٢٠/٧-١٢١ باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام .
 - ٢ . وقد أخرجه غير واحد من الحفاظ وأهل الحديث نذكر منهم مسند أحمد: ١٦٣/٢؛ مستدرك الحاكم: ٣/٣٤٤ صحّحه وأقره الذهبي ؛ سنن ابن ماجة: ١/٥٥ برقم ١٥٦؛ سنن الترمذي: ٥/٦٦٩ برقم ٣٨٠١-٣٨٠٢ .
 - ٣ . ابن ماجة: السنن: ١/٥٢ برقم ١٤٦؛ الترمذي، السنن: ٥/٦٦٨ برقم ٣٧٩٨ .
 - ٤ . ابن ماجة: السنن: ١/٥٢ برقم ١٤٧ .

عمار ما عرض عليه أمران إلا اختار الأرشد منهما. (١)

وروي عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله أمرني بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: علي منهم، يقول ذلك ثلاثاً، و أبو ذر و سلمان والمقداد. (٢)

الثاني: كلّ الناس بعد الثلاثة في الفضل سواء:

إنّ الحديث كما كان يتضمن أفضلية الثلاثة من جميع الناس، يتضمن أيضاً أنّ سائر الناس في الفضل سواسية، وهذا أيضاً مخالف لإجماع المسلمين على أفضلية علي عن غير الثلاثة من الصحابة كما هو واضح، و لذلك نرى أنّ ابن عبد البر أنكر صحّة الحديث، ويقول:

قال أبو عمرو: من قال بحديث ابن عمر: كنا نقول على عهد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثمّ، ثمّ، ثمّ عثمان، ثم نسكت - يعني فلا نفاضل - و هو الذي أنكر ابن معين وتكلم فيه بكلام غليظ، لأنّ القائل بذلك قد قال بخلاف ما اجتمع عليه أهل السنة من السلف والخلف من أهل الفقه و الاثر: أنّ علياً أفضل الناس بعد عثمان، وهذا ممّا لم يختلفوا فيه و إنّما اختلفوا في تفضيل عليّ و عثمان. (٣)

٥. أصحابي كالنجوم

أخرج ابن حميد عن نافع، عن ابن عمر، أنّ رسول الله ﷺ قال: مثل أصحابي مثل النجوم يهتدي به، فأتيهم أخذتم بقوله اهتديتم. (٤)

١ . ابن ماجه: السنن: ٥٢/١ برقم ١٤٨؛ الترمذي، السنن: ٥/٦٦٨ برقم ٣٧٩٩.

٢ . ابن ماجه: السنن: ٥٣/١ برقم ١٤٩.

٣ . الاستيعاب: ٥٢/٣.

٤ . المسند الجامع: ٧٨٢/١٠ برقم ٨٢١٩ نقله عن مسند عبد بن حميد.

يلاحظ عليه : أنّ متن الحديث يكذب صدوره إذ ليس كلنجم هادياً في البرّ و البحر بل هناك نجوم خاصة للاهتداء، ولأجل ذلك قال سبحانه: ﴿وَعَلَامَاتٌ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل/١٦).

وأما قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام/٩٧) فاللام في النجوم للعهد، أي النجوم المعهودة التي كانت العرب يومذاك يهتدون بها في البر والبحر وليست للاستغراق.

ولا يتمشى ذلك الحمل في الحديث، لأنّ الغاية فيها التبسيط والتعميم لكلّ صحابي كما هو صريح قوله: «فأيتهم أخذتم بقوله اقتديتم» فلا محيص من حمل «كالنجوم» على الاستغراق والمفروض أنّ كلّ نجم ليس هادياً.

ولو افترضنا الاهتداء بكلّ نجم في السماء، فهل يمكن أن يكون كلّ صحابي نجماً لامعاً هادياً للأمة؟ فهذا قدامة بن مظعون، صحابي بدري يعد من السابقين الأولين ومن المهاجرين هجرتين، شرب الخمر وأقام عليه عمر الحدّ، كما أنّ المشهور أنّ عبد الرحمان الأصغر بن عمر بن الخطاب قد شرب الخمر.^(١)

كما أنّ بعض الصحابة خضبّ وجه الأرض بالدماء فمن استقصى تاريخ حياة بسر بن أرطأة يجد أنّه اقترف جرائم كثيرة، حتّى قتل طفلين لعبيد الله بن عباس، وكم بين الصحابة رجال قد احتفل التاريخ بضبط مساوئهم، أفبعد هذه البيّنات يصحّ لأحد أن يتقول بأنهم جميعاً - بلا استثناء - كالنجوم يهتدى بهم؟!!

يقول أبو جعفر النقيب: إنّ هذا الحديث من موضوعات متعصبة الأموية، فإنّ منهم من ينصرهم بلسانه و بوضعه الأحاديث إذا عجز عن نصرهم

١ . أسد الغابة: ٣/٣١٢.

بالسيف.^(١)

ولعل القارئ الكريم يتصور أنّ أبا جعفر النقيب ممن ينفرد في شأن هذه الرواية و ليس الأمر كذلك ، بل حكم بوضعه كثير من محققي السنّة، وقد رويت بصور مختلفة:

أ. أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم

رواه ابن عبد البر في جامع العلم (٩١/٢) ، و ابن حزم في الاحكام (٨٣/٦) من طريق سلام بن سليم، قال: حدثنا الحارث بن غصين، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر مرفوعاً به، وقال ابن عبد البر: «هذا إسناد لا تقوم به حجّة، لأنّ الحارث بن غصين مجهول».

وقال ابن حزم: «هذه رواية ساقطة، أبو سفيان ضعيف، والحارث بن غصين هذا هو أبو وهب الثقفي، وسلام بن سليمان يروي الأحاديث الموضوعة، وهذا منها بلا شك».^(٢)

ب. مهما اوتيتم من كتاب الله فالعمل به ، لا عذر لأحدكم في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله، فسنة مّي ماضية، فإن لم يكن سنة مني ماضية فما قال أصحابي، إنّ أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأيتها أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة.

أخرجه الخطيب في الكفاية في علم الدراية ، ص ٤٨، وكذا أبو العباس العصم وابن عساكر (٢/٣١٥/٧) من طريق سليمان بن أبي كريمة، عن جوير، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعاً. وهذا اسناد ضعيف جداً، سليمان بن أبي كريمة، قال ابن أبي حاتم

١ . ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٢/٢٠.

٢ . لاحظ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ٧٨/١.

(٢/١٣٨) عن أبيه «ضعيف الحديث».

وجويبر هو ابن سعيد الأزدي متروك كما قال الدار قطني، والنسائي وغيرهما، والضحاك هو ابن مزاحم الهلالي لم يلق ابن عباس. (١)

ج. سألت ربي فيما اختلف فيه أصحابي من بعد فأوحى الله إلي: يا محمد: إنّ أصحابك عندي بمنزلة النجوم بعضها أضوأ من بعض، فمن أخذ بشيء مما هم عليه فهو عندي على هدى. رواه ابن بطّة في الابانة (٢/١١/٤) والخطيب أيضاً، نظام الملك في الأمالي (٢/١٣) والضياء في المنتقى عن مسموعاته بمرو (٢/١١٦) وكذا ابن عساكر (١/٣٠٣/٦) من طريق نعيم بن حماد، حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب مرفوعاً. وهذا السند موضوع، نعيم بن حماد ضعيف، قال الحافظ: يخطأ كثيراً. وعبد الرحيم بن زيد العمي كذاب فهو آفة. (٢)

هذا قليل من كثير ممّا ذكره الشيخ الالباني المعاصر في كتابه، و من أراد التفصيل فليرجع إلى نفس الكتاب.

وقد أضاف في آخر تحقيقه، وقال: لو صحّ هذا الخبر يكون المراد إنّ ما قالوه برأيهم يجب العمل به، وهذا دليل آخر على أنّ الحديث موضوع، وليس من كلامه ﷺ إذ كيف يسوغ لنا أن نتصور أنّ النبي «ﷺ وسلم» يبرر لنا أن نفتدي بكل رجل من الصحابة مع أنّ فيهم العالم والمتوسط في العلم، ومن هو دون ذلك وكان فيهم مثلاً من يرى أنّ البردة لا يفطر الصائم بأكله. (٣)

١ . المصدر نفسه.

٢ . المصدر نفسه.

٣ . سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة، وحديث البرد أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار، لاحظ ٢/٣٤٠، وهو حديث غريب يصاد القرآن والسنة وإجماع المسلمين، كما مرّ في مقدّمة الكتاب.

روى أنس قال:

مطرت السماء برداً، فقال لنا أبو طلحة: ناولوني من هذا البرد، فجعل يأكل وهو صائم وذلك في رمضان، فقلت: أتأكل وأنت صائم؟ فقال: إنما هو برد نزل من السماء فطهر به بطوننا، وإنه ليس بطعام ولا بشراب، فأتيئ رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك، فقال: خذها عن عمك (١)

٦. أول من تنشق عنه الأرض

أخرج الترمذي في مسنده، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي، ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين. (٢)

يلاحظ عليه: أن الهدف من وراء هذا الترتيب هو بيان الأفضلية فالأفضل والأفضل تنشق عنه الأرض حتى تصل النبوة إلى غيره، وعلى ضوء هذا الحديث أن أهل البقيع يحشرون في الدرجة الثالثة ويعقبهم أهل مكة في الدرجة الرابعة ومعنى ذلك أن هؤلاء أفضل من وطئوا الأرض فيقدمون في الحشر، وتصبح النتيجة أن غيرهم يتأخرون فضيلة عنهم كعلي بن أبي طالب و الحسن بن علي ونظائرها الذين لهم أضرحة خارج مكة والمدينة وهل الأمر كذلك؟! لا أدري..

وثمة نكتة جديرة بالإشارة، هي أن هذا الحديث يشير إلى أن الحشر يوم القيامة أمر تدريجي، فالناس يحشرون و يخرجون من أجدائهم تدريجاً مع أنه يخالف ما عليه ظاهر القرآن من وقوع البعث بغتة وحشر الناس دفعة واحدة. قال سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ (يس/٥١) وقال

١ . الطحاوي، مشكل الآثار : ٢٣٨/٢ برقم ١٩٨٣.

٢ . سنن الترمذي: ٥/٦٢٢ برقم ٣٦٩٢.

تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (الزمر/٦٨) إلى غير ذلك من الآيات الصريحة في وقوع القيامة فجأة وحشر الناس جميعهم دفعة لا تدريجاً، وهذا على خلاف ما جاء في الرواية «ثم انتظر أهل مكة...».

٧. الخط من منزلة بعض الصحابة

أخرج مسلم في صحيحه، عن عمرو بن دينار، عن ابن عمر، أنّ رسول الله ﷺ : أمر بقتل الكلاب إلاّ كلب صيد أو كلب غنم أو ماشية، فقيل لابن عمر: إنّ أبا هريرة يقول: أو «كلب زرع» فقال ابن عمر: إنّ لأبي هريرة زرعاً. ^(١)

يشير ابن عمر إلى ما رواه أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ : من اتخذ كلباً إلاّ كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كلّ يوم قيراط، قال الزهري: فذكر لابن عمر قول أبي هريرة، فقال: يرحم الله أبا هريرة كان صاحب زرع. ^(٢)

وكان ابن عمر يشير بقوله: إنّ لأبي هريرة زرعاً، أنّه أضاف هذا الاستثناء لأجل امتلاكه زرعاً وحرثاً ولولاه لما أضاف، ومعنى ذلك أنّ أبا هريرة زاد على الحديث من جانبه. ويؤيد ذلك أمران:

أ. أنّه نقل الحديث عن أبي هريرة مرّة بلا هذه الزيادة، أخرج مسلم، عن أبي رزين، قال: سمعت أبا هريرة، يقول: قال رسول الله ﷺ : من اتخذ كلباً ليس بكلب صيد ولا غنم نقص من عمله كليلوم قيراط. ^(٣)

ب. أنّه لما ذكر لابن عمر قول أبي هريرة، أجابه بقوله: يرحم الله أبا هريرة

١ . صحيح مسلم: ٣٦/٥ ، باب الأمر بقتل الكلاب؛ سنن الترمذي: ٧٩/٤ برقم ١٤٨٨ .

٢ . صحيح مسلم: ٣٨/٥ ، باب الأمر بقتل الكلاب .

٣ . المصدر نفسه .

كان صاحب زرع، فأنه يشير باسترحامه عليه إلى زلته في ذلك النقل.
هذا هو المفهوم من الرواية، ولكن النووي حمل الرواية على غير ما هو المفهوم عرفاً، وقال نقلاً
عن العلماء: ليس هذا توهيناً لرواية أبي هريرة ولا شكاً فيها، بل معناه أنه لما كان صاحب زرع
وحرث اعتنى بذلك وحفظه وأتقنه، والعادة أن المبتلي بشيء يتقنه ما لا يتقنه غيره ويتعرض من
أحكامه ما لا يعرفه غيره. (١)

أقول: لم يكن الحديث حديثاً مفصلاً حتى يصعب على ابن عمر حفظه فلو سمع من رسول
الله لنقله بلا نقيصة، فالرسول حدّث حديثاً واحداً سمعه كل من حضره من ابن عمر و أبي هريرة،
ولكن نقل الثاني مع الزيادة دون الأول وابن عمر يدعي أنه ما خائنه ذاكرته، بل زاد أبو هريرة من
عنده. والله العالم.

٨. عدم وقوفه على أبسط المسائل

أخرج البخاري في صحيحه، عن سالم أنّ عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أخبره أنه
طلق امرأته وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ فيه رسول الله، ثم قال: ليراجعها،
ثمّمسكها حتى تطهر ثمّ تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها طاهراً قبل أن يمسه، فتلك
العدّة. (٢)

أخرج أبو داود عن ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع عبد الرحمان بن أيمن مولى عروة يسأل
ابن عمر وأبو الزبير يسمع، قال: كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضاً؟ قال: طلق عبد الله بن
عمر امرأته وهي حائض على عهد

١ . شرح النووي: ١٠/٤٩٧.

٢ . صحيح البخاري: ٦/١٥٥، في تفسير سورة الطلاق.

رسول الله ﷺ فسأل عمر رسول الله ﷺ فقال: إنَّ عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض، قال عبد الله: فردّها عليّ ولم يرها شيئاً، وقال: «إذا طهرت فليطلق أو ليمسك».

قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ في قُبُلِ عَدَّتِهِنَّ. (١)

إنَّ غضب رسول الله على فعل ابن عمر كما في الرواية الأولى وقراءته الآية كما في الرواية الثانية تعرب عن أنّ البيان والتشريع كان قد تم في عهد رسول الله ﷺ وأنه بلغ ما يجب عليه إبلاغه وذلك بنزول سورة الطلاق التي جاء في مطلعها قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾.

وهذا يدل على عدم وقوف عبد الله بن عمر على أبسط المسائل وأوضحها وأكثرها ابتلاءً في أوساط المسلمين، ولم يكن والده أيضاً أكثر اطلاعاً منه.

٩. نفي العدوى

أخرج ابن ماجة، عن يحيى بن أبي حية، عن أبيه، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة، فقام إليه رجل أعرابي فقال: يا رسول الله: رأيت البعير يكون به الجرب فيُجرب الإبل كلّها، قال: ذلكم القدر، فمن أجرب الأوّل؟! (٢)

وثمة تساؤلات:

١. «العدوى» عبارة عن انتقال المرض من مريض إلى سليم وهذا أمر واضح لا يشوبه شكٌّ ومن سنن الله تبارك و تعالی خلق الجراثيم التي تنقل الأمراض، ولا ينافي ذلك تقدير الله سبحانه فإنّ عمل الجراثيم من تقديره سبحانه، فلا منافاة بين العلل الطبيعية التي هي مظاهر سننه وتقديره، والقول

١ . سنن أبي داود: ٢/٢٥٦ برقم ٢١٨٥ والآية ١ من سورة الطلاق.

٢ . سنن ابن ماجة: ١/٣٤ برقم ٨٦.

بالقضاء والقدر، لأنّ تأثير الأسباب الطبيعية بإذن الله سبحانه ، و تأثيره من تقديراته ، قال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ (البقرة/ ٢٢) أي أخرج بسبب الماء. إلى غير ذلك من الآيات الناصّة على تأثير الأسباب الطبيعية بإذن الله. فلما نفى النبي ﷺ - حسب ما جاء فيها - العدوى بنحو مطلق بدت على وجه الاعرابي علائم الاستغراب، و أدرك أنّ ما سمعه من النبي يخالف الملموس في حياته فسأله وقال: رأيت البعير يكون به الجرب فيُجرب الإبل كلّها، فكيف تنفي العدوى وانتقال المرض من حيّ إلى آخر؟!

فما ورد في الرواية من الجواب لا يقنعه ولا يزيل استغرابه، فإنّ الجواب فيها عبارة عن قوله: «ذلكم التقدير» أي أنّ الانتقال بتقديره سبحانه لا بالعدوى مع أنّه لا تنافي بين الأمرين، وذلك لأنّ انتقال المرض من مريض إلى صحيح، سنة من سنن الله سبحانه، سنّها وقدرها كما قدّر سائر السنن الكونية، فلا مانع من أن يكون هناك تقدير وفي الوقت نفسه عدوى.

٢. أنّ المجيب في الرواية لم يقتصر بقوله: «ذلكم التقدير» بل ضمّ إليه جواباً آخر وهو أنّه لو صحّ «العدوى» فمن جرّب البعير الأوّل إذ لم يكن هناك إلاّ بعير واحد ابتلي بالمرض حتى يكون هو السبب للجرب.

مع أنّ هذا الجواب لا يصلح للردّ أبداً إذ يمكن أن يكون للمرض عاملان أحدهما: «العدوى»، وثانيهما: «تأثير العوامل الطبيعية الأخرى».

٣. كيف تنفي الرواية العدوى مع أنّ سعد بن أبي وقاص نقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

«وإذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تمبطوا، وإذا كان بأرض وأنتم بها فلا تفرّوا منه»^(١)

١ . مسند أحمد: ١/١٧٤؛ سنن أبي داود برقم ٣٩٢١.

فإنّ الحديث صريح في الاعتراف بسنة العدوى في الطاعون، ولأجل ذلك منع المصحح أن يهبط على أرض كان فيها طاعون، كما منع من الخروج من الأرض التي فيها الطاعون لئلا يتلصق الآخرون به. وقد مضى الكلام فيه أيضاً عند دراسة روايات أبي هريرة.

١٠. النبي يأكل ممّا ذُبح على الأنصاب

أخرج البخاري عن موسى بن عقبة، قال: أخبرني سالم أنّه سمع عبد الله يحدث عن رسول الله ﷺ أنّه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل «بَلَدْح» وذلك قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحي، فقدم إليه رسول الله ﷺ سفرة فيها لحم فأبى أن يأكل منها.

ثمّ قال: إني لا آكل ممّا تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلاّ ممّا ذكر اسم الله عليه. (١)

إنّ هذه الرواية تحط من شأن النبي ﷺ بوجهين:

الأول: إنّ مفاد الحديث أنّ النبي ﷺ كان يأكل ممّا ذبح على الأنصاب، والشاهد على ذلك أنّه قدّم إلى زيد بن عمرو سفرة ولا معنى لتقديمه إليه سفرة غيره بل الظاهر أنّه قدّم إليه نفس السفرة التي كان يأكل منها وهذا طعن عظيم على سيد المرسلين ﷺ كما لا يخفى.

ويؤيد مضمون الرواية ما أخرجه أحمد، عن هشام بن سعيد، عن أبيه سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل، قال: كان رسول اللّهمكة، هو وزيد بن حارثة، فمرّ بهما زيد بن عمرو بن نفيل، فدعوه إلى سفرة لهما. فقال: يا ابن أخي، إني لا

١. صحيح البخاري: ٧/٩١، باب ما ذبح على النصب و الأصنام.

أكل مما ذبح على النَّصب، قال: فما رَوَى النبي ﷺ بعد ذلك أكل شيئاً مما ذبح على النَّصب. قال: قلت: يا رسول الله، إنَّ أبي كان كما قد رأيت وبلغك، ولو أدركك لآمن بك واتبعت فأستغفر له؟ قال: نعم . فاستغفر له. فإنَّه يبعث يوم القيامة أمة واحدة. (١)

الثاني: أنَّ الحديث يتضمن أنَّ زيد بن عمرو كان أعرف بالحنفية البيضاء من النبي ﷺ حيث أبي من أكله دونخص هذا ممَّا لا يمكن احتمالها في حقِّه عليه الصلاة والسلام. نعم أخرجه البخاري في كتاب المناقب بصورة أخرى ربما تكون نزيهة عن الإشكال، ولكن الرواية فاقدة للانسجام العام، وهي تشهد على أنَّ الراوي تصرف في الرواية لدفع الطعن، وإليك نصها:

أخرج البخاري في صحيحه، عن موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر

:

إنَّ النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نُفيل بأسفل «بلدح» قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي فُقدِمَتْ إلى النبي ﷺ سفرة، فأبي أن يأكل منها. ثمَّ قال زيد: إيَّي لستُ أكل ممَّا تذبجون على أنصابكم، ولا أكل إلاَّ ما ذكر اسم الله عليه. إنَّ زيد ابن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثمَّ تذبجونها على غير اسم الله، إنكاراً لذلك وإعظاماً له. (٢)

أقول: إنَّ الرواية لا تخلو عن تأملات :

أ. قوله: « فُقدِمَتْ إلى النبي ﷺ سفرة » بصيغة

١ . مسند أحمد: ١/١٨٩ .

٢ . صحيح البخاري: ٥/٤٠، كتاب مناقب الأنصار، الباب ٢٤ .

المجهول فمن المقدم لها إلى النبي ﷺ؟ فلماذا لم يذكر؟ وهذا دليل على أنّ الأصل ما ورد في الصورة الأولى «فقدم إليه رسول الله سفرة» وإنما حرّفه الراوي لدفع الإشكال.

ب. أنّ الضمير في قوله: «فأبي» يرجع إلى النبي ﷺ، فإذا أبي رسول الله ﷺ أن يأكل منها فالأولى أن يقول النبي ﷺ بعد إبائه: «إني لست آكل» ولكن الوارد في الصورة الثانية أنّه بعدما أبي النبي ﷺ، تكلم زيد بن عمرو، وقال: «إني لست آكل».

ج. لو افترضنا صحّة قول زيد بعد عمل النبي ﷺ فالصحيح عندئذٍ أن يقول زيد: أنا أيضاً لا آكل ممّا تذبجون، ليكون تصديقاً للنبي ﷺ حسب ظاهر الرواية.

د. الظاهر أنّ الخطاب في كلام زيد «إني لست آكل ممّا تذبجون» إلى النبي ﷺ والمفروض في الصورة الثانية أنّ النبي ﷺ كان يعيب ذلك على قريش و يمتنع من أكله، فكيف يخاطبه زيد بن عمرو؟! وهذا يدل على أنّ النبي ﷺ - حسب الرواية - كان يوافق قريشاً ذبحاً وأكلاً. كلّ ذلك يعرب عن سقم الرواية وعدم نقلها على الوجه الصحيح، والمنقول صحيحاً هو ما رواه في باب الذبائح، و من المعلوم أنّه يتضمن أشدّ الطعن على أفضل الخليفة، والحديث مكذوب.

ثمّ إنّ ابن حجر رجح الحديث الأوّل على الثاني، فقال في شرح الحديث الثاني: «فقدّمتم بضم القاف إلى النبي ﷺ كذا للأكثر، وفي رواية الجرجاني: فقدّم إليه النبي ﷺ سفرة (إشارة إلى النقل الأوّل). قال عياض: الصواب الأوّل».

وقال ابن بطال: كانت السفرة لقريش قدموها للنبي ﷺ فأبى أن يأكل منها، فقدمها النبي ﷺ لزيد بن عمرو فأبى أن يأكل منها، وقال مخاطباً لقريش: الذين قدموها أولاً «إنّا لا نأكل ما ذبح على أنصابكم».

وما قاله محتمل لكن لا أدري من أين له الجزم بذلك؟ فأبى لم أقف عليه في رواية أحد وقد تبعه ابن المنير في ذلك وفيه ما فيه. (١)

* * *

ثم إنّ الحديثين المذكورين تحت رقم ٧ و ٨ وإن لم يكونا من أحاديثه السقيمة إلا أنّ الغاية من نقلهما إلفات نظر القارئ إلى ما في مضمونهما من الحقائق.

١ . فتح الباري: ١٤٣/٧، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل.

٣٢- جابر بن سمرة

(... - ٧٦هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

سلطان إبليس على النبي ﷺ

ابن جنادة بن جندب، له صحبة مشهورة ورواية أحاديث سكن الكوفة، حدّث عنه الشعبي وتميم بن طرفة، و ابن خاله عامر بن سعد بن أبي وقاص شهد فتح المدائن وخلف من الأولاد خالداً وطلحة وسالمًا.

قال ابن سعد: توفي جابر بن سمرة في ولاية بشر بن مروان على العراق.

وقال خليفة: توفي سنة ٧٦هـ - وقيل سنة ٦٦هـ.

وعلى كلّ حال مات قبل جابر بن عبد الله. ^(١)

وقد جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ٥٨ حديثاً. ^(٢)

وعزيت إليه روايات صحيحة وأخرى سقيمة ولنذكر نماذج.

١ . أسد الغابة: ٢٥٤/١؛ سير أعلام النبلاء: ١٨٦/٣ برقم ٣٦.

٢ . المسند الجامع: ٣٥٨/٣ برقم ٧٢.

روائع أحاديثه

١. أخرج أحمد، عن علي بن عمارة، عن جابر بن سمرة، قال: كنت في مجلس فيه النبي ﷺ، قال: وأبي سمرة جالس أمامي، فقال رسول الله ﷺ: ^(١) إِنَّ الفحش والتفحش ليسا من الإسلام، وإنَّ أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً.
٢. أخرج الترمذي، عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله ﷺ: ^(٢) لأن يودب الرجل ولده خير من أن يتصدّق بصاع.
٣. أخرج مسلم في صحيحه، عن سماك بن حرب، قال: سمعت جابر عن سمرة، يقول: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشرة خليفة، ثم قال كلمة لم أفهمها.

قال: قلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلهم من قريش. ^(٣)

وقد أخرج مسلم هذه الرواية بأسانيد مختلفة، و للقارئ الكريم أن يتدبر في معنى الرواية حتى يظهر له المراد من هؤلاء الخلفاء الاثني عشر الذين أنيطت بهم عزة الإسلام، وقد جاءوا واحداً تلو الآخر عبر الزمان، وهو لا ينطبق إلا على الأئمة الاثني عشر الذين أوّهم علي بن أبي طالب و آخروهم القائم المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - والكلام في ذلك ذو شجون. ^(٤)

وقد عزي إليه ما لا يستقيم مع الضوابط المذكورة.

١ . مسند أحمد: ٨٩/٥.

٢ . سنن الترمذي: ٣٣٧/٤ برقم ١٩٥١.

٣ . صحيح مسلم: ٣/٦، باب الناس تبع لقريش.

٤ . انظر كتاب الإلهيات الجزء الثالث للمؤلف.

سلطان إبليس على النبي

أخرج أحمد، عن سماك بن حرب، قال: سمعت جابر بن سمرة، يقول: صَلَّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح، فجعل ينتهر شيئاً قدامه، فلما انصرف سألناه، فقال: ذلك الشيطان ألقى على قدمي شرراً من نار ليفتنني عن الصلاة، قال: وقد انتهرته، ولو أخذته لينط إلى سارية من سواري المسجد حتى يطيف به ولدان أهل المدينة. (١)

أقول: إن هذا الحديث روي بمضامين مختلفة عزّي إلى أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، وقد عرفت ضعفه عند التطرق إلى حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري حيث جاء في حديث الخدري: إن رسول الله صَلَّى صلاة الصبح وهو خلفه فقراً، فلبست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته، قال: لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين اصبعي هاتين: الابهام وماتليه، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة. (٢)

وعلى ضوء هاتين الروايتين كان للشيطان سلطان على النبي يخنقه النبي فيجد برد لعابه بين اصبعيه، وأخرى ينهره وهو يلقي على قدميه شراراً من ناره و المضمونان يضادان القرآن الكريم ، قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل/٩٩). وقد أوضحنا حال الرواية غير مرة فلاحظ. (٣)

١ . مسند أحمد: ٥/١٠٤ .

٢ . مسند أحمد: ٦/٨٢ .

٣ . لاحظ سيرة أبي هريرة وأبي سعيد الخدري .

٣٣- عبد الرحمان بن غنم الأشعري

(... - ٧٨هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

حديثه السقيم

يهدى إلى النبي ﷺ راوية خمر كل عام

أسلم عبد الرحمان بن غنم الأشعري على عهد رسول الله ﷺ ولم يره ولم يفد إليه ولزم معاذ بن جبل منذ بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن إلى أن مات [معاذ] في خلافة عمر، يعرف بصاحب معاذ لملازمته، وكان أفقه أهل الشام وهو الذي فقه عامة التابعين بالشام وكانت له جلالة وقدر، وهو الذي عاتب أبا الدرداء وأبا هريرة بجمص إذ انصرفا من عند علي «عليه السلام» رسولين لمعاوية وكان فيما قال لهما: «عجباً منكما كيف جاز عليكما ما جئتما به، تدعوان علياً أن يجعلها شورى وقد علمتما أنه بايعه المهاجرون والأنصار وأهل الحجاز والعراق، وإن من رضيه خير ممن كرهه، ومن بايعه خير ممن لم يبايعه، وأمدخل لمعاوية في الشورى» ويذمهما على مسيرهما. فتابا منه بين يديه.

توفي عبد الرحمان سنة ٧٨هـ.

روى عنه أبو إدريس الخولاني وجماعة من أهل الشام. (١)

١ . أسد الغابة: ٣/٣١٨.

قال الذهبي: روى له أحمد بن حنبل في مسنده أحاديث لكتّنها مرسلة ويحتمل أن يكون له صحبة. ^(١) وهو من المقلّين في الرواية وقد جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت عشرة. ^(٢) روائع رواياته ١. أخرج أحمد في مسنده، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمان بن غنم، عن رسول الله ﷺ قال: والذي نفس محمد بيده لبييتنّ ناس من أمّتي على أشتر، وبطر، ولعب، وهو، فيُصبحوا قرّدة وخنازير باستحلالهم المحارم والقينات وشربهم الخمر وأكلهم الربا ولبسهم الحرير. ^(٣) ولعلّ المراد من صيورتهم قرّدة وخنازير كونهم كذلك نفساً وروحاً، لا جسماً وصورة. وله حديث لا يمكن عزوه إلى ذلك الصحابي الجليل. يُهدى إلى النبي ﷺ رواية خمر كلّعام أخرج أحمد في مسنده، عن شهر بن حوشب، قال: حدثني عبد الرحمان بن غنم، أنّ الدّاريّ كان يهدي لرسول الله ﷺ كلّعام رواية من خمر، فلما كان عام حرمت، فجاء براوية، فلما نظر إليه نبي الله ﷺ « ﷺ » ضحك. قال: هل شعرت أنّها قد حرمت بعدك؟ قال: يا رسول الله، أفلا أبيعها

١ . سير أعلام النبلاء: ٤/٢٥ برقم ١٠.

٢ . المسند الجامع: ١٢/٣٥٦-٣٦٠.

٣ . مسند أحمد: ٥/٣٢٩.

فانفع بثمانها؟ فقال رسول الله ﷺ: لعن الله اليهود، انطلقوا إلى ما حُرِّم عليهم من شحوم البقر والغنم فأذابوه، فجعلوه ثمناً له، فباعوا به ما يأكلون، وإنّ الخمر حرام وثمانها حرام، وإنّ الخمر حرام وثمانها حرام، وإنّ الخمر حرام وثمانها حرام. (١) أقول: إنّ ذيل الرواية يصدّنا عن القول بكونها موضوعة، لأنّ أكثر الروايات تدعمه، إنّما الكلام في صدر الرواية، وإنّ كيف يقبل النبي ﷺ كلعام راوية من خمر قبل تحريمه، فما ذا كان يصنع بها؟! فهل كان يخللها أو أنّه يشربها - والعياذ بالله - و الثاني قطعي الانتفاء والأوّل بعيد جداً. مضافاً إلى أنّ النبي ﷺ منذ بعث، اشتهر بأنّه يحرم الخمر. نقل ابن هشام أنّ أعشى بن قيس خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام فقال يمدح رسول الله ﷺ في قصيدة مطلعها: ألم تغتمض عينك ليلة أرمدا وبتّ كما بات السّلي - مُسْتَهْدا فلما كان بمكة أو قريباً منها اعترضه بعض المشركين من قريش، فسأله عن أمره، فأخبره أنّه جاء يريد رسول الله ﷺ ليُسلم، فقال له: يا أبا بصير: إنّه يحرم الزنا. فقال الأعشى: والله إنّ ذلك لأمر مالي فيه من أرب. فقال له: يا أبا بصير، فإنّه يحرم الخمر، فقال الأعشى: أمّا هذه فوالله إنّ في النفس منها لعلالات، ولكني منصرف فأتروّى منها عامي هذا، ثمّ آتبه فأسلم، فانصرف فمات في عامه ذلك، ولم يعد إلى رسول الله ﷺ. (٢)

١ . مسند أحمد: ٢٢٧/٤ .

٢ . السيرة النبوية لابن هشام: ٣٨٦/١ - ٣٨٨ .

روى الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام ، قال: «ما بعث الله نبياً قط، إلا وقد علم الله أنه إذا أكمل له دينه كان فيه تحريم الخمر، ولم تنزل الخمر حراماً». ^(١) وقال الإمام أبو الحسن الرضا عليه السلام : «ما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر». ^(٢) ومع هذه القرائن كيف يمكن أن نُصدّق بأنه كان يهدى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم «كلّ عام راوية من الخمر وهو يقبلها؟!

١ . الكليني، الكافي: ٣٩٥/٦، باب أنّ الخمر لم تنزل محرمة.

٢ . الكليني، الكافي: ١٤٨/٢، الحديث ١٥.

٣٤- جابر بن عبد الله الأنصاري

(١٦٠ق.هـ - - ٧٨هـ-)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. افتاء النبي بقتل السارق ثم العدول عنه
٢. سب النبي و لعنه و جلده زكاة
٣. محمد بن مسلمة قاتل مرحب
٤. طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض
٥. الله ليس بأعور

جابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان الأنصاري السلمي.

يصفه الذهبي بقوله: الإمام الكبير، المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله، الأنصاري، الخزرجي،

السلمي، المدني، الفقيه، من أهل بيعة الرضوان، وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتاً.

روى علماً كثيراً عن النبي ﷺ وحدث عنه: ابن المسيب، وعطاء بن أبي رباح، وسالم بن

أبي جعد، والحسن البصري، إلى غير ذلك.

وكان مفتي المدينة في زمانه عاش بعد أن عمّر أعواماً مديدة وتفرد، شهد

ليلة العقبة مع والده وكان والده من النقباء البدرين، استشهد يوم أحد. (١)
قال ابن سعد في طبقاته: ويجعل جابر في الستة نفر الذين أسلموا من الأنصار، أول من أسلم
منهم بمكة وشهد جابر بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وسلم وقد روى
عن رسول الله ﷺ أحاديثه وتوفي وليس له عقب. (٢)
روى الإمام أحمد، عن أبي الزبير، عن جابر، أنه قال: غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة
غزوة، قال جابر: لم أشهد بدرًا ولا أحدًا من معني أبي، قال: فلما قتل عبد الله يوم أحد لم أتخلف عن
رسول الله ﷺ في غزوة قط. (٣)

قال الذهبي: مات جابر بن عبد الله سنة ٧٨ وهو ابن ٩٤ سنة وكان قد ذهب بصره.
مسنده بلغ ألفاً وخمسائة وأربعين حديثاً، اتفق له الشيخان على ٥٨ حديثاً، وانفرد له
البخاري ب- ٢٦ حديثاً، ومسلم ب- ١٢٦ حديثاً.
والعجب أن ابن سعد وغيره لم يترجموا له ترجمة وافية بحقه، مع أنهم ربما أطنبوا الكلام فيمن لا
يصل إلى منزلة جابر، وأما ما هو السبب من وراء ذلك فنحيل دراسته إلى القارئ الكريم.
فلنذكر شيئاً من روائع رواياته ثم نخرج إلى السقيمة منها.

روائع رواياته

١. أخرج أحمد، عن أبي الزبير، عن جابر، قال:

١ . سير أعلام النبلاء: ١٨٩/٣ برقم ٣٨، نقل بتصرف.

٢ . طبقات ابن سعد: ٥٧٤/٣.

٣ . مسند أحمد: ٣١٩/٣.

سمعت النبي ﷺ يقول: أفضل الصدقة صدقة عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى. (١)

٢. أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي نضرة، قال: كان ابن عباس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها.

قال: فذكرت ذلك لجابر بن عبد الله، فقال: على يديّ دار الحديث، تمتعنا مع رسول الله ﷺ فلما قام عمر، قال: إنّ الله يحل لرسوله ما شاء بما شاء، وإنّ القرآن قد نزل منازل، فأتمو الحجّ والعمرة لله كما أمركم الله.

وأبتوا نكاح هذه النساء فلن أوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلاّ رجّمته بالحجارة. (٢)
أقول: الرواية ناظرة إلى متعتين:

الأولى: متعة الحجّ، وإليه يشير قول جابر: «تمتعنا مع رسول الله».

الثانية: متعة النساء وإليه يشير قول الخليفة «وابتوا نكاح هذه النساء...».

وربما يلتبس على البعض معنى «المتعتين» نقوم بتوضيحها فنقول:

أما الأولى فهي عبارة عن الإتيان بالعمرة في أشهر الحجّ ثمّ الحجّ، من عامه بفصل العمرة عن الحجّ بالتمتع بينهما. وقد كان عمر بن الخطاب يرغب عن التمتع بين العمرة والحجّ.

فعن أبي موسى الأشعري أنّه كان يفتي بالمتعة، فقال له رجل: رويدك ببعض فتياك، فانّك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين في النسك بعدك، حتى لقيه (أبو موسى) بعد فسأله عن ذلك.

١ . مسند أحمد: ٣/٣٣٠.

٢ . صحيح مسلم: ٤/٣٨، باب في المتعة بالحج والعمرة.

فقال عمر: قد علمت أنّ النبي ﷺ قد فعله هو وأصحابه، ولكن كرهت أن يظّلوا بمنّ معرّسين في الأراك ثمّ يروحون بالحجّ تقطر رؤوسهم. (١)

وعن أبي موسى من طريق آخر، أنّ عمر قال: هي سنّة رسول الله - يعني المتعة - و لكنّي أخشى أن يعرّسوا بمنّ تحت الأراك ثمّ يروحوا بهنّحجاجاً. (٢)

وقد جاء في مصادر الشيعة أوضح من ذلك . روى الشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣ هـ) في إرشاده صورة ما دار ما بين النبي ﷺ و عمر من الحوار.

قال النبي ﷺ : «من لم يسق منكم هدياً فليحلّ وليجعلها عمرة (أي فليقتصر أي يأخذ من شعره وظفره فيحلّ له ما حرم له بالإحرام) و من ساق منكم هدياً فليقم على إحرامه».

فالتفت النبي ﷺ إلى عمر، وكان ممن بقي على إحرامه ، وقال: ما لي أراك يا عمر محرماً أسقت هدياً؟

قال عمر: لم أسق.

فقال النبي ﷺ : فلم لا تُحلّ، وقد أمرت من لم يسق الهدى بالإحلال؟

قال عمر: والله يا رسول الله لا أحللت وأنت محرم.

وكان عمر يستغرب الإحلال ويقول: كيف تقطر رؤوسنا من الغسل و نحن زوار البيت. (٣)

وأما استدلال الخليفة على الوصل بين العمرة والحجّ. بقوله سبحانه: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ

لِلَّهِ﴾ (البقرة / ١٩٦) فغير تامّ و الآية أجنبية عمّا يرومه،

١ . مسند أحمد : ٥٠/١ .

٢ . مسند أحمد : ٤٩/١ .

٣ . الارشاد، ص ٩٣ .

وذلك لأنها بصدد بيان إكمال كلٍّ من الفريضة لله سبحانه، والإتيان بهما على وجه قربي، وأين هو من وصل إحداها بالآخر؟

هذا ما يرجع إلى الأوّل من الرواية.

وأما الثانية وهي قوله: «ابتوا نكاح هذه النساء فلن أوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلّا رجته بالحجارة» فهو راجع إلى متعة النساء التي ورد فيها قوله سبحانه: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ (النساء/ ٢٤).

وقد اشتهر من الخليفة قوله: يا أيّها الناس ثلاث كنّ على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهنّ وأحرمهنّ وأعاقب عليهنّ: متعة النساء، ومتعة الحجّ، وحيّ على خير العمل.^(١)

وبما ذكرنا يظهر الخلل فيما جاء به النووي في شرح صحيح مسلم عند تفسير الرواية حيث ذكر في تفسيره وجهين: ١. فسح الحج إلى العمرة، ٢. العمرة في أشهر الحجّ ثمّ الحجّ من عامه.^(٢) والثاني هو المتعين لكن بإضافة «والتمتع بين العمرة والحجّ بالتحلل من محرمتها».

٣. أخرج ابن خزيمة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة، ولا يصعد لهم حسنة: العبد الأبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى، و السكران حتى يصحو.^(٣)

١ . مفاتيح الغيب: ٥٢/١٠ - ٥٣؛ القوشجي، شرح التجريد: ٤٨٤ طبع إيران.

٢ . لاحظ شرح صحيح مسلم للنووي: ٤١٨/٨، الباب ١٨، باب في المتعة.

٣ . مسند ابن خزيمة: ٦٩/٢ برقم ٩٤٠.

٤. أخرج مسلم في صحيحه، عن عمرو بن دينار، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول: نهي رسول الله عن بيع الثمر حتى يبدو صلاحه. (١)
٥. أخرج النسائي في سننه، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قضى رسول الله ﷺ بالشفعة في كل شركة لم تُقسم رُبعة، وحائط لا يحل له أن يبيعه حتى يؤذن شريكه، فإن شاء أخذ وإن شاء ترك وإن باع ولم يؤذنه فهو أحق به. (٢)
٦. أخرج أحمد في مسنده، عن أبي الزبير، عن جابر: أن رسول الله ﷺ « قال: من أحميا أرضاً ميتة فله فيها أجر، وما أكلت العافية منها فهو له صدقة. (٣)
٧. أخرج ابن ماجه، عن عمر بن دينار، عن جابر بن عبد الله، أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أمي تُوفيت وعليها نذر صيام، فتوفيت قبل أن تقضيه، فقال لها رسول الله ﷺ: ليصم عنها الولي. (٤)
٨. أخرج أحمد عن سليمان بن موسى، قال: قال جابر: قال النبي ﷺ: « لا وفاء لنذر في معصية الله. (٥)
٩. أخرج مسلم عن الأمير، عن جابر: أن امرأة من بني مخزوم سرت، فأُتي بها النبي ﷺ فعازت بأم سلمة زوج النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: والله لو كانت فاطمة لقطعت يدها، فقطعت. (٦)
١٠. أخرج أحمد في مسنده، عن أبي الزبير، عن جابر عن رسول الله

١. صحيح مسلم: ١٢/٥، باب النهي عن بيع الثمار قبل بدو صلاحها من كتاب البيوع.

٢. سنن النسائي: ٣٢٠/٧.

٣. مسند أحمد: ٣٥٦/٣.

٤. سنن ابن ماجه: ٦٨٩/١ برقم ٢١٣٣.

٥. مسند أحمد: ٢٩٧/٣.

٦. صحيح مسلم: ١١٥/٥، باب قطع السارق الشريف من كتاب الحدود.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أنه قال : لكلّ داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عزّ وجلّ. (١)

١١. أخرج مسلم في صحيحه عن أبي الزبير، عن جابر، قال: اقتتل غلامان، غلام من المهاجرين، وغلام من الأنصار.

فنادى المهاجر أو المهاجرون: يا للمهاجرين، ونادى الأنصاري: يا للأنصار.

فخرج رسول الله ﷺ، فقال: ما هذا دعوى أهل الجاهلية؟!

قالوا: لا، يا رسول الله إلا أنّ غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر، قال: فلا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فلينبهه فأنه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينصره. (٢)

١٢. أخرج الترمذي عن أبي بكر المنكدر، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ثلاث من كنّ فيه ستر الله عليه كنفه، وأدخله جنته: رفق بالضعيف، وشفقة على الوالدين، وإحسان إلى المملوك. (٣)

هذه نخبة من روائع أحاديثه، وما أكثرها، وعزيت إليه روايات لا تصح نسبتها إلى ذلك الصحابي الجليل، وإليك دراستها.

١. إفتاء النبي بقتل السارق ثمّ العدول عنه إلى القطع

أخرج النسائي في سننه، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: جيء بسارق إلى رسول الله ﷺ، فقال: اقتلوه، فقالوا: يا رسول الله إنّما سرق، قال: اقطعه، فقطع.

١ . مسند أحمد: ٣/٣٣٥.

٢ . صحيح مسلم: ١٩/٨، باب نصر الآخ ظالماً أو مظلوماً من كتاب البر والصلة والآداب.

٣ . سنن الترمذي: ٤/٦٥٦ برقم ٢٤٩٤.

ثمّ جيء به الثانية، فقال: اقتلوه، فقالوا: يا رسول الله إنّما سرق، قال: اقطعه، فقطع.
فأتى به الثالثة، فقال: اقتلوه، قالوا: يا رسول الله إنّما سرق، فقال: اقطعه ثمّ أتى به الرابعة،
فقال: اقتلوه، قالوا: يا رسول الله إنّما سرق، قال: اقطعه فأتى به الخامسة، قال: اقتلوه.
قال جابر: فانطلقنا به إلى مريد النعم وحملناه فاستلقى على ظهره ثمّ كشر بيديه ورجليه
فانصدعت الإبل، ثمّ حملوا عليه الثانية، ففعل مثل ذلك، ثمّ حملوا عليه الثالثة فرمينا بالحجارة
فقتلناه، ثمّ ألقيناه في بئر ثمّ رمينا عليه بالحجارة. (١)

وهناك إشكال واضح يوجب سقوط الحديث عن الحجية مضافاً إلى ما في كيفية القتل من
القساوة التي لا يرضى بها نبيّ الرحمة، وهو أنّ النبي ﷺ « - حسب الرواية - أفتى بقتل
السارق أربع مرات وفي الوقت نفسه لما أخبر بأنه سرق أفتى بالقطع، وعندئذٍ يُطرح السؤال التالي
وهو أنّ النبي ﷺ قد أفتى بالقتل أربع مرّات، فهل ثبت عنده ما يوجب القتل بشهادة الشهود
العدول أو لا ؟

فعلى الأوّل لماذا عدل عن الحكم بالقتل إلى القطع، وعلى الثاني يلزم الإفتاء بالقتل قبل التثبت
وهو أمر لا يليق أن ينسب إلى القاضي العادل فضلاً عن النبي المعصوم.
فإن قيل قد أفتى بالقتل بعد الثبوت ولكن تبين فسق الشهود وزيف شهادتهم، فلذلك عدل
بالقتل بعد ثبوت سببه.

يلاحظ عليه: - مضافاً إلى بُعد تبين فسق الشهود متتابعاً - أهّلماذاً لم يعزّر

١ . سنن النسائي: ٧/٩٠، باب قطع اليدين والرجلين من السارق؛ وسنن أبي داود: ٤/١٢٤، برقم ٤٤١٠.

الشهود أولاً؟ وأخذ بقولهم في المراتب اللاحقة أيضاً كل ذلك يؤدي إلى سقوط الرواية عن الحجية وأنه لا يليق بساحة النبي المعصوم ولا القاضي العادل.

ولحن الحديث أشبه بكلام قاض متساهل لا يقيم لدم الإنسان قدراً وقيمة، فيحكم بالقتل قبل السؤال والتريث، ولما الفت نظره إلى فقدان سبب القتل ووجود سبب القطع، حكم بالثاني. هذا هو الإشكال الواضح في الرواية.

والعجب أن شرح الحديث لم يلتفتوا إلى ذلك وإنما ركزوا البحث على الخامسة بتصوير أنه لا يباح دم السارق وإن تكررت منه السرقة و ربما يوجه بأن الحديث مخرج على مذهب مالك وهو أن يكون السارق الوارد فيها من المفسدين في الأرض فإن للإمام أن يجتهد في عقوبته و إن زاد على مقدار الحد، وإن رأى أن يقتل قتل، وربما يوجه بوجه آخر وهو إن قتله في الرابعة ليس حداً وإنما هو تعزير بحسب المصلحة وعلى هذا يتخرج حديث الأمر بقتل السارق. (١)

وهناك وجه آخر وهو أن السارق في المرتبة الرابعة إذا سرق في السجن يقتل، وهو المروي عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: إذا أخذ السارق قُطعت يده من وسط الكف، فإن عاد قطعت رجله من وسط القدم فإن عاد استودع السجن، فإن سرق في السجن قتل. (٢) والمهم هو الإشكال الأول.

١ . عون المعبود في شرح سنن أبي داود: ٩٧/١٢ برقم ٤٣٨٧.

٢ . وسائل الشيعة: ٩٣/٨، الباب الخامس من أبواب حد السرقة، الحديث ٤.

٢. سبُّ النبي ﷺ ولعنه وجلده زكاة للمسبوب و... .

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي سفيان، عن جابر، عن النبي قال:
اللهم إنا أنا بشر، فأبما رجل من المسلمين سببته، أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة وأجرأ.^(١)
أقول: كيف تصح نسبة السبِّ إلى النبي ﷺ مع أنه قال: «سباب المسلم فسوق» و هو
أرفع من أن يكون سبباً، وأدبه يأبى ذلك!؟

و مع غض النظر عن ذلك نقول: إنَّ صدور السبِّ واللعن والجلد لا يخلو عن حالتين:
الأولى: أن يكون المسبوب والمجلود والملعون مستحقاً لذلك الفعل فالقيام بمثل ذلك العمل
فريضة إلهية جعلت على عاتق النبي ﷺ وعلى القائم مقامه بعده، ومثل هذا - لو جاز - لا
يحتاج إلى الاعتذار كما هو ظاهر الحديث، ولا يحتاج إلى أن يقول إنما أنا بشر.
مثلها ما إذا لم يكن مستحقاً لذلك عند الله وفي واقع الأمر ولكن قامت الأمانة الشرعية على
الاستحقاق في الظاهر، والنبي ﷺ مأمور بالحكم بالظاهر والله يتولّى السرائر، فعندئذٍ الذي
يتولّى كبره هو شاهد الزور، لا القاضي فلا وجه للاعتذار.

الثانية: ما إذا لم يكن هناك مسوغ لهذه الأعمال لا واقعاً ولا ظاهراً، وإنما قام الفاعل بذلك
متأثراً عن قوى حيوانية وهذا هو المتبادر من الرواية بشهادة قوله «إنما أنا بشر» ولازم ذلك أن
يكون النبي فاحشاً ولعناً وسبباً و... مع أنه ﷺ منزّه عن هذه العيوب.

١ . صحيح مسلم: ٢٥/٨، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبّه أو دعا عليه.

أخرج البخاري بسنده عن أنس، قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا لعاناً ولا سبباً، إلى غير ذلك من الروايات. (١)

وقد ذكر احتمال آخر لتصحيح الرواية وهو أنّ المراد من سبّه ودعائه ما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية كقوله: «تربت يمينك و عقري حلقي»، وفي هذا الحديث «لا كبرت سنك» وفي حديث معاوية «لا أشيع بطنه» ونحو ذلك لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء، فخاف ﷺ أن يصادف شيء من ذلك أجابة فسأل ربه سبحانه وتعالى ورغب إليه في أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهوراً وأجرأ. (٢)

يلاحظ عليه: أنّه على خلاف الظاهر أولاً، والنيّ المعصوم أجلّ شأناً من أن يحوم حول اللغو العبث ثانياً وعلى فرض كونه المراد فالله سبحانه حكيم لا يؤاخذ من دعا عليه النبي ﷺ بلا جدٍ و نية حتى يسأله النبي ﷺ جعل دعائه عليهم زكاة وأجرأ. ولعلّ مصدر الرواية هو أبو هريرة ومنه انتشرت الرواية.

روى مسلم عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال، قال رسول الله ﷺ :
إمّا أنا بشر فأبما رجل من المسلمين سبته أو لعنته أو جلده فاجعل له زكاة و رحمة. (٣)
وقد تقدم عند دراسة أحاديث أبي هريرة أنّ الحديث موضوع لغاية ابراء مروان بن الحكم وأبيه وبنيهما الملعونين على لسان رسول الله. فلاحظ.

١ . البخاري: الأدب المفرد: ١٥٤ برقم ٤٣٠.

٢ . شرح صحيح مسلم: ٣٨٩/١٦-٣٩٠.

٣ . صحيح مسلم: ٢٥/٨، باب من لعنه النبي أو سبّه أو دعا عليه.

٣. مُجَّد بن مَسْلَمَة قاتل مرحب

أخرج الإمام أحمد، عن عبد الله بن سهل بن عبد الرحمان بن سهل أخي بني حارثة، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خرج مرحب اليهودي من حصنهم، قد جمع سلاحه يرتجز ويقول:
قد علمت خيبر أيّ مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذ الليث أقبلت تلهب
كان حماي لحمي لا يقرب

وهو يقول: هل من مبارز؟ فقال رسول الله ﷺ: من لهذا؟ فقال مُجَّد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، وأنا والله المأثور الثائر، قتلوا أخي بالأمس، قال: فقم إليه، اللهم أعنه عليه، فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عمرية من شجر العشر، فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه، كلما لاذ بها منه اقتطع بسيفه ما دونه، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه، وصارت بينهما كالرجل القائم، ما فيها فنن، ثم حمل مرحب على مُجَّد فضربه، فاتقى بالدرقة فوق سيفه فيها، فعضت به، فأمسكه وضربه مُجَّد بن مسلمة حتى قتله. (١)

إنّ الرواية لا تتفق مع التاريخ الصحيح الذي اتفق عليه علماء كلا الفريقين كابن هشام في سيرته (٢) والطبري في تاريخه (٣) ابن الأثير في كامله (٤) والواقدي في مغازيه. (٥)

١ . مسند أحمد: ٣/٣٨٥.

٢ . السيرة النبوية لابن هشام: ٣/٣٤٩.

٣ . تاريخ الطبري: ٢/٢٣٣.

٤ . ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٢/٢٢٠-٢٢٢.

٥ . الواقدي، المغازي: ٢/٦٥٣.

أخرج مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسبَّ أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً، فالهنّ له رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لئن تكون لي واحدة منها أحبّ إليّ من حمر البعير.

ثمّ ذكر من هذه الثلاثة قوله:

وسمّته يقول يوم خيبر: لأعطيّن الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، قال: فتناولنا لها، فقال: ادعوا لي علياً فأوتي به أرمداً، فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه. (١)

إنّ القول بأنّ ابن مسلمة هو الذي قتل مرحباً من الوهن بمكان لا يقاوم ما اشتهر في التاريخ الإسلامي، لأنّ مُجَدِّد بن مسلمة لم يكن ذلك الرجل الشجاع، والبطل الصنديد الذي توهله شجاعته لأن يكون فاتح خيبر وقاتل بطلها الأكبر، فالتاريخ لا يذكر له موقفاً بارزاً من بطولته وشجاعته.

فقد كُلف في السنة الثالثة من قبل النبي ﷺ بأن يغتال كعب بن الأشرف الذي حرّك المشركين واليهود ضد الإسلام عقب معركة بدر الكبرى.

وقد بقي ثلاثة أيام بلياليها لا يطعم شيئاً خوفاً، فأنكر عليه رسول الله ﷺ خوفه و سأله عن سبب ذلك، فقال: يا رسول الله قلت لك قولاً لا أدري هل أيّ-نّ به أم لا ؟

فلما رأى رسول الله ﷺ عنه ذلك أرسل معه أربعة رجال ليعينوه على هذه المهمة ويتخلّصوا من كعب.

فخرجوا إليه في منتصف الليل وقتلوا عدو الله كعباً وفق خطة مدروسة،

١ . صحيح مسلم: ١٢٠/٧، باب مناقب علي بن أبي طالب ؑ.

ولكن مُجَّد بن مسلمة جرح أحدَ رفاقه من شدة الخوف والوحشة التي أصابته.

نقل ابن هشام في سيرته عن مُجَّد بن مسلمة أنّه قال:

وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ، فجرح في رأسه أو في رجله، أصابه بعض أسيافنا. ^(١)

ولا شك أنّ مثل هذا الشخص لا يمكنه أن يبارز صناديد «خير» المعروفين وينازلهم.

على أنّ فاتح خيبر لم يقاتل مرحباً وحده بل قاتل بعد مصرع مرحب من كانوا معه من

شجعان اليهود، وإليك أسماء الذين قاتلهم عليّ عليه السلام بعد قتل مرحب:

١. داود بن قابوس، ٢. ربيع بن أبي الحقيق، ٣. أبو البائت، ٤. مرة بن مروان، ٥. ياسر

الخيبري، ٦. ضحيج الخيبري.

وكلّ هؤلاء قاتلهم علي خارج حصن خيبر، فكيف يمكن أن ينفرد مُجَّد بن مسلمة بقتل

مرحب، ويترك نزال الآخرين لعليّ عليه السلام؟ إذ لا يمكن لشجاع أن يرجع إلى معسكره إلاّ بعد أن

يخضّب سيفه بدماء الأبطال واحداً تلو الآخر.

هذا وإنّ أبناء الدنيا حاولوا أن يسلبوا تلك المنقبة الثابتة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ولكنّه

سبحانه جرت سنته تعالى على ابطال تلك الخطط الشيطانية، ولذلك ملأت الخافقين فضائله

ومناقبه بعدما منع نقلها ونشرها أحقاب متتالية، و من خططهم الشيطانية، نقل هذه الرواية على

لسان جابر بن عبد الله، المعروف بالولاء لعلي وأهل بيته عليهم السلام وإلى الله المشتكى.

١ . السيرة النبوية لابن هشام: ٥٦/٣.

٤ . طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض

أخرج الترمذي في سننه، عن أبي نضرة، قال: قال جابر بن عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سرّه أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله.

(١)

أقول: ما هو الملاك في تسمية طلحة شهيداً يمشي على وجه الأرض أكان جهاده في سبيل الله؟ فلم يكن هذا سمة خاصة به وقد شاركه فيها علي بن أبي طالب والزبير وسعد بن أبي وقاص وأبو دجانة وغيرهم من الأنصار.

أو كان الملاك أنّه وقى بيده رسول الله يوم أحد فصارت شلاء؟

روى ابن ماجة عن قيس، قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى به رسول الله يوم أحد. (٢)

ومعنى ذلك أن يصحّ تسمية كلّمَن نقص منه عضو في سبيل حفظ الرسول بالشهيد، وهذا ممّا لا يقبله الذوق السليم.

وعلى كالتقدير فهذه الرواية لا تضيف على الرجل ثوب العصمة والعدالة ولا تجعله في عداد الشهداء بعدما حارب الإمام المفترضة طاعته.

والعجب أنّ بعض هذه الروايات تنتهي إلى معاوية بن أبي سفيان.

أخرج ابن ماجة عنه، قال: نظر النبي ﷺ إلى طلحة، فقال: هذا ممّن قضى نحبه. (٣)

١ . سنن الترمذي: ٥/٦٤٤ برقم ٣٧٣٩؛ وأخرجه أيضاً ابن ماجة في سننه: ١/٤٦ برقم ١٢٥ .

٢ . سنن ابن ماجة: ١/٤٦ برقم ١٢٨ .

٣ . سنن ابن ماجة: ١/٤٦ برقم ١٢٧ .

٥. الله ليس بأعور

أخرج أحمد في مسنده، عن زيد بن أسلم، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: ما كانت فتنة ولا تكون حتى تقوم الساعة أكبر من فتنة الدجال ولا من نبي إلا وقد حذر أمته، ولا خبركم بشيء ما أخبره نبي أمته قبلي، ثم وضع يده على عينه، ثم قال: اشهد أنّ الله عزّوجلّ ليس بأعور. ^(١)

وقد تكلمنا حول هذا الموضوع في عدّة مواضع فلاحظ.

١ . مسند أحمد: ٢/٢٩٢.

٣٥ - أبو أمامة الباهلي

(... - ٨١هـ -)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. مجي الأمة يوم القيامة غزاً مجلين. ٢. ملك الموت لا يقبض شهيد البحر.

٣. مشاهدات النبي في الجنة. ٤. لا وصية لوارث.

٥. النهي عن السياحة.

صُدي بن عجلان بن الحارث، أبو أمامة الباهلي السهمي، غلبت عليه كنيته سكن «حمص» من الشام، روى عنه : سليمان بن عامر الجنائزي، والقاسم أبو عبد الرحمان، وأبو غالب خروزي، وشرحبيل بن مسلم، ومُجد بن زياد الالهاني وغيرهم.

روى سليمان بن حبيب المحاربي، قال: دخلت مسجد «حمص» فإذا مكحول وابن أبي زكريا جالسان، فقال مكحول: لو قمنا إلى أبي امامة صاحب رسول الله ﷺ فأدينا من حقه وسمعنا منه، قال: فقمنا جميعاً حتى أتيناها فسلمنا عليه فردّ السلام، ثم قال: إنّ دخولكم عليّ رحمة لكم وحبّة عليكم ولم أر رسول الله ﷺ من شيء أشدّ خوفاً على هذه الأمة من الكذب والعصبية، ألا وإياكم والكذب والعصبية، ألا وإنّه أمرنا أن نبلغكم ذلك

عنه، ألا وقد فعلنا فأبلغوا عتاً ما قد بلغناكم. (١)

وقال ابن الأثير في فصل الكنى: أخبر فضال بن جبير، قال: سمعت أبا امامة الباهلي، يقول: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: اكفلوا لي ست، أكفل لكم بالجنة، إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا ائتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يُخلف، غَضُّوا أبصاركم، وكفُّوا أيديكم، واحفظُوا فروجكم. وهو آخر من مات بالشام من أصحاب النبي ﷺ في قول بعضهم. (٢)

وفي قول آخر: آخرهم موتاً بالشام عبد الله بن بشر.

قال ابن سعد: قال أبو امامة: شهدت صفين فكانوا لا يجهزون على جريح، ولا يطلبون مؤلياً، ولا يسلبون قتيلاً.

ونقل أنه توفي بالشام سنة ٨٦ في خلافة عبد الملك بن مروان، وهو ابن إحدى وستين. (٣) وما ذكره محرف قطعاً فقد روى الذهبي عن سليم بن عامر، قال: سمعت أبا امامة يقول: سمعت النبي يقول في حجة الوداع. قلت لأبي امامة: مثل من أنت يومئذ؟ قال: أنا يومئذ ابن ثلاثين سنة. (٤)

ولو قلنا أنه توفي في سنة ٨١هـ- يكون حينئذ هو ابن ١٠١، ولو قلنا بالقول الآخر يكون ١٠٦ سنين لا إحدى وستين. وقد جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١٦١ حديثاً (٥) وإليك شيئاً من محاسن رواياته.

١ . أسد الغابة: ١٦/٣ .

٢ . أسد الغابة: ١٣٨/٥ .

٣ . طبقات ابن سعد: ٤١١/٧ - ٤١٢ .

٤ . سير أعلام النبلاء: ٣/٣٦٠ .

٥ . المسند الجامع: ٧/٤٨١ .

روائع أحاديثه

١. أخرج أحمد في مسنده، عن زيد بن سلام، عن جدّه، قال: سمعت أبا أمامة، يقول: سألت رجل النبي ﷺ فقال: ما الإثم؟ فقال: إذا حكَ في نفسك شيء فدعه، قال: فما الإيمان؟ قال: إذا ساءتكَ سيئتكَ، وسرتكَ حسنتكَ، فأنت مؤمن. (١)

ويؤيده قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف/٢٠١).

٢. أخرج أبو داود في سننه، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «من أحبَّ لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان». (٢)

٣. أخرج ابن خزيمة، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي أمامة الباهلي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: عليكم بقيام الليل، فأنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم. (٣)

ويؤيده قوله سبحانه: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ (المزمل/٦). ٤. أخرج مسلم في صحيحه، عن عكرمة بن عمار، حدّثنا شداد، قال: سمعت أبا أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: يا ابن آدم، إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شرّ لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى. (٤)

١ . مسند أحمد: ٢٥١/٥.

٢ . سنن أبي داود: ٢٢٠/٤ برقم ٤٦٨١.

٣ . المسند الجامع: ٤٠٧/٧ برقم ٥٢٤٩.

٤ . صحيح مسلم: ٩٤/٣، باب النهي عن المسألة من كتاب الزكاة.

٥. أخرج ابن ماجة في سننه، عن القاسم، عن أبي امامة، عن النبي ﷺ « ، أنه كان يقول: ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة سالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحتة في نفسها وماله. (١) ٦. أخرج ابن ماجة في سننه، عن عبيد الله الإفريقي، عن أبي امامة، قال: نهى رسول الله ﷺ عن بيع المغنّيات وعن شرائهنّ وعن كسبهنّ وعن أكل أثمانهنّ. (٢) ٧. أخرج أحمد في مسنده، عن القاسم، عن أبي امامة، أنّ رسول الله ﷺ ، قال: من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلاّ الله، كان له بكلّ شعرة مرّت عليها يده حسنة، ومن أحسن إلى يتيم أو يتيم عنده، كنت أنا وهو في الجنة كهاتين، وفرّق بين اصبعيه السبّاحة والوسطى. (٣) ٨. أخرج أحمد في مسنده عن محمد بن زياد الالهاني، قال: سمعت أبا امامة، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يوصي بالجار حتى ظننت أنّه سيورثه. (٤) ٩. أخرج البخاري في الأدب المفرد، عن القاسم بن عبد الرحمان، عن أبي امامة، أنّ رسول الله، قال: من لم يرحم صغيرنا ويؤجّل كبيرنا، فليس منّا. (٥) ١٠. أخرج ابن ماجة في سننه، عن القاسم، عن أبي امامة: أنّ رجلاً، قال: يا رسول الله، ما حقّ الوالدين على ولدهما؟ قال: هما جنتك ونارك. (٦)

١ . سنن ابن ماجة: ٥٩٦/١ برقم ١٨٥٧.

٢ . سنن ابن ماجة: ٧٣٣/٢ برقم ٢١٦٨.

٣ . مسند أحمد: ٢٥٠/٥.

٤ . مسند أحمد: ٢٦٧/٥.

٥ . الأدب المفرد: ١٣٠ برقم ٣٥٨.

٦ . سنن ابن ماجة: ١٢٠٨/٢ برقم ٣٦٦٢.

١١ . أخرج ابن ماجة في سننه، عن القاسم، عن أبي امامة، قال: قال رسول الله ﷺ: ...
العالم والمتعلم شريكان في الأجر ولا خير في سائر الناس. (١) ١٢ . أخرج ابن ماجة في سننه، عن
أبي غالب، عن أبي امامة، قال: عرض لرسول الله رجل عند الجمرة الأولى، فقال: يا رسول الله:
أي الجهاد أفضل؟ فسكت عنه، فلما رأى الجمرة الثانية سأله، فسكت عنه، فلما رمى جمرة العقبة
وضع رجله في الغرز ليركب، قال: أين السائل؟ قال: أنا يا رسول الله، قال: كلمة حق عند ذي
سلطان جائر. (٢) ١٣ . أخرج أحمد في مسنده، عن سليم بن عامر، عن أبي امامة، قال: إن فتى
شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه،
مه، فقال: ادنه، فدنا منه قريباً، قال: فجلس قال ﷺ: أتجبه لأُمَّك؟ قال: لا والله، جعلني
الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأُمَّهاتهم، قال: أفتجبه لابنتك؟ قال: لا والله، يا رسول الله،
جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتجبه لأختك؟ قال: لا والله، جعلني
الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتجبه لعممتك؟ قال: لا والله، جعلني الله
فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتجبه لخالتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك،
قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه،
وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. (٣) هذه نماذج من روائع أحاديثه التي
يشهد شموخ مضامينها على صحتها

١ . سنن ابن ماجة: ٨٣/١ برقم ٢٢٨.

٢ . سنن ابن ماجة: ١٣٣٠/٢ برقم ٤٠١٢.

٣ . مسند أحمد: ٥/٢٥٤.

ومع ذلك فقد عزيت إليه روايات سقيمة لا تخلو عن إشكال ووهن لكونها مخالفة للكتاب والسنة أو الموازين الأخرى التي أوعزنا إليها في صدر الكتاب وإليك بعض ما وقفنا عليه: ١. مجيء الأمة يوم القيامة غراً محجلين أخرج أحمد في مسنده، عن أبي عتبة الكندي، عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: ما من أمتي أحد إلا وأنا أعرفه يوم القيامة، قالوا: يا رسول الله، من رأيت ومن لم تر؟ قال: من رأيت ومن لم أر غراً محجلين من أثر الطهور. ^(١) إن قوله: «ما من أمتي أحد إلا وأعرفه» من الصيغ التي تفيد العموم أولاً، والحصر ثانياً، وعلى ضوء ذلك يدل الحديث على أن النبي ﷺ يعرف جميع أئمة، وآية عرفانه كونهم غراً محجلين من أثر الطهور مع أن تلك العلامة، ليست عامة، بل تختص بطائفة من الأمة وهم المتطهرون المصلون، فكيف يعرف النبي ﷺ جميع الأمة بعلامة في جبين طائفة منهم. ولا محيص في تصحيح الرواية عن حمل الفقرة الأولى من الحديث على المصلين المتطهرين، فيكون معنى قوله: «ما من أمتي»، أي ما من أمتي الذين يتطهرون ويصلون أحد إلا وأنا أعرفه، وهو خلاف الظاهر، ولعل الحديث لم ينقل صحيحاً. ٢. ملك الموت لا يقبض شهيد البحر أخرج ابن ماجة في سننه، عن سليم بن عامر، قال: سمعت أبا أمامة، يقول: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: شهيد البحر مثل شهيدي

١ . مسند أحمد: ٥/٢٦١.

البرّ. و المائد في البحر كالمتشحّط في دمه في البرّ، وما بين الموجتين كقطاع الدنيا في طاعة الله، وإنّ الله عزّ وجلّ وكلّ ملك الموت بقبض الأرواح إلّا شهيد البحر، فأنّه يتولّى قبض أرواحهم. ويغفر لشهيد البرّ الذنوب كلّها إلّا الدّين، ولشهيد البحر الذنوب والدّين. ^(١) يلاحظ عليه: كيف أنّه سبحانه يتولّى-ى قبض أرواحهم، مع أنّه سبحانه يقول: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة/١١). يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (النحل/٢٨). وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ (النحل/٣٢) ، إلى غير ذلك من الآيات التي تصرّح بأنّ الملائكة هم الموكّلون بقبض الأرواح دون فرق بين شهيد البرّ وشهيد البحر ، ولما كانت الملائكة هم المباشرون لقبض الروح بأمر منه سبحانه صحّ نسبة التوفّي إليهم، كما في الآيات السالفة الذكر، وإلى الله سبحانه أيضاً، قال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ (الزمر/٤٢). وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ (الأنعام/٦٠)، وقال عزّ من قائل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يردّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمرِ﴾ (النحل/٧٠)، وعلى ضوء ذلك فعالم الاحياء والاماتة عالم الاسباب والمسببات وإليه سبحانه ينتهي تأثير الاسباب و القوى الغيبية فتصح نسبة الفعل إلى المباشر والمسبب. وربما يتخيل انّ قيامه سبحانه بقبض روح شهيد البحر تخصيص للآيات السابقة فلا مانع من أن يكون قبض الأرواح بيد الملائكة إلّا شهيد البحر، لكنّه

١ . سنن ابن ماجة: ٩٢٨/٢ برقم ٢٧٧٨.

توهم باطل لأنّ التخصيص والتقييد والنسخ إنّما هو في الأحكام التشريعية لا في عالم التكوين وعينية الأسباب والمسببات. كما أنّ ذيل الحديث «يغفر لشهيد البرّ الذنوب كلّها إلّا الدّين، ولشهيد البحر الذنوب والدين» قابل للنقاش، لأنّ الدّين حقّ مالي متعلق بالمديون وليس حقاً لله تبارك وتعالى، والدائن و دّينه و إن كانا مملوكين لله تبارك و تعالى لكن جرت مشيئته على أن لا يغفر للمديون إلّا برضى صاحب الدين، فيُغفر ذنب كلا الشهيدين إذا رضي الدائن وإلّا فلا يغفر ذنبهما، فما وجه هذا التخصيص؟! ٣١. مشاهدات النبي في الجنّة أخرج أحمد في مسنده، عن القاسم، عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: دخلت الجنة فسمعت فيها خشفة بين يدي، فقلت: ما هذا؟ قال: بلال، قال: فمضيت فإذا أكثر أهل الجنة فقراء المهاجرين وذراري المسلمين، ولم أر أحداً أقلّ من الأغنياء والنساء، قيل لي: أمّا الأغنياء فهم هاهنا بالباب يحاسبون ويمحصون، وأمّا النساء فألهاهنّ الاحمران، الذهب والحريز، قال: ثمّ خرجنا من أحد أبواب الجنة الثمانية، فلما كنت عند الباب أتيت بكفة فوضعت فيها، ووضعت أمّتي في كفة فرجحت بها، ثمّ أتى بأبي بكر فوضع في كفة، وجيء بجميع أمّتي في كفة فوضعوا، فرجح أبو بكر، وجيء بعمر فوضع في كفة، وجيء بجميع أمّتي فوضعوا، فرجح عمر، وعرضت أمّتي رجلاً رجلاً فجعلوا يمزّون، فاستبطأت عبد الرحمان بن عوف ثمّ جاء بعد الاياس، فقلت: عبد الرحمان؟! فقال: بأبي وأمّتي يا رسول الله، والذي بعثك بالحقّ ما خلصت إليك حتى ظننت أنّي لا أنظر إليك أبداً إلّا بعد المشيبات، قال: وما ذاك؟ قال: من كثرة مالي، أحاسب وأحصّ. (١)

١ . مسند أحمد: ٢٥٩/٥. وأخرج الترمذي نظيره عن بريدة الأسلمي مع اختلاف في المضمون لاحظ: السنن: ٥/٦٢٠ برقم ٣٦٨٩، وقد مضى الكلام في الحديث عند ترجمته.

وفي الحديث تأملات وإشكالات واضحة لا تنطبق على الضوابط التي أشرنا إليها في صدر الكتاب. أولاً: أنّ الجنة دار الخلود فمن دخلها كان خالداً فيها، قال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (هود/٢٣). فكيف دخل النبي ﷺ وخرج منها وهل هذا الإلتحيص للسنة الإلهية؟ ثانياً: أنّ النبي ﷺ سمع خشفة بين يديه، والخشفة هي الصوت الخفي، فقال: ما هذا؟ قال: بلال. وهل كان بلال دخل الجنة مع النبي ﷺ مع أنّه كان في المدينة حيناً يريزق؟ ثالثاً: ثمّ إنّ النبي ﷺ خرج من أحد أبواب الجنة الثمانية، فإذا وضعت أُمَّته في كفة، ووضع أبو بكر في كفة أخرى، رُجّحت كفة أبي بكر، ومثله عمر، والمراد من التمثيل الحسنة الأُمَّة كانت أقلّ من حسنات كلّ واحد من الشيخين، وفي الأُمَّة من هو أسبق منهما إسلاماً وجهاداً وأكثر علماً وتقوى. ثمّ لما شاهد النبي ﷺ استبطاء عبد الرحمان بن عوف، فسأله النبي ﷺ عن سبب التأخير، فقال: ما استبطأت إلاّ من كثرة مالي، أحاسب وأحص. إنّ ذيل الحديث لا يوافق مع ما نعلم من حياة وسيرة عبد الرحمن بن عوف، فقد جاء في ذيل الحديث أنّه حُوسب ومُحصّ ودخل الجنة وشافه النبي ﷺ ، وقال له: «والذي بعثك بالحقّ ما خلصت إليك حتى ظننت أنّي لا أنظر إليك أبداً إلاّ بعد المشيبات، قال: وما ذاك؟ قال: من كثرة مالي أحاسب وأحص» وإليك صورة إجمالية عما تركه عبد الرحمن، فهل مثله يحاسب ويحص وفي المدينة وما والاها بطون غرثي، وأكباد حرّى لا عهد لهم بالشعب؟! قال ابن سعد: ترك عبد الرحمان ألف بعير وثلاثة آلاف شاة بالقيع، ومائة

فرس ترعى بالبقيع، وكان يزرع بالجؤف على عشرين ناضحاً وكان يدخل قوت أهله من ذلك سنة، وكان فيما ترك ذهب، فُطِعَ بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه، وترك أربع نسوة فأخرجت امرأة من ثمنها بثمانين ألفاً. وعن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمان، قال: أصاب ثَمَاضِرَ بنت الأصبغ رُبْعُ الثمن، فأخرجت بمائة ألف، وهي إحدى الأربع. ^(١) وقال المسعودي: ابنتى داره ووسعها، وكان على مربضه ١٠٠ فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف شاة من الغنم، وبلغ بعد وفاته ثمن ماله ٨٤ ألفاً. ^(٢) ٤. لا وصية لوارث أخرج الترمذي في سننه، عن شرحبيل بن مسلم الخولاني، عن أبي أمامة الباهلي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته عام حجة الوداع: إن الله قد أعطى لكلٍ ذي حقٍ حقه، فلا وصية لوارث، الولد للفراس وللعاهر الحجر وحسابهم على الله، ومن ادعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله التابعة إلى يوم القيامة، لا تنفق امرأة من بيت زوجها إلا بإذن زوجها، قيل: يا رسول الله، ولا الطعام؟ قال: ذلك أفضل أموالنا، ثم قال: العارية مؤداة، والمنحة مردودة، والدَّين مقضيّ والرَّعيم غارم. ^(٣) وهذا الجزء من الحديث (لا وصية لوارث) يخالف الكتاب إذ يكفي في جواز الوصية للسوارث قوله سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأَقْرَبِينَ

بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة/١٨٠)،

١ . طبقات ابن سعد: ١٣٦/٣ - ١٣٧، فصل ذكر وصية عبد الرحمان بن عوف.

٢ . مروج الذهب: ٣٣٣/٢، طبع دار الاندلس.

٣ . سنن الترمذي: ٤٣٣/٤ برقم ٢١٢٠.

والآية تأمر بالايصاء بالمعروف ، فمن يملك المال الكثير إذا أوصى بدرهم فلم يوصِ بالمعروف، والآية صريحة في الوصية للوالدين ولا وارث أقرب للإنسان من والديه، وقد خصهما بالذكر لأولويتيهما بالوصية، ثم عمم الموضوع، وقال: والأقربين ليعم كلقريب وارثاً كان أم لا. ولا يمكن القول بنسخ القرآن العظيم بخير الواحد مع إمكان الجمع بينهما، وهو حمل الخبر على ما إذا زاد عن الثلث، حتى أتالدار قطني أخرجه عن النبي ﷺ بهذا القيد، وقال: خطبنا رسول الله بمضى، وقال: إن الله عز وجل قد قسم لكل إنسان نصيبه من الميراث، فلا يجوز لو ارث وصية إلا من الثلث. (١) وقد بسطنا الكلام حوله في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. (٢) ٥. النهي عن السياحة أخرج ابن داود في سننه، عن القاسم، عن أبي أمامة أترجلاً، قال: يا رسول الله، ائذن لي في السياحة، قال النبي ﷺ: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله تعالى». (٣) ان حصر السياحة في الجهاد لا يساعده الكتاب ولا سيرة المسلمين، أما الكتاب فقد ذكر من أوصاف المؤمنين، وقال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة/ ١١٢) وقد فسّر السائحون بطلبة العلم الذين يسيحون في الأرض ويطلبونه في مظانه. (٤)

١ . الدار قطني، السنن: ١٥٢/٤، الوصايا، الحديث ١٢-١٣.

٢ . الاعتصام بالكتاب والسنة، ص ٢٣٧ - ٢٤٠.

٣ . سنن أبي داود: ٥/٣ برقم ٢٤٨٦.

٤ . الكشاف: ١٧٤/٢؛ الدر المنثور: ٢٩٨/٤.

قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ (التوبة/١٢٢) ولو عُضَّ النظر عن هذه الآية، فقد دلت الآيات الأخرى على استحباب السير في الأرض، قال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرًا مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (غافر/٨٢). وأما سيرة المسلمين فالسياحة في الأرض سنة سائرة بينهم، ولو جعلنا السفر من أقسام السياحة، فقد ندب إليها في الشرع وذكر لها فوائد جمّة. ولا محيص في تصحيح الحديث من حمله على الترغيب إلى الجهاد والتأكيد عليه، فكأنّه لا سياحة في الإسلام إلاّ السير إلى الجهاد.

٣٦- عبد الله بن أبي أوفى

(١٤ قبل الهجرة - ٨٦هـ-)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. معاذ يسجد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢. النبي ﷺ يستمع لضرب الدف.

٣. النهي عن المراثي.

عبد الله بن أبي أوفى (علقمة) بن خالد بن الحارث بن هوازن بن أسلم الأسلمي، يكتى أبا معاوية، وقيل أبا إبراهيم، وقيل أبا محمد، شهد الحديبية وبايع بيعة الرضوان وشهد خيبر وما بعدها من المشاهد، ولم يزل بالمدينة حتى قبض رسول الله ﷺ ثم تحول إلى الكوفة وهو آخر من بقي في الكوفة من أصحاب النبي ﷺ.

روى أحمد بن حنبل عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: رأيت على ساعد عبد الله بن أبي أوفى ضربة، فقلت: ما هذه؟ قال: ضربتها يوم حنين، وقلت: أشهدت معه حنيناً، قال: نعم، وقيل: غير ذلك.

روى عنه عمرو بن مرّة، أنّه قال: كان أصحاب الشجرة ألفاً وأربعمائة، وكانت «أسلم» ثمنّ المهاجرين يومئذٍ، روى عنه: إسماعيل بن أبي خالد والشعبي وعبد الملك بن عمير وأبو إسحاق الشيباني والحكم بن عتيبة وسلمة بن كهيل وغيرهم.

وروى عنه سالم بن أبي النضر وكان كاتبه، قال: كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى إنّ رسول الله ﷺ قال: «اعلم أنّ الجنة تحت ظلال السيوف» توفي عبد الله بن أبي أوفى بالكوفة سنة ٨٦ هـ، وقيل ٨٨ بعدما كفّ بصره. (١)

وقال الذهبي: من أهل بيعة الرضوان وخاتمة من مات بالكوفة من الصحابة، وكان أبوه صحابياً أيضاً، وقد توفي سنة ٨٨ هـ وقد قارب مائة سنة. (٢)

ونقل ابن سعد عن أبي يعقوب، عن ابن أبي أوفى، قال: غزوت مع رسول الله سبع غزوات، ونقل أيضاً عن محمد بن أعين أبو العلانية المرثي، قال: كنت بالكوفة فرأيت عبد الله بن أبي أوفى أحرم من الكوفة من مسجد الرمادة وجعل يلبي. (٣)

وله في المسند الجامع ٥١ حديثاً. (٤)

وهو صحابي وابن صحابي، وله روايات في أبواب مختلفة نذكر من روائع رواياته شيئاً.

١ . أسد الغابة: ١٢١/٣-١٢٢.

٢ . سير أعلام النبلاء: ٤٢٨/٣ برقم ٧٦.

٣ . طبقات ابن سعد: ٣٠١/٤-٣٠٢، وترجمه أيضاً في ٢١/٦.

٤ . المسند الجامع: ١٩٠/٨.

روائع أحاديثه

١. أخرج ابن ماجة في مسنده عن أبي إسحاق الشيباني، عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ الله مع القاضي ما لم يجُر، فإذا جار وكره إلى نفسه. ^(١)
٢. أخرج البخاري في الأدب المفرد عن سليمان أبي آدم، قال: سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول عن النبي ﷺ، قال: إنَّ الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم. ^(٢)
والمراد أنَّ وجود قاطع الرحم بين قوم، يحول دون نزول الرحمة عليهم، وليس بغريب قال سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال/٢٥).
٣. أخرج الإمام أحمد عن مدرك عن عبد الله بن أبي أوفى، أنَّ رسول الله ﷺ كان يدعو، ويقول: اللَّهُمَّ طهّرني بالثلج والبرد والماء البارد، اللَّهُمَّ طهّر قلبي من الخطايا، كما طهرت الثوب الأبيض من الدنس، وبعّد بيني وبين ذنوبي كما بعّدت بين المشرق والمغرب؛ اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ونفس لا تشيع، ودعاء لا يُسمع، وعلم لا ينفع، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من هولاء الأربع. اللَّهُمَّ إني أسألك عيشة تقيّة، وميتة سوية، ومردّاً غير مخزي. ^(٣)
٤. أخرج مسلم في صحيحه عن عمر بن عبد الله، أنَّه كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى يخبره أنّ رسول الله ﷺ، كان في بعض أيّامه التي لقي فيها العدو ينتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم، فقال: يا أيّها

١ . سنن ابن ماجة: ٧٧٥/٢ برقم ٢٣١٢.

٢ . البخاري: ، الأدب المفرد، ص ٣٨ برقم ٦٣، باب لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم.

٣ . مسند أحمد: ٣٨١/٤.

الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أنّ الجنة تحت ظلال
السيوف. (١)

٥. أخرج مسلم عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: دعا رسول الله
ﷺ على الأحزاب، وقال: اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، أهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم
وزلزلهم. (٢)

٦. أخرج النسائي عن يحيى بن عقيل، قال: سمعت عبد الله بن أبي أوفى، يقول: كان رسول الله
ﷺ يكثر الذكر ويقلّ اللغو ويطول الصلاة ويُقصر الخطبة ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة
والمسكين فيقضي له الحاجة. (٣)

والمراد من اللغو هو «الدعابة» لا اللغو الذي يعد تركه من علائم الإيمان قال سبحانه:
﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون/٣).

٧. أخرج مسلم عن محمد بن بشر العبدي عن إسماعيل، قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى: أكان
رسول الله ﷺ بشر خديجة ببيت في الجنة؟ قال: نعم بشرها ببيت في الجنة من قصب لا
صخب (٤) فيه ولا نصب. (٥)

ولا غرو فيه فإنّ الرسول ﷺ كان يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها
خديجة بنت خويلد. قال أبو كريب: وأشار وكيع إلى السماء والأرض. (٦)
وقد حكى الذكر الحكيم عن آسية أنّها طلبت من ربّها أن يبني لها بيتاً في

-
- ١ . صحيح مسلم: ١٤٣/٥، باب كراهة تمني لقاء العدو، وباب استجابة الدعاء بالنصر عند لقاء العدو.
 - ٢ . صحيح مسلم: ١٤٣/٥، باب كراهة تمني لقاء العدو، وباب استجابة الدعاء بالنصر عند لقاء العدو.
 - ٣ . سنن النسائي: ١٠٩/٣، باب ما يستحب من تقصير الخطبة.
 - ٤ . الصخب: الصياح.
 - ٥ . صحيح مسلم: ١٣٣/٧، باب فضائل خديجة.
 - ٦ . صحيح مسلم: ١٣٢/٧، باب فضائل خديجة.

الجنة، قال عزّ من قائل: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنٍ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحریم/ ۱۱).

۸. أخرج عبد بن حميد، عن فائد أبي الوراق، عن عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي، قال: خرجت فإذا رسول الله وأبو بكر وعمر قعوداً وإذا غلام صغير يبكي، فقال رسول الله لعمر: ضُمَّ الصَّبِيَّ إِلَيْكَ فَاتَّه ضَالٌّ، فَضَمَّهُ عَمْرُ إِلَيْهِ، فَبَيْنَا نَحْنُ قَعُودٌ إِذْ أُمُّ لَه تُوَلُّوْا، أَظْنَه قَال: وَتَقُول: وَابْنِيَّاه وَتَبْكِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَعَمْرُ: نَادِي الْمَرْأَةَ فَاتَّه أُمُّ الصَّبِيِّ وَهِيَ كَاشِفَةٌ عَن رَأْسِهَا لَيْسَ عَلَي رَأْسِهَا خَمَارٌ جَزَعًا عَلَي ابْنِهَا، فَجَاءَتْ حَتَّى قَبَضَتْ الصَّبِيَّ مَن حُجِرَ عَمْرُ وَهِيَ تَبْكِي وَ الصَّبِيُّ فِي حَجْرِهَا، فَالْتَفَتَتْ فَلَمَّا رَأَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: وَاحْرِبَاهُ، أَلَا أَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ عِنْدَ ذَلِكَ: أَتَرُونَ هَذِهِ رَحِيمَةَ بَوْلِدِهَا؟ فَقَالَ أَصْحَابُهُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَى بِهَذِهِ رَحْمَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، اللَّهُ أَرْحَمُ بِالْمُؤْمِنِ مَن هَذِهِ بَوْلِدِهَا. (۱)، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَن رَوَّاعِ أَحَادِيثِهِ الْمَبْتُوثَةِ فِي الْمَسَانِيدِ وَالصَّحَاحِ، وَفِي مَقَابِلِ ذَلِكَ عَزِيَّتْ إِلَيْهِ رَوَايَاتٌ لَا يُمْكِنُ الرُّكُونُ إِلَيْهَا لِتَخَلْفِهَا عَن الْمَوَازِينِ الَّتِي اسْتَعْرَضْنَاهَا فِي صَدْرِ الْكِتَابِ:

۱. معاذ يسجد للنبي ﷺ

أخرج ابن ماجة عن القاسم الشيباني، عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ . قال: ما هذا يا معاذ؟! .

قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأسافقتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك.

فقال رسول الله ﷺ: فلا تفعلوا، فإني لو كنت امرأةً أحداً أن يسجد لغير الله، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده! لا تؤذي المرأة حق ربها حتى تؤذي حق زوجها ولو سأها نفسها وهي على قتب لم تمنعه. (١)

والحديث لوصحّ لدلّ على سذاجة معاذ بن جبل في فهم الدين، وقد أوضحنا حاله عند دراسة أحاديثه، فراجع.

٢. النبي يستمع لضرب الدف

أخرج أحمد في مسنده عن شيخ من بجيلة، قال: سمعت ابن أبي أوفى، يقول: استأذن أبو بكر على النبي ﷺ وجارية تضرب بالدف فدخل، ثم استأذن عمر فدخل، ثم استأذن عثمان فأمسكت، قال: فقال رسول الله ﷺ: إن عثمان رجل حيي. (٢)

إن معنى الحديث أنّ النبي ﷺ قد استمع لجارية كانت تضرب الدف (وربما تُغَيّ) فهل من المعقول أن يستمع النبي ﷺ لدفها مع أنّه سبحانه يقول: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ (النور/٣١) ويقول سبحانه: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ (الأحزاب/٣٢). وليس المراد من الجارية إحدى نسائه وإلا لكان التعبير بها هو المتعين.

ثمّ العجب أنّ عثمان أشدّ حياءً من الرسول!!!، فهو ﷺ والشيخان يستمعان لضرب الدفّ ولكن عثمان أنف عن ذلك مما حدا بالجارية أن تمسك عن الضرب بالدف!!!

١ . المسند الجامع: ١٨٦/٨ - ١٨٧، نقلاً عن مسند عبد بن حميد: ٥٣٠.

٢ . سنن ابن ماجه: ٥٩٥/١ برقم ١٨٥٣؛ رواه أحمد في مسنده: ٣٨١/٤ و ٢٢٧/٥.

كيف يجوز للنبي أن يصغي لضرب الدفّ وقد نهى عنه؟!

أخرج أحمد في مسنده عن عاصم بن عمرو البجلي، عن أبي امامة عن النبي ﷺ قال: تبيت طائفة من أمتي على أكل وشرب وهو ولعب ثم يُصبحون قردة وخنازير فيبعث على أحياء من أحيائهم ربح فتنسفهم كما نسفت من كان قبلهم باستحلالهم الخمر وضرهم بالدفوف واتخاذهم القينات. (١)

أخرج البخاري معلقاً عن النبي ﷺ ، أنه قال: ليكوننَّ من أمتي أقوام يستحلون الخمر والحريز و الخمر و المعازف. (٢)

٣. النهي عن المراثي

أخرج أحمد في مسنده عن إبراهيم الهجري، عن عبد الله بن أبي أوفى وكان من أصحاب الشجرة فماتت ابنة له وكان يتبع جنازتها على بغلة خلفها، فجعل النساء يبكين، فقال: لا تثرين، فإن رسول الله ﷺ نهى عن المراثي فتفيض احداك من عبرتها ما شاءت (٣).

قد تقدّم منا الكلام حول الرثاء على الميت عند دراسة روايات أبي موسى الأشعري وعبد الله بن عمر وقلنا بأنّ المنوع منه هو التكلم بما فيه غضب الرب وليس فيه رضاه وأمّا البكاء - سواء كان بصوت عال أو خافت - فهو أمر فطري نابع من صميم العاطفة الإنسانية لا محذور فيه، فنهى رسول الله ﷺ عن المراثي إنّما لأجل القسم المحرم منه.

١ . مسند أحمد: ٣٥٣/٤ .

٢ . مسند أحمد: ٢٥٩/٥ .

٣ . صحيح البخاري: ١٠٦/٧ ، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه من كتاب الأشربة.

أخرج ابن ماجة عن مكحول والقاسم، عن أبي أمية: أنّ رسول الله ﷺ « لعن الخامشة وجهها، والشاقة جيبها والدّاعية بالويل والتّبور^(١) .
قال في الزوائد: اسناده صحيح.

١ . مسند أحمد: ٣٥٦/٤؛ سنن ابن ماجة: ٥٠٧/١ برقم ١٥٩٢ .

٣٧- سهل بن سعد الساعدي

(٥ ق. هـ - ٩١ هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. بال النبي ﷺ قائماً.

٢. نزول الآية ناقصة.

٣. وضع اليد اليمنى على اليسرى.

٤. الشؤم في المرأة.

سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة، أبو العباس الخزرجي الأنصاري الساعدي. وكان أبوه من الصحابة الذين توفوا في حياة الرسول ﷺ، وتوفي الرسول وسهل له من العمر خمس عشرة سنة، وعاش و طال عمره حتى أدرك الحجاج بن يوسف و امتحن معه، أرسل الحجاج سنة ٧٤ هـ- إلى سهل بن سعد (رض)، قال: ما منعك من نصر أمير المؤمنين عثمان؟ قال: قد نصرته، قال: كذبت، ثم أمر به فختم في عنقه، وختم أيضاً في عنق أنس بن مالك. و ختم في يد جابر بن عبد الله. يريد إذلالهم بذلك و أن يجتنبهم الناس ولا يسمعوا فيهم. وشهد سهل قضاء رسول الله في المتلاعنين وأنه فرق بينهما وكان اسمه حزناً فسماه رسول الله سهلاً.

يروى عنه ابنه عباس، وأبو حازم الأعرج، وغيرهم، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة و كان من أبناء المائة.

ذكر عدد كبير وفاته في إحدى وتسعين، وقال أبو نعيم وتلميذه البخاري سنة ٨٨. (١)

كما بلغ عدد رواياته في المسند الجامع نحواً من ٨٧ رواية (٢)

وقد نسبت إليه روايات تعدّ من روائع رواياته يؤيدها الكتاب والسنة والعقل، وربما يوجد شذوذ فيما عزي إليه، وإليك بيان كلا القسمين.

روائع أحاديثه

١. أخرج ابن ماجة عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي، قال: قال رسول الله

ﷺ: لبيشر المشاؤون في الظلم بنور تام يوم القيامة. (٣)

٢. أخرج أبو داود، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، عن النبي: إنّ رجلاً أتاه فأقر عنده أنّه

زنى بامرأة سماها، فبعث رسول الله ﷺ إلى المرأة فسألها عن ذلك، فأنكرت أن تكون زنت،

فجلده الحد وتركها. (٤)

٣. أخرج الترمذي، عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن سهل بن سعد، قال: قال

رسول الله ﷺ: أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار باصبعيه يعني السبابة والوسطى. (٥)

١ . سنن ابن ماجة: ٥٠٥/١ برقم ١٥٨٥.

٢ . أسد الغابة: ٣٦٦/٢ وسير أعلام النبلاء: ٣/٢٢٢-٤٢٤.

٣ . المسند الجامع: ٣٢١/٧.

٤ . سنن ابن ماجة: ٢٥٦/١ برقم ٧٨٠.

٥ . سنن أبي داود: ٤/١٥٠-١٥١ برقم ٤٤٣٧.

٤. أخرج البخاري عن أبي حازم، قال: سمعت سهل بن سعد، يقول: سمعت النبي ﷺ ، يقول: أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم.

قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلاً؟ فقلت: نعم، قال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه، قال: إنهم مَيّ، فيقال أنت لا تدري ما بدّلوا بعدك، فأقول: سحفاً ، سحفاً لمن بدّل بعدي. ^(١)

ويؤيد ذلك مضافاً إلى ما ورد في هذا الباب في صحيح البخاري وصحيح مسلم، قوله سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران/١٤٢)، و الآية تخبر عن وقوع الانقلاب على الأعقاب بعد رحيل الرسول والتاريخ حافل بنماذج كثيرة من هذا الارتداد.

٥. أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي حازم عن سهل: أنّ رسول الله ﷺ ، قال يوم خيبر: لأعطينّ هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيّهم يُعطاها، قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلّهم يرجون أن يعطاها، فقال: أين عليّ بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتى به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاها الراية.

فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثمّ ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله فيه فو الله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون

١ . سنن الترمذي: ٣٢١/٤ برقم ١٩١٨ .

لك حمر التّعم. (١)

٦. أخرج أحمد عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: إياكم ومحقرات الذنوب، كقوم نزلوا في بطن واد فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه. (٢)

وقد رويت عنه روايات لا تخلو عن تساؤلات و ربما لا تنطبق مع ما ذكرنا من الموازين السالفة الذكر:

١. بال النبي ﷺ قائماً

أخرج ابن خزيمة عن أبي حازم قال: رأيت سهل بن سعد يبول قائماً، فأنه تحدث ذلك عليه، وقال: قد رأيت من هو خير مني فعله. (٣)

ولعله أراد الرسول من قوله: هو خير مني، فقد نسب إليه ﷺ بأنه بال قائماً.

أخرج البخاري عن حذيفة، قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ، أو قال: لقد أتى النبي ﷺ سباطة قوم فبال قائماً. (٤)

وقد ذكرنا ما في هذه الروايات من الضعف عند دراسة روايات حذيفة، فلاحظ.

١ . صحيح البخاري: ٤٦/٩، كتاب الفتن.

٢ . صحيح مسلم: ١٢١/٧-١٢٢، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، ورواه البخاري في الصحيح: ٥٣/٤، باب ما قيل في لواء النبي ﷺ، عن سلمة بن أكوع؛ ورواه أيضاً في ١٨/٥ باب مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣ . مسند أحمد: ٣٣١/٥.

٤ . المسند الجامع: ٢٥٨/٧، نقلاً عن مسند ابن خزيمة.

٢ . نزول الآية ناقصة

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي حازم عن سهل بن سعد، قال: أنزلت ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ ولم ينزل (من الفجر) فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولم يزل يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد (من الفجر) فاعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار. ^(١)

وقد روى نظير ذلك عن عدي بن حاتم، قال: لما نزلت ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار. ^(٢)

إنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين يفهمه كلّ عربي صميم، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القمر/١٧).

وقال سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الدخان/٥٨).

فإذا كان القرآن كتاب الهداية والإنذار وكان في مقام بيان الحكم الشرعي لعامة الناس يجب أن يكون بلغة فصيحة يعرفها أهل اللغة.

وعلى ضوء ذلك فلا يعقل أنّ عدي بن حاتم ذلك العربي الصميم لم يفهم المراد من الخيط الأبيض والخيط الأسود فعمد إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادته فجعل ينظر إليهما في الليل، ولا يستبين له فيرجع

١ . صحيح البخاري: ١٣٥/٣، باب الوقوف والبول عند سبابة قوم.

٢ . صحيح البخاري: ٢٨/٣، باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾.

إلى النبي ﷺ وبين حاله، فإنّ هذا شأن من لم يكن من أهل اللسان أو كان بعيداً عن التراكيب الفصيحة.

وأسوأ منه ما عزي إلى سهل بن سعد الساعدي من نزول كلمة (من الفجر) بعد فترة من نزول الآية فإنّ لفظ الآية إمّا أن يكون كافياً في إفادة المعنى المقصود أو لا، فعلى الأوّل لا حاجة إلى قوله: من الفجر، وعلى الثاني كان الفصل بين الآية وقيدها أمراً غير صحيح، ولا يقاس ذلك بفصل الخاص على العام أو المقيد على المطلق.

٣. وضع اليد اليمنى على اليسرى

أخرج البخاري، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: كان الناس يُؤمّرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة.

قال أبو حازم: لا أعلمه إلّا يَنمي ذلك إلى النبي، وقال إسماعيل (شيخ البخاري) يُنمي ذلك ولم يقل ينمي. ^(١)

تعد هذه الرواية من أدلة استحباب وضع اليمنى على اليسرى كما فعل النبي ﷺ ولكن الاستدلال محدوش بوجوه:

الأوّل: أنّ ظاهر قوله: «كان الناس يُؤمّرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة» أنّ الأمر غير النبي ﷺ، ولو كان هو الأمر لما أخلّ التصريح به وهذا يؤيد أنّ القبض حدث في عصر الخلفاء ومن أعقبهم من الأمويين.

الثاني: أنّ أبا حازم راوي الحديث عن سهل، قال: «لا أعلمه إلّا ينمي ذلك

١ . المصدر نفسه.

إلى النبي ﷺ « فقد قرأه لفيف من المحدثين بصيغة المعلوم يعني أسهل بن سعد كان ينسبه إلى النبي ﷺ ، ولكن شيخ البخاري، يقول: الصحيح قراءته بصيغة المجهول أي «ينمى ذلك» من دون أن يصرح للناسب.

كذلك يعرب عن وجود اضطراب في نفس النقل، قال ابن حجر: و من اصطلاح أهل الحديث إذا قال الراوي ينميه، فمراده يرفع ذلك إلى النبي ﷺ .^(١)
الثالث: روى البيهقي في سننه كيفية صلاة النبي عن أبي حميد الساعدي ولم يأت فيه بشيء من القبض.

فقال أبو حميد الساعدي: أنا أعلمكم بصلاة رسول الله ﷺ ، قالوا: لم، ما كنت أكثرنا له تبعاً، ولا أقدمنا له صحبة؟ قال: بلى، قالوا: فأعرض علينا، فقال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم يكبر حتى يقرّ كلعضو منه في موضعه معتدلاً، ثم يقرأ ثم يكبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه، ثم يعتدل ولا ينصب رأسه ولا يقنع، ثم يرفع رأسه، فيقول: سمع الله لمن حمده، ثم يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه حتى يعود كل عظم منه إلى موضعه معتدلاً، ثم يقول: الله أكبر، ثم يهوي إلى الأرض فيجافي يديه عن جنبه، ثم يرفع رأسه فيثني رجله اليسرى فيقعد عليها ويفتح أصابع رجله إذا سجد ثم يعود ثم يرفع، فيقول: الله أكبر ثم يثني برجله فيقعد عليها معتدلاً حتى يرجع أو يقر كل عظم موضعه معتدلاً، ثم يصنع في الركعة الأخرى مثل ذلك، ثم إذا قام من الركعتين كبر ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما فعل أو كبر عند افتتاح صلاته، ثم يصنع مثل ذلك في بقية صلاته حتى إذا كان في السجدة التي فيها

١ . صحيح البخاري: ١/١٤٤، باب وضع اليمنى على اليسرى.

التسليم آخر رجله اليسرى وقعد متوركاً على شقه الأيسر، فقالوا جميعاً: صدق هكذا كان يصلي رسول الله ﷺ . (١)

٤. الشوم في المرأة والفرس والمسكن

أخرج أحمد في مسنده، عن أبي حازم بن دينار، عن سهل بن سعد الساعدي، أنّ رسول الله ﷺ قال: إن كان في شيء، ففي المرأة والفرس والمسكن. يعني الشوم. (٢)

وقد تعرضنا إلى نقد هذا الحديث عند التطرق إلى أحاديث سعد بن أبي وقاص تحت عنوان التطير بالمرأة والفرس والدار، فلاحظ.

١ . فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ٢/٢٢٤.

٢ . البيهقي، السنن: ٢/٧٢، ٧٣، ١٠١، ١٠٢؛ سنن أبي داود: ١/١٩٤.

٣٨ - أنس بن مالك الصحابي

(١٠ قبل الهجرة - ٩٣ هجرية)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. طواف النبي على نسائه في ليلة واحدة.
٢. أبو النبي صفي النار.
٣. نسيان السورة من أعظم الذنوب.
٤. اجتهاد النبي في الأحكام.
٥. الصيام في السفر.
٦. محبوب متهم بالزنا.
٧. برغوث يوقظ نبياً للصلاة.
٨. موسى يصلي في القبر.
٩. التجسيم في أحاديثه.
١٠. رقص أهل الحبشة أمام النبي ﷺ.
١١. سيدا كهول أهل الجنة.
١٢. أمّتي على خمس طبقات.
١٣. صلاة النبي بلا بسملة.
١٤. ردّ دعاء النبي ﷺ.
١٥. النهي عن باء الاقراء.
١٦. فضل عائشة.
١٧. نوم النبي على فراش أم سليم.
١٨. مدة خدمته.
١٩. إسرائ النبي قبل أن يوحى له.
٢٠. نزول آية الصلح في عبد الله بن أبي.

أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الخزرجي النجاري، كنيته أبو حمزة، قدم

النبي ﷺ المدينة وهو ابن عشر سنين فأهدته أمه لرسول الله ﷺ كي يخدمه،

وانتقل من المدينة بعد ان مُصِّرت البصرة أيام عمر بن الخطاب وسكنها. ^(١)
أمّا أبوه فهو مالك بن النضر فلا يذكرون عنه شيئاً سوى أنّه غضب على أمّ سليم و خرج إلى الشام فمات كافراً هناك.

وأما أمّه فهي أمّ سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب ابن عامر بن غنم بن عدي بن النجّار الأنصارية الخزرجية النجّارية، فقد خطبها أبو طلحة بعد ما مات زوجها مالك، وهو مشرك، فقالت: أمّا أنّ لي فيك رغبة وما مثلك يُرد، ولكنك كافر وأنا امرأة مسلمة فان تسلّم فلك مهري و لا أسألك غيره، فأسلم وتزوَّجها.

و كان لأمّ سليم مواقف في بعض الغزوات لا سيما يوم أحد. ^(٢)
وقد وصف أنس بالأوصاف التالية:

المفتي، المقرئ، المحدّث، راوية الإسلام، خادم رسول الله، وهو آخر أصحابه موتاً وحيث إنّّه ولد قبل الهجرة بعشر سنين وأشهر الأقوال في وفاته أنّه توفي عام ٩٣ فيكون عمره على هذا مائة وثلاثة سنين.

يقول الذهبي: قال الأنصاري اختلف علينا في سنّ أنس، فقال بعضهم: بلغ ١٠٣ سنين، وقال بعضهم: ١٠٧ سنين.

وقال أيضاً: مسنده ألفان ومائتان وستة وثمانون، اتفق له البخاري ومسلم على ١٨٠ حديثاً، وانفرد البخاري بثمانين حديثاً، ومسلم بتسعين. ^(٣)

وقد أحصيت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١٤٧٢ ^(٤) وهو يقل

١ . مسند أحمد: ٣٣٥/٥.

٢ . مشاهير علماء الأمصار واعلام فقهاء الأقطار: ٦٥ برقم ٢١٥، وسيوافيك الاختلاف في مدة خدمته.

٣ . سير أعلام النبلاء: ٣٠٤/٢ برقم ٥٥.

٤ . الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٤٠٦/٣ برقم ٦٢.

بكثير عمّا ذكره الذهبي والحقّ أنّ المسند الجامع ليس بجامع.

وكان أنس يقول: قدم رسول الله المدينة وأنا ابن عشر و مات وأنا ابن عشرين، وكن أمّهاتي تحثني على خدمته. ^(١)

وعلى ذلك فما يرويه من الروايات عن النبي مباشرة - وهو الأغلب - إنّما أخذه في هذه السنين وهو بعدُ لم يزل صبياً، مراهقاً.

يروى عن: النبي، وعن: أبي بكر وعمر و عثمان ومعاذ وأسيد بن الحضير وأبي طلحة وأمه أمّ سليم وفاطمة الزهراء وغيرهم. ^(٢)

كما أخذ عنه خلق كثير، منهم: الحسن البصري، وابن سيرين، و الشعبي، وأبو قلابة، ومكحول، وعمر بن عبد العزيز، وثابت البناني، إلى غير ذلك ممّن يروي عنه. ^(٣)

وقد شارك في بعض الغزوات وجاء في حديثه مشاركته في غزوة خيبر كما سيوافيك وهو الراوية الثاني للحديث النبوي بعد أبي هريرة، فهما من المكثرين للرواية عن رسول الله ﷺ.

ومن أبرز سماته أنّه يروي في أغلب الأحيان أفعال النبي ﷺ كما هو واضح لمن استقصى أحاديثه فالقول والفعل كلاهما سنّة.

وقد خدم البيت النبوي مدّة مديدة لمس خلالها مدى الحب والعناية التي كان النبي يوليها لبننته فاطمة الزهراء وابنيها الحسن والحسين عليهما السلام، فانعكس كل ذلك على اخباره.

روى عن النبي ﷺ أنّه قال: حسبك من نساء

١ . المسند الجامع: ٣/٦٩.

٢ . مسند أحمد: ٣/١١٠.

٣ . سير أعلام النبلاء: ٣/٣٩٦؛ تهذيب التهذيب: ١/٣٧٦ برقم ٦٩٠.

العالمين: مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون. (١)
وروي أيضاً: جاء جبرئيل إلى النبي ﷺ وعنده خديجة، فقال: إن الله يقري خديجة السلام،
فقلت: إن الله هو السلام وعلى جبرئيل السلام وعليك السلام ورحمة الله. (٢)
وروي أيضاً أن رسول الله كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر، يقول:
الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. (٣)

وروي الترمذي عن أنس بن مالك: سئل رسول الله أي أهل بيتك أحب إليك، قال: الحسن
الحسين، وكان يقول لفاطمة: ادعي ابني فيشتمهما ويضمهما إليه. (٤)
أخرج الترمذي عن السدي، عن أنس بن مالك، قال: كان عند النبي طير، فقال: اللهم إئتني
بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فجاء علي فأكل معه. (٥)
أخرج الإمام أحمد عن عبد الصمد وعفان، قالوا: حدثنا حماد، عن سماك، عن أنس بن مالك
أن رسول الله ﷺ بعث ببراءة مع أبي بكر الصديق (رض) فلما بلغ ذا الحليفة، قال عفان: لا
يلغها إلا أنا أو رجل من أهل بيتي فبعث بها مع علي عليه السلام. (٦)
كل ذلك يعرب عن تعاطفه مع أهل البيت عليهم السلام.

١ . سير أعلام النبلاء: ٣/٣٩٦.

٢ . مسند أحمد: ٣/١٣٥؛ والترمذي: السنن: برقم ٣٨٧٨.

٣ . سنن النسائي، في باب عمل اليوم و الليلة برقم ٣٧٤، وأخرجه في فضائل الصحابة برقم ٢٥٤.

٤ . مسند أحمد: ٣/٢٥٩ - ٢٨٥.

٥ . الترمذي: السنن: ٥/٦٥٧ برقم ٣٧٧٢.

٦ . الترمذي: السنن: ٥/٦٣٦ برقم ٣٧٢١، كتاب المناقب.

روائع أحاديثه

نذكر في المقام شيئاً من روائع أحاديثه ليكون امودجاً لما لم نذكر.

١. عن حميد عن أنس أنّ رسول الله، قال:

انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قيل يا رسول الله: هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال:

تمنعه من الظلم. (١)

٢. عن أبي عبد الله الأسدي، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ:

دع ما يريبك إلى ما لا يريبك. (٢)

٣. عن قتادة عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ:

(قل هو الله) تعدل ثلث القرآن. (٣)

٤. عن سليمان التيمي، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ: من

كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار. (٤)

٥. عن أبي حفص أنّه سمع أنس بن مالك يقول: قال النبي ﷺ: إنّ مثل العلماء في الأرض

كمثل النجوم في السماء يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن

تضل الهداة. (٥)

٦. عن خلف أبي الربيع قال: حدّثنا أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ هذا الدين متين

فأوغلوا فيه برفق. (٦)

١ . مسند أحمد: ٣/٢١٢.

٢ . مسند أحمد: ٣/٢٠١.

٣ . مسند أحمد: ٣/١٥٣.

٤ . سنن ابن ماجه برقم ٣٧٨٨.

٥ . مسند أحمد: ٣/١١٦.

٦ . مسند أحمد: ٣/١٥٧.

٧. عن أبي التّياح أنّه سمع أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ : البركة في نواصي الخيل. (١)

هذه مقتطفات من روائع أحاديثه التي يعلو عليها نور النبوة ويدل سمؤ مضمونها على صدق مقاله، فالأمة قاطبة تنهل من النّيمير العذب لتلك الأحاديث بلا تريث، ولكن مع الاعتراف بذلك ففي الروايات المروية عنه شذوذ وشطحات تصدّنا عن الأخذ بها.

١. طواف النبي على نسائه في ليلة واحدة

روى البخاري عن قتادة، أنّ أنس بن مالك حدّثهم: أنّ نبي الله كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله أيضاً تسع نسوة. (٢)

وقد تضافر نقل هذا الحديث عن أنس أنّ النبي كان يطوف على نسائه في غسل واحد. (٣)

وعن قتادة، قال حدثنا أنس بن مالك، قال: كان النبي يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهنّ إحدى عشرة، قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنّه أُعطي قوّة ثلاثين. (٤)

هذا وإذا أردنا أن نستقصي أسانيد هذه الرواية من كتب الحديث لطلال بنا الكلام فقد نقلها عنه غير واحد من أصحاب السنن والمسانيد.

١ . مسند أحمد: ٣/١٩٩ .

٢ . مسند أحمد: ٣/١١٤ .

٣ . صحيح البخاري: ١/٧٩، باب الجنب يخرج ويمشي في السوق وغيره، ولاحظ ٧/٤ باب كثرة النساء.

٤ . مسند أحمد: ٣/١٦١؛ وصحيح البخاري: ٧/٣٤، باب من طاف على نسائه في غسل واحد من كتاب النكاح.

إنّ الحسن والقبح العقليين وإن صاراً معرضاً للنقاش بين العدلية والأشاعرة ولكن الحسن والقبح العرفيين أمر لا يمكن أن ينكر، فالأكل في الطريق وإن كان أمراً مباحاً ولكن تستنفره طبائع الناس، فعلى النبي تنزيه ساحته عن كل ما يوجب انفضاض الناس عنه، ولا يقلّ عن هذا العمل، الطوافُ على النساء التسع على رواية أو الإحدى عشرة على رواية أخرى في ليلة واحدة أمام شاب مراهق كأنس.

فلو كان الحافز لذلك العمل هو بيان الحكم الشرعي وأنّه يجوز الاقتصار على غسل واحد لجنابات متعددة فما أيسر بيانه في ثنايا كلماته ومواعظه كسائر ما أفاده من الأحكام والسنن. وهل كان الجمع بين النساء في الدخول في ليلة واحدة أمراً مفروضاً عليه مع أنّ أصل وطء الزوجة أمر مختلف فيه في فقه أهل السنّة، فالحنابلة على أنّه يجب على الزوج وطء زوجته في كلّ أربعة أشهر مرّة واحدة إن لم يكن له عذر، والحنفية على أنّه ليس لها حق المطالبة به في العمر إلاّ مرّة واحدة، والشافعية على أنّه ليس للمرأة الحقّ في مطالبة الرجل بالوطء لأنّ عقد النكاح واقع على أن يستمتع الرجل بها فالمعقود عليها هي المرأة لا الرجل فعلى هذا فالوطء حقّه.^(١) وعليه لا يتصور وجوب الوطاء إلاّ على مذهب الحنابلة دون غيرهم، كما لا يجب الوطاء في ليلة واحدة بل له ﷺ أداء حقهن ضمن ليالي.

ثمّ إنّ ما برّر به أنس إمكان عمل النبي بعد ما سئل عن إطاقة النبي فأجاب: كنّا نتحدث أنّه أُعطي قوة ثلاثين رجلاً.^(٢) أمر مشكل، فإن أوقفه النبي على ذلك فلماذا لم ينسبه إليه؟ وإن أخذه من غيره فمن أوقفه على ذلك؟ ومن أين عرف أنّي الإسلام أُعطي قوة ثلاثين رجلاً؟

١ . مسند أحمد: ٣/٢٩١.

٢ . لاحظ الفقه على المذاهب الأربعة: ٤/٢٤٠-٢٤١.

نعم دلّ العقل والشرع على لزوم بلوغ الأنبياء في العقل والوعي والأخلاق الحميدة والفضائل الحسنة مرتبة سامية تجعلهم في مستوى عال يتفوقون بها على سائر البشر، وأمّا ما سوى ذلك ممّا لا يعدّ محمّداً في العمل ولا كرامة في الأخلاق فلم يدل دليل على تفوّقهم على الناس بشيء فضلاً عن إعطائهم قوة ثلاثين رجلاً فيما يرجع إلى الغرائز السافلة.

كلّ ذلك يعرب عن وهن الحديث مضموناً وعدم مطابقته للأصول المسلمة عند المسلمين. ثمّ إنّ القيام بهذا العمل أمام شاب مراهق - كما قلنا - أمر قبيح عرفاً، ينقّر الناس عن النبي إذا سمعوا به، وهذا هو البخاري يحدثنا أنّ أنساً لحق بالنبي قُبيل غزوة خيبر التي وقعت في محرم سنة ٧ من الهجرة (١)

أخرج البخاري عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب أنّه سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ لأبي طلحة: التمس غلاماً من غلمانكم يخدمني، فخرج بي أبو طلحة يردفني وراءه، فكنت أخدم رسول الله كلما نزل، فكنت أسمع أكثر أن يقول: «اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين، وغلبة الرجال»، فلم أزل أخدمه حتى أقبلنا من خيبر. (٢)

فهذا يعرب عن أنّه لحق بالنبي في سنة ٧ للهجرة وله من العمر ١٧ أو ١٨ عاماً أفيمكن أن يقوم النبي ﷺ أمام شاب مراهق في عنفوان شبابه و ثوران شهواته بالطواف على زوجاته في ليلة واحدة؟!!

كان النبي ﷺ إنساناً حييًّا عفيفاً، وهذا هو القاضي

١ . مسند أحمد: ٣/٢٩١.

٢ . سيرة ابن هشام: ٣/٣٢٨.

عياض، يعرفه بقوله: وكان النبي ﷺ أشد الناس حياءً، وأكثرهم عن العورات اغضاءً.
قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُوذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِي مِنَ الْحَقِّ﴾
(الأحزاب/٥٣).

وعن أبي سعيد الخدري (رض): كان رسول الله أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا
كره شيئاً عرفناه في وجهه، وكان لطيف البشرة، رقيق الظاهر، لا يشافه أحداً بما يكرهه حياءً وكرم
نفس.

وعن عائشة: كان النبي إذا بلغه عن أحد يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا، ولكن يقول:
ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا.
وروى عنه: أنه كان من حيائه لا يُثبت بصره في وجه أحد و أنه كان يُكَيِّ عما اضطره الكلام
إليه ممّا يكره.

وعن عائشة: ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط. (١)
فإذا كان هذا حياءً وعفته، فهل يتصور أن يطوف في ليلة واحدة على تسع أو إحدى عشرة
من زوجاته واحدة تلو الأخرى، ونساءه مطلعات على ذلك مضافاً إلى غلامه الذي بلغ سن
المراهقة وهو في شره غريزته؟
إنّ عمل كل إنسان يعكس نفسياته وملكاتة، فهذا النوع من العمل يكشف عن نفسيّة غارقة في
حب الشهوات، والنبي ﷺ أجل من هذه التهمة الرخيصة، ومن قرأ حياته وهو في شرح شبابه
إلى ان ذرّف العقد السادس من عمره الشريف يقف، على أنه كان بعيداً عن أيّ عمل يمت إلى ذلك
بصلة.

«فهو قد تزوج خديجة وهو في الثالثة والعشرين من عمره وهو في شرح الصبا، وربعان الفتوة،
ووسامة الطلعة، وجمال القسمات وكمال الرجولية، ومع

١ . صحيح البخاري: ٧/٧٦، باب الخيس من كتاب الأطعمة.

ذلك ظلّت خديجة وحدها زوجه ثماني وعشرين سنة حتى تخطّى الخمسين، هذا على حين كان تعدد الزوجات أمراً شائعاً بين العرب في ذلك العهد و على حين كان لمحمد ﷺ مندوحة في التزويج على خديجة أن لم يعش له منها ذكراً، في وقت كان تُؤاد فيه البنات، وكان الذكور وحدهم هم الذين يعتبرون خلفاً وقد ظل النبي مع خديجة سبع عشرة سنة قبل بعثه وإحدى عشرة سنة بعده وهو لا يفكر قط في أن يُشرك معها غيرها في فراشه، ولم يعرف عنه في حياة خديجة ولم يعرف عنه قبل زواجه منها، أنّه كان ممن تغريهم مفاتن النساء، في وقت لم يكن فيه على النساء حجاب بل كانت النساء يتبرجنّ فيه و يبدین من زينتهنّ ما حرّم الإسلام من بعد». (١)

فمن غير الطبيعي ان تراه وقد تخطى الخمسين ينقلب فجأة هذا الانقلاب الذي تصوره تلك الرواية.

وأما تعدد زوجاته ونسائه، فمن قرأ صفحات تاريخه يقف على أنّه كان لأجل غايات سياسية أو اجتماعية أو ما يشبههما.

مثلاً أنّه ﷺ لم يشرك مع خديجة أحداً مدى ٢٨ سنة، فلما قبضها الله إليه تزوج سودة بنت زمعة أرملة السكران بن عمرو بن عبد شمس، ولم يرو راو أنّ سودة كانت من الجمال أو من الثروة أو من المكانة بما يجعل لمطمع من مطامع الدنيا أثراً في زواجه بها، إنّما كانت سودة زوجاً لرجل من السابقين إلى الإسلام الذين احتملوا في سبيله الأذى والذين هاجروا إلى الحبشة بعد ان أمرهم النبي ﷺ بالهجرة وراء البحر إليها، وقد أسلمت سودة وهاجرت معه وعانت من المشاق ما عانى، ولقيت من الأذى ما لقي، فإذا تزوّجها النبي ﷺ بعد ذلك ليعولها وليرتفع بمكانتها إلى أمومة المؤمنين، فذلك أمر يستحق من أجله أسمى التقدير وأجلّ الحمد. (٢)

١ . القاضي عياض الأندلسي: الشفاء، بتعريف حقوق المصطفى: ٢٤١/١ - ٢٤٣. ولاحظ مسند أحمد: ٧١/٣.

٢ . مُجَدِّد حسين هيكل، حياة مُجَدِّد، ص ٣١٨ - ٣١٩ الطبعة الثالثة عشرة.

هذه إمامه إجمالية لتعدد زوجاته، ومن أراد التفصيل، فليتصفح صفحات التاريخ حتى يقف على الحوافز التي دفعته إلى الزواج بهنّ.

ومّا يعرب عن ضعف الرواية ما رواه نفس أنس في حقّ النبي ﷺ وقال: وكان النبي شديد الحياء (١)

ويروى أيضاً: في قضية تزويج النبي بزینب وإقامة وليمة ويقول: فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا وبقي طائفة منهم، فأطالوا عليه الحديث، فجعل النبي يستحيي منهم أن يقول لهم شيئاً. (٢)

ما رواه حول زواج النبي ﷺ بصفية
أنّ ما رواه أنس حول صفية، ممّا يشوّه سمعة النبي ﷺ ولا يوافق الأصول المسلمة المستفادة من الكتاب والسنة.

أخرج مسلم في صحيحه عن ثابت، قال: حدّثنا أنس، قال: صارت صفية لدحية في مقسمه، وجعلوا يمدحونها عند رسول اللّه قال: ويقولون: ما رأينا في السبي مثلها، قال: فبعث إلى دحية فأعطاه بها ما أراد، ثمّ دفعها إلى أمي، فقال: أصلحها، ثمّ خرج رسول اللّه من خير حتى إذا جعلها في ظهره نزل، ثمّ ضرب عليها القبة. (٣)

أخرج البخاري عن مولى المطلّب، عن أنس بن مالك في رواية... فلمّا فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حبيبي بن أخطب وقد قُتل زوجها فكانت عروساً فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه، فخرج بها

١ . مُجّد حسين هيكل، حياة مُجّد، ص ٣١٨ - ٣١٩ الطبعة الثالثة عشرة.

٢ . صحيح البخاري: ١١٩/٦، تفسير سورة الأحزاب، باب زواج زينب بنت جحش من كتاب النكاح.

٣ . مسند أحمد: ١٦٣/٣؛ صحيح مسلم: ١٥٢/٤.

حتى بلغنا سد الصهباء حلّت، فبنى بها ثم صنع حيساً في نطع صغير، ثم قال رسول الله ﷺ :
أذن من حولك، فكانت تلك وليمة رسول الله على صافية، ثمّ خرجنا إلى المدينة. (١)
ثمّة تأملات حول الروايتين:

أولاً: وجود التهافت بينهما حيث إنّ الرواية الأولى تصرّح بأنّ صافية صارت لدحية في مقسمه،
فلما سمع النبي مدح الناس إياها وقولهم: «ما رأينا في السبي مثلها» بعث إلى دحية فأعطاه بها ما
أراد، ثمّ أخذها منه و دفعها إلى أم أنس كي تصلحها، ولكن الظاهر من الثانية هو أنّ النبي
اختارها لنفسه من أوّل الأمر بعد أن ذكر له جمال صافية ومحاسنها.

وثانياً: إنّ الفقه الإسلامي يصرّح بأنّ صفايا الغنائم للنبي والخليفة بعده، ولكن لا يصلح لمسلم
الدخول بالآمة المسيية إلاّ بعد استبراء رحمها، فكيف بنى بها النبي في الطريق قبل الاستبراء على
كلتا الروايتين؟ كما هو صريح قوله: «وقد قتل زوجها وكانت عروساً، فخرج بها حتى بلغنا سدّ
الصهباء حلّت فبنى بها».

وقد روى أبو سعيد الخدري: «أنّه لا توطأ حامل حتى تضع ولا غير ذات حمل حتى تحيض
حيضة واحدة» وروى رويغ بن ثابت الأنصاري عن رسول الله ﷺ أنّه قال يوم حنين: «لا
يجل لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره - يعني إتيان الحبالى - ولا يجل
لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها». (٢)

وقد صرح بلزوم استبراء الآمة فقهاء المذاهب قاطبة من غير فرق بين سبب دون سبب، ففي
المبسوط: لو ملكها بجهة أو صدقة أو ميراث أو جناية وجبت عليه، أو جعل كتابة أو خلع فعليه
الاستبراء فيها.

١ . صحيح مسلم: ١٤٨/٤ ؛ مسند أحمد: ١٩٥/٣ .

٢ . صحيح البخاري: ١٣٥/٥، باب غزوة خيبر .

وهذا كما ترى يذهب إلى الاستبراء بصورة عامة.
ومنهم من صرّح بما إذا كان السبب هو الغنيمة فحسب.
فقد جاء في كشف القناع: يجب الاستبراء بملك اليمين من قرّن و مكاتبة وأمّ ولد ومدبرة عند حدوث الملك بشراء أو هبة أو إرث أو وصية أو غنيمة أو غير ذلك. (١)
وثالثاً: إنّ مكارم الأخلاق التي تمتع بها النبي ﷺ تصدّه عن البناء بها في الطريق تحت القبة وفي معرض أنظار المسلمين، ولا يقوم بذلك من له أدنى حظ من العفة.
ولعمري إنّ تلك الروايات وأمثالها التي رواها أنس بن مالك أو روى عنه تُشوّه سمعة النبي ﷺ الذي كان في منتهى الخلق الكريم والأدب الرفيع، وقد اقتصرنا على هاتين الروايتين، وإلّا فالروايات التي تمس كرامة النبي ﷺ موجودة بوفرة في روايات أنس أو في من روى عنه، ووزر ذلك على من دسّ تلك الروايات في الأحاديث النبوية فأخذها الشّدج من الناس حقائق ثمّ حاولوا أن يبرروها بوجوه غير مقبولة.

٢. أبو النبي ﷺ في النار

أخرج مسلم عن ثابت، عن أنس أتربلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال في النار، فلما قفّى، دعاه فقال: إنّ أبي وأباك في النار. (٢)

وروى أحمد بهذا الطريق قال، قال رجل للنبي ﷺ

١ . أبو داود، السنن: ٢/٢٤٨، برقم ٢١٥٧ و ٢١٥٨.

٢ . لاحظ في الوقوف على نصوص المذاهب في لازم الاستبراء، موسوعة الفقه الإسلامي: ١٨٣/٥ - ١٨٧.

أين أبي؟ قال: في النار، قال: فلما رأى ما في وجهه قال: إئتأبي و أباك في النار. (١)

وثمة تساؤلات نظرحها وهي:

أ. انا المعروف عن النبي ﷺ هو العطف والحنان في معاشرته مع الناس وعلى ضوء ذلك، فهل كان من واجب النبي ﷺ أن يجيب على سؤاله و يصرح أنّ مكانه في النار، و لما شاهد انزعاجه من جوابه اضطرّ إلى تسليته بأنأباه مثل أبيه كلاهما في النار، ومثل هذا السؤال والجواب لا يصدر ممن وصفه سبحانه بالخلق والفضل العظيم.

قال الإمام النووي في شرح الحديث: قوله: «إنّ أبي وأباك في النار» هو من حسن العشرة بالتسلية بالاشتراك في المصيبة. (٢) نعم من حسن العشرة لكن من غير مبرّر لكسر قلبه ببيان مصير أبيه ثمّ تسليته.

ب. إنّ الذين عاشوا بعد المسيح إلى حين بعثة النبي ﷺ على طائفتين، فمنهم من تمت عليه الحجّة فلا شكّ أنّه في نار الجحيم، وأمّا من لم تتم عليه الحجّة فهو ممن قال سبحانه في حقّه: ﴿وَأَخْرَوْنَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة/١٠٦)

فليس كلّ من عاش بين الفترتين في النار قطعاً، فهل كان والد السائل ممن تمت عليه الحجّة؟

ج. إنّ الرواية تخالف ما عليه الإمامية والزيدية وجملة من محققي أهل السنّة من أنوالدي النبي كانوا موحدين وشدّد من قال إنّ النبي مع كثرة ما أنعم الله عليه ووفور إحسانه إليه لم يرزقه إحسان والديه، فإنّ هذه الكلمة صدرت من غير تحقيق، فإنّ التاريخ لم يضبط من سيرتهما إلاّ شيئاً يسيراً، و فيما ضبط إيعاز لو لم نقل دلالة على إيمان والديه، فقد نقل التاريخ عن والد النبي

ﷺ
ﷺ

١ . مسلم، الصحيح: ١/١٣٢-١٣٣، باب آمن مات على الكفر فهو في النار. من كتاب الإيمان.

٢ . مسند أحمد: ٣/١١٩.

أنه عندما عرضت فاطمة الخثعمية نفسها عليه، فقال: رداً عليها:

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتِ دُونَهُ وَالْحَلَّ لَا حَلْفَاسَ تَبِينَهُ
يَجْمِي الْكَرِيمُ عَرْضَهُ وَدِينَهُ فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبْغِينَهُ (١)

أضف إلى ذلك تضافر الروايات حول طهارة ولادة النبي التي جمعها الحافظ أبو الفداء ابن كثير في تاريخه، قال: وخطب النبي وقال: أنا مُحَمَّدُ بن عبد الله بن عبد المطلب... و ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرها، فأخرجت من بين أبوي، فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي فأنا خيركم نفساً و خيركم أباً. (٢)

إلى غير ذلك من الأحاديث والروايات وكلمات المحققين التي استقصيناها في كتابنا مفاهيم القرآن. (٣)

قال القاضي عياض الأندلسي: فإنه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وضميمها وأشرف العرب وأعزهم نفراً من قبل أبيه وأمه.

وعن العباس (رض) قال: قال النبي ﷺ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ وَ مِنْ خَيْرِ قَرْنِهِمْ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْساً وَخَيْرُهُمْ بَيْتاً... إلى أن قال:

وعن ابن عباس: قال رسول الله: فاهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب إبراهيم، ثم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من أبوي. (٤)

١ . شرح صحيح مسلم للإمام النووي: ٧٩/٣.

٢ . السيرة الحلبية: ٤٦/١.

٣ . البداية والنهاية: ٢٥٥/٢.

٤ . مفاهيم القرآن: ١٤٨/٥ - ١٥٠.

فهذا النور الذي قدّر في علمه سبحانه أن يضيء العالم بجماله، ويغيّر مصير التاريخ برسالته لا يحتضنه إلا أصلاب شامخة وأرحام مطهرة كنوح وإبراهيم ومن بعده كلهم موحدون منزّهون عن عبادة الأوثان ورذائل الأعمال ومساوى الأخلاق.

وبما ذكرنا يعلم عدم صحّة ما أخرجه أحمد عن وكيع بن حدى، عن أبي رزين عمّه، قال: قلت يا رسول الله: أين أمّي؟ قال: أمك في النار، قال: قلت: فأين من مضى من أهلك؟ قال: أما ترضى أن تكون أمك مع أمي. (١)

٣. نسيان السورة من أعظم الذنوب

أخرج أبو داود (٢) و الترمذي (٣) عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: عرضت عليّ أجور أمّتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت عليّ ذنوب أمّتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيتها رجل ثم نسيها.

أقول: لم يدل دليل على وجوب حفظ القرآن، ولا على حرمة نسيانه بعد حفظه، ومع غض النظر عن ذلك كيف يكون نسيان آية من المحرمات الموبقة المهلكة وفي عداد أكل الربا الذي يعد أكله محارباً لله ورسوله؟ قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة/٢٧٨-٢٧٩).

أو في عداد من يحارب الله ورسوله؟ قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ

١ . القاضي عياض، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى: ١/١٨٠-١٨٣.

٢ . مسند أحمد: ١١/٤.

٣ . سنن أبي داود : ١/١٢٦ برقم ٤٦١.

يُجَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ
مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ... ﴿المائدة/٣٣﴾.

فعلى ضوء هذا الحديث يكون نسيان آية من آيات القرآن أعظم من أكل الربا والسعي
للفساد في الأرض، و الزنا بالمحارم في الأماكن المتبركة، وقتل النفس المحترمة، ونهب الأموال.
ولما كان الحديث من الوهن بمكان، عاد الترمذي يستغربه ويقول: هذا حديث غريب لا نعرفه
إلا من هذا الوجه.

قال: وذاكرت به محمد بن إسماعيل فلم يعرفه واستغربه.

٤ . اجتهاد النبي في الأحكام

أخرج الإمام أحمد عن عبد الوارث مولى أنس بن مالك، و عمرو بن عامر عن أنس، قال:
نحى رسول الله عن زيارة القبور، وعن لحوم الأضاحي بعد ثلاث، وعن النبيذ في الدباء ^(١)
والنقير ^(٢) والحنتم ^(٣) والمزفت ^(٤)

قال: ثم قال رسول الله بعد ذلك: ألا إني قد نهيتكم عن ثلاث ثم بدالي فيهن: نهيتكم عن
زيارة القبور، ثم بدلي لي أهما ترقق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة فزوروها ولا تقولوا هجراً، ونهيتكم
عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث ليال ثم بدالي لي ان الناس يتحفون ضيفهم ويحتمون لغائبهم فامسكوا
ما شئتم، ونهيتكم

١ . سنن الترمذي: ١٧٨/٥ برقم ٢٩١٦ .

٢ . الدباء: القرع وأحدها دُبَاءة كانوا ينتبذون فيها فتُسرع الشدة في الشراب. (النهاية: ٩٦/٢).

٣ . النقير: أصل خشبة ينقر فينبذ فيه فيشتد نبيذه.

٤ . الحنتم واحدها حنتمة، نحى عن الانتباز فيها لأنها تسرع الشدة فيها لأجل دهنها. (النهاية: ١/٢٤٨).

عن النبيذ في هذه الأوعية فاشربوا بما شئتم ولا تشربوا مسكراً فمن شاء أوكأ سقاهه على إثم. (١)
هنا تساؤلات نطرحها:

أ. الحديث - مع قطع النظر عن سنده - مبني على أنه يصح للنبي ﷺ الاجتهاد في الأحكام الشرعية وأنه كسائر المجتهدين يخطئ ويصيب، ولكن هذا الزعم يخالف الذكر الحكيم، قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء/١١٣).

وقد ذكر المفسرون أسباب نزول متعددة لهذه الآية تجمعها أنّها رفعت إلى النبي ﷺ واقعة كان الحقّ فيها غير واضح، فأراه الله سبحانه حقيقة الواقع الذي تخاصم فيها المتحاكمان وعلّله بقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾.

فضّل الله ورحمته صدّاه عن الحكم بالباطل، وهل كان فضله سبحانه ورحمته مختصين بهذه الواقعة أو أنّهما خيّما عليها طيلة عمره الشريف؟ مقتضى قوله سبحانه في ذيل الآية: (وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) هو أنّه حظي بهما طيلة عمره الشريف. فهو في كالأحوادث والوقائع يحكم بمرّ الحق ونفس الواقع مؤيّداً من قبل الله، و من اختص بهذه المنزلة الكبيرة فقد استغنى عن الاجتهاد المصيب تارة والمخطئ أخرى.

ب. أنّه سبحانه يخاطب النبي ﷺ بقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية/١٨).

١ . المزفت: هو الإناء الذي طلي بالزفت وهو نوع من القار، ثمّ انتبذ فيه. (النهاية: ٣٠٤/٢).

والشريعة هي طريق ورود الماء، والأمر، أمر الدين و معنى الآية أنّه سبحانه تبارك وتعالى أورد النبي ﷺ الطريق الموصل إلى الدين قطعاً، ومن حظي بتلك المنزلة، فما يصدر عنه إنّما يصدر عن واقع الدين لا عن الدين المظنون الذي يُخطئ ويصيب، وليست تلك الخصيصة من خصائصه ﷺ فقط بل قد حظي بها معظم الأنبياء، قال سبحانه: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة/٤٨).

ج. إنّ طبيعة الاجتهاد خاضعة للنقاش والنقد، فلو اجتهد النبي بعض الأحكام فنظره كغيره قابل للنقد والنقاش، ومعه كيف يكون حلال مُجَدّ حلالاً إلى يوم القيامة وحرّامه حرّاماً إلى يوم القيامة؟ وكيف تكون شريعته خاتمة الشرائع؟ فهذه الضابطة ثابتة إلّا فيما ثبت فيه النسخ. كل ذلك يعرب عن أنّ نسبة الاجتهاد إلى النبي ﷺ بعيدة عن الصواب، وإنّما يتفوّه بها من ليس له أدنى إلمام بمقامات الأنبياء، لا سيما خاتم النبيين أفضل الخليفة.

ما ذكرناه من الوجوه ترجع إلى الحكم الكلي، أعني: جواز اجتهاد النبي ﷺ في بيان الأحكام وقد عرفت أنّه مرفوض بنص الكتاب، وعلى فرض تسويغ الاجتهاد للنبي فهو في المقام أمر غريب، لأنّ مفاده أنّ النبي ﷺ كان غافلاً عن حكمة زيارة القبور وهي أنّها ترقّ القلوب و تذكر الآخرة، ولكنّه انتقل إليها بعد حين من الدهر غير أنّ تلك الحكمة ليست من الأمور التي يغفل عنها السذج من الناس، فكيف بالنبي « ﷺ » الذي وصف الله علمه بالعظمة؟ ومثله نهي عن أكل لحوم الأضاحي ثمّ تسويغه، لأنّ الناس ربما يحتاجون إليها لأجل تحاف ضيفهم أو قدوم غائبهم.

فالرواية إمّا مدسوسة أو منقولة على غير وجهها.

٥. جواز الصوم في السفر

أخرج البخاري في صحيحه، عن عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: كتنا نساfer مع النبي، فلم يُعَب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم. ^(١) وأخرجه مسلم بسنده إلى حميد، قال: سئل أنس (رض) عن صوم رمضان في السفر فقال: سافرنا مع رسول الله ﷺ في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم. ^(٢) إن الرواية وإن لم تنقل حكم النبي ﷺ حول الصيام في السفر، لكنها تتضمن اتفاق الصحابة على صحة الصوم في السفر، لأجل أنه لم يُعَب المفطر على الصائم ولا الصائم على المفطر.

ولكن ثمة تساؤلات حول الرويتين:

أ. إن الذكر الحكيم فرض الإفطار عند السفر وجعل الواجب على المسافر هو الصيام في أيام أخر، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة/١٨٣-١٨٤).

إن الآية الكريمة بصدد تشريع الحكم وبيان وظيفة المسلمين، وعلى ذلك يكون مفاد الآية إن المشروع في حق السالم والحاضر هو الصيام في نفس الأيام المعدودات (أي شهر رمضان). كما إن المشروع في حق غيرها - أعني المريض والمسافر - هو الصيام

١ . مسند أحمد: ٣/٢٣٧ برقم ١٣٠٧٥.

٢ . البخاري، الصحيح: ٣/٣٤، باب لم يعب أصحاب النبي بعضهم بعضاً.

في غير تلك الأيام، وهذا هو المتبادر من الآية بقرينة أنّها في مقام التشريع و بيان الوظائف .
وعلى ذلك فيكون مفاد قوله: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾
هو أنّ المكتوب عليهم، الصيام في أيام آخر لا الصيام في شهر رمضان، فينتج عدم مشروعية
الصوم لهاتين الطائفتين في شهر رمضان لكون المكتوب عليهم هو الصيام في غير هذا الشهر.
وعلى هذا فالآية بدلالتها المطابقية تدل على أنّ الإفطار عزيمة وأنّ المكتوب عليهما من أوّل
الأمر هو الصيام في غير هذا الشهر وتسميته قضاءً لا باعتبار كون الصيام عليهما واجباً في ذلك
الشهر، بل باعتبار فوات المصلحة والملاك ووجود المقتضي للصيام فيه لولا المانع من المرض
والسفر.

ب. إنّ القائلين بالرخصة لما رأوا أنّ ظاهر الآية يدل على أنّ المكتوب منذ أوّل الأمر هو
الصيام في غير شهر رمضان حاولوا تأويل الآية على ما يتبنونه من الرخصة، فقدّروا لفظة
«فأفطر»، وقالوا إنّ معنى الآية: فمن كان منكم مريضاً أو على سفر (فأفطر) فعليه عدّة من أيام
أخر ولو لم يفطر فلا.

ولا يخفى عليك أنّه تلاعب بالآية وفرض عليها بما لا تدل عليه.

وربما يتوهم ممّا جاء في ذيل الآية، أعني قوله سبحانه: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ﴾ دلالاته على وجود الرخصة للمسافر في الصيام، ولكن الإمعان في الآيتين (١٨٣ -

١٨٤) يثبت أنّ الجملة ناظرة إلى صدر الآية لا إلى المستثنى أعني الطائفتين.

حيث إنّ سبحانه قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾.

ثمّ حدّده بقوله: (أيّاماً معدودات).

ثمّ عاد يؤكد ما أفاده في صدر الآية بقوله: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ دون نظر

إلى ما جاء في ثنايا الآية من استثناء الطائفتين والدليل على أنه لا يرجع إلى المستثنى هو أنّ الصوم ليس لصالح المريض مطلقاً حتى يعود إليه قوله سبحانه: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ كما أنه ليس لصالح المسافر في أكثر الأحيان.

هذا كله في عرض ما حُكي من عمل الأصحاب على الذكر الحكيم فلا يمكن أن يكون عملهم على خلاف القرآن.

ج. وهناك أمر آخر يرجع إلى ما تضمنه الحديث من سكوت كل من الطائفتين أمام الأخرى فإنه مخالف لما رواه البخاري وغيره، وإليك بعض النصوص.

١. أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله (رض) قال: كان رسول الله في سفر فرأى زحاماً ورجلاً قد ظلل عليه فقال ما هذا؟ قال: صائم فقال: ليس من البرّ الصوم في السفر. ^(١)

ومن الواضح أنّ البرّ يقابل الإثم قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة/٢).

الرواية وإن وردت في مسافر صائم وقع في حرج شديد لكن المورد غير مخصص والنبي ﷺ ضرب قاعدة كلية وحكم بأنّ مطلق الصيام في السفر ليس ببر والحجّة هي القاعدة والمورد من أحد مصاديقها، وكان التنديد لأجل صيامه في السفر وانتهائه إلى حرج شديد.

٢. أخرج أحمد، بسنده عن كعب بن عاصم الأشعري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس من البرّ الصيام في السفر. ^(٢)

١ . صحيح مسلم: ١٤٣/٣ . باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر من كتاب الصيام.

٢ . البخاري، الصحيح: ٣٤/٣ . باب قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحرّ «ليس من البرّ الصوم في السفر» من كتاب الصوم.

٣. أخرج ابن ماجة، مثل ذلك عن ابن عمر، وقال في الزوائد: إسناد حديث ابن عمر صحيح، لأنَّ مُجَّد بن المصفي، ذكره ابن حبان في الثقات، ووثقه مسلمة والذهبي في الكاشف، وقال أبو حاتم: صدوق. وقال النسائي: صالح وباقي رجال الاسناد على شرط الشيخين. (١)

٤. أخرج مسلم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنَّه أخبره أنَّ رسول الله ﷺ خرج عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثمَّ أفطر، قال: وكان صحابة رسول الله ﷺ يتبعون الأحداث فالأحدث من أمره.

٥. وأخرج أيضاً عن ابن شهاب بهذا الاسناد، قال: فكانوا يتبعون الأحداث فالأحدث من أمره ويرونه الناسخ المحكم. (٢)

يستفاد من هذين الحديثين أنَّ النبي كان يصوم في السفر ثمَّ نسخ ذلك فأمر بالإفطار، فالأمر بالإفطار صار ناسخاً محكماً ولا يجوز لنا اتباع المنسوخ بعد مجي الناسخ.

٦. أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله (رض) أنَّ رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم فصام الناس، ثمَّ دعا بقدر من ماء، فرفعه حتى نظر الناس إليه، ثمَّ شرب، فقليل له بعد ذلك: إنَّ بعض الناس قد صام، فقال: أولئك العصاة، أولئك العصاة. (٣)

وهذا الحديث صريح في أنَّ المفطر عاب الصائم، فكيف روي عن أنس أنَّه لم يعب أحدهما على الآخر؟!!

٧. أخرج ابن ماجة عن عبد الرحمان بن عوف، قال: قال رسول الله

١ . أحمد بن حنبل، المسند: ٤٣٤/٥؛ سنن ابن ماجة: ٥٣٢/١، الحديث ١٦٦٤.

٢ . سنن ابن ماجة: ٥٣٢/١، الحديث ١٦٦٥ لاحظ تعليقة المحقق.

٣ . صحيح مسلم: ٣/١٤٠-١٤١ باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر من كتاب الصيام.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صائم رمضان في السفر كالمفطر في الحضر. (١)

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تدل على أمرين:

الأول: أنّ الإفطار في السفر عزيمة لا رخصة.

الثاني: احتدام النقاش بين الصحابة بعد ورود الحظر عن الصيام في السفر، حيث إنّ رهطاً منهم تابعوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَفْطَرُوا، ورهطاً آخر صاموا، فأطلق رسول الله اسم «العصاة» عليهم، والحديث يحكي عن أنّ رهطاً من الصحابة كانوا يقدّمون رأيهم على الوحي المنزل على قلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحجج واهية، وقد ورد النهي عن ذلك في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات/١).

٦. محبوب متهم بالزنا

أخرج الإمام أحمد في مسنده (٢) ومسلم في صحيحه (٣) عن ثابت، عن أنس: أنّ رجلاً كان يُتَّهم بأُم ولد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال رسول الله لعلي «عائِلًا» : إذهب فاضرب عنقه، فأثاه علي عَائِلًا ، فإذا هو في ركيٍّ (٤) يتبرّد فيها، فقال له علي: أخرج، فناوله يده، فأخرجه فإذا هو محبوب ليس له ذكر، فكفّ عليّ عنه، ثمّ أتى النبي فقال: يا رسول الله، أنّه لمحبوب ما له ذكر.

والحديث نقله مسلم في باب براءة حرم النبي من الريبة، وحاصل الحديث أنّ رجلاً كان يتهم بأُمّ ولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولعلها مارية

١ . صحيح مسلم: ١٤١/٣ - ١٤٢ باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر من كتاب الصيام.

٢ . ابن ماجه: السنن: ٥٣٢/١، الحديث ١٦٦٦.

٣ . مسند أحمد: ٢٨١/٣.

٤ . صحيح مسلم: ١١٩/٨، باب براءة حرم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الريبة من كتاب التوبة.

القبطية التي أنجبت له إبراهيم، فأمر عليّاً بضرب عنقه، فلما رآه علي «عليّاً» محبوباً تركه.
وفي الحديث إشكال وهو :

هل كان قضاء النبي قائماً على البيّنة أو على علمه الشخصي؟
فعلى الأول فلماذا لم يُعزّر البيّنة الكاذبة مع أنّ شاهد الزور يُعزر؟
وعلى الثاني: كيف تخلف علمه عن الواقع مع أنّه سبحانه يصف علمه بقوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَعْلَمْ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ (النساء/ ١١٣).
وقد ذكر شرح الحديث وجهين لتصحيحه:

١. أنّه عليّاً كان يعلم أنّه محبوب، وأمر عليّاً بقتله، لينكشف أمره وترفع تهمة. (١)
يلاحظ عليه: أنّه إذا كان الرجل بريئاً لا مجرمًا، وكان النبي ﷺ على علم بأنّه محبوب كان عليه ابرأوه عن التهمة بأسلوب عقلائي قبل أن يتوصل بالطريق الآخر وكان الناس أكثر تسليماً للنبي في قوله.

٢. ما ذكره الإمام النووي: لعلّه كان منافقاً ومستحقاً للقتل بطريق آخر وجعل هذا محرّكاً لقتله بنفاقه وغيره لا بالزنا، وكفّ عنه علي (رض) اعتماداً على أنّا لقتل بالزنا وقد علم انتفاء الزنا. (٢)
يلاحظ عليه: أنّه لا يصحّ للنبي أن يعطل إجراء الحدود، فإذا كان الرجل واجب القتل كان عليه قتله بأي نحو اتفق، فلم ترك قتله بعد ما لم تنجح الطريقة الأولى؟
وأخيراً كيف نظر الإمام عليّاً إلى عورته مع أنّه أعف من ذلك

١ . الركي: البئر، جمع الركيّة.

٢ . هامش صحيح مسلم: ١١٩/٨.

وشديد الحياء حتى أنه لم ينظر إلى عورة عدوه (عمرو بن العاص) بعد ما كشف عنها لدفع الردى عن نفسه، كما هو مشهور في التاريخ.

ولعمر القاريّ رفض الخبر أفضل من التمسك بتلك الوجوه الواهية.

٧. برغوث يوقظ نبياً للصلاة

أخرج البخاري عن قتادة، عن أنس بن مالك أنّ رجلاً لعن برغوثاً عند النبي، فقال: لا تلعه فأنّه أيقظ نبياً من الأنبياء للصلاة. (١)

يلاحظ عليه: أنّ البرغوث آية من آيات الله وخلق من مخلوقاته ليس لأحد لعنه، ولو لعنه لا يضره لأنّه سبحانه عادل لا يعاقب الموجود الذي ليس فعله باختياره، فأنعمل البرغوث عمل غريزي وبه حياته.

أضف إلى ذلك أنّ البرغوث الذي لدغ النبي ﷺ وأيقظه للصلاة لا يستحق ثواباً لعدم صدور عنه لغاية الإيقاظ، وإنّما حاول به مصّ الدم بغية التغذية.

ومع غض النظر عن ما ذكر فأى صلة بين برغوث قام بعمل حسن وسائر البراغيث التي لم تنزل تؤذي البشر في تمام الأحوال؟

وقد قيل: اقتلوا الموزي قبل أن يوزي.

٨. موسى يصليّ في القبر

أخرج النسائي في باب ذكر صلاة نبي الله موسى ﷺ عن ثابت عن أنس: أنّ رسول الله ﷺ قال أتيت ليلة أُسري بي على

١ . الإمام النووي، شرح صحيح مسلم: ١٢٣/١٧.

موسى عليه السلام عند الكئيب ^(١) الأحمر وهو قائم يصلّي في قبره. ^(٢)

لا شك أنّ الأنبياء، أنبياء الشهداء وهم كنفس الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وهذا أمر اتّفقت عليه الأمة الإسلامية لكن حياتهم حياة برزخية لا مادية في القبر.

قال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَقَضَلٍ وَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران/١٦٩-١٧١).

والحياة البرزخية ترمي إلى حياة خاصة لا إلى الحياة بين التراب والجنادل.

ثم إنّ التكليف ينقطع بالموت ولا تكليف بعده. قال سبحانه: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينَ﴾ (الحجر/٩٩).

والمراد من اليقين هو الموت بشهادة قوله سبحانه: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ* حَتَّى آتَانَا

الْيَقِينَ﴾ (المدثر/٤٦-٤٧). وعلى ذلك فما معنى صلاة موسى في القبر؟

٩. التجسيم في أحاديثه

قد ورد التجسيم في غير واحد من الروايات المعزّوة إلى أنس بن مالك، نذكر منها ما يلي:

١. أخرج مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك (رض) عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رب العزة تبارك و تعالى قدمه، فتقول: قط، قط وعزّتك ويؤزى بعضها إلى بعض. ^(٣)

١ . البخاري، الأدب المفرد، ص ٤١٠، باب لا تسبوا البرغوث، برقم ١٢٤٢.

٢ . الكئيب هو ما ارتفع من الرمل كالتل الصغير.

٣ . النسائي، السنن: ٣/٢١٥. باب ذكر صلاة نبي الله موسى عليه السلام.

إنّ هذا الحديث بظاهره يثبت لله أعضاءً وأنه يضع قدمه في الجحيم حتى تسكت النار، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، ومعنى ذلك أنّ بعض أجزاء جسمه تحل في خلقه، لأنّ النار بعض خلقه كما يثبت لله نقلة وحركة. تعالى الله عن ذلك.

ثمّ إنّ الذين يأخذون بحرفية الصحيحين صاروا بصدد تأويل الحديث تأويلاً لو صحّ لدلّ على أنّ النبي ﷺ كان في مقام الإلغاز لا في مقام التعليم والتفهم.

على أنّه سبحانه لو كان بصدد الحدّ من نار جهنم أو إملاءها حتى يتحقق قوله: ﴿لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ (هود/ ١١٩) لما كان له حاجة إلى وضع قدمه بل كفى أمره بهما كما أمر بالنار في حقّ إبراهيم، قال سبحانه: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء/ ٦٩).

إنّ الله سبحانه يبطل ألوهية غيره بورودهم للجحيم.

قال سبحانه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ* لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الأنبياء/ ٩٨ - ٩٩).

ومع ذلك فكيف يدخلها ربّ العالمين ويردها ويضع قدمه فيها، ويجعل نفسه من مصاديق ما أُشير إليهم في الآية؟ وقد مرّت مناقشة الحديث، عند دراسة أحاديث أبي هريرة.

إنّ هذا الحديث وما سيوافيك من سائر الأحاديث الدالة على التجسيم والتشبيه موضوعة على لسان أنس، وإن اغترّ صاحبها الصحيحين فأوردوها في صحيحيهما ظناً منهما بأنّ صحّة السند كافية في النقل والرواية والقبول مع أنّه ثمة شروط أخرى لا بدّ من الالتزام بها في صحّة الحديث، و هي أن لا تكون الرواية مخالفة للقرآن والعقل الصريح واتّفاق المسلمين كما أوعزنا إليها في المقدمة، وأيّ شيء أوضح من أنّه سبحانه ليس بجسم وليس له عضو وحركة ونقل.

٢. روى عبد الله، عن أبيه، أحمد، عن معاذ بن معاذ العنبري، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾، قال: قال: هكذا، يعني أنه أخرج طرف الخنصر قال أبي: أرانا معاذ، قال: فقال له حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد؟ قال: فضرب صدره ضربة شديدة، وقال: من أنت يا حميد، وما أنت يا حميد يحدثني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ، تقول أنت ما تريد إليه؟! (١)

وأخرجه الترمذي عن طريق سليمان بن حرب، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، أنّ النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ قال حماد: هكذا، وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أتملة إصبعه اليمنى، قال: فساخ (٢) الجبل وخرّ موسى صعقاً. قال أبو عيسى (الترمذي): هذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة. (٣)

إنّ آفة هذا الحديث هي حماد بن سلمة يحدثنا عنه ابن الجوزي، ويقول: هذا الحديث تكلم فيه علماء الحديث، وقالوا: لم يروه عن ثابت غير حماد بن سلمة، وكان ابن أبي العوجاء الزنديق قد أدخل على حماد أشياء فرواها في آخر عمره ولذلك تحافى أصحاب الصحيح عن الإخراج عنه. ثمّ عاد ابن الجوزي بتأويل الحديث بما هو أشبه باللغز، وقال: ومخرّج الحديث سهل، و ذلك أنّ النبي كان يقرب إلى الأفهام بذكر الحسيّات فوضع يده على خنصره إشارة إلى أنّ الله تعالى أظهر اليسير من آياته. (٤)

١. صحيح مسلم: ١٥٢/٨، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء من كتاب الجنة، ونقله بطرق مختلفة؛ وصحيح البخاري: ١٣٨/٦، تفسير سورة ق.

٢. مسند أحمد: ١٢٥/٣.

٣. ساخ الجبل أي غاص في الأرض و غاب فيها.

٤. الترمذي، السنن: ٢٦٥/٥، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الأعراف، برقم ٣٠٧٤.

٣. أخرج مسلم في صحيحه عن شعبة، عن قتادة، قال: سمعت أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ما من نبي إلا وقد أُنذر أمته الأعور الكذاب، إلا أنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك ف ر. (١)

أمعنى الحديث أن الله سبحانه عينا ولكنها ليست بعوراء و هو نفس إثبات العضو له سبحانه: ولا يقاس ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَلِئُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ أو قوله: ﴿قَاتِكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أو قوله: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أو قوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾. (٢)

فإن العين في هذه الآيات كناية عن الحفظ والكلاءة وشيخ الأنبياء كان بحاجة إلى تثبيت فؤاده وقلبه بهذه البشارة، وأما الحديث فليس فيه هذه النكتة بل هو في مقام مقايضة عينه سبحانه بعين الدجال، فحكم على إحداها بالأعورية دون الأخرى وهذا يقتضي اشتراكهما في نفس العضو واختلافهما في العور.

وربما يتصور بأن نفي الأعورية كنفي الولد عنه في القرآن، وهذا أيضاً قياس مع الفارق، فإن القول بالولد عقيدة معروفة للنصارى، قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ (البقرة/١١٦) فلم يكن هناك محيص إلا نفي الولد عنه وهذا بخلاف الأعورية فلم يكن هناك قول بكونه سبحانه أعور حتى ينفى الرسول.

وبذلك يظهر أنّ محاولة ابن الجوزي لتصحيح الرواية محاولة عقيمة، حيث قال: إنّما نفى عنه العور من حيث نفي النقائص كأنه قال: ربكم ليس بذي جوارح تتسلط عليه النقائص، وهذا مثل نفي الولد عنه، لأنه يستحيل عليه التجزؤ. (٣)

١ . دفع شبه التشبيه بألف التنزيه: ٢١٥.

٢ . صحيح مسلم: ١٩٥/٨، باب ذكر الدجال وصفته وما معه من كتاب الفتن الحديث الثاني.

٣ . لاحظ السور التالية : طه: ٣٩؛ الطور: ٤٨؛ هود: ٣٧؛ القمر: ١٤.

١٠. رقص أهل الحبشة أمام النبي ﷺ

أخرج الإمام أحمد عن حماد، عن ثابت، عن أنس، قال: كانت الحبشة يرفنون بين يدي رسول الله ويرقصون و يقولون: مُحَمَّدٌ عَبْدُ صَالِحٍ، قال رسول الله ﷺ: ما يقولون؟ قالوا: يقولون مُحَمَّدٌ عَبْدُ صَالِحٍ. (١)

يعرب ظاهر الحديث أنهم كانوا يأتون إلى النبي ﷺ ويرقصون أمامه وهو ينظر إليهم، ثم يسألهم أو غيرهم عم-ا يقولون ولكن نبي العظمة ﷺ أجلمن أن يشتغل باللهو واللعب، وقد أوحى إليه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون/٣) وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ (القصص/٥٥) وطبقاً لهذا الحديث فإن النبي ﷺ أقبل عليهم مكان الإعراض عنهم.

أخرج ابن ماجة عن ثمامة بن عبد الله، عن أنس بن مالك، أنّ النبي مرّ ببعض المدينة، فإذا هو بجوار يضربن بدفهن ويتغنين ويقولن:

نحن جوار من بني النجار يا حبذا مُحَمَّدٌ من جـار

فقال النبي: الله يعلم أنّي لأحبكن. (٢)

وبالرغم من صحّة اسناده ووثاقة رجاله لانصدّق أنّ النيباستمع غناء الجوّاري ورغبهن في عملهن، وقد جاءت شريعته المقدسة بتحريم الغناء في الكتاب والسنة، قال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِعَبْرٍ عَظِيمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (لقمان/٦). (٣)

١ . دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، ص ٢٦٤.

٢ . مسند أحمد: ٣/١٥٢.

٣ . سنن ابن ماجة: ١/٦١٢ برقم ١٨٩٩، كتاب النكاح، وفي الزوائد اسناده صحيح ورجاله ثقات.

وعن عبد الرحمن بن عوف أرسول الله ﷺ قال: إنما نَحِيت عن صوتين أحمقين فاجرين، صوت عند نعمة هو ومزامير الشيطان. (١)

أخرج البخاري عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ ، قال: الغناء وأشباهه. (٢)

١١. سيدا كهول أهل الجنة

أخرج الترمذي عن أنس، أنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر و عمر: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. (٣)

أقول: يعارضه ما رواه أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: أهل الجنة جرد مرد كحل، لا يفنى شباهم، ولا تبلى ثيابهم. (٤)

ومعنى هذا الحديث أنه ليس هناك كهول حتى يتفاضل أحدهما على الآخر.

ولعل الحديث موضوع في مقابل ما ورد في الحسن والحسين وأتھما سيدا شباب أهل الجنة. (٥)

١٢. أمّتي على خمس طبقات

أخرج ابن ماجة عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك عن رسول الله

١ . وقد فسر لهو الحديث بالغناء في أكثر التفاسير وكتب الحديث، راجع تفسير الطبري: ٣٩/٢١.

٢ . الدر المنثور: ١٦٠/٥.

٣ . البخاري، الأدب المفرد، ص ٢٦٦ برقم ٧٨٧.

٤ . الترمذي: السنن: ٥/ ٦١٠ برقم ٣٦٦٤.

٥ . الترمذي: السنن: ٤/ ٦٧٩ برقم ٢٥٣٩.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال: أُمِّي على خمس طبقات: فأربعون سنة أهل بَرٍّ وتقوى، ثم الذين يلوئهم إلى عشرين ومائة سنة أهل تراحم وتواصل، ثم الذين يلوئهم إلى ستين ومائة سنة أهل تدابر وتقاطع، ثم أهرج، النجا النجا.^(١)

وأخرج أيضاً عن أبي معن، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: «أُمِّي على خمس طبقات كل طبقة أربعون عاماً، فأما طبقتي وطبقة أصحابي، فأهل علم وإيمان، وأما الطبقة الثانية ما بين الأربعين إلى الثمانين فأهل بَرٍّ وتقوى.»^(٢)

ولنا تعليقة قصيرة على الحديث: كيف تكون الطبقة الأولى أهل بَرٍّ وتقوى وقد سفكت دماء كثيرة في حياتهم وحارب الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فيها البغاة من الناكثين والقاسطين والمارقين، فلو كانوا أهل بَرٍّ وتقوى فلماذا خرجوا على الإمام الذي بايعه وجوه المهاجرين والأنصار و لم يشدَّ عن بيعته إلا عدد ضئيل لا يتجاوز عدد الأصابع؟

وأما الطبقة الثانية فكيف كانوا أهل تراحم وتواصل؟ فقد قطعوا رحم النبي وأولاده، فقد سَمَّ الحسن سيد شباب أهل الجنة على يد معاوية، وقتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته في مجزرة كربلاء على يد يزيد بن معاوية وحمل رأسه إلى الشام، وأباح مسلم بن عقبة دماء أهل المدينة وعرضهم ثلاثاً، فقتل خلق كثير من الصحابة وُثِّبَت المدينة وأفتض في هذه الواقعة ألف عذراء، إلى غير ذلك من الكواره والكوارث، وهذا هو الوليد بن يزيد من هذه الطبقة الخمير السكَّير أراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة فمقتته الناس لفسقه، ففتح المصحف فخرج قوله: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (إبراهيم/١٥) فألقاه ورماه بالسهم وقال:

١ . الترمذي: السنن: ٥/٦٥٦ برقم ٣٧٦٨.

٢ . ابن ماجه: السنن: ٢/١٣٤٩ برقم ٤٠٥٨، كتاب الفتن.

تهددني بجبار عنيده فها أنا ذاك جبار عنيده
 إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يارب مـزقني الوليد^(١)
 هذه الوقائع المرّة التي لم نذكر منها إلا شيئاً يسيراً تُشطب بقلم عريض على هذا الحديث.
 مضافاً إلى ضعف اسناده فإنّ يزيد بن أبان الرقاشي ضعيف.
 والعجب أنّ أحمد أخرج خلاف هذا الحديث عن ثابت عن أنس، قال: قال رسول الله
 ﷺ: مثل أمّتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أو آخره.^(٢)

١٣. صلاة النبي بلا بسملة

أخرج البخاري عن قتادة عن أنس: أنّ النبي وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة ب-
 ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.^(٣)
 ومعنى ذلك أنّ النبي ﷺ يحذف البسملة في قراءة الحمد مع أنّها جزء منها قطعاً وإن
 اختلفت كلمتهم في كونها جزءاً في سائر السور.
 قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر/٨٧) ولا تكون
 سبعاً إلا أن تكون البسملة جزءاً من السورة وإلا لكان ستاً من المثاني، وربما يطلق عليها المثاني لأنّها
 نزلت مرتين.

وقال رسول الله ﷺ: لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب. نفترض أنّه لا يجب قراءة الفاتحة
 بأجمعها، ولكن ما هو الوجه في الاستمرار على ترك قراءة البسملة كما يوحي إليه قوله: «كانوا
 يفتتحون...».

١. ابن ماجه: السنن: ١٣٤٩/٢ برقم ٤٠٥٨.

٢. منتخب الأثر: ١٩. راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٥١ في ترجمة الوليد.

٣. مسند أحمد: ٣/١٣٠ و ١٤٣؛ سنن الترمذي: ٥/١٥٢ برقم ٢٨٦٩، كتاب الأمثال، الباب السادس.

مضافاً إلى ذلك، أنّ المرويات عن أنس قد اضطربت في هذا المجال. فربما نقل عنه أنّه لم يسمع بالبسملة منهم.

أخرج أحمد عن قتادة، عن أنس، قال: صليت مع رسول الله وأبي بكر وعمر وعثمان، فلم أسمع منهم من يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم. وفي رواية أخرى: أنّهم لم يجهروا بالبسملة.

أخرج أحمد عن ثابت، عن أنس، قال: صليت مع النبي ﷺ ومع أبي بكر وعمر فلم يجهروا بيسم الله الرحمن الرحيم.

وأيضاً أخرج أحمد عن أبي نعامه الحنفي، عن أنس، كان رسول الله وأبو بكر وعمر لا يقرأون يعني لا يجهرون. (١)

١٤. ردّ دعاء النبي ﷺ

أخرج أحمد في مسنده، عن الضحاك بن عبد الله القرشي، عن أنس بن مالك، أنّه قال: رأيت رسول الله ﷺ في سفر صلّى سبحة الضحى ثمان ركعات فلما انصرف قال: إني صليت صلاة رغبة ورهبة، سألت ربّي عزّ وجلّ ثلاثاً، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت أن لا يتلي أمّتي بالسنين ففعل، وسألت أن لا يظهر عليهم عدوهم ففعل، وسألت أن لا يلبسهم شيعاً، فأبى عليّ. (٢)

إنّ النبي ﷺ أجل من أن يسأل ربّه ما لا يوافق سنة ربّه، فالناس بطبائعهم يختلفون منهجاً وفكراً وعقيدة والاختلاف أمر طبيعي من سنن الحياة، قال سبحانه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا

١ . مسند أحمد: ١١١/٣.

٢ . مسند أحمد: ٢١٦/٣.

اِخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا
اِخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿البقرة/ ٢١٣﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ* إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود/ ١١٨ -
١١٩) وقد أخبر النبي ﷺ عن تفرق أُمَّته إلى ثلاث و سبعين فرقة، ومعه كيف يطلب من الله
سبحانه أن لا يختلفوا ولا يتفرقوا؟

كيف استجاب الله دعاءه الثاني وهو عدم تسلط عدو على أُمَّته.

في حين أنّ التاريخ حافل بأبناء غزو المغول والصليبيين للمسلمين في عقر دارهم.

١٥. النهي عن باب الأُمراء

أخرج أبو داود عن موسى الحناط، عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال له: يا أنس إنّ الناس
يُخَصِّرون أمصاراً، وإِتمصراً منها يقال له البصرة أو البُصيرة، فإن أنت مررت بها، أو دخلتها فإياك
وسباخها وكلاءها وسوقها وباب أمرائها، وعليك بضواحيها، فأنه يكون بها خسف وقذف
ورجف وقوم يبيتون يصبحون قرده وخنازير. ^(١)

ترى أنّ رسول الله نهاه عن باب الأُمراء إلا أنّ المواقف التي اتخذها طيلة حياته تدل على
عدم انتهائه، وإليك هذه الشواهد:

١. أخرج الترمذي عن حفصة بنت سيرين قالت: حدثني أنس بن مالك، قال: كنت عند
ابن زياد فجيء برأس الحسين، فجعل يضرب بقضيب له في أنفه و يقول: ما رأيت مثل هذا
حسناً، قال: قلت: أما إنّه كان من أشبههم برسول الله ﷺ. ^(٢)

١ . مسند أحمد: ٣/ ١٤٦.

٢ . سنن أبي داود: ٤/ ١١٣ برقم ٤٣٠٧.

ولعلّ قائلاً يقول إنّه ذهب إلى مجلس ابن زياد لأجل نهي الأمير عن المنكر مع أنّه لم يصدر منه شيء كهذا يدل على تقييح جريمة ابن زياد، بل صدّقه في قوله: ما رأيت مثل ذلك حسناً، حيث قال: إنّه كان من أشبههم برسول الله، وكان في وسعه أن يقول: ما حدّث به في غير هذا الموضوع كما مرّ في تعاطفه مع أهل البيت.

٢. أخرج البخاري عن خالد بن دينار أبي خلدة، قال: سمعت أنس بن مالك وهو مع الحكم أمير بالبصرة على السرير، يقول: كان النبي ﷺ ... (١) فكيف عمل بما وعظ به النبي ﷺ ؟

١٦. فضل عائشة...

أخرج البخاري في صحيحه، عن عبد الله بن عبد الرحمن أنّه سمع أنس بن مالك (رض) يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام. (٢) إنّ النبي ﷺ آية في الفصاحة والبلاغة وكلماته القصار وخطبه الطوال ورسائله إلى الرّساء والقبائل كلها تعرب عن قوّة بيانه وفصاحته وبلاغته، فلا يمكن له ﷺ أن يتفوّه بهذا التشبيه الفارغ.

١٧. نوم النبي على فراش أم سليم

أخرج مسلم في صحيحه، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس، قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها، وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فأتيّت، فقيل لها: هذا

١ . سنن الترمذي: ٥/٦٥٩ برقم ٣٧٧٨.

٢ . البخاري: الأدب المفرد، ص ٣٨٦ برقم ١١٦٦.

النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، قال: ففتحت عتيدها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففرع النبي ﷺ ، فقال: ما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال: أصبت. (١)

أخرج مسلم عن إسحاق بن عبد الله، عن أنس، قال: كان النبي لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه إلا أم سليم فإنه كان يدخل عليها، فقيل له في ذلك فقال: إني أرحمها، قتل أخوها معي. (٢)

إن معنى هذا الحديث أن النبي كان يخلو بالأجنبية ولا شك في كونه أمراً محرماً، وقد حاول شراح الحديث، أن يزيلوا الإشكال، فقال النووي: قد قدمنا في كتاب الجهاد عند ذكر أم حرام أخت أم سليم أنهما كانتا خالتي لرسول الله ﷺ محرمين إماماً من الرضاع أو من النسب فتحل له الخلوة بهما. (٣)

وقال أيضاً في مكان آخر: اتفق العلماء على أنها كانت محرماً له ﷺ واختلفوا في كيفية ذلك، فقال ابن عبد البر وغيره: كانت إحدى خالاته من الرضاعة، وقال آخرون: بل كانت خالة لآبيه أو لجدّه، لأن عبد المطلب كانت أمّه من بني النجار. (٤)

يلاحظ عليه أولاً: أن أنس يبرر الأمر نقلاً عن النبي بأنه قال: «إني أرحمها، قتل أخوها معي»، ولو كانت خالة له لكان التعليل بها أفضل.

١ . صحيح البخاري: ٣٦/٥؛ صحيح مسلم: ١٣٣/٧؛ مسند أحمد: ٣/١٥٦ .

٢ . صحيح مسلم: ٨١/٧ . باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به من كتاب الفضائل .

٣ . صحيح مسلم: ١٤٥/٧ ، باب فضائل أم سليم .

٤ . النووي: شرح مسلم: ١٠/١٦ ، كتاب فضائل أم سليم .

وثانياً: أنّ أمّ سليم ليست خالة النبي شرعاً وبصورة مباشرة بمعنى أنّها أخت أمّ النبي ﷺ، وإمّا كانت من بني النجار، و بنو النجار أخوال النبي خوولة اعتبارية من جهة أنّ هاشم بن عبد مناف قد تزوج سلمى النجارية فولدت له عبد المطلب جدّ النبي ﷺ، فبنو النجار أخوال النبي ﷺ بهذا المعنى، وهذا لا يوجب أن تكون كلاً امرأة من بني النجار محرماً للنبي ﷺ من الجهة الشرعية.

ولما كان هذا الأمر لا ينبغي أن يخفى على المحقّقين، لذلك جعلوا الخبر حول دخول النبي ﷺ على أمّ سليم بسبب الرضاعة، وهذا أيضاً لا يصحّ، لأنّ النبي ﷺ غير مسترضع في بني النجار، وعليه يكون أصل الخبر حول دخول النبي ﷺ عليها موضع شك، بل هو مردود لا صحة له.

١٨. مدّة خدمته

اختلفت الروايات في مدّة خدمته للنبي بين كونها أربع سنين إلى تسع سنين إلى عشر سنين، فعلى ما رواه البخاري فقد خدم النبي من السنة السابعة قبيل غزوة خيبر.

أخرج البخاري، عن مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب، أنّه سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ لأبي طلحة: التمس غلاماً من غلمانكم يخدمني فخرج بي أبو طلحة يردني وراءه، فكنت أخدم رسول الله كلّما نزل، فكنت أسمع يكثر أن يقول: اللهم، إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال، فلم أزل أخدمه حتى أقبلنا من خيبر وأقبل بصفية بنت حيي قد حازها^(١).. الخ.

ويظهر ممّا أخرجه أحمد عن حميد، عن أنس أنّه خدمه تسع سنين، قال:

١ . النووي: شرح مسلم: ٦١/١٣ - ٦٢ برقم ١٦٠، كتاب الأمانة، باب فضل الغزو. قد جاء ترجمتها في أسد الغابة: ٥٩١/٥؛ وسير أعلام النبلاء: ٣٠٤/٢ وليست فيهما آية إشارة إلى أمر الخوالة.

أخذت أم سليم بيدي مقدم النبي المدينة، فأنت بي رسول الله فقالت: يا رسول الله، هذا ابني وهو غلام كاتب، قال: فخدمه تسع سنين. (١)

ويظهر من قول آخر معزو إليه أنه خدم عشر سنين.

أخرج أحمد عن ثابت وعبد العزيز عن أنس، قال: خدمت النبي عشر سنين... الخ. (٢)
وأظن أنّ ما أخرجه البخاري هو المعتمد، لأنّ الطفل الذي لا يتجاوز عمره عشر سنين هو أكثر حاجة إلى خادم - يخدمه - من النبي ﷺ الذي كان في العقد السادس من عمره.
وعلى ضوء ذلك فيتسرّب الشكّ إلى أغلب ما روي عن أنس ممّا يرجع إلى حياة النبي ﷺ قبل خيبر، فإنّ أكثر رواياته تتمحور حول أفعال النبي ﷺ التي شاهدها بأُ عينيه.

١٩. إسرائ النبي قبل أن يوحى إليه

أخرج مسلم في صحيحه، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، أنّه قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أُسري برسول اللّهمن مسجد الكعبة أنّه جاءه ثلاثة نفر - قبل أن يوحى إليه - و هو نائم في المسجد الحرام.

أضاف مسلم وقال: وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني وقدم فيه شيئاً و آخر و زاد و نقص. (٣)

نقل مسلم حديث ثابت البناني قبل هذا في نفس الباب، ولذلك اقتصر

١ . صحيح البخاري: ٧/٧٦، باب الحيس من كتاب الأطعمة.

٢ . مسند أحمد: ٣/١٢٤ و ٢٠٠.

٣ . مسند أحمد: ٣/٢٦٥؛ ولاحظ أيضاً ٣/١٩٥ و ٢٣١.

بهذا المقدار وترك التفصيل الوارد في حديث البناي.
أقول: الرواية غير صحيحة وهي مخالفة لاتفاق المسلمين في أنّ الإسراء كان بعد الوحي، فكيف يقول: وكان ذلك «قبل أن يوحى إليه» وقد جاء في ليلة الإسراء بحكم الصلوات الخمس فهذا دليل على أنه أُسري به بعد ما أُوحى إليه.
وقد اعتذر عنه النووي في شرحه، وقال: وقد جاء في رواية شريك في هذا الحديث في الكتاب أوهام أنكرها عليه العلماء، وقد نبه مسلم على ذلك بقوله: فقدم وأخر وزاد ونقص.
منها قوله: «قبل أن يوحى إليه» وهو غلط لم يوافق عليه، فإنّ الإسراء أقل ما قيل فيه أنه كان بعد مبعثه بخمسة عشر سنة.

وقال الحرابي: كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة.
وقال الزهري: كان ذلك بعد مبعثه بخمس سنين.
وقال ابن إسحاق: اسري به ﷺ وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل، وأشبه هذه الأقوال قول الزهري، وابن إسحاق إذ لم يختلفوا أنّ خديجة (رض) صلت معه بعد فرض الصلوات عليه، ولا خلاف أنّها توفيت قبل الهجرة بمدة قيل لثلاث سنين، وقيل بخمس.
ومنها أنّ العلماء مجمعون على أنّ فرض الصلوات كان ليلة الإسراء، فكيف يكون هذا قبل أن يوحى إليه؟^(١)

وما ذكره النووي وإن كان حقاً لكن ليس في عبارة مسلم دلالة على أنه رد قول أنس: «قبل أن يوحى إليه» لعدم دلالة قوله: «فقدم فيه شيئاً وأخر أو زاد ونقص» على وجود الغلط في حديث البناي.

١ . صحيح مسلم: ١/١٠٢، باب الإسراء برسول الله، من كتاب الإيمان.

٢٠. نزول آية الصلح في عبد الله بن أبي

أخرج البخاري، عن معتمر، قال: سمعت أبي، أأنساً (رض)، قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حماراً، فانطلق المسلمون يمشون معه و هي أرض سبخة، فلما أتاه النبي ﷺ، فقال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك. فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتما، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد و الأيدي والنعال فبلغنا أنها أنزلت ﴿وَإِنطَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾^(١). وأخرج البخاري أيضاً، عن عروة بن الزبير، أن أسامة بن زيد أخبره أنّ رسول الله ركب على حمار على قطيفة فديكة وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: حتى مرّ بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي فإذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، حمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تُغبّ - روا علينا، فسلم رسول الله ﷺ عليهم، ثم وقف، فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن.

فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء انه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً، فلا تؤذينا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه.

١. شرح صحيح مسلم للنووي: ٥٦٧/٢ - ٥٦٨.

فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاعشنا به في مجالسنا، فانّا نحبّ ذلك، فاستبّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتشاورون، فلم يزل النبي يُخفّضهم حتى سكنوا، ثمّ ركب النبيدايته، فسار حتى دخل على سعد بن عبادة... (١)

أقول: لو صحّ الحديثان فهما واقعتان مختلفتان فما يرويه أسامة بن زيد كان قبل غزوة بدر كما هو صريح الرواية ولا غبار عليه و لم يرد فيه نزول آية الصلح في حقّ عبد الله، إنّما الكلام فيما يرويه أنس حيث إنّ المخاصمة وقعت بين من كان مع النبي ﷺ من أصحابه وبين أصحاب عبد الله بن أبي وكانوا إذ ذاك كفاراً كما يدل عليه قوله: «فغضب لعبد الله رجل من قومه...» فكيف ينزل فيهم قوله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ ولا سيما إذا كانت قصة أنس و أسامة متحدة فانّني رواية أسامة «فاستبّ المسلمون والمشركون».

عشرة لا تقال

إنّ أنس بن مالك مثل كلّ صحابي رأى النبي ﷺ وشاهد النور عن كذب وخدمه سنين وارتوى من نمير علمه وروى روائع أحاديثه وجمله، وعلى الرغم من ذلك فوجد أنّه زلّة في حياته عندما قام الوصي علي بن أبي طالب عليه السلام يناشد الصحابة ممن سمع النبي ﷺ يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه.

روى البلاذري، قال علي عليه السلام على المنبر: نشدت الله رجلاً سمع رسول الله يقول يوم غدِير خم: اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه إلّا قام وشهد، و تحت المنبر أنس بن مالك و البراء بن عازب وجرير بن عبد الله البجلي، فأعادها فلم يجبه أحد منهم، فقال: اللهمّ من كتم هذه الشهادة وهو

١ . صحيح البخاري: ١٨٣/٣، كتاب الصلح.

يعرفها فلا تخرجه من الدنيا حتى تجعل به آية يعرف بها، قال أبو وائل: فبرص أنس وعمي البراء و رجع جرير أعرابياً بعد هجرته (١) الخ.

وروى ابن قتيبة، قال: أنس بن مالك كان بوجهه برص، ذكر قوم اتعلياً (رض) سأله عن قول رسول الله: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فقال: كبرتُ سني ونسيْتُ، فقال علي: إن كنت كاذباً فضربك الله بيضاء لا تواربها العمامة. (٢)

وقال ابن أبي الحديد: ناشد علي عليه السلام الناس في رحبة القصر - أو قال رحبة الجامع بالكوفة - : أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»؟ فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا بها، وأنس بن مالك في القوم لم يقم، فقال له: يا أنس، ما يمنعك أن تقوم فتشهد، ولقد حضرتها؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كبرت ونسيت، فقال: اللهم إن كان كاذباً فارمه بها بيضاء لا تواربها العمامة . قال طلحة ابن عمير: فوالله لقد رأيت الوضع به بعد ذلك أبيض بين عينيه. (٣)

لم تكن واقعة غدِير خم، حادثة صغيرة يبلّغها مرُّ الليالي و الأيام بل كانت واقعة تاريخية حضرها آلاف من الصحابة في منصرفهم عن حجّة الوداع، وقد صعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنبر وناشدهم بأمر وأخذ منهم الاعتراف ثم قال: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» أفْتُنسى مثل هذه الحادثة مع أنّه - عند المناشدة - كان في العقد الرابع من عمره، مع أنّ أنساً هو المصدر الأوّل لأفعال النبي، صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها؟

١ . صحيح البخاري: ٣٩/٦ - ٤٠ تفسير سورة آل عمران.

٢ . البلاذري: انساب الأشراف: ١٥٦/٢ - ١٥٧.

٣ . ابن قتيبة: المعارف: ٢٠١ - ٢٥١، طبعة مصر.

٣٩- السائب بن يزيد الكندي

(٣ - ٩٤هـ -)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

النبي ﷺ يأذن لقينة في الغناء لعائشة

هو السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة الكندي المدني، وكان جدّه سعيد حليف بني عبد

شمس.

قال السائب: حجّ بي أبي مع النبي وأنا ابن سبع سنين.

وقال: رأيت النبي ﷺ قبل قتل عبد الله بن خطل يوم الفتح، أخرجوه من تحت الأستار،

فضرب عنقه بين زمزم والمقام.

كان له نصيب من صحبة ورواية وكان من المقلّين في الحديث. ^(١)

وقد جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١٥ رواية. ^(٢)

ونكتفي هنا بروايتين إحداهما من روائع رواياته والأخرى من رواياته السقيمة.

١ . شرح نهج البلاغة: ٧٤/٤.

٢ . سير أعلام النبلاء: ٣/٤٣٧ برقم ٨٠؛ أسد الغابة: ١/٣٢٢.

أخرج أحمد عن الزهري، عن السائب بن يزيد:
أنه لم يكن يُقَصُّ على عهد رسول الله ولا أبي بكر وكان أول من قصّ تميم الداريّ استأذن
عمر بن الخطاب أن يقص على الناس قائماً فأذن له عمر.^(١)
والحديث يعرب عن حقيقة مرّة وهي أنّ الجهاز الحاكم - آنذاك - قد حظر نقل الحديث عن
النبيّ ﷺ ومذاكرته وتدوينه وكتابه إلشئاً يسيراً؛ في حين أنّه رخص لتميم الداريّ أن يقصّ
وهو كان نصرانياً قدم المدينة فأسلم في سنة ٩هـ-، فصار قصاصاً في المدينة يوم لم يكن يعارضه و
يكافئه، وبما أنّ الرجل كان قد قضى شطراً من عمره بين الأخبار والرهبان، فمن الطبيعي أن يقصّ
كلّما تعلمه من أساتذته من الإسرائيليات والأساطير المسيحية ويثها بين المسلمين وهم يأخذونها
منه زاعمين أنّها حقائق راهنة، وقد مرّ الكلام فيه عند دراسة روايات «تميم الداري».

وإليك رواية سقيمة منه:

النبي يأذن لقينة في الغناء لعائشة

أخرج أحمد عن يزيد بن حصيفة، عن السائب بن يزيد الكندي:

إنّ امرأة جاءت إلى رسول الله، فقال: يا عائشة أتعرفين هذه؟ قالت: لا يا نبي الله، فقال:
هذه قينة بني فلان تحبين أن تغنيك؟ قالت: نعم، فأعطاها طبقاً فغنتها، فقال النبي ﷺ: قد
نفخ الشيطان في منخريها.^(٢)

إنّ الرواية تشتمل على عدّة إشكالات تجعلها في عداد الموضوعات:

١ . المسند الجامع: ١٩/٦ برقم ٢٢٧.

٢ . مسند أحمد: ٣/٤٤٩.

١. الحديث يعرب أنّ النبي ﷺ كان يعرف المغنّيات في المدينة المنورة، فعاد يعرف قينة بني فلان، لزوجته وأثما تغني.
٢. إذا كان الغناء حراماً والمغني لا يغني إلا والشيطان ينفخ في منخريه، فكيف يقترح على عائشة زوجته أن تصغي له؟!
٣. ثمّ هل كانت عائشة بالغة يومذاك وعالمة بجرمة الغناء ومع ذلك قبلت اقتراح النبي ﷺ وأصبحت تصغي لغنائها؟
٤. إذا كان عمل القينة عملاً شيطانياً، فكيف يسمح النبي ﷺ لها بالغناء، (بل و يأمر به) ولعائشة بالاستماع والنبي ﷺ أجلّ من أن يحوم حول تلك الأمور؟
- ولا تعجب من هذا الحديث، فإنّ له في كتب الحديث نظائر، وقد حكم عليها بالوضع.
- روى ابن الجوزي بإسناده عن عكرمة، عن ابن عباس، أنّ رسول الله ﷺ مرّ بحسان بن ثابت وقد رشّ فناء أطمه.
- وجلس أصحاب النبي ﷺ سماطين وجارية له يقال له (كذا في المصدر) «سيرين»، معها «مزهرها» تختلف به القوم وهي تغنيهم. فلمّا مرّ النبي ﷺ لم يأمرهم ولم ينههم، فانتهى إليها وهي تقول في غنائها «هل عليّ ويحكم ان لهوت من حرج» فضحك رسول الله ﷺ : لا حرج إن شاء الله. (١)

١ . مسند أحمد: ٣/٤٤٩.

٤٠ - عامر بن وائلة

(٢ - ١٠٧ هـ -)

سيرته وأحاديثه الرائعة

حديثه السقيم:

النبي يكشف عن عورته

عامر بن وائلة بن عبد الله بن عمرو الليثي الكناني الحجازي الشيعي.

كان من شيعة الإمام علي عليه السلام . مولده بعد الهجرة، وكان يقول: ولدت عام أحد، وهو آخر

من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وفاة.

حدث عنه: حبيب بن أبي ثابت، والزهري، وأبو الزبير المكي، وعلي بن زيد ابن جدعان،

وعبد الله بن عثمان بن خثيم، ومعروف بن خربوذ، وسعيد الجريري، وفطر بن خليفة، وخلق

سواهم. قال عبد الرحمان الهمداني: قال: دخل أبو الطفيل على معاوية، فقال: ما أبقى لك الدهر

من ثكلك علياً؟ قال: ثكل العجوز المقلات، والشيخ الرقوب، قال: فكيف حبك له؟ قال: حبّ

أم موسى لموسى، وإلى الله أشكو التقصير . وقيل: إنّ أبا الطفيل كان حامل راية المختار لما ظهر

بالعراق وحارب قتلة

الحسين، وكان أبو الطفيل ثقة فيما ينقله، صادقاً، عالماً، شاعراً، فارساً، عمراً طويلاً وشهد مع علي حروبه. قال خليفة: وأقام بمكة حتى مات سنة مائة أو نحوها، وقال: سنة سبع ومائة. (١)

وهو من المقلّين في الحديث، وقد جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١٢ حديثاً. (٢) رواه رآيت أحاديثه أخرج البخاري في الأدب المفرد عن عمارة بن ثوبان، قال: حدثني أبو الطفيل قال: رأيت النبي ﷺ، يقسم لحماً بالجرعانة، وأنا يومئذ غلام، أحمل عضو البعير، فأتته امرأة فبسط لها رداءها، قلت: من هذه؟ قيل: هذه أمّه التي أرضعته. (٣) كما عزيت إليه رواية لا تنسجم مع الضوابط التي أوعزنا إليها غير مرّة. النبي ﷺ يكشف عن عورته أخرج أحمد في مسنده عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن أبي الطفيل، قال: لما بني البيت، كان الناس ينقلون الحجارة، والنبي ﷺ ينقل معهم فأخذ الثوب فوضعه على عاتقه فنودي: لا تكشف عورتك، فألقى الحجر ولبس ثوبه ﷺ. (٤)

١ . ابن الجوزي، الموضوعات: ١١٦/٣ .

٢ . سير أعلام النبلاء: ٤٦٧/٣ برقم ٩٧ وج ٤٦٧/٤ برقم ١٧٧ .

٣ . المسند الجامع: ٣٢/٨ - ٤٠ .

٤ . البخاري: الأدب المفرد، برقم ١٣٠٠ .

ومعنى الرواية أنّ النبي ﷺ كان يرتدي ثوباً واحداً يستر بدنه، فلما أخذ بأطرافه ووضعها على عاتقه انكشف سواته سهواً وغفلة، وهذا ما لا يغفل عنه الإنسان العادي فكيف بنبي العصمة؟!!

* * *

إلى هنا تمّ ما أردناه من دراسة الحديث النبوي على ضوء الأصول والضوابط العلمية وقد غفل عنها أكثر المحدّثين الذين اكتفوا بدراسة الاسناد، أي كون الراوي ثقة أو غير ثقة، والسند موصولاً أو مقطوعاً إلى غير ذلك ممّا يعرض الحديث من جانب الاسناد، و أمّا دراسة المتن دراسة علمية موضوعية يميز بها الصحيح عن السقيم فلم يتطرق إليه شراح الصحاح و المسانيد إلا في مواضع نادرة. وما ذكرناه يرجع إلى دراسة روايات لفيف من الصحابة على وجه الإيجاز، وأمّا دراسة روايات كلّ الصحابة أو الصحابييات فتطلب لنفسها مجالاً آخر خصوصاً ما روي عن نساء النبي في حقول مختلفة، فلنترك البحث فيها إلى مجال آخر.

نحمده سبحانه ونستهديه وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله فرغنا من تحريره ظهيرة الثالث من جمادى الأولى من شهر عام ١٤١٩ هـ - في مدينة قم المحميّة وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين جعفر السبحاني قم المشرفة مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام للبحوث والدراسات العليا

الفهرس

- ١- مكانة السنّة النبوية ٩
- ٢- اهتمام النبي ﷺ بتدوين الحديث ١٢
- ٣- المنع الشرعي عن كتابة الحديث؟! ١٧
- ٤- العلل المزعومة لقلة الاهتمام بالتدوين ٢٣
- ٥- تمحيص السنّة النبوية ٣٥
- ٦- طرق التمحيص ٤٥
- ٧- منهجنا في تمحيص السنّة ٥٣
- ٨- لا كتاب صحيح سوى القرآن الكريم ٧٠
- ١- معاذ بن جبل الصحابي ٧٥
- ٢- أُبَيّ بن كعب الأنصاري ٩٧
- ٣- العباس بن عبد المطلب الهاشمي ١٠٥
- ٤- عبد الله بن مسعود ١١٢
- ٥- أبو الدرداء الأنصاري ١٢٩
- ٦- عبادة بن الصامت ١٤٢
- ٧- طلحة بن عبيد الله التيمي ١٥٢
- ٨- حذيفة بن اليمان العبسي ١٥٩
- ٩- عقبة بن عمرو ١٧٧
- ١٠- تميم الداري ١٨٦
- ١١- أبو موسى الأشعري ١٩٣
- ١٢- زيد بن ثابت الأنصاري ٢١١

- ١٣- المغيرة بن شعبة ٢٣١
- ١٤- جرير بن عبد الله البجلي ٢٤٠
- ١٥- عمران بن الحصين الخزاعي ٢٤٤
- ١٦- اسامة بن زيد بن حارثة ٢٥٦
- ١٧- ثوبان مولى رسول الله ﷺ ٢٦١
- ١٨- سعد بن أبي وقاص ٢٦٨
- ١٩- أبو هريرة ٢٩٧
- ٢٠- عقبة بن عامر الجهني ٣٦٩
- ٢١- جبير بن مطعم ٣٧٨
- ٢٢- سمرة بن جندب ٣٨٩
- ٢٣- عبد الله بن مُغفَّل المزني ٤٠٢
- ٢٤- بريدة بن الحصيب الأسلمي ٤١٠
- ٢٥- عبد الله بن عمرو بن العاص ٤٣٠
- ٢٦- ابن عباس ٤٦٢
- ٢٧- زيد بن أرقم الأنصاري ٤٨١
- ٢٨- البراء بن عازب الأنصاري ٤٨٩
- ٢٩- عبد الله بن الزبير ٤٩٤
- ٣٠- أبو سعيد الخدري ٥٠٧
- ٣١- عبد الله بن عمر ٥٤٢
- ٣٢- جابر بن سمرة ٥٧٣
- ٣٣- عبد الرحمان بن غنم الأشعري ٥٧٦
- ٣٤- جابر بن عبد الله الأنصاري ٥٨٠
- ٣٥- أبو أمامة الباهلي ٥٩٦
- ٣٦- عبد الله بن أبي أوفى ٦٠٨

- ٦١٦ ٣٧- سهل بن سعد الساعدي
- ٦٢٤ ٣٨- أنس بن مالك الصحابي
- ٦٦٨ ٣٩- السائب بن يزيد الكندي
- ٦٧١ ٤٠- عامر بن وائلة
- ٦٧٤ الفهرس